

دَلِيلُ الْوَقْفِ الشَّكْرِي
الْعَتَبَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ الْبَقْدَسِيَّةُ
مَرْكَزُ تَارِيخِ سِنَا جَرَاءِ

الْإِمْلَاءُ عَلَى الْهَدْيِ
عَبَقُ النُّبُوَّةِ وَعِمَادُ السَّلَامِ (لِلْمَجْتَمَعِ)

الجزء الثالث

إشراف ومراجعة
مَرْكَزُ تَارِيخِ سِنَا جَرَاءِ

الكتاب: وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبَقُ النبوة وِعِمادُ
السَّلم المُجتمَعِي / ج ٣.

المؤلف: مجموعة باحثين

الناشر: مركز تراث سامراء.

المدقق اللغوي: الشيخ عقيل علي الدراجي

التصميم والإخراج الفني: الحاج مسلم شاكر المطوري

المطبعة:

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

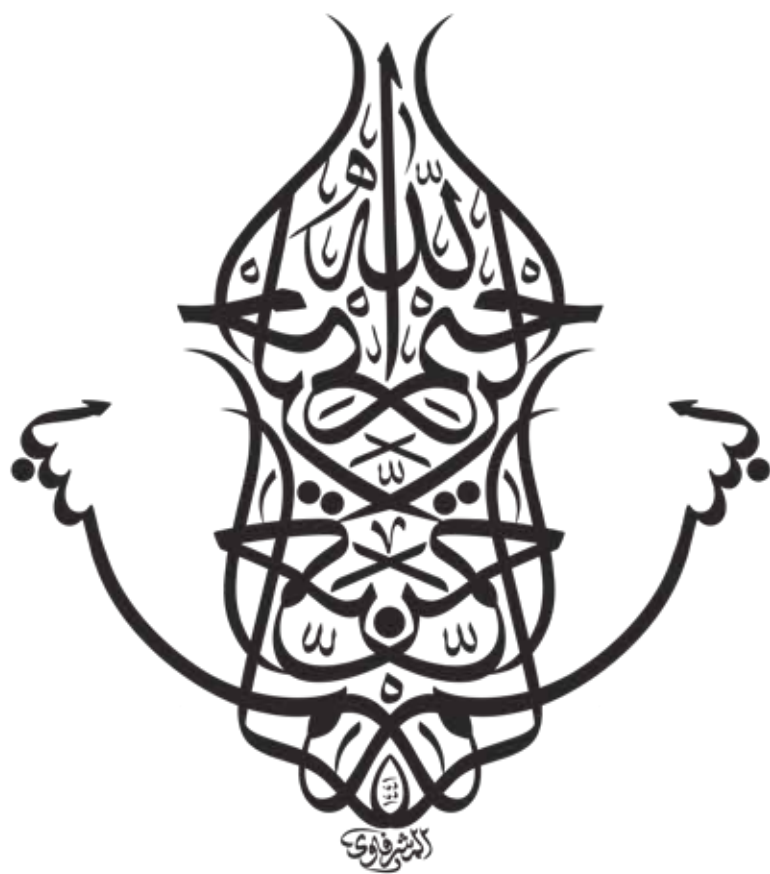
سنة الطباعة: ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م.

رقم الإصدار: ٤٢.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠٢٠ م

:ISBN

جميع الحقوق محفوظة لمركز تراث سامراء.





المحور الخامس الدراسات اللغوية





البحث الأول

لامية الإمام علي الهادي عليه السلام (ت ٢٥٣هـ)
- دراسة تحليلية -

أ.د. حسن غازي السعدي

جامعة بابل - كلية الدراسات القرآنية

م.د. فرات عبد الكريم زغير

جامعة بابل - كلية التربية الأساسية



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، علّم من أعلام الأمة وجهبذ من جهابذتها سليل النور والألق. سليل بيت النبوة الذين اشتهروا بالتقوى والعلم والكرم والجود ومكارم الأخلاق، كما عرفوا بالبلاغة والبيان.

الإمام عليه السلام له قصيدة أنشدها عند الخليفة المتوكل العباسي فارتج لها مجلس الخليفة وكان لها تأثير قوي في السامعين؛ لعلو لغتها وجمال أسلوبها وسلاسة ألفاظها اضطمت القصيدة على أبيات من بحر البسيط، مطلعها:

باتوا على قلل الأجمال تحرّسهم غلب الرجال فما أغتتهم القلل
وطأنا البحث بذكر لمحات عن حياة الإمام عليه السلام وسيرته العطرة المباركة.

ثم درسنا القصيدة بيان ما يأتي:

١- لغتها ودلالات ألفاظها وإبراز معاني الأبيات بعد تبين دلالة المفردات داخل الأبيات.

٢- تبين أهم الاستعمالات البلاغية من بيان أو معانٍ أو بديع.

٣- ذكر الحكم والمواعظ التي تخللتها القصيدة.

٤- ذكر الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية التي تُشير الأبيات إليها، أو التي تضمّنت معناها.

مناسبة القصيدة

قيل: سعي إلى المتوكل بأبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام أن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من أهل قم وغيرهم من شيعته والقائلين بإمامته، وأنه قد عزم على الخروج والوثوب على الدولة في دار الملك. فوجه المتوكل إليه ليلاً بعدة من الأتراك وغيرهم ممن هجم عليه في منزله على غفلة، فوجد في بيت مغلق عليه وحده، وعليه مدرعة صوف من الشعر، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، وهو متوجه إلى ربه يتلو آيات الله تعالى في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ كهيئة ما وجد عليه، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، والمتوكل يشرب، وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، ولم يكن وجد في منزله شيء مما قيل عنه، ولا حالة يتعلق بها عليه. فناوله المتوكل الكأس الذي كان في يده. فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني. فأعفاه، ثم قال: أنشدني شعراً. فقال: إني لقليل الرواية للأشعار. فقال: لا بد. فأنشده هذه القصيدة التي مطلعها:

بَاثُوا عَلَى قَلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ *** غُلْبُ الرِّجَالِ فَمَا أَعْتَهُمُ الْقُلُ

قال: فأشفق من حضر علي بن محمد، وظنوا أن بادرة ستبدر إليه من المتوكل، فوالله لقد بكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بل لحيته بدموعه، وبكى من حضره، وأمر برفع الشراب، وقال: يا أبا الحسن، لقد لينت منا قلوباً قاسية، وذكرتنا ما أنساناه النعم، فأقسم بالله عليك، أعليك دين؟ فقال: نعم، أربعة آلاف درهم. فأمر بدفعها إليه، وأمر برده إلى منزله من ساعته مكرماً^(١).

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٤/ ١١، وأنس المسجون وراحة المحزون: ٢٤١ - ٢٤٢، ووفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢، والبداية والنهاية: لابن كثير: ١١/ ٢٠.

تحليل القصيدة

١. بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ *** غُلُبَ الرِّجَالِ فَمَا أَعْتَهُمُ الْقُلُلُ

(قُلُلِ الْأَجْبَالِ): أعالي الجبال، جاء في الصحاح: وَقُلَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: رَأْسُهُ. وَالْقُلَّةُ: أَعْلَى الْجَبَلِ. وَقُلَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ^(١).

وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ أَعْلَى الرَّأْسِ وَالسَّنَامِ وَالْجَبَلِ. وأنشد سيبويه: عجائبُ تبدي الشيبَ في قُلَّةِ الطِّفْلِ * والجمع قُلُلٌ. ومنه قول ذي الرمة يذكر فراخ النعامة ويشبه رؤوسها بالبنادق:

أَشْدَّ أَفْهًا كَصُدُوعِ النَّبْعِ فِي قُلُلٍ مِثْلَ الدَّحَارِيجِ لَمْ يَنْبُتْ لَهَا زَعْبُ^(٢)

قُلُلٌ: شيء قليل، والقُلُل: جمع قُلَّة^(٣). وجمع قليل قُلُل، مثل سرير وسُرُر. وقد قل الشيء يقل قلة. والقُل: القلَّة. والذُل: الذلَّة. ويقال: الحمد لله على القُل والكثرة^(٤)، وماله قل ولا كثر. وفي الحديث: (الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ)^(٥). أي إلى قليل؛ لأن الله يمحقه: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٦).

وَالْقُلَّةُ: الْحُبُّ الْعَظِيمُ، وَقِيلَ: الْجَرَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَقِيلَ: الْجَرَّةُ عَامَّةٌ، وَقِيلَ: الْكُوزُ الصَّغِيرُ، وَالْجَمْعُ قُلُلٌ وَقِلَالٌ، وَقِيلَ: هُوَ إِنَاءٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَّةِ الْكَبِيرَةِ^(٧).

(١) الصحاح: ١٨٠٥/٥.

(٢) لسان العرب ١١/٥٦٣، وبيت ذي الرمة في ديوانه: ١٣٤/١.

(٣) جمهرة اللغة: ١٠١٣/٢.

(٤) الصحاح: ١٨٠٤/٥.

(٥) مسند أحمد رقم الحديث (٣٧٥٤): ٢٩٧/٦.

(٦) سورة البقرة: الآية / ٢٧٦.

(٧) لسان العرب ١١/٥٦٣.

١٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

(غُلِبَ الرجال): غُلِبَ جمع غلبة: كثير الغلبة، غَلَبَ: الْغَيْنُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَقَهْرٍ وَشِدَّةٍ. مِنْ ذَلِكَ: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وَغَلْبًا وَغَلَبَةً^(١). قال تعالى: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(٢). والغلاب: النزاع. والمُغَلَّبُ: الذي يَغْلِبُهُ أقرانه فيما يمارس. والأغلب: الغليظ الشديد القصرة، وأسد أغلب. وقد غلب غلبًا^(٣).

وَرَجُلٌ غُلْبَةٌ، وَغُلْبَةٌ: كثير الغلبة. وَقَالَ اللَّحْيَانِي: شَدِيدُ الْغَلْبَةِ. وَقَالَ: لَتَجِدَنَّهُ غُلْبَةً عَنْ قَلِيلٍ، وَغُلْبَةً، أَي: غَلَابًا^(٤).

(فَمَا أَغْنَتْهُمْ الْقُلُلُ) فِي كِتَابِ مِرَاةِ الزَّمَانِ بِرَوَايَةِ (وَلَمْ تَحْرُسْهُمْ الْقُلُلُ)^(٥)، وبعض المصادر برواية (وَلَمْ تَنْفَعْهُمْ الْقُلُلُ)^(٦)

و المعنى العام للبيت: إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ بَاتَ فِي أَعْلَى الْجِبَالِ تَحْرُسُهُ الرِّجَالُ الْأَشْدَّاءُ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ شَيْئًا.

وهذا البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٧)

٢. وَاسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ *** وَاسْكُنُوا حُفْرًا يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنْزَلُوا

(اسْتَنْزِلُوا) أَجْبَرُوا عَلَى النُّزُولِ؛ لِأَنَّ مِنْ مَعَانِي صِيغَةِ (اسْتَفْعَلَ) الْحَمْلُ

(١) مقاييس اللغة: ٤/ ٣٨٩.

(٢) سورة الروم: الآية: ٣.

(٣) كتاب العين: ٤/ ٤٢٠.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ٥/ ٥٣٢.

(٥) ١٥/ ٣٣٥.

(٦) تاريخ الإسلام: ١٨/ ١٩٩، ومِرَاةُ الْجَنَانِ: ٢/ ١١٩، وسمط النجوم العوالي: ٣/ ٤٦٧.

(٧) سورة النساء: الآية: ٨٧.

على الشيء، يُقال: استطرَّبه، واستبَّكاه، واستعدى فرسه، واستنَّح كلبه بمعنى الحمل والإجبار على ذلك^(١)

(عزَّ): يُقال: عزَّ الشيء، جامعٌ لكلِّ شيء إذا قلَّ حتى يكادُ لا يوجد من قلَّته يَعِزُّ عِزَّةً، وهو عزيز بين العزاة، ومُلك أعزُّ أي عزيز، قال الفرزدق:

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا... بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول^(٢)

(معاقليهم) جمع معقل، اسم مكان من عقل، اعتقلت الرجل حبسته، واعتقل لسانه بالبناء للفاعل والمفعول إذا حُبس عن الكلام أي مُنع فلم يُقدِر عليه. والمعقل وزان مسجِد الملجأ وبه سُمي الرجل^(٣).

المعنى العام للبيت: إن هؤلاء المتحصنين بالملاجئ والحصون أُجبروا على النزول بالحفر، والمقصود بالحفر: القبور، وأن هذه الملاجئ لم تدفع عنهم الموت وتدرأ عنهم دخول القبور.

٣. نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِمْ *** أَيْنَ الْأَسَاوِرُ وَالتَّيجَانُ وَالْحُلُلُ

(صارخ) المعنى به صارخ الموت، قال معقل الهذلي، يرثي أخاه عمراً الذي قتله بنو عَصَلٍ: (جواداً إذا ما الناس قلَّ جوادُهُم...! وسفّاً إذا ما صارخ الموت أفرعاً)^(٤).

(الأساور) جمع أسورة التي هي جمع سوار فالأساور إذن جمع الجمع، والسوار: ما يضعه الملوك والأمراء والأغنياء حلية بأيديهم بُعيد المعصم.

(التيجان): جمع تاج الذي يضعه الملوك على رؤوسهم علامة على الملك.

(١) أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش: / ١١١.

(٢) كتاب العين: ١/ ٧٦ مادة (ع ز ز)، وبيت الفرزدق ديوانه: ٢/ ١٥٥.

(٣) المصباح المنير: ٢/ ٤٢٢.

(٤) ينظر: تاج العروس: ٢٣/ ٤٤٠ مادة (س ف ف)

١٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

(الحُلَّة): جمع حُلَّة، والحُلَّة: إزارٌ ورداءٌ بُردٌ أو غيره. ولا يقال لها حُلَّة حتى تكون ثوبين^(١). سُمِّيت حُلَّةً؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من الثَّوبَيْنِ يُحُلُّ على الآخر، أو لأنَّها من ثوبين جديدين، كما حلَّ طيَّهما، ثمَّ استمرَّ عليَّها ذلك الاسم^(٢). وتجمع أيضاً على جلال، وحلَّله الحُلَّة: البسه إياها^(٣).

وقيل: رداءٌ وقميصٌ وتماؤها العِمامة. وقيل: لا يزال الثوب الجيد يُقال له من الثياب حُلَّةً، وقال أبو عبيد: الحُلُّ بُرودُ اليمين، من مواضع مختلفةٍ منها، وقال غيره: الحُلُّ: الوشيُّ والحبرُ والحزُّ والقزُّ والقوهيُّ والمرويُّ والحريُّ. وقيل: الحُلَّة: كلُّ ثوبٍ جيدٍ جديدٍ تلبَّسه، غليظٌ أو رقيق^(٤).

والمعنى العام للبيت: يناديهم صارخٌ، وهو ملك الموت، أو منادٍ من قبل ربِّ العزة، أين الحلي التي كنتم تلبسونها والتيجان التي تقلدتموها، هل أغنت عنكم، وهل دفعت عنكم شيئاً من الحساب؟ ومعنى هذا البيت يُشبه معنى بيتٍ للإمام علي زين العابدين عليه السلام في قصيدته المشهورة (ليس الغريب)

وأنظر إلى مَنْ حَوَى الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا * * * هَلْ رَاحَ مِنْهَا بَغَيْرِ الحِطِّ والكَفَنِ

٤. أَيْنَ الوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعَمَةً * * * مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَلَلُ

(مُنْعَمَةً) أي: في نعمة، وهي صيغة اسمٍ مفعولٍ من (نَعَمَ) الفعل المزيد بالتضعيف فَعَلَ من نَعَمَ، (الأسْتار) جمعُ تكسيرٍ بزنةِ أفعالٍ مفردِها سِتْرٌ، وهو ما يُستترُّ به عن الغير.

(١) العين: ٢٧/٢.

(٢) تاج العروس: ٣٢٢/٢٨.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ٥٣٠/٢.

(٤) تاج العروس: ٣٢٢/٢٨.

(الكلل): جَمْعُ كِلَّةٍ وهي التي تُنصبُ كالخِدر^(١). قال الأزهري: هي الصُّوفة، وهي صُوفة حمراء في رأس الهودج^(٢). وأنشد زهير:

وعالين أنما طأ عتاقاً وكِلَّةً وراذ الحواشي لوئها لوْنُ عَنْدَم^(٣)

والكِلة: السِترُ الرقيق يُخاط كالبيت، يُتَوَقَّى فيه من البعوض^(٤). وأنشد أبو عبيد:

مِنْ كُلِّ مَخْوفٍ يُظِلُّ عَصِيَّهَ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا^(٥)

هذا البيت مُتعلِّقٌ بالبيت السابق له الذي فيه نداء من صارخ: أَيْنَ الْأَسَاوِرُ وَالتَّيْجَانُ وَالْحُلُلُ، وهنا يُستكملُ فيقول: أَيْنَ الوجوه التي كانت في نعمة من العيش والرخاء، محجوبة عن الشمس والتراب ونظر الناس والحشرات وغيرها بالأسفار والكلل.

٥. فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ *** تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ تَقْتَتِلُ

(أفصح) (فَصَحَ) الْفَاءُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ فِي شَيْءٍ وَنَقَاءٍ مِنَ الشُّوبِ. مِنْ ذَلِكَ: اللِّسَانُ الْفَصِيحُ: الطَّلِيُّ. وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ: الْعَرَبِيُّ. وَالْأَصْلُ أَفْصَحَ اللَّبَنُ: سَكَنْتَ رِغْوَتَهُ. وَأَفْصَحَ الرَّجُلُ: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَفَصَحَ جَادَتْ لُغَتُهُ حَتَّى لَا يَلْحَنُ^(٦)، وَأَفْصَحَ عَنْ كَذَا: لَخَّصَهُ. وَأَفْصَحَ لِي عَنْ كَذَا إِنْ كُنْتَ صَادِقاً؛ أَي: بَيَّنَّ^(٧) (سَاءَ لَهُمْ) صَيْغَةُ فَاعِلٍ مِنْ (سَأَلَ) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْمَشَارَكَةِ.

(١) العين: ٩٨٢/٢.

(٢) تهذيب اللغة: ٣٣٢/٩.

(٣) ينظر: تاج العروس: ٣٠/٣٤٧.

(٤) الصحاح: ١٨١٢/٥.

(٥) ينظر: تاج العروس: ٣٠/٣٤٧.

(٦) معجم مقاييس اللغة: (ف ص ح) ٤/٥٠٦-٥٠٧.

(٧) أساس البلاغة: (ف ص ح) ٢/٢٤.

١٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

ومعنى البيت: أنَّ القبرَ يَبِّنُ الجواب للمنادي الصارخ: (أين الأساور والتيجان والحلل وأين الوجوه...) حينما تساءلا وتشاركا في السؤال فكل منهما يسأل الآخر - يَبِّنُ وأفصحَ عن تلك الوجوه - والمراد الأشخاص من باب إطلاق الجزء والمراد الكل - بأنَّ الدود يقتل بعضه بعضاً من أجل افتراسهم وأكلهم.

٦. قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوا دَهْرًا وَقَدْ شَرَبُوا *** وَأَصْبَحُوا الْيَوْمَ بَعْدَ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا

و هنا يستتبع القبرُ إجابته للمنادي بأنَّ هؤلاء المتمرّدة المتجبرة قد أكثروا في الحياة الدنيا الطعام والشراب وبقوا زمناً طويلاً يتلذذون بالطعام والأشربة، واليوم دارت الدائرة عليهم فهم الآن المأكولون وليسوا الآكلين، وواضح جداً الجمال التعبيري بالألفاظ المتشاكلة (أكلوا، الأكل، أُكِلوا).

٧. و طالما عمّروا دوراً لتحصنهم *** ففارقوا الدور والأهلين وارتحلوا

(عمّروا) فعل ثلاثي مزيد بتضعيف العين من: عَمَرَ يَعْمُرُ وَيَعْمُرُ وَعَمَّرَهُ اللهُ أَبْقَاهُ وَعَمَّرَ اللهُ بِكَ مَنْزِلَكَ يَعْمُرُهُ عِمَارَةٌ وَأَعْمَرَهُ وَعَمَّرَ الرَّجُلُ مَالَهُ يَعْمُرُهُ عِمَارَةٌ وَعُمُوراً وَعُمَرَاناً، وَكَذَلِكَ عَمَّرَتِ الْبَيْتَ أَعْمَرُهُ عِمَارَةٌ إِذَا وَلِيَتْ عِمَارَتَهُ وَعَمَّرَتِ الْأَرْضَ أَعْمَرَهَا عِمَارَةٌ فَهِيَ مَعْمُورَةٌ وَعَامِرَةٌ وَمِنْهُ الْعُمَرَانُ نَقِيضُ الْخَرَابِ^(١)

عَمَّرَ يَعْمُرُ، تعميراً، فهو مُعَمِّرٌ، والمفعول مُعَمَّرٌ (للمتعدي)

عَمَّرَ الْإِنْسَانَ/ عَمَّرَ الْحَيَوَانَ: عَمَّرَ؛ عاش زمناً طويلاً - طَائِرٌ مُعَمَّرٌ - عَمَّرَ قَرْنًا أَوْ يَزِيدُ. عَمَّرَهُ اللهُ: أَطَالَ حَيَاتِهِ - نَبَاتٌ/ رَجُلٌ مُعَمَّرٌ ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٢). عَمَّرَ الْمَكَانَ: أَصْلَحَهُ، بَنَاهُ، جَعَلَهُ أَهْلًا (بَيْتٌ مُعَمَّرٌ)^(٣)

(١) المخصص: ١/ ١٨٠.

(٢) سورة البقرة آية ٩٦.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/ ١٥٥١.

(لِتُحَصِّنَهُمْ) مضارع أَحَصَّنَ الثلاثي المزيد بالهمزة بزنة أَفْعَلَ، وَالْحَصْنُ: كل مَوْضِعٍ حَصِينٍ لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مَا فِي جَوْفِهِ، يُقَالُ: حَصَّنَ الْمَوْضِعَ حَصَانَةً وَحَصَّنَتْهُ وَأَحَصَّنَتْهُ. وَحَصَّنُ حَصِينٌ: أَي لَا يُوصَلُ إِلَيْهِ مَا فِي جَوْفِهِ.^(١)

وهنا يستتبع القبرُ إجابته للمنادي بأنَّ هؤلاء كَثُرَ ما بَنَوْا دوراً وقصوراً وجعلوها عامرةً لِتُحَصِّنَهُمْ وتحميهم من أعدائهم فتركوا تلك الدور وتركوا أهلهم وارتحلوا إلى الدار الأخرى ولم تنفعهم وتحميهم من الموت الذي هو ملاقيهم فـ: ﴿أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾.^(٢)

٨. و طالما كنزوا الأموال وادّخروا *** فخلفوها على الأعداء وانتقلوا

(كنزوا) فعل ثلاثي، المصدر: الْكَتَزَ: اسْمٌ لِلْمَالِ احْرَزَ فِي وَعَاءٍ، وَلَمَّا يَحْرَزُ فِيهِ.

وجمعه: كنوز، كَتَزَهُ يَكْتُزُهُ كَنْزاً، واكتنزه^(٣)، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾^(٤).

(ادّخروا) ذَخَرَ الشَّيْءَ يَذْخُرُهُ ذُخْرًا وَادَّخَرَهُ ادِّخَارًا: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَهُ، وَكَذَلِكَ ادَّخَرْتُهُ، وَهُوَ افْتَعَلْتُ... فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(٥)؛ أَصْلُهُ تَدَّخِرُونَ لِأَنَّ الذَّالَّ حَرَفٌ مُّجْهُوٌّ لَا يُمْكِنُ النَّفْسُ أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ لِشِدَّةِ اعْتِمَادِهِ فِي مَكَانِهِ وَالتَّاءُ مَهْمُوسَةٌ، فَأُبْدِلُ مِنْ مَخْرَجِ التَّاءِ حَرَفٌ مُّجْهُوٌّ يُشَبِّهُ الذَّالَّ فِي جَهْرِهَا وَهُوَ الذَّالُّ فَصَارَ تَدَّخِرُونَ^(٦)، والأصل: ادَّخَرَ اجْتَمَعَتِ الذَّالُ مَعَ التَّاءِ؛ وَلِأَنَّ الذَّالَّ مِنْ

(١) العين: ح ص ن ٣ / ١١٨.

(٢) سورة النساء آية ٧٨.

(٣) المحكم: (ك ن ز): ٦ / ٧٣٩.

(٤) سورة التوبة آية ٣٤.

(٥) سورة آل عمران آية ٤٩.

(٦) لسان العرب: (ذ خ ر): ٤ / ٣٠٢.

١٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السليم المجتمعي) / ج ٣

الحروف المجهرية والتاء من المهموسية فيبينهما بعد في الصفة فجعل التاء دالاً إزالةً لذلك البعد مع القرب بينهما في المخرج، فصارت (إِذْخَرَ)، وهنا يجوز في هذه اللفظة ثلاث حالات: أن تبقى كما هي (إِذْخَرَ)؛ أي: عدم الإدغام نظراً إلى عدم اتحادهما في الذات؛ إذ الدال غير الدال ذاتاً، أو تقلب الدال دالاً بالتأثير المدبر من الدال في الدال؛ للتقارب في المخرج والصفة (الجهر) إِذْخَرَ، أو تقلب الدال دالاً بالتأثير المقبل من الدال في الدال إِذْخَرَ للتقارب في المخرج والصفة (الجهر).

(خلفوها) ثلاثي مزيد بالتضعيف من (خلف)؛ أي تركوها خلفهم.

(انتقلوا) يريد انتقلوا بموتهم إلى الدار الآخرة.

و هنا يستكمل القبرُ الإجابة بأثم طالما خبئوا الأموال واختاروها واتخذوها سنداً وحماية لهم، لكنهم تركوها لأعدائهم يتمتعون بها وانتقلوا إلى دار الحساب.

٩. أَضَحَّتْ مَنَازِلُهُمْ قَفَرًا مُعْطَلَةً *** وساكِنوها إلى الأجداثِ قَدْ رَحَلُوا

(قفرًا) القفرُ الخالي من الأمكنة^(١).

(معطلة) الْعَيْنُ وَالطَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوءٍ وَفَرَاغٍ. نَقُولُ: عَطَّلَتِ الدَّارُ، وَدَارٌ مُعْطَلَةٌ وَمَتَى تَرَكْتَ الْإِبِلَ بِلَا رَاعٍ فَقَدْ عَطَّلْتَ، وَكَذَلِكَ الْبَيْتُ إِذَا لَمْ تُوَرَّدْ وَلَمْ يُسْتَق [مِنْهَا]. قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: (وَبَيْتٌ مُعْطَلَةٌ)^(٢)

(الأجداث) القبور، واحدها جَدَثٌ^(٣)، وهو جمع تكسير بزنة أفعال.

و هذا البيت مقتبس من قوله تعالى (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ

(١) العين (ق ف ر): ١٥١ / ٥.

(٢) معجم المقاييس: (ع ط ل): ٤ / ٣٥١، والآية في سورة الحج برقم ٤٥.

(٣) العين: (ج دث): ٧٣ / ٦.

لَايَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(١)

والمعنى العام للبيت إن قصورهم ودورهم صارت خالية منهم مُعْطَلَةٌ مَخْرَبَةٌ
أما ساكنوها فصاروا إلى القبور.

١٠. سَلَ الْخَلِيفَةِ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ *** أَيْنَ الْحِمَاةُ وَأَيْنَ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ

(وافت) ثلاثي مزيد بالالف من (وفي)، جاء في معجم العين: (الموافاة: أن
تُوافي إنساناً في الميعاد، تقول: وافيته. وتقول: أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ، ووفيته أَجْرَهُ كُلَّهُ وحسابه
ونحو ذلك)^(٢).

(المنية): الْمَوْتُ لِأَنَّهَا مُقَدَّرَةٌ عَلَى كُلِّ

(الحِمْاة) جمع الحامي، مثل القضاة جمع القاضي.

(الْخَوَلُ): ما أعطاك الله من العبيد والنعم، قال أبو النجم: كوم الذرى من
خَوَلِ الْمُخَوَّلِ، وهؤلاء خَوَلٌ لفلان أي: اتَّخَذَهُمْ كالعبيد ذلاً وقهراً^(٣). قال الأزدي:
(والخول: حشم الرجل الذين يستخولهم، والخول جمع لَا وَاحِدَ لَهُ من لفظه. يُقَالُ:
استخول فلان بني فلان إذا اتَّخَذَهُمْ خَوَلاً)^(٤).

وَالْخَوَلِيُّ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ النَّاسِ، السَّائِسُ لَهُ^(٥). وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا»^(٦). وَقَالَ أَبُو عبيدٍ: قَالَ أَبُو

(١) سورة النمل آية ٥٢.

(٢) (وف ي): ٨ / ٤١٠.

(٣) معجم المقاييس: (م ن ي): ٥ / ٢٧٦.

(٤) العين: ٤ / ٣٠٥.

(٥) جمهرة اللغة: ١ / ٦٢١.

(٦) تهذيب اللغة: ٧ / ٢٢٩.

(٧) الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري: رقم الحديث (٦٨): ١ / ٢٥.

٢٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣
عَمَرُوا: وَقَوْلُهُ: «يَتَخَوَّنَا» - أَي: يَتَعَهَّدُنَا بِهَا. قَالَ: وَالْحَائِلُ: الْمُتَعَهِّدُ لِلشَّيْءِ... الْمُصْلِحُ
لَهُ. الْقَائِمُ بِهِ. قَالَ: وَقَالَ الْفَرَّاءُ: الْحَائِلُ: الرَّاعِي لِلشَّيْءِ، وَالْحَافِظُ لَهُ^(١).

يقول: اسأل الخليفة إذا جاءه الموت: أين الذين يحمونه من الرجال الأشداء
والحرس والخيول وما خوله الله له فجعله تحت تصرفه وأمره، وهنا الاستفهام إنكاري
يريد أنهم لم ينفعوه أو يدفعوا عنه شيئاً.

١١. أَيْنَ الْكُنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحُهَا *** تَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ كَمَلُوا

(مفاتيح) جمع مفاتيح، لأن مفتاح يجمع عليها وعلى مفاتيح.

(تنوء) وَيَنْوُءُ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ بِالْبَعِيرِ، أَي: يَمِيلُ، أَي: يَثْقُلُ. وَالْمَرَأَةُ تَنْوُءُ بِهَا
عَجِيزَتَهَا تَنْوَاءُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾، أَي: بِأَرْبَعِينَ
رَجُلًا، تَكَادُ تَعْجِزُ بِحِمْلِهِ^(٢).

(العصبة) والعصبة من الرجال: عشرة، لَا يُقَالُ لِأَقَلِّ مِنْهُ. وَإِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَشْرَةٌ، قَالُوا: وَنَحْنُ عُصْبَةٌ، وَيُقَالُ هُوَ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّجَالِ^(٣)
(المقوين) جمع مقوٍ، وَيُقَالُ: أَقْوَى الرَّجُلُ فَهُوَ مُقَوٍّ: إِذَا كَانَتْ دَابَّتُهُ قَوِيَّةً^(٤)

وهذا البيت مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى
عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنْوُءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾^(٥)

ومعنى البيت: أين تلك الكنوز التي جمعوها وادّخروها، التي مَفَاتِحُهَا تُتْعَبُ

(١) تهذيب اللغة: ٧/ ٢٢٩.

(٢) العين: ن وء: ٨/ ٣٩٢.

(٣) العين (ع ص ب): ١/ ٣٠٩.

(٤) تهذيب اللغة (ق وي): ٥/ ٢٧٥.

(٥) سورة القصص آية ٧٦.

المجموعة من الرجال وتميل بهم وبدوابهم من ثقلها وهم معهم دواب قوية ونشطة؟ لقد تركوها خلفهم للأعداء.

١٢. أين العبيد الألى أرصدتهم عدداً *** أين العديداً وأين البيض والأسل

(الألى) وأما ألى، بوزن العلا، فهو جمع لا واحد له من لفظه، واحده الذي^(١)

(أرصدتهم) رصده بالخير وغيره يرصده رصداً ترقبه.. وأرصد له الأمر أعده والارتصاد الرصد والرصد المرتصدون وهو اسم للجمع^(٢) وفي التنزيل: ﴿... فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(٣)

(البيض) السيوف، جمع أبيض وهو السيف؛ لأن لونه يلمع دائماً يشبه اللون

الأبيض

(الأسل) نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق، والأسل: الرماح على التشبيه

به في اعتداله وطوله واستوائه ودقة أطرافه، والواحد كالواحد. والأسل: النبل^(٤) والمقصود في البيت: الرماح والنبل.

يقول: أين العبيد وأين الجنود الذين جمعتهم وأحصيتهم عدداً؟ وأين العدد

الكبير من الحرس والجيش وأين الأسلحة من سيوف ورماح ونبال؟ هل دفعت عنك الموت أو أخرته؟

١٣. أين الفوارس والغلمان ما صنعوا *** أين الصوارم والخبيطة الذبل

(فوارس) جمع فارس الذي يمتطي الفرس، ويريد به هنا المقاتلين الذين

(١) لسان العرب (أ ل ي): ١٥ / ٤٣٧.

(٢) المحكم: (ر ص د): ٨ / ٢٨٦.

(٣) سورة الجن آية ٢٧.

(٤) لسان العرب (أ س ل): ١١ / ١٤-١٥.

يمتطون الخيل.

(الغلمان) جمع غلام، يريد به العبيد.

(الصوارم) جمع صارم، صرم النخل واصطرمه، وصرمت أخي وصارمته وتصارمنا، وبينهما صرم وصريمة: قطيعة. وسيف صارم، وسيوف صوارم.^(١)

(الخطيئة): الخطأ: إحدى مدينتي البحرين، والأخرى هجر، وقال: [الرجز] جاءت من الخطأ وجاءت من هجر، ومنه قيل للرماح الخطيئة: رُمح خطي، وأصلها من الهند، ولكنها تُرفأ إلى الخط، ثم تُفرق منها في البلدان.^(٢)

(الذبل) [ذبل] وذبل العود وغيره ذبولاً وذبالاً وذبلت شفة الرجل ولسانه من عطش أو كرب إذا ييست. والرماح الذوايل سميت بذلك ليسها ولصوق ليطها^(٣).

يتساءل القبر ههنا بالسؤال الاستنكاري الذي يُراد به التقرير، أين الفرسان الذين بإمرة الخليفة وأين الخدم الذين هم بطوعه وأمره ماذا فعلوا لدفع الموت عن الخليفة؟

كذلك يتساءل: أين الأسلحة والعُدّة من سيوف قاطعة ورماح صلبة يابسة هل دفعت المنيّة عنه أو كتبت له الخلود؟

١٤. أين الكُفأة لم يكفوا خليفتهُم *** لما رأوه صريعاً وهو يبتهل

(الكُفأة) وزنه: فُعلة من جموع التكسير من قسم جموع الكثرة، جمع الكافي الذي يكفي من يتولاه من جميع ما يحذر.

(صرع) (صرع) الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى سُقُوطِ شَيْءٍ إِلَى

(١) أساس البلاغة (ص ١/ ٥٤٥).

(٢) المتجدد في اللغة: / ١٩٣.

(٣) جهرة اللغة (ذ ب ل): ١/ ٣٠٥.

الْأَرْضِ عَنْ مِرَاسِ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ وَيُشْتَقُّ مِنْهُ. مِنْ ذَلِكَ صَرَعْتُ الرَّجُلَ صَرْعًا، وَصَارَعْتُهُ مُصَارَعَةً، وَرَجُلٌ صَرِيعٌ. وَالصَّرِيعُ مِنَ الْأَغْصَانِ: مَا تَهَدَّلَ وَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْجَمْعُ: صُرْعٌ. وَإِذَا جُعِلَتْ مِنْ ذَلِكَ السَّاقِطِ قَوْسٌ، فَهِيَ صَرِيعٌ. وَأَمَّا الْمُحْمُولُ عَلَى هَذَا فَقَوْهُمُ: هُمَا صِرْعَانِ، يُقَالُ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا يَقَعَانِ مَعًا. وَهَذَا مَثَلٌ وَتَشْبِيهٌ^(١).

(يَبْتَهِلُ) البهل: اللَّعْنُ يُقَالُ: عَلَيْهِمُ بَهْلَةُ اللَّهِ أَيْ لَعْنَةُ اللَّهِ. وَتَبَاهَلُ الْقَوْمُ وَابْتَهَلُوا إِذَا تَلَاعَنُوا.^(٢) وقال ابن فارس: «الْبَاءُ وَهَاءُ وَاللَّامُ. أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا التَّخْلِيَةُ، وَالثَّانِي جِنْسٌ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالثَّالِثُ قَلَّةٌ فِي الْمَاءِ. وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَا يَبْتَهَلُ وَالتَّضَرُّعُ فِي الدُّعَاءِ. وَالمُبَاهَلَةُ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ الْمُتَبَاهِلِينَ يَدْعُو كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣)»^(٤).

يقول: أين الذين يكفون الخليفة ويدفعون عنه ما يحذر أَلَمْ يدفعوا عنه الموت حينما رأوه ساقطاً على الأرض مغلوباً على أمره وهو يلعنهم ويلعن معرفته بهم.

١٥. أين الرُّمَاءُ أَمَا تُحْمَى بِأَسْهَمِهِمْ *** لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَقِلُ

(الرُّمَاءُ) وزنه: فُعْلَةٌ من جموع التكسير من قسم جموع الكثرة، جمع الرامي، وهو الذي يرمي السهام في الحرب.

(أَسْهَمٌ): وزنه: أَفْعُلُ، جمع سَهْمٍ المستخدم في الحرب من جموع التكسير قسم جموع القلة.

(سِهَامٌ): وزنه: فِعَالٌ من جموع التكسير من قسم جموع الكثرة، جمع سَهْمٍ

(١) معجم المقاييس: (ص ر ع): ٣/ ٣٤٢.

(٢) جمهرة اللغة (ب ه ل): ١/ ٣٨٠.

(٣) سورة آل عمران آية ٦١.

(٤) معجم المقاييس (ب ه ل) ١/ ٣١٠-٣١١.

٢٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

استخدم في هذا البيت المجاز بشكل جميل فقد استعار لفظة (سهام) للموت لتقابل أسهم الرماة، فكما أن للخليفة رماة يُقاتلون عنه بالأسهم فإن للموت سهاماً لا تردّها أسهم الرماة. واستعمال صيغ الجموع جاء هنا بدقّة فللرماة استعمال بصيغة جمع القلة (أسهم) وللموت جاء بصيغة جمع الكثرة (سهام).

والمعنى العام للبيت: أين الذين أرصدتهم لرمي الأسهم في المعركة، ألا يحمونك من سهام الموت التي أتتك تنتقل عبر الأثير فيقتلوا رامي سهام الموت عليك، وهنا استفهام إنكاري أيضاً، أي لا يستطيعون فعل ذلك.

١٦. أين الكماة أما حاموا أما اغتضبوا *** أين الجيوش التي تحمي بها الدول

(الكماة) كمي فلان شهادته يكميها، إذا كتمها. وانكمي، أي استخفي. وتكمي: غطي. وتكمت الفتنة الناس، إذا غشيتهم. والكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه؛ لأنه كمي نفسه، أي سترها بالدرع والبيضة. والجمع الكماة، كأنهم جمعوا كام مثل قاض وقضاة^(١)

(اغتضبوا) افتعل من الغضب، مزيد بالهمزة والتاء أفادته الزيادة معنى المشاركة، مثل: التّحم، واشترك^(٢).

يتساءل القبر: أين اصحاب الدروع أما حاموا الخليفة؟ أما اشتركوا في الغضب، أين الجيوش التي تحمي دولا كاملة أما استطاعت أن تحمي شخصاً واحداً وتدفع عنه الموت؟

١٧. هيهات ما نفعوا شيئاً وما دفعوا *** عنك المنية إن وافي بها الأجل

(هيهات) اسم فعل أمر بمعنى: بُعد.

(١) الصحاح: (ك م ي): ٢٤٧٧ / ٦.

(٢) أوزان الفعل ومعانيها: / ٩٠.

(الأجل): الأجل، مُحَرَكَةٌ: غَايَةُ الْوَقْتِ فِي الْمَوْتِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١) وَهُوَ الْمُدَّةُ الْمَضْرُوبَةُ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَيُقَالُ: دَنَا أَجْلُهُ: عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَصْلُهُ اسْتِيفَاءُ الْأَجَلِ، أَيِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾^(٢) أَيِ حَدِّ الْمَوْتِ، وَقِيلَ: حَدُّ الْهَرَمِ^(٣).

وذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الأجل والعمر بقوله: (الفرق بين الأجل والعمر: الأجل: هو آخر مدة العمر المضروبة في علمه تعالى، فهو لا يتبدل. والعمر: هو ما يتبدل ويحتمل الزيادة والنقصان)^(٤).

وهنا جناس ناقص بين (نفعوا) و(دفعوا) تُضْفِي للبيت جمالية لفظية وموسيقية يقول: بعد عليهم الأمر فما نفعوا الخليفة ولا دفعوا عنه الموت حينما جاءت غاية وقته ونهاية حياته.

١٨. ما ساعدوك ولا واساك أقربهم *** بل أسلموك لها بئس ما فعلوا

(واسى) فيها إعلال بالقلب؛ الأصل: أسى، قُلبت الهمزة واوا، والأسى: الحزن، يقال منه: أَسَيْتُ أَسَى أَسَى شَدِيداً، قال الله جلّ وعزّ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٥).

وَأَسَيْتَ الرَّجُلَ وَوَأَسَيْتَهُ مَوَاسَاةً وَأَسَى الرَّجُلَ يَأْسَى أَسَى شَدِيداً فَهُوَ أَسِيَانٌ إِذَا حَزَنَ^(٦).

(١) سورة الأعراف آية ٣٤.

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٨.

(٣) تاج العروس: (أ ج ل): ٢٧ / ٤٣٤.

(٤) معجم الفروق اللغوية: / ١٨ - ١٩.

(٥) التنقيح: / ٩٥. والآية برقم ٦٨ من سورة المائدة.

(٦) جمهرة اللغة: (أ س ي): ١ / ٢٣٨.

٢٦..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عِبْقُ النُّبُوَّةِ وَعِمَادُ السَّلَامِ الْمُجْتَمَعِي / ج ٣

و واسى هنا بزنة فاعل، وهو ثلاثي مزيد بالألف من (أسي) أفادته الزيادة معنى الإزالة فكأنه يُزِيلُ الأسى.

المعنى العام للبيت: أنّ هؤلاء الحرس والخول والجيش ما ساعدوك ولا أزال عنك الحزن والموت أقربهم عندك، بل تركوك ولم يصنعوا شيئاً، وبئس الصنيع هذا الذي صنعوه بك كما تراه أنت.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
٣. أنس المسجون وراحة المحزون: صفى الدين، أبو الفتح عيسى بن البحترى الحلبي (المتوفى: بعد ٦٢٥هـ) المحقق: محمد أديب الجادر، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ م.
٤. أوزان الفعل ومعانيها: هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٩٧١.
٥. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
٦. تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية
٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
٨. التقفية في اللغة: أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البندنجي، (المتوفى: ٢٨٤هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الناشر: الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف -

٢٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) / ج ٣

إحياء التراث الإسلامي (١٤) - مطبعة العاني - بغداد، عام النشر: ١٩٧٦م.

٩. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

١٢. ديوان الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة أبي فراس الفرزدق، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١ - ١٩٨٤م.

١٣. ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: ٢٣١هـ)، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان جدة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ.

١٤. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (المتوفى: ١١١١هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم

للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٦. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٧. المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى [المتوفى: ٤٥٨ هـ]، المحقق: عبد الحميد هندواوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨ هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٩. المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٠. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريجايوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الحن، إبراهيم الزبيق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٢١. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦ هـ)، تحقيق: أسعد داغر، الناشر: دار الهجرة - قم، تاريخ النشر:

٣٠..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

١٤٠٩هـ.

٢٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

٢٣. معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٤. معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٥. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٦. المنجّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي): علي بن الحسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م.

٢٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.



البحث الثاني
المستويات الأسلوبية في خطاب
الإمام علي الهادي عليه السلام
المستوى الصوتي اختياريًا

الأستاذ الدكتور عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي
جامعة الكوفة/ كلية التربية الأساسية
الباحث: محمد جاسم محمد الخزعلي



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بنبيه محمد ﷺ الصادق الأمين، وعلى أهل بيته الطيبين أئمة الهدى وسفينة النجاة، وبعد:

فتاريخ البشرية حافل بالأحداث والتطورات المتتالية، ولو تصفحناه وبحثنا في طياته عن القدوات الإنسانية والعظماء، لجذبنا إليه صحائف تفوح منها رائحة المسك، وتهل علينا نسائم طيب العنبر.

ومن هذه القدوات الإنسانية شخصية سجل التاريخ مسيرتها بأحرف من الأنوار الإلهية، والاشراقات الربانية، سعت في دنياها إلى سلوك الطريق نحو الكمال الإنساني، وجلّ حسن الصفات، لم ترضخ الا للواحد الأحد، ولم تنكس رأسها خضوعاً وخشوعاً الا للفرد الصمد، فرفعها ربها إلى عليين، وأقعدتها في مقعد صدق مع أنبيائه وأصفياه، تلك الشخصية العظيمة، هي شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام.

وأمام هذه الشخصية العظيمة سعينا في هذا البحث إلى الكشف عن إمكان معرفتي من الامكانات المعرفية المتحصلة عنده ألا وهو الخطاب الأدبي.

إنَّ البحث في الدراسة الأسلوبية يعتمدُ على كشف الخصائص الفنية لنصِّ ما، وهذه الخصائص قد حددها المختصون بثلاثة مستويات هي: الصوتية والتركيبية والدلالية، فدرسوا تأثيراتها على نفس المتلقي، وذلك لما تحدثه من تحريك للحس الجمالي المكنون في النفس البشرية، والذي دفعنا لاختيار المنهج الاسلوبي؛ لأنَّه وسيلة مثلى في الكشف عن خصائص النصوص الأدبية، لأنَّه يعتمد في تطبيقاته على قواعد

٣٤..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة و عِمادُ السَّلمِ المُجتمعي / ج ٣

علمية محددة تجعل النتائج التي تتوصل إليها الدراسة أحكاماً متصفة بالموضوعية.

أمّا وقوع الاختيار على المستوى الصوتي بوصفه أحد المرتكزات الأساسية في الدراسات الأسلوبية؛ إذ تُعدُّ الأصوات المادة الأولية المكونة للألفاظ، والإطار الأساس الذي تُبنى عليه المستويات الأخرى، فلكلّ أديب لغة يعبر بها عن مشاعره وأحاسيسه، حيث تتكون هذه اللغة من أصواتٍ تشدُّ المتلقي وتؤثر فيه، فأى نص بإمكاننا تذوقه بعد تلمس إيقاعه.

وعن خطة البحث فإنّها تكونت من ثلاثة مباحث، جاء الأول منها في التكرار الصوتي، والمبحث الثاني في الجناس، أمّا الثالث فقد جاء في التضاد والتقابل.

المبحث الأول

التكرار الصوتي

إنَّ التكرار من الصناعات الأدبية في كلام العرب، وهو أسلوبٌ من أساليب البلاغة يستعملونه في خطاباتهم؛ لأنَّه يزيد الكلام بلاغة إذا كان في محله وجاء وفقاً لمقتضى الحال، وأصله في اللغة من الكرّ بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، ف(كرر) الشيء وكرره أي: أعاده مرة بعد مرة أخرى^(١).

وهو «دلالة اللفظ على المعنى مردداً»^(٢)، وظاهرة التكرار تُعدُّ من الظواهر البارزة في النص، ولا شك أنَّها ترتبط بعلاقةٍ مع مُنشئ النص، فهو من خلاله يحاول تأكيد فكرة ما تسيطر على خياله وشعوره، من خلال الإلحاح على جهة مهمة في العبارة أكثر من عنايته بسواها^(٣).

ويعد من المنبهات الأسلوبية التي توقظ المتلقي وتؤثر فيه، فهو من الوسائل الموسيقية التي ترسخ المعنى وتعمقه، وغالباً ما يأتي لزيادة التنغيم وتقوية الجرس ثم تقوية المعنى، والتكرار مرتبط بالشكل والمضمون ارتباطاً وثيقاً؛ إذ إنَّه يُحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع تستلزمه المفردة أو العبارة، أو النص فيمدها قوة في الإيحاء^(٤) فهو

(١) ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري، دار صادر، ودار بيروت، لبنان، ١٩٥٥م، مادة (كرر)، وينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة - دراسة في الشكل والمضمون: د. عباس

الفحام مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، العراق، (د.ط)، ٢٠١١م، ٢٢٨

(٢) المثل السائر: ابن الأثير: تحقيق محمد محي الدين، (د.ط) المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ٢: ١٤٦.

(٣) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، ط ٣، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق، ١٩٦٧م، ٢٤٢.

(٤) ينظر: خطب نساء أهل البيت عليه السلام بعد واقعة الطف - مدة السبي - دراسة أسلوبية: رسالة ماجستير: خنساء مهدي حمود، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١١م، ٣١

٣٦..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

يحمل طاقة وظيفية متميزة تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير^(١) إذ «يعكس جانباً من الموقف الشعوري والانفعالي»^(٢) للمبدع ويضفي سمات «إيحائية موضوعية تنتج دلالات مختلفة في النص»^(٣)، وبهذا يحافظ التكرار على المستوى الصوتي والمستوى الدلالي للنص في الآن ذاته^(٤)، شريطة أن يستمد توجيه معانيه من خلال السياق الذي يرد فيه وإلا ظهرت النتائج مكررة ليس لها قيمة تذكر، ف«اللفظة المرددة إذاً، إحدى وسائل المحلل الأدبي؛ لأنها تكتشف في الوقت نفسه عن دوافع السلوك وحيثياته»^(٥).

وللتكرار أشكال متعددة، وهذه الأشكال «لا تقوم بوظيفة واحدة، وإنما تقوم بوظائف متعددة، ومن هذه الوظائف ما يتصل بالإيقاع، وما يتصل بالوصف، وما يتصل بالتوكيد»^(٦)

والتكرار في خطاب الإمامين العسكريين عليه السلام على مستويات منها:

أولاً: تكرار الحرف

وهو تكرار حرف معين بذاته، وإعادته مرات عديدة في النص، لإثارة نغم

(١) ينظر: نحو أجرومية النص الشعري (بحث): سعد مصلوح، مجلة فصول الهيئة العامة المصرية للكتاب، مج ١٠، العدد ١-٢، ص ١٥٨.

(٢) التكرار في الشعر الجاهلي (بحث)، موسى ربابعة، مجلة مؤتة، مج ٥، ع ١، ١٩٩١م، ص ١٦٠.

(٣) التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، فايز القرعان، مجلة مؤتة، مج ١١، ع ٧، ١٩٩٦م: ص ٨٠.

(٤) ينظر: البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م: ص ٢٢٣.

(٥) في النقد الأدبي والتحليل النفسي، د. خريستو نجم: ص ٤٠. وينظر: أدب الإمام الحسين عليه السلام قضاياها الفنية والمعنوية - رسالة ماجستير - موسى خابط عبود، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٨م: ص ٢١١-٢١٢.

(٦) النص القرآني من الجملة إلى العالم: وليد منير، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م، ٤٤.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٣٧

موسيقى وتأکید المعنى^(١) الفاعلية في الفعل اللغوي هي التي تحدد الفعل اللغوي صوتاً يعود إمكان تحديد صلة القول بقائله^(٢) ولا شك في أن استعادة صوت الحرف يثري العبارة بمزيد من التنعيم^(٣).

ويعد تكرار الحرف في النص الأدبي من القيم الأسلوبية التعبيرية، التي تعكس حالة المبدع الشعورية، ويُعد متنفساً يثب بواسطته صاحب النص شعوره الداخلي وإحساسه الدفين، لإيصاله إلى المتلقي والتأثير فيه، فضلاً عن أنه يؤدي إلى تماسك النص^(٤).

وهذا التكرار في الحرف ربما يعكس جانباً من موقف نفسي أو انفعالي في نفس المنشئ، فكل حرف مكرر يحمل في تضاعيفه دلالات نفسية يقتضيها المنشئ للنص بهدف الإيحاء إلى حالة ما، ولفت الأنظار إليها، وعلى الرغم من «أن تكرار الحروف يُحدث نغمة موسيقية لافتة للنظر، لكن وقعها في النفس لا يكون كوقع التكرار للكلمات، وأنصاف الأبيات أو الأبيات كاملة، وعلى الرغم من ذلك فإن تكرار الصوت يسهم في تهيئة السامع للدخول إلى أعماق الكلمة الشعرية»^(٥).

إلا أن الإمام الهادي عليه السلام بما يمتلكه من ناصية القول، وغزون لغوي ثراستطاع

(١) القصيدة العربية الحديثة بين الدلالة والبنية الإيقاعية: د. محمد صابر عبيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ٢٠٠١م: ص ١٨٤.

(٢) ينظر: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٩٣، وينظر: الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الصحيفة العلوية - دراسة أسلوبية - (أطروحة دكتوراه): محمد الجوراني، كلية الآداب، المستنصرية: ص ٥٢.

(٣) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ص ٢٣٣، منقول عن المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب: ١ / ١٢٦.

(٤) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، ط ١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٩٧٨م، ص ٥٧-٥٨.

(٥) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية (بحث): د. موسى رابعة، ص ١٦٧.

٣٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمعي) / ج ٣

أن يُغني نصوصه بهندسة تكرارية لها وقع خاص تجعل القارئ يحس بوقعها وتنقله إلى أجواء الشعرية.

١ - صوت الدال

الدال هو «صوت أسناني لثوي، شديد مجهور مرقق»^(١) يتكون بأن يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل مخرج الصوت فينجس هناك فترة قصيرة جداً بسبب التقاء اللسان مع أصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا العليا سُمع صوت انفجاري نسميه الدال^(٢) وقد ورد هذا الصوت في دعاء الإمام الهادي عليه السلام:

«يَا عُدَّتِي دُونَ الْعُدَدِ، وَيَا رَجَائِي وَالْمُعْتَمَدَ، وَيَا كَهْفِي وَالسَّنَدَ، وَيَا وَاحِدِيَا أَحَدُ
يَا مَنْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِثْلَهُمْ أَحَدًا
أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ وَتَفْعَلَ بِي...»^(٣)

فقد تكرر صوت (الدال) عشر مرات، وهذا التردد لصوت الدال قد خلق جواً موسيقياً، قائماً على صفات الشدة والصلابة والمتانة، المتمثلة بـ (عُدَّتِي، دون، العدد، المعتمد، السند، واحد، أحد) فقد أشاع صوت الدال جواً من الصلابة بسبب شدته لأن السياق هنا هو سياق التوكل على الله وتمجيد وإعلاء لصفات الله تعالى، القائمة على الوحدانية وهذا الانتشار لصوت الدال جعل الموسيقى أكثر متانة وحدة، إذ أنها شكّلت ملمحاً اسلوبياً في إدراك الإمام الهادي عليه السلام لمستويات العملية

(١) علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي الموسوي، ط ٣، دار الكتب العلمية، بغداد، العراق، ٢٠٠٧م،

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر: ص ٥١.

(٣) مهج الدعوات ومنهج العبادات: رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٢٤هـ): قدّم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م: ص ٣٢٤.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٣٩

الاستدلالية بين الباث والمتلقي؛ إذ إنّ وجود أصوات في نسق تعبيرى متصل، يوحي بوحدة إيقاع القيمة الصوتية في تمثيلها للحدث؛ لأن التراكم الصوتي يفيد في التكرار تأكيداً ذا طاقة تعبيرية؛ فيسهم توافق القيم الصوتية في تلقي العلامة اللغوية بوصفها مثيراً لمختلف الدلالات المركزية والهامشية، هذا النوع من التشكيل المحاكي، يسمى بـ(الحزم الصوتية) و(تتمثل في بث مجموعة من الأصوات المذكورة في نسيج الخطاب لإثارة طاقتها الإيحائية الكامنة)^(١)؛ فتكون كالموسيقى التصويرية تصاحب الحدث؛ لترفع طاقة الأداء الفني وتثري جماليات الاستخدام اللغوي بارتفاعه عن مستوى الرتبة والمباشرة^(٢).

٢- صوت الكاف

إنّ صوت الكاف هو صوت مهموس^(٣) «من أقصى اللسان والحنك، وما يليهما، أي ما يلي أقصى اللسان والحنك، يريد أن يخرج الكاف أرفع من مخرج القاف، أي أقرب منه إلى مقدم الفم»^(٤).

ولم يخرج المحدثون عن هذا الوصف، فصوت الكاف عندهم يتكون بأن يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه نحو الحلق، فإذا وصل إلى أقصى الفم يرتفع اللسان اتجاه الطبق فيحبس الهواء خلفه حبساً تاماً لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، لا يمكن الهواء من الخروج

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م: ص ٢١١.

(٢) ينظر: جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني - صالح ملا عزيز - أطروحة دكتوراه - جامعة الموصل - ٢٠٠٧م: ص ٢٥٢.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد حسن محمد، وشارك في التحقيق: أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م: ١ / ٢٨٩.

(٤) شرح الشافية للجاربردي: تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م: ١ / ٣٣٦.

٤٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السليم المجتمعي) / ج ٣

من المجري الأنفي وهو صوت مهموس؛ لأن الأوتار الصوتية لا تهتز عند النطق به؛ لأنها تنفتح لمرور الهواء^(١)

وقد ورد تكرار هذا الصوت في دعاء الإمام الهادي عليه السلام في يوم الجمعة الذي يقول فيه: «اللهم ومن جودك وكرمك أنك لا تخيب من طلب إليك وسألك ورغب فيما عندك، وتبغض من لم يسألك وليس أحد كذالك غيرك، وطمعي يا رب في رحمتك ومغفرتك، وثقتي بإحسانك وفضلك حداني على دعائك والرغبة إليك وإنزال حاجتي بك، وقد قدمت أمام مسألتي التوجه بنبيك الذي جاء بالحق والصدق من عندك ونورك وصراطك المستقيم الذي هديت به العباد، وأحييت بنوره البلاد وخصصته بالكرامة وأكرمته بالشهادة وبعثته على حين فترة من الرسل صلى الله عليه وآله وسلم. اللهم وإني مؤمن بسره وعلايته وسر أهل بيته الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً وعلايتهم»^(٢).

ف نجد تردد صوت (الكاف) لثلاث وعشرين مرة قد ظهر بصداه الواسع، إذ شكّل ملمحاً اسلوبياً فيه القوة والتعظيم، فهو صوت انفجاري شديد القدرة على منح الكلام قوة وحزماً، مؤكداً شدة التصاق هذه الصفات والألفاظ من: (الجود، والكرم، والرحمة، والمغفرة، والهداية.. إلخ) بالخالق عز وجل. اهتم الإمام الهادي عليه السلام بالألفاظ اهتماماً كبيراً وانتقى ألفاظه المشحونة بأنواع من الرموز والدلالات لتخصص بمهمتها، وتمثلها بكثير من الوعي لتعبّر عن طريقته الخاصة في ارتباطه بخالقه سبحانه ولذيد مناجاته له والتعامل مع الخلق ونظرته للحياة الدنيا الزائلة وإعمارها آخرته بحسن عبادته.

(١) ينظر: الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس: ص ٧١، وينظر: علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي: ص ٨٠.

(٢) مصباح المتجهد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، صححه وأشرف على طبعه فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م: ص ٢٤٧.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٤١

كما أنَّ هذا التكرار قد زاد من درجة الإنسجام الإيقاعي بين ألفاظ النص ومعانيه، «فالأصوات لها فاعلية جمالية ومعنوية تؤثر في النشاط الإيقاعي، والانبعثات الموسيقي»^(١) فضلاً عن زيادة التكثيف الدلالي القائم على صدق التوكل للباط وثباته بالخالق تعالى، فترديد صوتٍ ما أو لفظ وتوجيهه يحقق إضافات معنوية للنص؛ لأنَّه يضع في أيدينا وعقولنا وقلوبنا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على المنشئ بوصفها جزءاً من الهندسة اللفظية للعبارة التي تنتظم كلماته؛ حيث يستدعيه السياق النفسي، والعاطفي، والجمالي، والشكلي معاً^(٢).

وبوصف لغة الدعاء تُعدُّ تعبيراً ذاتياً صادقاً؛ فإنَّ طاقته التعبيرية تتناسب مع عمق الانفعال ودلالته؛ فيكون الأثر الإنطباعي هو المعادل الموضوعي للذات^(٣). وقد أقرَّ (ياكوبسن) بقيمة دلالة الصوت بقوله: (إنَّ حدَّ الوسيلة الصوتية في ذاته يقتضي ضمناً قيمةً دلاليةً)^(٤).

تكرار الألفاظ: التكرار الاستهلاكي:

تعدُّ وظيفة الاستهلاك المهمة في بُعد الفني للنص الأدبي، بأنَّه الأساس في استقطاب ذهن المتلقي - القارئ أو السامع، وشد انتباهه إلى الموضوع عبر الإشارة إليه بتكثيف موجز عمَّا يضمُّه النص، فمن دون تحقق انتباهه به تضعيف الغاية وينتهي

(١) البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني (رسالة ماجستير)، رشيد بديدة، إشراف: بلقاسم ليبارير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م - ٢٠١١م: ص ٢٢.

(٢) ينظر: خصائص الأسلوب في شعر الجواهري، المطولات انموذجاً، د. ساهرة عدنان العنبي، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠١٢م، ص ٢٧٤. وينظر: الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الصحيفة العلوية: ص ٦٢.

(٣) ينظر: علم النفس اللغوي، د. نوال محمد عطية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٧٥م: ص ٨.

(٤) محاضرات في الصوت والمعنى، رومان ياكوبسن، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، ط ١، ١٩٩٤م، الدار البيضاء، المغرب: ص ٩٠.

٤٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجتمعي) / ج ٣

المطلب^(١) فالتكرار الاستهلاكي هو: «تكرار كلمة واحدة، أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية، ووظيفة هذا التكرار هو التأكيد والتنبيه، وإثارة التوقع لدى السامع للموقف الجديد لمشاركة الشاعر أو المنشئ للمتلقي بإحساسه ونبضه الشعري»^(٢) ونجد تجلّي هذا النوع من التكرار في قول الإمام الهادي عليه السلام:

«اللهم اكشف العذاب عن المؤمنين، وابعثه جهرة على الظالمين، اللهم اكف العذاب عن المستجيرين، واصببه على المغترين، اللهم بادر عصابة الحق بالعون، وبادر أعوان الظلم بالقصم، اللهم أسعدنا بالشكر، وامنحنا النصر، وأعذنا من سوء البداء والعاقبة والختر»^(٣).

فقد عوّّل الإمام علي الهادي عليه السلام في تكراره الاستهلاكي ليس على مجرد تحقيق إمكانات جمالية وإيقاعية وحسب، بل أنّه يسلط من خلاله الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفيسة قيمة تُفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلل نفسية كاتبه^(٤).

والتكرار الاستهلاكي يسهم بما يوفره من دفع غنائي في تقوية النبذة الخطابية، وتمكين الحركات الإيقاعية من الوصول إلى مراحل الانفراج بعد لحظات التوتر القصوى^(٥) فحقق من خلال تكرار لفظة (اللهم) تنوعاً إيقاعياً استطاع به في الوقت

(١) ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.ط)، ١٩٩٣م: ص ٢٢-٢٣

(٢) الشعرية، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة: مبارك حنون، محمد الولي، محمد أوراغ، دار توبقال، المغرب، ط ١، ١٩٩٦م: ص ٢٢.

(٣) مهج الدعوات: ٦٠.

(٤) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: ص ٢٤٢.

(٥) ينظر: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د.عبد الحميد جيدة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٠م: ص ١٠.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٤٣

نفسه أن يكسر رتابة التكرار؛ حيث أصبحت هذه اللفظة في النص تمثل محفزاً ذهنياً عند المتلقي أو القارئ تفعله إلى الالتفات إلى المضمون الفكري للفقرة المقروءة والتهيؤ للمقادم من الأفكار^(١).

والإمام الهادي عليه السلام بمفتاح استهلاله هذا قد وظّف تقابلاً لطيفاً وضداً جميلاً، من خلال المقابلة والتضاد بين: (كشف العذاب عن المؤمنين وبعثه على الظالمين) و(كف العذاب عن المستجيرين، وصبّه على المغترّين) وبين (العون والقسم) فهذا التقابل في الاستهلال جسّد تشكيلاً روحياً معضداً إياه بالأفعال الأمرية التي استعملها الإمام الهادي عليه السلام في مقام الدعاء: (اكشف، ابعث، اكفف، صب، بادر، اسعد..)، بالإضافة إلى أن نسق تكرار الاستهلال في لفظة (اللهم) وفق ترتيب حسب الأولوية التي ألتمسها الإمام الهادي عليه السلام في هذا الدعاء، فبدأ بالاستهلال معضداً إياه في ذكر: (المؤمنين، المستجيرين) ثم ينتقل إلى الضدّ في ذكر (الظالمين، المغترّين).

ونجد هذا النوع من التكرار في قول الإمام الهادي عليه السلام:

«سُبْحَانَ مَنْ هُوَ دائِمٌ لَا يَسْهُو، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قائِمٌ لَا يَلْهُو، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ غَنِيٌّ لَا يَفْتَقِرُ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ جَوَادٌّ لَا يَبْخُلُ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ قَوِيٌّ لَا يَضْعَفُ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ شَدِيدٌ لَا يَضْعَفُ، سُبْحَانَ مَنْ هُوَ رَقِيبٌ لَا يَغْفُلُ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، سُبْحَانَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ، سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»^(٢)

(١) ينظر: في أسلوبية النص السجادي المناجاة وأدعية الأيام مثلاً (بحث)، مجلة العميد العدد ٤: ص ١٠٢.

(٢) الدرور الواقية: السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث المترجم، ط ١، مؤسسة آ البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٤هـ، ص ٢٠٠، وينظر: سلوة الحزين وتحفة العليل: قطب الدين ابن الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: عبد الحليم عوض الحلي، ط ١، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، قم، إيران،

٤٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

فوقع التكرار الاستهلاكي في لفظة «سبحان» بما تحمله من قيمة دلالية، فمعنى سبحان «التنزيه عن النقائص، فسبحان الله معناه تنزيه الله»^(١) وعلى هذا الأساس صار التسبيح بـ«سبحان الله» «علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه»^(٢).

لذلك لا يجوز أن يُستعمل (سبحان) مع غيره تعالى، كما أن هذا التكرار في الاستهلال والتسبيح مع تغيير صفة الخالق في كل فقرة من النص أضفى قيمة تنغيمية استطاعت أن تكون محوراً ومركزاً تجذب إليها المدلولات الأخرى، فاستهلال الإمام الهادي عليه السلام بالتسبيح لم يكن محض مصادفة، ولا اعتباطاً وإنما كان عارفاً بخصوصيته، ليجذب شاعرية للنص تثير الخيال، وعُضد الإمام الهادي عليه السلام التكرار بأسلوب التضاد من خلال انتشار المتضادات في النص: (دائم لا يسهو، قائم لا يلهو، غني لا يفتقر، جواد لا يبخل، قوي لا يضعف، رقيب لا يغفل..) مشكلاً بواسطة هذا التزاوج بين الاستهلال والتضاد انسجاماً صوتياً، وتناسقاً إيقاعياً متوازناً مع الجانب الدلالي للنص.

١٣٢٧هـ، ص ١٠٠.

(١) الحديقة الهلالية، شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجادية، العلامة الشيخ البهائي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق: السيد علي الموسوي الخراساني، ط ١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٠هـ: ص ١٢٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط ١، دار إحياء التراث، مؤسسة إحياء التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م: ٧٣/١.

المبحث الثاني

الجناس

الجناس لغة: هو «كل ضرب من الشيء والناس والطير، وحدود النحو والعروض والأشياء ويجمع على أجناس»^(١)، وهو مصدر جانس، والتجانس التفاعل من الجنس أيضاً؛ لأنه مصدر تجانس الشيئان إن دخلا في جنس واحد^(٢).

ويعرّف الجناس لدى البلاغيين بأنه: اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع الاختلاف في المعنى^(٣)، وهذا ما أقرّه الباحثون المعاصرون أيضاً^(٤). ويقوم على تكرار أصوات كلمتين من ناحية التآليف الحرفي، فهو نسق صوتي، وضرب من التكرار يراد به تقوية الجرس^(٥).

بيد أنّ من البلاغيين من يرى الجناس في التشابه والاشتقاق، وذلك بأن تكون المعاني في اشتراكها في ألفاظ متجانسة على نحو الاشتقاق^(٦) ومع ذلك فقد استقرّ مفهوم الجناس في الدرس البلاغي بكونه اتفاقاً واختلافاً في اللفظ وفي المعنى،

(١) كتاب العين: ١ / ٣٢٢ مادة (جنس).

(٢) ينظر: خزانة الأدب: ١ / ٧٥.

(٣) ينظر: كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٢م: ص ٣٦، وينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بالفجالة، القاهرة، ط ١، ١٩٥٩ - ١٩٦٢م: ١ / ٣٤٢.

(٤) ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م: ص ١٣٨.

(٥) ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٩٥)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م: ص ٢٧٠.

(٦) ينظر: نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت.): ص ١٦٣.

٤٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

ويتطلب الجنس من الأديب براعةً في التأليف، وحسّاً فنياً، وذوقاً أدبياً، يُكسبُ الألفاظ والمعاني رونقاً وجمالاً، وفي هذا يقول ابن الأثير (ت ٧٣٧هـ): بأنَّ تشابه ألفاظ التجنيس تُحدثُ بالسمع ميلاً، فإن النفس تشوق لسماع اللفظة الواحدة إذا كانت حاملة معنيين، وتتنوِّق إلى استخراجهما المشتمل عليهما ذلك اللفظ، فصار للتجنيس وقعٌ على النفس الإنسانية^(١)، وأبرزها، تلك النغمة الإيقاعية التي تحدثها أصوات الألفاظ المتجانسة. فالجناسُ - بوصفه بنية (صوتية دلالية) تمتاز بإنتاجها الإيقاعي والدلالي^(٢) - أحدُ المحسنات التي يتوسلها الباحثُ لإغناء نصه موسيقياً^(٣).

وللجناس ارتباطٌ بأسلوب النثر - على ما يبدو - ما يجعله وسيلة من وسائل الخلق الموسيقي في النص النثري توازي موسيقى الوزن والقافية في الشعر^(٤) ويكتسب الجنس أهمية كبيرة على مستوى الأصوات والكلمات فهو من «الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ، تجذب السامع، وتحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة، فنجد من النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير، تقع من القلب أي موقع»^(٥).

ومن هذه الأساليب التي اختيرت اختياراً مقصوداً من الإمام الهادي عليه السلام،

(١) ينظر: جوهر الكنز، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ت): ص ٩١.

(٢) ينظر: قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ م: ص ٣٦.

(٣) ينظر: دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن أطيّمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦ م: ص ٣٤٢.

(٤) ينظر: علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، د. عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧ م: ص ١٣٠.

(٥) البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، ١٩٩٩ م: ١٥٨.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٤٧

اسلوب البنية التجنيسية وقد وردت في خطابه الشريف بأشكال متعددة، منها:

أولاً: الجناس الاشتقاقي:

وهو: «ما تجانس ركناه في الأصل، واختلفا في الهيئة؛ إذ كل منهما على صورة من صور الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الأصلية في الركنين»^(١) إذ فيه يجمع اللفظين الاشتقاق^(٢) وهذا يعني «أن يجيء بالفاظ يجمعهما أصل واحد في اللغة»^(٣)، ويسمى جناس الاقتضاب^(٤) وسمّاه الرّماني جناس المناسبة^(٥).

ولهذا النوع من الجناس دور كبير في إحداث تناغم إيقاعي للألفاظ من خلال التقليب الصري في بنية المفردة، مما يكسبها وضوحاً عالياً.

وورد الجناس الاشتقاقي في دعاء الإمام الهادي عليه السلام: «يا بارُّ، يا وَصُولُ، يا شَاهِدَ كُلِّ غَائِبٍ، وَا قَرِيبُ غَيْرِ بَعِيدٍ، وَا غَالِبُ غَيْرِ مَغْلُوبٍ، وَا مَنْ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، وَا مَنْ لَا تُبْلَغُ قُدْرَتُهُ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ الْمَكْنُونِ.....»^(٦)

وقع الجناس في لفظتي (غالب، مغلوب) فالله تعالى هو الغالب فلا غالب إلا

(١) التكرير بين المثير والتأثير: ص ٢٠٧.

(٢) ينظر: التحرير في علم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: د. فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض-السعودية، ط ١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م: ص ٢٩٤، وينظر: البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، د. محمد بركات حمدي أبو علي. ط: ١، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ص ٦٦.

(٣) حسن التوصل إلى صناعة الترسل: ص ١٩٣.

(٤) ينظر: حسن التوصل إلى صناعة الترسل: ص ١٩٣.

(٥) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٤هـ). تحقيق: محمد خلف الله احمد، محمد زغلول سلام، ط، ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م، ١٠٠.

(٦) الصحيفة الرضوية الجامعة (صحيفة الإمام علي الهادي عليه السلام)، محمد باقر موحد الأبطحي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، إيران: ١٨٠ - ١٨١.

٤٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة و عباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

الله، فالغلبة والقدرة والعظمة لا تليق إلا بشأنه وعظمته، فالمقطع المتقدم (الغالب، المغلوب) على الرغم من قصره إلا أنه تمكن من إنتاج صورة صوتية فنية، فالجانب الصوتي للصورة حصل بفعل تضافر التجنيس الاشتقاقي والعدول في استعمال الصيغة؛ إذ أسهم العدول من اسم الفاعل إلى اسم المفعول في إحداث وقع نغمي مؤثر في الآذان والقلوب. مضافاً إلى ما انتجه الاستواء والترديد والتكرير المتقارب زمنياً من قيمة موسيقية عالية، فالإمام الهادي عليه السلام استعمل الجنس الاشتقاقي لإنضاج الدلالة وإكمالها لبيان عظمة الله.

ثانياً: الجنس المضارع:

وهو «أن يجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة في المخرج أو المتقاربة فيه من غير زيادة في العدد»^(١) وقد ورد في الحديث الفني للإمام الهادي عليه السلام في قوله: «أذكر مصرعك بين يدي أهلك، لا طيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك»^(٢).

وقع الجنس المضارع في لفظتي «يمنعك، ينفعك» حيث وقع تقارب صوتي في مخرج صوتي الميم، والنون، فالميم صوتٌ شفوي أنفي^(٣)، والنون صوت لثوي أنفي^(٤) فأراد الإمام الهادي عليه السلام يذكرنا بالموت والمنيا، فلا طيب يمنع المنية، ولا حبيب ينفع في تلك اللحظات، وفي ذلك تأكيد على صلة الأرحام حيث أشار بقوله: «أذكر مصرعك بين يدي أهلك»، أمّا من الناحية الصوتية نلاحظ أن اللفظتين المتجانستين

(١) فن الجنس (بلاغة، أدب، نقد)، د. علي الجندي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت): ص ١٣٢.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، مطبعة مهر، قم، إيران، ط ١، ١٤٠٨ هـ: ١٤٢.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٥٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص ٧٦.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٤٩

قد جاءتا في موقع الفاصلة، وأدى ذلك بهما إلى أن يؤديا وظيفتين في وقت واحد، كما أن تقارب مخارج الألفاظ المتجانسة يعني إضفاء مزيد من النغم الصوتي^(١).

والتجنيس هنا لم يخرج عن نظرية تداعي الألفاظ والمعاني في علم النفس، وله أصله في الدراسات النفسية، فالفاظه متفقة اتفاق كل أو بعض في الجرس، وهناك ألفاظ متقاربة ومتشابهة في المعنى، بحيث تُذكر الكلمة بأختها في الجرس أو المعنى، وهذا الجانب النفسي يُبين كيف يقع التجنيس دون معاناة، إذا كان المنشئ ملماً بلغته، عارفاً بتصاريفها، محسناً بذوقها^(٢) فهذا التقارب كثف المعنى الدلالي والصوتي في النص، فقد أفعم النص بإيقاع داخلي امتدَّ إلى جسد النص مما ولّد صوتاً موسيقياً شدَّ القارئ.

وورد أيضاً في دعاء الإمام الهادي عليه السلام:

«يا مَنْ تفرّد بالربوبية، وتوحد بالوحدانية، يا مَنْ أضاء باسمه النهار، وأشرقت به الأنوار، وأظلم بأمره حندس الليل، وهطل بغيثه وابل السيل. يا مَنْ دعاه المضطرون فأجابهم، ولجأ إليه الخائفون فأمنهم، وعبدته الطائعون فشكرهم، وحمده الشاكرون فأثابهم»^(٣).

وقع الجناس المضارع في لفظتي (الليل، السيل)، إذ تقاربا في مخرجي صوت اللام اللثوي^(٤) وصوت السين وهو صوت أسناني لثوي^(٥) يبدأ الإمام الهادي عليه السلام مناجاته بالاعتراف بوحدانية الله، فعندما يسأل العبد ربه يبدأ بالثناء عليه، وهذا

(١) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة: ٢٦١.

(٢) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٧٩.

(٣) الصحيفة الهادية الجامعة: ١٦٤.

(٤) ينظر: أسرار الحروف: أحمد زرقه، دمشق، سوريا، ط ١، ١٩٩٧م، ٨٢.

(٥) علم الأصوات اللغوية: ٦٧.

٥٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

منتهى الأدب ؛ بل منتهى الحاجة والطلب، والجناس في لفظتي (الليل، السيل) خلق حالة من التوافق والتماثل من الناحية الدلالية والمعنوية، فحندس الليل هو المظلم والظلمة، ثم نلاحظ تدرجاً دلالياً في العبارة الثانية، إذ بدأت بالهطل وهو المطر الضعيف المتتابع، ثم وابل السيل ومعنى الواابل المطر الشديد الصَّخْم القطر^(١)، وقوله: «وابل السيل» أي الذي يصير سبباً لجريان السيل. كل ذلك أدى إلى زيادة إظهار الإيقاع وكثفه؛ لأنَّ التجنيس يعمل على إعادة الإيقاع ذاته، كما أنَّ المرونة التي ملكتها الألفاظ من خلال السجع الذي أضفى لوناً آخر إلى الطيف الموسيقي، فأعطاه تنوعاً نغمياً مكَّنه من الارتقاء ليناسب الدعاء والمناجاة؛ لأنَّه خطاب يتقدم به الأدنى إلى الأعلى فمكَّنه التجنيس بما يُحدثه من ترنم أن يتوافق مع السياق المعنوي للنص وهو المناجاة والدعاء.

وورد في قول الإمام الهادي عليه السلام للمتوكل:

«لا تطلب الصفاء ممَّن كدَّرتَ عليه، ولا الوفاء ممَّن غدرتَ به، ولا النصح ممَّن صرفتَ سوء ظنَّك إليه، فإنَّما قلبُ غيرك كقلبِكَ له»^(٢).

وقع الجناس المضارع في لفظتي (كدرت، غدرت)؛ إذ أنَّ صوتي «الكاف، والغين» مخرجهما واحد، فالكاف صوت طبقي شديد^(٣)، والغين صوت طبقي رخو^(٤) أشار الإمام الهادي عليه السلام في هذا الحديث الفني إلى قيمة الإيثار، فالقلوب كما أشار إليها عليه السلام مرايا مستوية، والحاكم إذا أراد أن يعرف مدى حب الآخرين له وتعلُّقهم به، عليه أن يكتشف ذلك بنفسه، فبقدر ما يبادهم من حب سيبادلونه، وبقدر ما يبذل لهم من صفاء سيحصل بالمقابل على مثله.

(١) ينظر: لسان العرب: ٦/ ٣٤، مادة (وبل).

(٢) نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ١٤٢.

(٣) ينظر: علم الأصوات اللغوية: ٨٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ص ٨١.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٥١

أمّا من الناحية الصوتية فقد أحدث (الكاف والغين) - وهما صوتان مشتركان في المخرج - تكثيفاً للمعنى الدلالي والصوتي في النص، فالكدر هو نقيض الصفا^(١)، والغدر نقض العهد^(٢) واللفظان المتجانسان قد أفعما النص بإيقاعٍ داخلي امتدَّ إلى جسد النص مما ولّد صوتاً موسيقياً شدَّ القارئ.

(١) ينظر: لسان العرب: ١٣٤/٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨/٥.

المبحث الثالث

التضاد والتقابل

إنَّ شبكة العلاقات في النص تؤثر تأثيراً بارزاً في خلق الدلالة وإنتاجها المؤدي إلى خلق صورة للخطاب الأدبي، ومن ثمَّ تقربه إلى الفهم وتبرزه في صورة جمالية مفعمة بالإيقاع الصوتي تؤثر في المتلقي، ورصد الدلالة وإنتاجها يعود إلى رصد وحدات تعبيرية مع رصد شبكة علاقاتها، وتجميع كل ذلك في مستوى واحد يعود إلى السطح أولاً ثم يمتد إلى الذهن ثانياً^(١).

هذا الأمر نجده في التضاد والتقابل، إذ تعمل الأضداد في النص الأدبي على متابعة النص وما يتشكل عنها من علاقات تتحرك في تواتر متجاذب، وكأنها شبكة تتابع خيوطها، وتتبادل مواقعها وتشابك تطريزاتها على جسد النص، كما تقوم الأضداد بأثر حيوي فاعل في تأسيس الوجه الأهم في البنية الحركية في النص، إذ ثمة فارق بين المواقف المتضادة والمتقابلة «فمع التضاد يمكن أن يحدث تفاعل وامتزاج، أما المواقف المتقابلة فمن النادر أن تكون مواقف شعرية صالحة للنمو، وذلك لما يتضح للمتأمل من أن جذور الموقفين المتقابلين واحدة في العمق، على حين أن (التضاد) ترفض فيه العناصر بعضها بعضاً، كما يرفض الجسد الأعضاء الغريبة عنه»^(٢).

ومما يحسن الإشارة إليه أنَّ هذين الأسلوبين البديعيين تربطهما علاقة قوية في الأسلوب، وهي علاقة منبثقة من صلب الدراسات البلاغية الحديثة، وهي «علاقة تداعي المعاني»^(٣) وحدُّها: «هو حدوث علاقة بين مدركين؛ لاقترانها في الذهن

(١) ينظر: بناء الأسلوب في شعر الحداثة: ١٥١.

(٢) لغة الشعر، محمود الربيعي (بحث)، مجلة فصول العدد ٤، المجلد ١، ١٩٨٥م: ٧١.

(٣) تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج، دار المصطفى لإحياء التراث، قم، إيران،

(د.ط)، (د.ت): ٣٠٩.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٥٣

بحيث يستدعي تيار الشعور حضور كل منهما عند حضور الآخر»^(١) فضلاً عن أنّ التضاد والتقابل يمنحان الأديب إمكانيات واسعة لأداء المعنى، فيعمق الدلالة ويقويها. ولهذا فإنّ وقوفنا عند هذين الملمحين الأسلوبيين يهدف للكشف عن القيمة الصوتية والمعنوية المتأتية من استعمال الإمام الهادي عليه السلام لهما في خطابه.

أولاً: التضاد:

ويسمى المطابقة والطباق والتضاد، وهو: «الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة»^(٢).

والجمع بين اللفظين الدالّين على المعنيين المتضادين^(٣).

كما أنّ التضاد في النص الأدبي يحقق دلالة معنوية واضحة لما له من قدرة على إظهار مشاعر تضافي على النص جواً مشحوناً بالحركات الثنائية الضدية التي ترتبط بالموقف الفكري والوجداني الذي يرمي إليه الأديب ويعززه^(٤). فالتضاد يغني بنية النص الأدبي بوصفه اختياراً وربطاً للعناصر الفاعلة في السياق، ونسيجه المتناغم، ومن هنا يمكن القول: «إنّ عمليات التضاد الأسلوبية تخلق بنية، مثلها في ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة»^(٥).

(١) تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج: ٣٠٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م: ص ٢٥٥.

(٣) ينظر: كتاب البديع، ابن المعتز / ٤٨.

(٤) ينظر: المقامات للزومية لأبي طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت ٥٣٨هـ) (دراسة اسلوبية) - رسالة ماجستير، مي محسن حسين عناد الحلبي كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م: ٢٢٢.

(٥) علم الاسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م: ٢٥٦.

برزت ملامح التضاد في خطاب الإمام الهادي عليه السلام كملامح دلالية تطلبها النص، فقد ورد التضاد في دعاء الإمام علي الهادي عليه السلام:

«وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ، فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَرْتَ وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ إِلَّا أَنْتَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْتَحْ لِي بَابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ، وَأَبْلِنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِي مَا شَكَوْتُ، وَارْزُقْنِي حَلَاوَةَ الصَّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُكَ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَرْجاً وَحِياً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً هَيْئاً، وَلَا تَشْغَلْنِي بِالْاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهِدِ فَرَائِضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ، فَقَدْ ضَيَّعْتُ بِمَا نَزَلَ بِي ذُرْعاً، وَافْتَلَأْتُ بِحِمْلٍ مَا حَدَثَ عَلَيَّ جَزْعاً، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كَشْفِ مَا بُلِيتُ بِهِ، وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَوْجِبِهِ مِنْكَ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَذَا الْمَنْ الْكَرِيمِ، فَأَنْتَ قَادِرٌ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»^(١).

إنَّ النصَّ حافلٌ بالمعطيات المتضادة، حيث مثل بنية أسلوبية نسقية جمعت بين المتضادات من خلال: (مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ) وَ (لَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَرْتَ) وَ (لَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ) وَ (لَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ) وَ (لَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ) وَ (لَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ)، ونلاحظ أن المفردات (مُصْدِر، مُيَسِّر، صَارِف، فَاتِح، مُغْلِق) تنتمي معجمياً إلى ما يسمى بالمصطلحات ذات الدلالة الإيجابية بخلاف أضدادها: (أوردت، عسرت، وجَّهت، مغلق، خذلت) فأنها مصطلحات ذات دلالة سلبية فهما تستقطبان مضامين لها قيمة عرفية متداولة، وهذه النوع من التضاد يسمى بالقطبية^(٢).

كما خلق التوازي القائم بين كل زوجين متضادين في التراكيب السابقة إيقاعاً

(١) مهج الدعوات: ٣٢٥.

(٢) ينظر: الموسوعة اللغوية، تحرير الأستاذ الدكتور ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي ود. عبد الله الحميدان، نشر جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية: ١/ ١٦٠.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٥٥

منتظماً، فضلاً عن أن كل معنى من المعاني المتضادة يمارس عمله الخاص في شدّ انتباه نفسية المتلقي وجذبها، موشَّحاً بالجمالية الإيقاعية من خلال تكرار الألفاظ المتضادة، ويكون على هذا الجامع المشترك بين هذه الظواهر هو اشتراكها بسماتٍ دلالية وصوتية، وهو ما يُسمى بـ (تفاعل الصوت والدلالة) الذي شغل البلاغيين القدماء ووقفوا عندها تحت اسم (الموازنات البلاغية) ^(١)، فالمتتبع للنصّ يجد أن الإمام الهادي عليه السلام قد أتى بالمتضادات وفق نسق بديعي محكم، فمن خلال رصف المتضادات في هذا النسق يقرُّ باستحالة وقوع الطرف الأول من الطباق في الثاني في ذهن المتلقي معتمداً على الإدراك المسبق للتضاد؛ لأنَّ الطباق «يتألف من ترابط أساسي بين ضدين ليس لأي منهما تأثير من دور الآخر؛ لأنَّ كلاهما يجسد ميلاً إلى الإيجابية أو السلبية» ^(٢).

وقد اتحدت إحالة هذه الأضداد في وصف القدرة والهيمنة الإلهية، فتكشف الجمال بالجلال، ودلّ تخالف الاسمين الموصولين (ما، من) على شمول جميع الخلق العاقل منهم وغير العاقل بالأمر والفعل الإلهيين، ودلت (لا) النافية للجنس على الاستغراق في نفي استقلال إرادة المخلوق عن إرادة الخالق (سبحانه)، فدلالة التضاد هي في افتقار العبد بغية زيادة طاعته ^(٣)، وفي الثناء على الرب لعظمته، وقد صاغها الداعي كي توحى بتأويل (أنت المهيمن بقدرتك).

(١) ينظر: تحليل الخطاب الشعري - البنية الصوتية في الشعر، محمد العمري، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الدار العالمية للكتاب، ط ١، ١٩٩٠م: ٢٢٧.

(٢) في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ط ٣، ١٩٨٧م: ٣٥٣، وينظر: المحسنات المعنوية في أدعية الصحيفة السجادية - رسالة ماجستير: أسعد جساب مغامس، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠١٦م: ٣٢.

(٣) ينظر: البناء الاسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين عليه السلام في كتابي (مفاتيح الجنان) و(الباقيات الصالحات) للشيخ عباس القمي - دراسة نظرية وتطبيقية، أحمد محمود أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠م: ٣٣٨.

ثانياً: المقابلة

تُعَدُّ المقابلة من الأساليب التي تثري النص، إذ إنَّها تعطي المنشئ القدرة على تأدية المعنى من جوانب عدة، فيقابل الألفاظ أو الجملة بأخرى، قد تكون مثلها أو ضدها أو غيرها، والمقابلة بهذا التنوع تكون قادرة على أن تستوفي المعنى، فاللفظان أو التركيبان المتقابلان هما: «اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة»^(١)

وعلى الرغم أنَّ النظرة السائدة عند بعض البديعيين القدماء بأنَّ بلاغة المقابلة موقوفة على عدد المقابلات في النص، فكلما كثر عددها - أي المقابلة - كان أبلغ^(٢) إلا أنَّ الباحث يتفق مع النظرة الحديثة للمقابلة بأنَّ العبرة ليست في كثرة المقابلة ولا بالتفاضل بالكثرة، بل المقابلة الجيدة ما جرت مجرى الطبع ولم تأت متكلفة، وإلا كانت سبباً من أسباب اضطراب الأسلوب^(٣)

مثل التقابل آلية اسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام، حيث كانت نصوصه مفعمة بهذا اللون من البديع، جعلتنا نقف أمام هذا الأسلوب حيث ورد في الحديث الفني للإمام الهادي عليه السلام قوله:

«من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يُعطي»^(٤).

(١) التعريفات، السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦هـ)، وضع حواشيه وفوارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢م / ١٩٨.

(٢) ينظر: خزانة الأدب: ٢ / ٢٥، وينظر: المحسنات المعنوية في الصحيفة السجادية (رسالة ماجستير): ص ٤٤.

(٣) ينظر: علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٣، ٢٠١١م / ١٥٦، وينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ٣٧.

(٤) نزهة الناظر: ١٤٢.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً ٥٧

وقع التقابل في النصّ للتنبيه على أهمية التدبير، فللمنع مواطن وللعطاء أخرى، فمن لم يحسن الأولى لم يحسن الأخرى فظهرت المقابلة بين: من لم يحسن أن يمنع ولم يحسن أن يعطي مع تكرار الكلمات (لم يحسن أن) التي أثارت السمع بتكرارها؛ لأنّ تكرار عناصر البناء التركيبي بين العبارتين المتقابلتين أعطى فسحة جمالية للنص؛ إذ إنّ هذا التكرار يتساوق مع دلالة التنبيه بسلبية عدم التدبير فالمتصف بها لا يحسن شيئاً.

الخاتمة

بعد أن منّا الله علينا بإنجاز البحث والوصول إلى نهايته، فلا بدّ لنا أن نختمه بذكر أهم النتائج - مضغوطة - التي توصل إليها:

- سعى الباحثان إلى الكشف عن إمكانات المستوى الصوتي في خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام من خلال بعض التقانات الفنية، فكان لتلك التقانات من تأثير في إغناء موسيقى خطابه، فضلاً عن الإحياءات الدلالية التي تغنيها، ومن ثمّ تؤثر في المتلقي وتشدّ من انتباهه.

- جاء الأول منها في التكرار الصوتي، وفيه فقرتان مائزتان تكرار الحرف وتكرار الألفاظ متمثلاً بالتكرار الاستهلاكي وبرز تفاعلهم الوثيق مع البنية الدلالية للنصوص.

- والمبحث الثاني في الجناس، وفيه فقرتان: الأولى الجناس الاشتقاقي، والثانية الجناس المضارع وتشكل تواشجهم مع المعاني المتعددة وتأثيرهم على المتلقي الشيمة الناجعة في الخطاب.

- أمّا الثالث فقد جاء في التضادّ والتقابل وكشفت إمكاناتهم الدلالية رؤى روحية عمقت اليقين المعرفي بما يمتلكه خطاب الإمام علي الهادي عليه السلام من أيديولوجية معرفية وكيونة عقدية أصيلة.

المصادر والمراجع.

• القرآن الكريم

- ١- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، د. عبد الحميد جيدة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٠ م.
- ٢- الأثر القرآني في نهج البلاغة - دراسة في الشكل والمضمون-، د. عباس الفحام مكتبة الروضة الحيدرية، النجف، العراق، (د.ط)، ٢٠١١ م.
- ٣- الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشوؤن الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د.ط)، ١٩٩٣ م.
- ٤- أسرار الحروف، أحمد زرقعة، دمشق، سوريا، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٥- الأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠ م.
- ٦- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر.
- ٧- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب القزويني، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ٨- البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ط، ١٩٩٩ م.
- ٩- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٢ م.
- ١٠- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٨٤ م.
- ١١- التحرير في علم التفسير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق: د. فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٥٩

- السعودية، ط ١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

١٢- تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن ابن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، قدّم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٧، ٢٠٠٢ م.

١٣- تحليل الخطاب الشعري - البنية الصوتية في الشعر، محمد العمري، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الدار العالمية للكتاب، ط ١، ١٩٩٠ م.

١٤- التعريفات، السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦ هـ)، وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢ م.

١٥- التكرير بين المثير والتأثير: عزّ الدين علي السيّد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦ م.

١٦- تكوين البلاغة قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج، دار المصطفى لإحياء التراث، قم، إيران، (د.ط)، (د.ت).

١٧- جرس الألفاظ ودلالاتها، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات (١٩٥)، وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠ م.

١٨- جوهر الكنز: نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي (٧٣٧ هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ت).

١٩- الحديقة الهلالية، شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجادية: العلامة الشيخ البهائي (ت ١١١٠ هـ): تحقيق: السيد علي الموسوي الخراساني، ط ١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٠ هـ.

٢٠- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥ هـ). تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٠ هـ -

٦٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

١٩٨٠م.

٢١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ). تحقيق: محمد نبيل طريفي، أميل يعقوب، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٢- خصائص الاسلوب في شعر الجواهري، المطولات انموذجاً، د. ساهرة عدنان العنبكي، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠١٢م.

٢٣- الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.

٢٤- الدروع الواقية، السيد رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث المترجم، ط ١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٤هـ.

٢٥- دير الملاك - دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن أطيّمش، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، د. ط، ١٩٨٢م.

٢٦- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق: محمد حسن محمد، وشارك في التحقيق: أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٧- سلوة الحزين وتحفة العليل، قطب الدين بن الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: عبد الحليم عوض الحلي، ط ١، منشورات دليل ما، مطبعة نكارش، قم، إيران، ١٣٢٧هـ.

٢٨- شرح التلخيص، أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد الباري (ت ٧٨٦هـ).

٢٧- دراسة وتحقيق: د. محمد مصطفى رمضان صوفية، ط، المنشأة العامة للنشر والإعلان، طرابلس - الجماهيرية الليبية، ١٣٩٢هـ - ١٩٨٣م.

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٦١

٢٩- شرح الشافية للجاربردي، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م.

٣٠- الشعرية، جمال الدين بن الشيخ، ترجمة: مبارك حنون، محمد الولي، محمد أوراغ، دار توبقال، المغرب، ط ١، ١٩٩٦م.

٣١- علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي الموسوي، ط ٣، دار الكتب العلمية، بغداد، العراق، ٢٠٠٧م.

٣٢- علم الاسلوب، مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥م.

٣٣- علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع)، بسيوني عبد الفتاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٣، ٢٠١١م.

٣٤- علم النفس اللغوي، د. نوال محمد عطية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط ١، ١٩٧٥م.

٣٥- علم لغة النص (النظرية والتطبيق)، د. عزة شبل محمد، تقديم: سليمان العطار الناشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١ / ٢٠٠٧م.

٣٦- فن الجناس (بلاغة، أدب، نقد)، د. علي الجندي. دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، د. ت.

٣٧- في البنية الإيقاعية للشعر العربي، د. كمال أبو ديب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ط ٣، ١٩٨٧م.

٣٨- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٩- القصيدة العربية الحديثة بين الدلالة والبنية الإيقاعية، د. محمد صابر عبيد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ٢٠٠١م.

٤٠- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، ط ٣، منشورات مكتبة النهضة،

٦٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

بغداد، العراق، ١٩٦٧م.

٤١- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز، شرحه وحققه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٢م.

٤٢- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليميني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.

٤٣- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، ودار بيروت، لبنان، ١٩٥٥م.

٤٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم المعروف بضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. احمد الحوفي، د. بدوي طبانة. دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، (د.ت).

٤٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلّاتي. ط ١، دار إحياء التراث، مؤسسة إحياء التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٤٦- محاضرات في الصوت والمعنى، رومان ياكوبسن، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩٤م.

٤٧- مصباح المتجهّد: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، صححه وأشرف على طباعته فضيلة الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٤٨- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤م.

٤٩- مهج الدعوات ومنهج العبادات، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٢٤هـ): قدّم له وعلق عليه: الشيخ حسين

البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي اختياراً..... ٦٣

الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.

٥٠- الموسوعة اللغوية، تحرير الأستاذ الدكتور ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي ود. عبد الله الحميدان، نشر جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

٥١- نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، مطبعة مهر، قم، إيران، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٥٢- النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥٣- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

٥٤- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ). تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت).

٥٦- النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن). أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٤هـ). تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط ٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.

الرسائل الجامعية

١. أدب الإمام الحسين عليه السلام قضاياها الفنية والمعنوية - رسالة ماجستير - موسى خابط عبود، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٨م.

٢. البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام في كتابي (مفاتيح الجنان) و(الباقيات الصالحات) للشيخ عباس القمّي - دراسة نظرية وتطبيقية - أحمد محمود أحمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٠م.

٣. البنيات الأسلوبية في مرثية بلقيس لنزار قباني (رسالة ماجستير): رشيد بديدة، إشراف: بلقاسم ليبارير، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة،

٦٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمع) / ج ٣

الجزائر، ٢٠١٠م - ٢٠١١م.

٤. جماليات الاشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز، اطروحة دكتوراه - جامعة الموصل - ٢٠٠٧م.

٥. الخصائص الأسلوبية في أدعية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الصحيفة العلوية - دراسة اسلوبية-: أطروحة دكتوراه: محمد الجوراني،، كلية الآداب، المستنصرية ٢٠١٦م.

٦. المحسنات المعنوية في أدعية الصحيفة السجادية (رسالة ماجستير): أسعد حساب مغامس محيي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٦م.

٧. المقامات الزومية لأبي طاهر محمد بن يوسف السرقسطي (ت ٥٣٨هـ) (دراسة اسلوبية): مي محسن حسين عناد الحلفي كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.

البحوث والدوريات

- ١- التكرار في الشعر الجاهلي (بحث)، موسى ربايع، مجلة مؤتة، مج ٥، ع ١٤، ١٩٩١م.
- ٢- التكوين التكراري في شعر جميل بن معمر، فايز القرعان، مجلة مؤتة، مج ١١، ع ٧، ١٩٩٦م.
- ٣- في اسلوبية النص السجادي المناجيات وأدعية الأيام مثلاً (بحث)، مجلة العميد المجلد الرابع، العدد ١٣، ٢٠١٥م.
- ٤- لغة الشعر: محمود الربيعي (بحث)، مجلة فصول العدد ٤، المجلد ١، ١٩٨٥م.



البحث الثالث
الظواهر التداوليّة في الزيارة الجامعة
المروية عن الإمام الهادي عليه السلام

أ.م.د. قصي سمير عبيس م.د. كريم حمزة حميدي
كلية الإمام الكاظم عليه السلام / أقسام بابل



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يعدّ مصطلح التداولية من المصطلحات التي ظهرت حديثاً في إطار علم اللغة الحديث، وقد تناولت اللغة كما يستعملها الناطقون بها ضمن مقاصدهم وتحدياتهم؛ لذلك أعطت التداولية زخماً للسياق بوصفه مستعملاً للغة وليس سياقاً بحدّ ذاته. ومن هنا فقد سلّط الباحثان الضوء على أدعية الإمام علي الهادي عليه السلام؛ لأنها تؤثر في سلوك المتداولين لها، فتسحر نفوسهم، وتناغم قلوبهم، فالإمام عليه السلام وظف أدعيته بصورة واعية تُبين ما يتصلّ بسلوك المتلقي الأمر الذي جعلنا نقف عند الأبعاد التداولية في أدعيته عليه السلام. وقد قسم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، تناولنا في التمهيد مصطلح التداولية وتطوره في الدرس اللغوي الحديث، وأما المبحثان، فقد اختص أحدهما بدراسة انتقال دلالة الأفعال الكلامية في أدعية الإمام وتوجيهها بين القدماء والمحدثين، وضمّن المبحث الآخر دراسة الصيغ التفاعلية للأدعية على وفق نظرية الأفعال الكلامية. وقد ختم البحث بخلاصة بيّنا فيها أهم ما جاء فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المقدِّمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، الذي رسمَ لعباده منهجَ التسديد والتوحيد في كتابه الكريم، والصلاة والسلامُ على خيرِ الأنام، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد..

فإنَّ مصطلح التداولية من المصطلحات التي ظهرت حديثاً في إطار علم اللغة الحديث، وقد تناولت اللغة كما يستعملها الناطقون بها ضمن مقاصدهم وتحدياتهم؛ لذلك أعطت التداولية زخماً للسياق بوصفه مستعملاً للغة وليس سياقاً بحدِّ ذاته. ومن هنا فقد سلط الباحثان الضوء على أدعية الإمام علي الهادي عليه السلام؛ لأنها تؤثر في سلوك المتداولين لها، فتسحر نفوسهم، وتناغم قلوبهم، فالإمام عليه السلام وظَّف أدعيته بصورة واعية تظهر ما يتعلَّق بسلوك المتلقِّي الأمر الذي جعلنا نقف عند الأبعاد التداولية في أدعيته عليه السلام. وقد قسم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين، تناولنا في التمهيد مصطلح التداولية وتطوره في الدرس اللغوي الحديث، وأما المبحثان، فقد اختصَّ أحدهما: بدراسة انتقال دلالة الأفعال الكلامية في أدعية الإمام وتوجيهها بين القدماء والمحدثين، وضمَّن المبحث الآخر: دراسة الصيغ التفاعلية للأدعية على وفقِ نظرية الأفعال الكلامية. وقد خُتم البحث بخلاصة بيَّنا فيها أهم ما جاء فيه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين.

التمهيد: التداولية نشأتها وتطورها

تعدُّ التداوليةُ من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر؛ إذ تُعنى اللسانياتُ التداوليةُ في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده بوصفه محرِّكاً لعملية التواصل، وتراعي حال السامع في أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية؛ ضماناً لتحقيق التواصل من جهة، والوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

ويعود الفضل في استحداث مصطلح التداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي (شارلز ساندرس بيرس) حينما نشر مقالتين في مجلة (ميتافيزيقا) سنة ١٨٧٨م و١٨٧٩م. بعنوان (كيف يمكن أن تثبت الاعتقاد؟) ومنطق العلم: (كيف نجعل أفكارنا واضحة؟)، إذ أكَّد أن الفكر في طبيعته إبداعٌ لعادات فعلية؛ ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتمُّ الفعل؟ وكيف يتمُّ؟ فيكون مقترناً بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة ليصل إلى أن الممارسة والتطبيق والفعل هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار^(١).

ويرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى (شارلز موريس) سنة ١٩٣٨ وكلامه عنها يعدُّ من أقدم التعريفات التي قدمت للتداولية؛ إذ إنه يرى أن التداولية فرع من الفروع السيميائية، فتعنى بدراسة علاقة العلامات بمؤوِّليها، وهذا التحديد يوسع من مجال التداولية لتشمل العلامات اللغوية وغير اللغوية^(٢). وهو تعريفٌ فيه من القصور ما يبعد التداولية عن مفهومها اللساني المحدد. ويظهر تعريف آخر لـ(فرانسيس جاك) يقرُّ فيه أنَّ التداولية تتطرق إلى معالجة الظاهرة اللغوية بوصفها

(١) ينظر: العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، الزاوي بغورة، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مارس ٢٠٠٧م، العدد ٣، المجلد: ٣٥/١٩٩.

(٢) ينظر: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د. ت: ٨٠.

٧٠..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجمعي) / ج ٣

ظاهرةً خطابيةً وتواصليةً واجتماعيةً في الوقت نفسه^(١). وهذا التعريف يبدو أكثر قرباً من مفهوم التداولية. وإنّ مسألة تحديد تعريف للتداولية ليس بالأمر اليسير؛ نظراً لتنوع خلفياتها الفكرية والثقافية، فتعدّدت التعريفات بحسب تخصّصات أصحابها ومجالات اهتماماتهم.

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع جون أوستن، وتطورت على يد جون سيرل، وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية: (أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، الإشارات...).

وقد التفت الفيلسوف الأمريكي (جون سيرل) إلى النتاج المثمر لأستاذه (جون أوستن) وطوّر نظرية أفعال الكلام التي تنبّه عليها أوستن من قبل - في ضوء اهتمامه بالقوى الإنجازية المتضمّنة في القول، ويتجلّى هذا الأمر في مؤلّفه الصادر عام ١٩٦٩م، بعنوان: (أفعال الكلام)، زدّ على ذلك جهود بول غرايس التي أسهمت في تطور الدرس التداوليّ، ولا سيّما في حديثه عن مبادئ المحادثة^(٢)، مع الإشارة إلى أن مصطلح (تداوليّة) لم يظهر في أي مؤلّف هؤلاء الفلاسفة، وفي حقيقة الأمر: أن التداوليّة لم تصبح مجالاً يُعتدُّ به في الدرس اللغويّ المعاصر إلّا في العقد السابع من القرن العشرين بفضل الأعمال التي قدّمها هؤلاء اللغويون الثلاثة: (جون أوستن، جون سيرل، وبول غرايس) الذين ينتمون أصلاً إلى تيّار (فلسفة اللغة العادية)، وهي الحُضن الأول الذي نشأت فيه نظرية أفعال الكلام؛ إذ كان جُلّ اهتمامهم منصباً على أهميّة اللغة العادية، وأثرها في عملية التواصل، وتوصيل المعنى في ظلّ إبلاغ مُرسِل ما

(١) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت (لبنان): ١٥.

البحث الثالث: الظواهرُ التَّداوليَّةُ في الزَّيَّارةِ الجامعةِ المرويَّةِ عن الإمام الهادي عليه السلام ٧١

رسالةً إلى متلقٍّ يقوم بفهمها وتأويلها، وكان هذا عماد البحث التَّداولي^(١)، فالتَّداوليَّةُ جاءت ردًّا على ما كان من قصور في النظريات اللُّغوية السابقة كالسلوكيَّة، والبنويَّة، والتوليدية، التحويلية، وقد تمثَّل ذلك القصور في تلك المناهج، والنظريَّات في تجاوزها للظروف النفسيَّة، والاجتماعيَّة للمتكلِّم والمخاطب، وفي تجاوزها لما يمكن أن يُسمى بالمعنى غير الطبيعي (أو الدلالة غير الطبيعية الذي تقوم حوله نظرية الاتصال عند غرايس)^(٢).

الظواهر التداولية في أدعية الإمام علي الهادي عليه السلام

إنَّ غاية البحث هي استثمار نظريتي الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواريّ في محاولة لتأصيل هاتين النظريتين في الموروث اللغوي العربي، ومن هذا المنطلق تناولنا الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواريّ في أدعية الإمام علي الهادي عليه السلام، إذ إننا لا نجانب الصواب إن قلنا جازمين: بوجود البعد التداوليّ في مدونة أدعية أهل البيت عليهم السلام، ونستدل بذلك عن طريق إمطة اللثام عنه، ورصد القضايا التداولية واستخراج المعاني وكشف قوتها الانجازية. ولذلك انقسم البحث على مبحثين، المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية، والمبحث الآخر: نظرية الاستلزام الحواريّ.

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة: ٩-١٠.

(٢) ينظر: البعد التَّداولي عند الأصوليين - ابن قيم الجوزية في كتابه «بدائع الفوائد» أنموذجاً، يوسف سلمان عليان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد (٥٣) الجزء الثاني/ رمضان ١٤٣٢هـ/ أغسطس ٢٠١١: ٤٧٩.

المبحث الأول

أولاً: نظرية الأفعال الكلامية:

إنَّ نظرية الأفعال الكلامية هي مفهوم رئيس من مفاهيم النظرية التداولية؛ إذ لا يمكن تجاهله في تحليل الخطاب، ويرى كثير من الباحثين أن التداول يقوم على تأدية المتخاطبين لأفعال الكلام^(٣). ومما يجدر ذكره أن أول ظهور لهذه النظرية بالمعنى الحديث على يد العالم أوستن، وقّعدها تلميذه سيرل صاحب نظرية أفعال الكلام، ولعلَّ ما يميز هذه النظرية أن أوستن لم يسلم إلى تقسيم الجمل المتعارف عليه وهو الخبر والإنشاء، وإنما انطلق من موقفٍ جديد قد اعتمده مفاده: أن كلَّ الجمل مهما كانت طبيعتها قابلة ومعدة للتواصل؛ ولهذا أصبحت الوحدة الأساسية للغة هي الأفعال الكلامية^(٤)، ومن هنا نستنتج أن الجمل لا تتعلّق بالصدق أو الكذب فقط، وإنما السياق والمناسبة والظروف الأخرى التي توصلنا إلى المراد، والتي يتم فيها الفعل الكلامي أيضاً. فكلُّ كلامٍ يستلزم سلوكاً محكوماً بقواعد يسعى في ضوئه للكشف عن المعاني المقصودة عن طريق البحث بين اللغة والاتصال.

وتعدُّ نظرية الأفعال الكلامية الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته. والفعل الكلامي هو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقّق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل، ومن ثمَّ التأثير في المتلقّي عن طريق حمله على فعلٍ ما، أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام، والمنعم النظر في مدونة التراث العربي يجد الأفعال الكلامية موجودة في مباحث علم المعاني، وتحديدًا ضمن نظرية الخبر والإنشاء^(٥).

(٣) ينظر: الأفعال الكلامية في القرآن: ٣٨.

(٤) ينظر: الفلسفة واللغة: ١٠٤.

(٥) الأفعال الكلامية في سورة الكهف: ٥٧.

ثانياً: الأفعالُ الكلاميَّةُ في الزيارة الجامعة

يهتم هذا المبحث بالنظر إلى الأفعال الكلاميَّة في الزيارة الجامعة للإمام علي الهادي عليه السلام، وعلاقتها بالمقام وما يتصل به من قرائن الأحوال، وبخصائص تلك الأفعال البنيوية وربطها بمعانيها المختلفة بحسب السياقات التي ترد فيها، مهتمة في الوقت نفسه بمكونات أو طبقات الفعل الكلامي مثل: الحمل والإسناد والإحالة والقضية من جهة، ومنزلة المتكلم والسامع وعلاقة كل منهما بالآخر وحالتهما النفسية والذهنية والثقافية من جهة أخرى، وقبل البدء بتحليل الفعل الكلامي للإمام علي الهادي عليه السلام سنحاول توضيح مكونات السياق المقامي للزيارة الجامعة وفقاً لمخطط رومان جاكبسون التبليغي:

- ١- المبلغ: الإمام الهادي عليه السلام
- ٢- المبلغ له: أتباع الإمام الهادي من محبيه.
- ٣- المرجع: مجموعة من الأماكن والأزمنة والشخصيات التي أحالت إليها الزيارة الجامعة.
- ٤- قناة التبليغ: الزيارة الجامعة.
- ٥- الرسالة: موضوعات مختلفة تضمنتها الزيارة الجامعة.
- ٦- السنن: هي مجموعة القواعد النحويَّة والصرفيَّة والتداوليَّة التي صنفت على وَفْقها الأفعال الكلاميَّة المتضمنة في الزيارة، ويمكن تصنيف كل ما سبق بالمخطط الآتي:

$$s = \sqrt{\frac{\sum (xi - \bar{x})^2}{n}}$$

مخطط (١)

من إعداد الباحثين على وفق
تصنيف رومان جاكبسون

٧٤..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

وقد قسّم الباحثان مضمون البحث على مواضع متعددة بحسب السياق العام لكلام الإمام الهادي عليه السلام على النحو الآتي:

الموضوع الأول: تحليل الأفعال الكلامية في سياق السلام على أهل البيت عليه السلام

وذكر صفاتهم

أ- السياق العام للزيارة السلام على أهل البيت عليه السلام وبين مكانتهم، جاء في مقدّماتها: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَوْضِعِ الرَّسَالَةِ، وَخُتْلَفِ الْمَلَائِكَةِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنِ الرَّحْمَةِ، وَخُزَانِ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ...»^(١)، إذ افتتحت الزيارة بالسلام، والسلام نوعٌ من التحية، والتحية نوع من البر^(٢)، والتداولية من ذلك: تعظيم المحيّي للمحيّى للتأليف بين القلوب، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾^(٣). فوصف الإمام الهادي عليه السلام أهل البيت عليه السلام بأنهم «بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة، وخزان العلم...»، ولذلك سلّم عليهم بلحاظ أن السلام يختصّ بالمؤمنين الذين جزأؤهم الجنة والرضوان. ولا شكّ في أن هذا السلام والتحية له دلالة عقديّة في ذهن قائل تلك التحية؛ ذلك أن أهل البيت عليه السلام أحياءٌ عند ربهم يرزقون؛ لذلك نلاحظ افتتاح زيارات أهل البيت عليه السلام بالسلام عليهم. ولكل أمة أسلوبٌ خاصٌ في التحية، وتحية الإسلام هو السلام.

ومن صفات المزور التي وردت في افتتاح الصحيفة السجادية، وحملت ملمحاً

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، الشّيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم: ٢ / ٦١٠.

(٢) تفسير القمي: ١ / ١٤٠.

(٣) سورة إبراهيم م ٢٣.

تداولياً قوله عليه السلام: «السَّلامُ عَلَى مُحَالٍ مَعْرِفَةِ اللَّهِ»^(١)، والمحالُّ: جمع محلٍّ، أي: الموقع الذي يحلُّ فيه الشيء، وكون أهل البيت محالَّ معرفة الله، بلحاظ أننا بسلوكهم وصفاتهم يمكننا معرفة الله (عزَّ وجل)، أو أنَّهم الذين عرَّفوا الله للناس، فمنهم يستلهم الناس معرفة الله سبحانه. فالمُبَلِّغ هنا هو الإمام علي الهادي عليه السلام، والمُبَلِّغ هو عامَّة النَّاس، والشفرة بين الاثنين هو ذلك المعنى الذي ذكرناه، ويتمثَّل بكون أهل البيت عليهم السلام هم حلقة الوصل بين الله (عزَّ وجل)، وبين عامَّة الناس والمعبَّر عنه بالمحالِّ.

ب- تحليل الأفعال الكلاميَّة المتضمنة في الموضع الأول: «ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حق جهاده، حتى أعلنتم دعوته، وبيّنتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرتُم شرائع أحكامه، وسننتم سنته، وصرتُم في ذلك منه إلى الرضا، وسلّمتُم له القضا، وصدّقتُم من رسله من مضى»^(٢).

- الفعل الكلامي: (دعوتم - بذلتم - صبرتم - أقمتم - آتيتم - أمرتم - نهيتم - جاهدتم - أعلنتم - بيّنتم - نشرتُم - سننتم - صرتُم - سلّمتُم - صدقتُم).

- فعل إسنادي: يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل (دعوتم)، وموضوعه الفاعل المستتر (أنتم) الدالُّ على المعصومين عليهم السلام، والإشارة إلى خصالهم الكمالية، وموضوعه من: دعوا وبذلوا وأقاموا وصبروا لأجله وهو الفاعل الدالُّ على الذات الإلهيَّة في: (إلى سبيله، في مرضاته، في جنبه) وهذا الجار والمجرور يعدُّ من اللواحق.

- فعل إحالي: إحالة إلى المعصومين عليهم السلام عن طريق الإشارة إليهم بالضمائر

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦١٠.

(٢) مَنْ لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦١٥.

٧٦..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عقب النبوة وعماذ السلام المجتمعي) / ج ٣

المتصلة (تَمْ، كُمْ) الدالة على المعصومين، فضلاً عن الإحالة إلى الذات الإلهية عن طريق الإشارة إليه بالضمير المتصل الهاء في: (إلى سبيله، في مرضاته، في جنبه).

- فعل دلالي: يتكون من القضية التي تتمثل في التسليم لأمر الله تعالى واتباع حدوده، وتتكون القضية من:

١ - الاقتضاء: بمنزلة أهل البيت عليهم السلام، وبيان درجتهم الرفيعة.

٢ - استلزام منطقي: الصفات التي ينماز بها أهل البيت من: (الصبر والتسليم والجهاد والتسليم لأمر الله)، وغيرها مما ذكر تؤدي إلى رفع مقامات أهل البيت عليهم السلام.

- فعل انجازي: تتألف احتمالياته الدلالية من:

١ - قوة إنجازية حرفية: وهي تقرير أحداث الزيارة.

٢ - قوة إنجازية مستلزمة: تتمثل باختصاص؛ أي في مكانة أهل البيت عند الله تعالى، وعدم ترك ولايتهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الذكر القرآن وأهله آل محمد»^(١)، ولعل المتتبع لمظلومية أهل البيت لا يجد أن القوة الإنجازية تستلزم اختصاص مكانتهم، وإنما تستلزم توبيخ من أنكر حقهم، وطعن في مكانتهم، ولهذا قام الإمام الهادي عليه السلام بتثبيت مكانتهم ومنزلتهم، وهو ما نفهمه من السياق. فظاهر الزيارة إخبار [عن] مكانة أهل البيت وبيان منزلتهم الرفيعة (فعل كلامي مباشر) وقول الإمام الهادي: «فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم، ومنكم وإيكم، وأنتم أهل معدن»، وكذلك قوله عليه السلام: «من والاكم، فقد والى الله، ومن عاداكم، فقد عادى الله»^(٢) مؤكداً لما قلناه بوصف السياق قد استعمل للتوبيخ لمن أنكر حقهم وولايتهم. فالجملة في السياق المقامي لا تقصد الفعل الكلامي المباشر في بيان مكانة أهل البيت عليهم السلام فحسب، وإنما أنجز في

(١) الكافي: ١/ ٢١١.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٦، تنقيح المقال: ٢/ ٢٥٧.

ضوئها فعل التوبيخ الذي يمثل لنا فعلاً لغوياً غير مباشر.

وممّا يدلُّ على امتداد أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ للنبوّة، وأنّهم ينطلقون من أسس إلهيّة ما روي عن جابر، قال: قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا جابر والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكنا من الهالكين. ولكننا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله ﷺ نتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم»^(١). فتمثّل الفعلُ اللّغويُّ المباشر ببيان مكانة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ وكونهم يمثلون الامتداد للرسالة كما تقدّم في الرواية المذكورة آنفاً، وتمثّل الفعلُ اللّغويُّ غيرُ المباشر بالعقوبة المترتبة على معاداة أهل البيت ومخالفتهم؛ إذ إنّها معاداةٌ لله بالدرجة الأولى، ومعاداةٌ لرسوله الكريم ﷺ بالدرجة الثانية.

الموضوع الثاني: تحليل الأفعال الكلامية في سياق اتّباع طريق أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ

أ- السياق العام: اتّباع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ هو سبيل النجاة من النار، فعن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «مَنْ تقدّم عن ولايتنا، أُخّر عن سقر، ومَنْ تأخّر عنها، تقدّم إلى سقر»^(٢). وغير ذلك مما لا يطيقها غيرهم من الموالي والمعارض، فهم يدلّون على الله، ويدعون إليه تعالى، فكلُّ مَنْ شاهدتهم أو يطلع على سيرهم لم يبقَ في قلبه شكّ، ولا ارتابت قلوبهم في أن لهم ربّاً أقدر منهم، ولا يكون ما لهم من العلم والقدرة والطاعة إلّا بإعطاء منه تعالى وحوله وقوته كما هم عَلَيْهِ السَّلَامُ معترفون به^(٣).

ب- تحليل الأفعال الكلاميّة المتضمّنة في الموضوع الثاني: «مَنْ أتاكم نجا، ومَنْ لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره

(١) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢ / ١٩٨٣م: ١٧٣ / ٢.

(٢) الكافي: ٤٣٤ / ١.

(٣) ينظر: الشُّمُوسُ الطالعة من مشارق الزيارة الجامعة: ٣٧٧.

تعملون، وإلى سبيله ترشدون، ويقول له تحمون»^(١).

- الفعل الكلامي: أتاكم، ويتشكل من:

١- فعل إسنادي: جملة فعلية مكونة من محمول فعل (أتاكم) وموضوعه الفاعل المستتر (أهل البيت عليه السلام).

٢- فعل إحالي: إحالة إلى أهل البيت عليه السلام عن طريق الإشارة إليهم بضمائر مضمرة (أنتم)، والضمير المتصل (كم).

٣- فعل دلالي: يتكون من القضية التي تتمثل في اتباع أهل البيت عليه السلام والإيمان بنهجهم، وتشتمل القضية على:

أ- الاقتضاء: اقتضاء الإتيان إلى أهل البيت؛ لأنهم سبب النجاة.

ب- استلزام منطقي: البحث عن طريق يسعون إليه للوصول إلى رضاهم عليه السلام.

٤- فعل إنجازي: ويتجسد في هذه الجملة الفعلية التي تتكون حمولتها الدلالية من:

أ- قوة إنجازية حرفية: وهي الفعل الماضي.

ب- قوة إنجازية مستلزمة: تتجسد في نصح العباد وإرشادهم إلى الطريق القويم؛ ليسلكوه، حفاظاً على عقيدتهم وعاقبتهم.

وما نخلص إليه هو أن الغرض الإنجازي المباشر في هذا المقطع من الزيارة هو مسألة التمسك بأهل البيت عليه السلام، واتباعهم.. أما فقرة الزيارة بمجملها وفي السياق المقامي الذي وردت فيه، فقد أنجز في مطاويه فعل لغوي غير مباشر يتمثل في الهداية وسلوك النهج القويم الذي يوصل إلى الكمال، وليس خطاباً يفيد الأمر إنما الدعوة

(١) مَنْ لا يحضره الفقيه ج: ٢ / ٦١٦، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٧.

البحث الثالث: الظواهرُ التداوليَّةُ في الزِّيَّارةِ الجامعةِ المرويَّةِ عن الإمامِ الهادي عليه السلام ٧٩

إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي تقديم الظرف: (إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون) إشارة إلى أنهم لم يدعوا ولن يدعوا إلا إلى الله يعني اسم الله الذي أمر عباده أن يدعوه به في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(١).

الموضوع الثالث: تحليل الأفعال الكلامية في سياق حبِّ أهل البيت عليه السلام وبغضهم:

أ- السياق العام: حقيقةُ الحبِّ الإلهي هي احتجاب المحبوب عن التفات الحبيب إلى نفسه، والبغض خلافه وهو تسبب المبعوض بما هو، أو ببعض صفاته للإعراض عنه، والتداوليَّة الكلاميَّة في: (مَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ، فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ تَعَالَى). والدليل على تلك التداوليَّة التي ثبتها الباحثان قول الرسول الأكرم ﷺ قال: «الحسن والحسين مَنْ أَحَبَّهُمَا أَحَبَّهُتَهُ، وَمَنْ أَحَبَّتَهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ جَنَاتِ النَّعِيمِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا أَوْ بَغَى عَلَيْهِمَا أَبْغَضْتَهُ، وَمَنْ أَبْغَضْتَهُ أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ أَدْخَلَهُ نَارَ جَهَنَّمَ، وَلَهُ عَذَابٌ مُقِيمٌ»^(٢).

ب- تحليل الأفعال الكلامية المتضمنة في الموضوع الرابع: «وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ»^(٣).

- الفعل الكلامي: أَحَبَّكُمْ، وَأَبْغَضَكُمْ، وَتَشَكَّلَ مِنْ:

١- فِعْلٌ إِسْنَادِيٌّ: جملة فعلية مكونة من محمول فعل (أَحَبَّكُمْ - أَبْغَضَكُمْ) وموضوعه الفاعل المستتر (أهل البيت عليه السلام).

٢- فِعْلٌ إِحَالِيٌّ: إحالة إلى أهل البيت عليه السلام عن طريق الإشارة إليهم بضمائر

(١) سورة الإسراء: ١١٠.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساکر: ١٢١/٧.

(٣) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٧، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٧.

٨٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

مضمرة (أنتم)، والضمير المتصل (كم).

٣- فعل دلالي: يتكون من القضية التي تتمثل في محبة أهل البيت عليه السلام، وعدم بغضهم.

٤- الاقتضاء: اقتضاء محبة أهل البيت من محبة الله تعالى، وبغض أهل البيت من بغض الله تعالى.

٥- استلزام منطقي: حب أهل البيت عليه السلام يقودنا إلى رضا الله تعالى، ورضا الله تعالى يقودنا إلى الجنة.

٦- فعل إنجازي: ويتجسد في هذه الجملة الفعلية التي تتكون حملتها الدلالية من:

أ- قوة انجازية حرفية: وهي الفعل الماضي (أحب - أبغض).

ب- قوة انجازية مستلزمة: تتمثل في ضرورة محبة أهل البيت عليه السلام؛ لأنها طريق النجاة والخلاص من غضب الرب سبحانه وتعالى.

وما نخلص إليه هو أن الغرض الإنجازي المباشر في هذا المقطع من الزيارة هو مسألة حب أهل البيت عليه السلام، وموالاتهم.. أمّا فقرة الزيارة بمجملها وفي السياق المقامي الذي وردت فيه، فقد أنجز في أثائه فعل لغوي غير مباشر يتمثل في المحبة والولاية والإخلاص لأهل البيت عليه السلام، إذ إنهم السبيل إلى رضا الله تعالى الذي يوصلنا إلى الكمال، وليس خطاباً يفيد الأمر إننا الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي هذه الفقرة يريد الإمام الهادي عليه السلام أن يرسخ مبدأ أن الأئمة عليه السلام هم أولياء الله تعالى منصوبون من قبله تعالى، وهم مصداق للآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)

ونستنتج ممَّا تقدَّم أنَّ ولايتهم عليه السلام هي ولاية للرسول صلَّى الله عليه وآله والله سبحانه وتعالى، نصل إلى أنَّ من شروط الولاية هو حبُّهم وإتباعهم؛ لأنَّ ذلك هو حبُّ الله تعالى والعمل بمبادئهم هو العمل بمبادئ الله تعالى؛ لذا فمَن خالف هذا الشرط يعني العمل بنقيضه وهو الكره ونصب العداوة لهم وهذا يؤدِّي إلى بغض الله تعالى، ولذلك كان الأصل في هذه العلاقة بين جملة الشرط وجملة الجواب أن تكونا مترابطتين، وأن تكون الأولى مقدمة طبيعية للثانية، والثانية ترتبط بالأولى أي ارتباط المسبب بالسبب، أو النتيجة بالمقدمة مثل: (مَن يذاكر ينجح) وواضح في كلِّ ذلك أن جملة جواب الشرط خاضعة للشرط خضوع العلة للمعلول^(١)، في حين يرى أحدُ الباحثين أنَّ الجملة الثانية ليست هي الجواب، وأثبت ذلك بتطبيقه للمنهج التوليديَّ على هذا النمط ففي المثال: (مَن أراد مالاً، فإنَّ المالَ عندي)، فمن الواضح أنَّ الجملة الثانية ليست هي الجواب، فليست إرادتك المال بمقتضية وجوده عندي؛ أي: إنَّ الثانية ليست نتيجة للأولى، وليست الأولى سبباً للثانية، وإنَّما الأصل (ليأتِ إليّ)، ثم دخلت عليها جملة الشرط (مَن أراد مالاً)^(٢)، ويستنتج الباحثان ممَّا تقدَّم أنَّ (مَن أحبَّكما فقدَّ أحبَّ الله) أنَّ الجملة الثانية ليست هي الجواب، فليست إرادتك المال بمقتضية وجوده عندي؛ أي: إنَّ الثانية ليست نتيجة للأولى، وليست الأولى سبباً للثانية، وإنَّما الأصل (نال رضا الله)، ثم دخلت عليه جملة الشرط (مَن أحبَّكما).

(١) تجديد النحو، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، د.ت: ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) دراسة تراكيب الشرط في اللغة العربية، محمد ماجد الدخيل، عدد ٢: ٥٩.

المبحث الثاني

نظرية الاستلزام الحواري

تُعَدُّ نظرية الاستلزام الحواري من ظواهر التواصل والاتصال في اللغات عموماً، إذ إن المتكلم في كثير الأوقات يقول كلاماً ويقصد كلاماً آخر، كملتقي الذي يسمع كلاماً ويفهم كلاماً آخر؛ ولذلك أطلق على هذا النوع من التواصل بـ(التواصل الضمني أو غير المعلن)^(١). والجدير بالذكر أن الدرس اللغوي الغربي الحديث لذي انطلق من العالم بول غرايس الذي لاحظ «أن المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عدداً معيناً من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل»^(٢). وهذا يعني أنه إذا وقع إشكال في تلك القواعد، فإن ذلك يؤدي إلى اختلال في التواصل، ولذلك شدد غرايس على أمر مهم في نظرية الاستلزام الحواري، وهو: أن التواصل اللغوي يعتمد على نوايا القائل وعلى فهم المخاطب لتلك النوايا^(٣). ونستطيع أن نستخرج شواهد الاستلزام الحواري في أدعية الإمام علي الهادي عليه السلام من الترييب الخبري والإنشائي؛ لذلك سنقف في هذا المبحث على قسمين: القسم الأول المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبري، والقسم الثاني: المعاني المستلزمة عن الأسلوب الإنشائي.

القسم الأول: المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبري

في هذا المقال يتعامل المتكلم مع المتلقي العالم بالخبر كما يتعامل معه على أساس أنه لا يعلم، وذلك بقصد تجهيله لغرض تداولي، ومن موارد ذلك:

١ - إنزال خالي ذهن منزلة السائل المتردد: وهنا يكون المخاطب خالي ذهن

(١) الأبعاد التداولية في سورة البقرة: ٥٩.

(٢) التداولية من أوستين إلى غوفمان: ٨٤، الأبعاد التداولية في سورة البقرة: ٥٩.

(٣) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وباك موشلار: ٥٣، وينظر: الأبعاد التداولية في سورة البقرة: ٦٠.

متردداً أو شاكاً في تلقي الخبر، وهنا يجب أن يراعي المتكلم حال المخاطب فيلقي إليه الخبر بمؤكد أو أكثر بحسب الحاجة^(١)، ومن أمثلة ذلك قول الإمام الهادي في الزيارة الجامعة: «أشهد أن هذا سابقٌ لكم فيما مضى، وجارٍ لكم فيما بقي، وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة»^(٢). فقوله عليه السلام: (أن هذا) إشارة إلى تأكيد حقيقة النبوة التي جعل الله تعالى منها حقيقة لكل شيء ونوراً فوق كل نور، وقد أودع الله سرهم مع الأنبياء، وظهر مع النبي محمد صلى الله عليه وآله، وقد حاكى في ذلك المتردد الحيران في ولاية أهل البيت عليهم السلام ثم أكد أن أرواحهم بأمثلة مختلفة، ولكن من نور واحد وهو نور الله تعالى، فاشتملت هذه الجملة على مؤكدين في قوله عليه السلام: «وأن أرواحكم»، وهما: (أن)، و(الجملة الاسمية)^(٤).

٢- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر: يُنزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار وفي هذه الحالة يؤكد الكلام كما يؤكد للمنكر، ومن ذلك قوله عليه السلام: «وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ. سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لِمَفْعُولٍ»^(٥). فإن المتكلم هنا من المؤمنين بالله تعالى، ومن الذين لا ينكرون الحكم الذي يتضمنه الدعاء، وكان مقتضى الظاهر أن يكون الكلام خالياً من التأكيد، ولكن سبب ظهور أمارات الإنكار على المتكلم؛ لكثرة ذنوب الناس، وقلة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، فجاء الخطاب مؤكداً بـ(إنك أنت الوهاب)؛ لأجل انزاله منزلة المنكرين^(٦).

(١) ينظر: الأبعاد التداولية في سورة البقرة: ٧٧.

(٢) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٨، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٨.

(٣) الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ في مشارق الزيارة الجامعة: ٣٨٩.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٢٥٩-٢٦٠، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١ / ١٣٨.

(٥) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٨، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٨.

(٦) ينظر: المكنون التداولي في النظرية اللسانية التداولية، ليلي كادة: ٥٤، الأبعاد التداولية في سورة البقرة: ٧٨.

٣- تنزيل المنكر منزلة غير المنكر: يكون ذلك إذا كان مع هذا المخاطب من الأدلة ما إن تأمله ارتدع ورجع عن الإنكار، وعليه لا يعتد بإنكاره ولا يلتفت إليه، ومن ذلك قوله عليه السلام: «وَمَنْ خَالَفَكُمْ، فَالنَّارُ مَثْوَاهُ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ، فَهُوَ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنَ الْجَحِيمِ»^(١). فالخطاب هنا موجّه للكافرين الذي يجحدون حقّ ولاية أهل البيت عليه السلام، وكان مقتضى الظاهر أن يلقي إليهم الخبر مؤكداً، لكن جاء خالياً من التوكيد، فنزل هؤلاء المنكرين للولاية منزلة غير المنكرين؛ ويعود السبب في ذلك أن من ينعم نظره في حال هؤلاء المنكرين سيجد الحجاج الدامغة والبراهين الساطعة على ولاية أهل البيت؛ لذلك لم يقيم الإمام الهادي وزناً لهذا الإنكار، ولم يعتد به في توجيه الخطاب إليهم بصورة توكيدية، وإنّما تعامل معهم من مبدأ الثواب والعقاب فقال: «سَعِدَ وَاللَّهِ مَنْ وَالَاكُمْ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ، وَأَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ، وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ، وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ. مَنْ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ»^(٢).

القسم الثاني: المعاني المستلزمة عن الاسلوب الإنشائي

يعرف الإنشاء بأنه يستدعي شيئاً، وأن يكون حاصلاً وقت الطلب، وهو ما يسمّى بالإنشاء الطلبي^(٣). ينحصر الإنشاء (الطلب) في خمسة أبواب: الاستفهام، والنداء، والنهي، الأمر، والتّمني، وقد تخرج هذه الأبواب عن معانيها الأصلية إلى معاني فرعية (مجازية) ومن أمثلة ذلك:

أ- باب النداء، إذ يخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معنى الاختصاص^(٤)، ومن

(١) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٨، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٨.

(٢) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٨، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٨.

(٣) مفتاح العلوم: ٤١٤.

(٤) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦١٨، تنقيح المقال: ٢ / ٢٥٨.

ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة»^(١). فاختص بالسلام لأهل بيت النبوة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا المعنى قد ذكر في القرآن الكريم، منه قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾^(٢).

ب- باب النهي: اسلوب النهي له شبه كبير باسلوب الأمر، فهو يجري مجراه، قال السكاكي: «مَحذُوبٌ بِهِ حَذْوُ الْأَمْرِ فِي أَنْ أَصْلَ اسْتِعْمَالِ صِيغَةِ (لَا تَفْعَلْ) أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعْلَاءِ بِالْشَرْطِ الْمَذْكُورِ، فَإِنْ صَادَفَ ذَلِكَ أَفَادَ الْوَجُوبَ، [و] إِلَّا أَفَادَ طَلَبَ التَّرْكِ فَحَسَبَ»^(٣). بمعنى أن النهي هو اسلوب من أساليب الطلب مقترن ب(لا) التي تدخل على المضارع فتجزمه، فدلالته تشابه الأمر من حيث جهة الاستعلاء الذي يؤدي إلى ترك الفعل. وقد يخرج النهي إلى معنى الدعاء على سبيل التضرع والابتلاء، ومن ذلك قول الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلُهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَتِهِمْ وَذَكَرِهِمْ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ»^(٤). فهنا وردت (لا الناهية مع الفعل) بمعنى التضرع إلى الله تعالى وطلب الدعاء بأن لا يجعل زيارتهم وذكرهم والصلاة عليهم هي آخر العهد معهم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) مفتاح العلوم: ٤١٤.

(٢) سورة هود/ ٧٣.

(٣) مفتاح العلوم: ٤٢٩.

(٤) مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه: ٢ / ٦٠٩.

خلاصة البحث

بعد رحلة علمية نقبنا فيها عن المظاهر التداولية في مدونة الإمام علي الهادي عليه السلام المتمثلة بالزيارة الجامعة ظهر لنا عدد من النتائج على النحو الآتي:

- إن مسألة تحديد تعريف للتداولية ليس بالأمر اليسير؛ نظراً لتنوع مرجعياتها الفكرية والثقافية، فتعددت التعريفات بحسب تخصصات أصحابها ومجالات اهتماماتهم.

- كانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع جون أوستن، وتطورت على يد جون سيرل، وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها جملة من المفاهيم والنظريات التي تشكل - مجتمعة - ما يعرف باللسانيات التداولية: (أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، الإشارات، .. وغيرها).

- تعدُّ نظرية الأفعال الكلامية الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي من أهم نظرياته. والفعل الكلامي هو إنجاز ذو طابع اجتماعي يتحقق في الواقع بمجرد التلفظ به بغرض تحقيق التواصل، ومن ثم التأثير في المتلقي عن طريق حمله على فعل ما، أو تركه، أو تقرير حكم من الأحكام.

- إنَّ الجمل لا تتعلّق بالصدق أو الكذب فقط، وإنَّما السياق والمناسبة والظروف الأخرى التي توصلنا إلى المراد، والتي يتم فيها الفعل الكلامي أيضاً. فكلُّ كلام يستلزم سلوكاً محكوماً بقواعد يسعى في ضوئه للكشف عن المعاني المقصودة عن طريق البحث بين اللغة والاتصال.

- إنَّ مكونات السياق المقامي للزيارة الجامعة على وفق مخطط اللغوي رومان جاكسون التبليغي هي: المبلغ: الإمام علي الهادي عليه السلام، والمبلغ له: أتباع الإمام الهادي من محبيه. والمرجع: مجموعة من الأماكن والأزمنة والشخصيات التي أحالت إليها الزيارة الجامعة، وقناة التبليغ: الزيارة الجامعة. والرسالة: موضوعات مختلفة تضمنتها

الزيارة الجامعة. والسنن: هي مجموعة القواعد النحوية والصرفية والتداولية التي صنفت على وفقها الأفعال الكلامية المتضمنة في الزيارة.

- تمثّل الفعلُ اللغويُّ المباشر في قول الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ» بيان مكانة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ وكونهم يمثلون الامتداد للرسالة، وتمثّل الفعل اللغوي غير المباشر بالعقوبة المترتبة على معاداة أهل البيت ومخالفتهم؛ إذ إنّها معاداةٌ لله بالدرجة الأولى، ومعاداةٌ لرسوله الكريم ﷺ بالدرجة الثانية.

- إنّ الغرضَ الإنجازيّ المباشرَ في قوله: «مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَأْتَكُمْ هَلَكَ، إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ، وَعَلَيْهِ تَدْلُونَ، وَبِهِ تَوْمَنُونَ، وَلَهُ تَسْلُمُونَ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تَرْشَدُونَ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ» هو مسألة التمسك بأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتباعهم.. أمّا فقرة الزيارة بمجملها وفي السياق المقامي الذي وردت فيه، فقد أنجزت في أثناءه فعلٌ لغويٌّ غير مباشر يتجلّى في الهداية وسلوك النهج القويم الذي يوصل إلى الكمال، وليس خطاباً يفيد الأمر إنما الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي تقديم الظرف: (إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون) إشارة إلى أنّهم لم يدعوا ولن يدعوا إلّا إلى الله يعني اسم الله الذي أمر عباده أن يدعوه به.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، الإسكندرية، ط ١ / ٢٠٠٢م.
٣. الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني سورة البقرة أنموذجاً، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية، عيسى تومي، بإشراف: د. دليلة مزوز، الجمهورية الجزائرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٥م.
٤. الأفعال الكلامية في سورة الكهف (دراسة تداولية)، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة: آمنة لعور، إشراف الدكتورة زهيرة قروي، جامعة منتوري، قسنطينية، ٢٠١١م.
٥. البعد التداولي عند الأصوليين - ابن قيم الجوزية في كتابه «بدائع الفوائد» أنموذجاً، يوسف سلمان عليان، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية العدد (٥٣) الجزء الثاني، رمضان ١٤٣٢هـ / أغسطس ٢٠١١م.
٦. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ودار الشامية بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
٧. تجديد النحو، شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
٨. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - ط ١، ٢٠٠٣م.
٩. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط ١، ٢٠٠٧م.

البحث الثالث: الظواهرُ التَّداوليَّةُ في الزَّيَّارةِ الجامعةِ المرويَّةِ عن الإمام الهادي عليه السلام ٨٩

١٠. تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط ٣، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤هـ.

١١. تنقيح المقال في علم الرجال، تأليف: الشيخ عبدالله المامقاني، تحقيق واستدراك: الشيخ محيي الدين المامقاني، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ.

١٢. دراسة تراكيب الشرط في اللغة العربية، محمد ماجد الدخيل، حسين يوسف قزق، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، كلية أربد الجامعية، المملكة الأردنية الهاشمية، عدد ٢٠١٥، ٢٠١٥م.

١٣. الشموس الطالعة في مشارق الزيارة الجامعة، السيد حسين الهمداني الدروودآبادي، تحقيق: الشيخ محمد رضا علوان، قم، أنصاريان ١٤٢٨هـ.

١٤. العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد)، الزواوي بغورة، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت/ مارس ٢٠٠٧م، العدد ٣، المجلد ٣٥.

١٥. الفلسفة واللغة، د. الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٦. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، سنة الطبع: ١٣٦٧ ش.

١٧. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم الشهير بابن منظور، المحقق: مجموعة من المحققين، سنة النشر: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨. مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٣هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتل العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.

٩٠..... وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي / ج ٣

١٩. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الانماء القومي، د. ت.

٢٠. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت (لبنان).

٢١. المكنون التداولي في النظرية اللسانية التداولية ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجاً، ليل كادة، اطروحة دكتوراه مخطوط، جامعة باتنة.

٢٢. مَنْ لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، أشرف على تصحيحه والتعليق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.



البحث الرابع
استراتيجيات الإقناع
في مناظرات الإمام علي الهادي عليه السلام

أ.م.د هادي شندوخ حميد

جامعة ذي قار

كلية الآداب



بسم الله الرحمن الرحيم

لم تكن فكرة الإقناع وليدة البحث والتنوير المعرفي المنطلق من الحوار والجدل. وإنما هي مكنن فطري يستوطن النفس الإنسانية بما فيها من ميول وما لديها من رغبات يستجذبها القول المؤثر أو الصورة المدهشة أو السلوك العملي.

من هنا فإن للإقناع مساحة ليست بالمحدودة أو المختزلة في إطار أو وقت أو مكان، بل تمتد امتداد تحرك الإنسان في دائرة الحياة. يتفاوت في إشغال تلك المساحة العقل البشري وما أوتي من سلطة في الحجة أو بسطة في العلم. وبلا شك أن الإمام علي الهادي عليه السلام بلا منازع حائز لقصب السبق في التأسيس المعرفي لحركة الإنسانية في مسيرتها اعتقاداً بمكانته وانتمائه إلى خط قد رُقَّ أهله العلم زقاً. فضلاً عن حيازتهم لملاحظ التأمل والإقناع والحوار المقنع في مسائل العقيدة والأخلاق والفكر والمجالات الأخرى.

من وحي الإمام العالم المعصوم. ومناظراته وردوده واجاباته وتوجيهاته. تقصد البحث ساعياً إلى إبراز استراتيجيات الإقناع في خطابه عليه السلام. لبواعث رئيسة تكمن في تنوع الإثارات الفكرية الجدلية في زمنه عليه السلام كمسألة خلق القرآن والجدل في قضايا القدر والقضاء ومسائل الجبر والاختيار والتفويض وغير ذلك، فضلاً عن نشوء جو عام من النشاط الفكري أسهمت فيه حركة ترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية تاركة أثراً كبيراً في ثقافة هذا العصر، وكانت ظاهرة الترجمة قد ابتدأت منذ أيام المأمون، وقد أسهمت في رفد الثقافة الإسلامية من جهة والانفتاح على الثقافات الأخرى التي قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضارة الإسلامية من اتجاهات فكرية وثقافية

من جهة أخرى.

كما كان لارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أثر كبير في التبادل والتعاطي الثقافي بين شرق البلاد الإسلامية وغربها وأنتج ذلك نشاطاً ثقافياً متميزاً وحركة فكرية، أعطت للعلماء والفقهاء دوراً كبيراً وموقِعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكام حتى عُدَّ القرن الرابع الهجري فيما بعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. هذه المسالك وغيرها دفعت إلى الشروع بعمل بحثي يترصد تلك الاستراتيجية من الإقناع ويستظهرها في نصوص الإمام عليه السلام. بمقدمة ومحاور ثلاثة:

الأول: معنون بأنماط الإقناع حيث دُرِس فيه نوعان من أنواع الإقناع:

الأول: هو الإقناع التوجيهي. والثاني: الإقناع التقويمي.

أمّا المحور الثاني فقد أُطر بعناصر الإقناع معتمداً على مكونات العملية التواصلية المتمثلة بالمرسل (الإمام عليه السلام) والرسالة (نصوص الإمام) والمرسل إليه (متلقي خطاب الإمام عليه السلام).

والثالث كشف فيه عن أدوات الإقناع وهي الأدوات اللغوية والبلاغية والتمثيلية. تلي ذلك خاتمة البحث وهوامشه ثمّ مصادره.

المبحث الأول

الإقناع بين المفهوم والانماط

جاء في كتب اللغة: قَنَعَ بمعنى مَالَ، فيقال: قَنَعْتُ الإِبِلَ والغنمُ قَنَعاً، أي: مالتُ لمأواها وأقبلت نحو أصحابها، وفلان قنوع، أي: راضٍ بالقسم واليسير فهو قانع، واقتنع وقنع بالفكرة أو الرأي: أي قبله واطمأن إليه ورضي به، وتأخذ كلمة القانع معنى الراضي^(١).

أما التعريف الاصطلاحي: فهو «الجهد المنظم المدروس الذي يستخدم وسائل مختلفة للتأثير على آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين، وذلك من خلال المعرفة النفسية والاجتماعية للآخرين»^(٢). كما يعرف على أنه: «عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما». ويُعرّف أيضاً بـ «استخدام الإنسان للألفاظ والكلمات والإرشادات وكل ما يحمل معنى عاماً لبناء الاتجاهات والتصرفات أو تغييرها»^(٣)، ومن ثمَّ فإن الإقناع يمثل الاتصال التداولي بين البشر، وهذا الاتصال ركيزة أساسية للفهم والإفهام من خلال تبادلية الحوار المفضي إلى تبرير تلك الحوارات بشكل يقوم على التأثير في المفصل (موضوع الحوار)، كون الإقناع مطلباً أساسياً يعتمد عليه المتحاورون للوصول إلى تجسير علاقة تقبل بين الطرفين. وبلا شك أن امتطاء هذا الأسلوب يتفاوت فيه البشر باختلاف الثقافة والإدراك والقدرة، فمتى ما توافرت موارد الإبداع والفهم الواعي لمسالك الحوار ومناطق فكر متقبل الخطاب كان التأثير أكثر وصولاً وتحريكاً لنفس المتلقي وعقله وصولاً إلى مطلب الإقناع، ولعل المركزية

(١) الصحاح في اللغة: ٩٧/٢.

(٢) الإقناع والتواصل: ٧٦.

(٣) م.ن: ٧٦.

التي يمثلها الإمام علي الهادي عليه السلام في عصره - بما في ذلك العصر من حراك فكري وتيار دخيل من الترجمات وإثارة كثير من موارد الشبهة - دفعت الإمام عليه السلام إلى بلورة تلك الإثارات وتوجيهها بالطرق المعتمدة على استراتيجيات الإقناع بما يدعن المخاطب لقبولها في قرارة نفسه وإن كان جاحداً لها ظاهراً بفعل هيمنة السلطة آنذاك.

يقول الدكتور صائب عبد الحميد: «...كان لترجمة الكتب اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية أثر كبير في ثقافة هذا العصر، وكانت ظاهرة الترجمة قد ابتدأت منذ أيام المأمون، وقد أسهمت في رفد الثقافة الإسلامية من جهة والانفتاح على الثقافات الأخرى التي قد تتقاطع مع ما أفرزته الحضارة الإسلامية من اتجاهات فكرية وثقافية من جهة أخرى كما كان لارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أثر كبير في التبادل والتعاطي الثقافي بين شرق البلاد الإسلامية وغربها، وأنتج ذلك نشاطاً ثقافياً متميزاً وحركة فكرية، أعطت للعلماء والفقهاء دوراً كبيراً وموقعاً مرموقاً عند الخلفاء والحكام حتى عُدَّ القرن الرابع الهجري فيما بعد العصر الذهبي للحضارة الإسلامية»^(١).

من هنا امتحنت الأمة الإسلامية بما أثير من مسائل تتعلق بالعقيدة سواء أكان منها ما يتعلق بالخالق أم القرآن أم قضايا القدر والقضاء والبداء والخبر والتفويض والاختيار، والسُرُّ في انفجار تلك المسائل هو بروز حركة جدلية فكرية وافدة وأخرى مشككة تقصد الإثارة لتشويه عقائد الناس واستمالتهم بعقائد فاسدة تمنح السلطة تشريعاً بالبقاء والهيمنة، وتصادر مكانة الإمام الهادي عليه السلام من قلوب الناس، على الرغم من إثارات قليلة كانت ناشدة للحقيقة صادقة في نواياها. من ذلك ما روي عن محمد بن موسى الرضا عليه السلام قال: «قال موسى بن محمد بن الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي علي بن محمد عليه السلام فدار بيني

وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته، فقلت له: جعلت فداك، إن ابن أكرم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها. فضحك عليه السلام ثم قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا، لم أعرفها. قال عليه السلام: وما هي؟ قلت: كتب يسألني عن قول الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾. نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟ وعن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾. سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ وعن قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾. من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي صلى الله عليه وآله فقد شك، وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب؟ وعن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾. ما هذه الأبحر، وأين هي؟ وعن قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾. فاشتهدت نفس آدم عليه السلام أكل البر فأكل وأطعم، وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب؟ وعن قوله: ﴿أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾. يزوج الله عباده الذكران، وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله: وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ؟ وعن الحنثي وقول علي عليه السلام: يورث من المال. فمن ينظر إذا بال إليه؟ مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليه الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء، وهذا ما لا يحل، وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل. وعن رجل أتى إلى قطيع غنم، فرأى الراعي ينزو على شاة منها، فلما أبصر بصاحبها خلى سبيلها، فدخلت بين الغنم، كيف تُذبح، وهل يجوز أكلها أم لا؟ وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار، وإنما يجهر في صلاة الليل؟ وعن قول علي عليه السلام لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية بالنار. فلم يقتله وهو إمام؟ وأخبرني عن علي عليه السلام قتل أهل صفين، وأمر بذلك مقبلين ومديرين، وأجاز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً، ولم يجز على جريح، ولم يأمر بذلك، وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صواباً، فالثاني خطأ. وأخبرني

عن رجل أقرّ باللواط على نفسه أيّحد، أم يُدراً عنه الحدّ؟

جواب الإمام الهادي عليه السلام: قال عليه السلام: اكتب إليه. قُلت: وما أكتب؟ قال عليه السلام: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت - فألهمك الله الرشد - أتاني كتابك، فامتحننا به من تعتكت؛ لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيّتك، وقد شرحنا مسائلك، فأصغ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمك الحجّة والسلام. سألت عن قول الله جلّ وعزّ: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ. فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرف أمّته من الجنّ والإنس أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك؛ لئلاّ يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام؛ لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتؤكد الحجّة على الخلق.

وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده، فكان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنّما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تر يقول في شكره ذلك الوقت: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ... إلى آخر الآية.

وأما قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾. فإنّ المخاطب به رسول الله ﷺ ولم يكن في شكٍّ ممّا أنزل إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة، إذ لم يفرّق بين نبيّه وبيننا في الاستغناء عن المأكّل والمشارب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيّه: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾. بمحض الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل الطّعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة، وإنّما قال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ﴾. ولم يكن شكّ، ولكن للنصفه،

كما قال: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. ولو قال: عليكم، لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدّي عنه رسالاته، وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق في ما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه. وأمّا قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾. فهو كذلك، لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً، لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله، وهي عين الكبريت، وعين التمر، وعين برهوت، وعين طبرية، وحمة ماسبذان، وحمة إفريقية يُدعى لسان، وعين بحرون، ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تُدرك فضائلنا. وأمّا الجنة، فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم عليه السلام، والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل الله على خلّاقه بعين الحسد، فَنسي ونظر بعين الحسد، ولم يجد له عزماً.

وأمّا قوله: ﴿أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمَا وَإِنَّا نَكُفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾. أي يولد له ذكورا، ويولد له إناثا، يُقال لكلّ اثنين مقرنين زوجان، كلّ واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرّخص لارتكاب المآثم: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾. إن لم يتب.

وأمّا شهادة المرأة وحدها التي جازت، فهي القابلة، جازت شهادتها مع الرّضا، فإن لم يكن رضى فلا أقلّ من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرّجل للضرورة؛ لأنّ الرّجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

وأمّا قول علي عليه السلام في الحُثَيّ فهي كما قال: ينظر قوم عدول يأخذ كلّ واحد منهم امرأة، وتقوم الحُثَيّ خلفهم عريانة، وينظرون في المرايا، فيرون الشّبح فيحكمون عليه. وأمّا الرّجل النّاظر إلى الرّاعي وقد نزا على شاة، فإن عرفها ذبحها وأحرقها،

١٠٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلام المُجتمعي) / ج ٣

وإن لم يعرفها قسّم الغنم نصفين، وسأهم بينهما، فإذا وقع على أحد النّصفين فقد نجا النّصف الآخر، ثم يفرّق النّصف الآخر، فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان، فيُقرع بينهما، فأيتها وقع السّهم بها دُبّحت وأُحرقت، ونجا سائر الغنم.

وأما صلاة الفجر، فالجهر فيها بالقراءة؛ لأنّ النّبي ﷺ كان يغلس بها فقراءها من الليل.

وأما قول عليّ عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنّار، فهو لقول رسول الله ﷺ، وكان ممّن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة؛ لأنّه علم أنّه يُقتل في فتنة النهروان.

وأما قولك: إنّ عليّاً عليه السلام قتل أهل صفّين مُقبلين ومُدبرين، وأجاز على جريحهم، وإنّه يوم الجمل لم يتبع مولياً، ولم يجز على جريح، ومّن ألقى سلاحه آمنه، ومن دخل داره آمنه، فإنّ أهل الجمل قُتل إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنّما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالّفين ولا منابذين، رضوا بالكفّ عنهم، فكان الحُكم فيهم رفع السّيف عنهم، والكفّ عن أذاهم، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفّين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدّة، وإمام يجمع لهم السّلاح والدّروع والرّماح والسّيوف، ويسني لهم العطاء، يهبيّ لهم الأنزال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم، ويردّهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فلم يساو بين الفريقين في الحُكم، لما عُرف من الحُكم في قتال أهل التّوحيد، لكنّه شرح ذلك لهم، فمن رغب عُرض على السّيف، أو يتوب من ذلك.

وأما الرّجل الذي اعترف باللواط، فإنّه لم تقم عليه بيّنة، وإنّما تطوّع بالإقرار من نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يُعاقب عن الله، كان له أن يمنّ عن الله، أما سمعت قول الله: هَذَا عَطَاؤُنَا. الآية.

قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه، فاعلم ذلك، والحمد لله رب العالمين»^(١).

فأول ما يلحظ في الرسالة النصية أنها متعددة المحاور، بعض منها واقع في سياق الاستفهام عن التعبير القرآني. وآخر ذات أسئلة فقهية وتاريخية، علماً أنها كانت محرّضة بإثاراتها لتشويه اعتقادات الناس دون الوصول إلى الحقيقة، لذلك نجد أن الإمام عليه السلام تقصد الكشف عن لباس ذلك الزيف في تلك الإثارات، بالتّهمك من صاحب السؤال قاصداً إياه بقوله: «وأنت - فأهملك الله الرّشد - أتاني كتابك، فامتحتنا به من تعنتك؛ لتجد إلى الطّعن سبيلاً إن قصّرنا فيها، والله يكافيك على نيّتك، وقد شرّحنا مسائلك، فأصغ إليها سمعك، وذللّ لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمته الحجّة والسّلام». فانت ضمير المخاطب له دلالة على التخصيص هنا، ثم التركيز على بيان قصدية السؤال بقوله عليه السلام: «فامتحتنا به من تعنتك» والعنت هو من أجل الطعن في الإجابة وتقليل مكانة الإمام عليه السلام بين محبيه.

من هنا يضع الإمام عليه السلام آداباً للسؤال بعيداً عن الدغل والمخاتلة في التصيّد والمغالطة، مستمداً عليه السلام تلك الآداب من جده أمير المؤمنين عليه السلام حينما سأله سائل عن مُعْضَلَةٍ مَسْأَلَةٍ فقال عليه السلام: «سَلْ تَفْقُهَا وَلَا تَسْأَلْ تَعْتَبُ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ الْمُتَعَنِّتَ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ»^(٢)، حتى أصبحت هذه التوجيهات فيما بعد آداباً للمناظرة، يقول ابن خلدون: «معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج. ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الردّ والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب،

(١) بحار الأنوار: ١٠/٣٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠/١١١.

١٠٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال. ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب، في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء أكان ذلك الرأي من الفقه أو غيره^(١)، لذلك ترى الإمام الهادي عليه السلام بادرَ السائل بالتوجيه: «وانت فاعلم هداك الله للرشد» مريداً عليه السلام إيصال رسالة إلى المخاطب في حركة الزمن لإيضاح الحقيقة بمذهب أهل البيت عليه السلام وإجابتهم لأدق المسائل العويصة وإن كانت الدفائن قاصدةً غير المسلك الصحيح. فالمراد هو التوجيه «وكان المرسل في هذا العمل لا يقيم وزناً كبيراً للمرسل إليه كما لا يهيمه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت والنظر بعين الناقد البصير إذ يكتفى بمجرد إيصال حججه إليه»^(٢).

تلك الحجج لا تخلو من قصدية إقناعية مسندة بقواعد خطابية تقوم على العقل والنقل في إيصال فحوى الرسالة المعترض عليها دون أن تفقد قدرتها في التأثير على المتلقي الذي يسمعها أو يقرأها كجواب الإمام عليه السلام: «وقد سألت عن قول الله عز وجل ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾»^(٣). نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟.

قال الإمام عليه السلام: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ. فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك؛ لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام؛ لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتؤكد الحجة على

(١) المقدمة: ٢٦٣/١.

(٢) استراتيجيات الخطاب: ٢٤٧.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

الخلق»^(١)، فالاستدلال هنا يرفد قصدية الإقناع المتوخاة من الخطاب حينما ينقل إلى السامع من خلال التفصيل والتثبيت والبيان الذي شرحه عليه السلام مثلاً ومستشرفاً لما قد يحدث من إنكار بعد وفاة سليمان عليه السلام ببيان أن آصف هو الحجة على الناس بعد سليمان كما منح عليه السلام هذه الوصاية في عهد داود عليه السلام وتلك دلالة اعتقادية تبرز مكانة الإمام الذي يتبعه إمام أو وصي عند من يحدد أو ينكر ذلك التمثل الإلهي في حياة البشر بما في ذلك الخطاب من تأثيرات عقائدية أو اجتماعية في حياة الأمة. فضلاً عن ذلك فإن هذا الأسلوب له مقدرة بالغة على تشكيل الرؤية وتنظيم الوعي فضلاً عن تأثيراته الثقافية والاجتماعية، كذلك بوصفه يستند إلى عدد من المناشط الفكرية والمنهجية المترابطة منها التركيب والمقابلة والرد والنقض والمعارضة والتوفيق والتقريب وغيرها.

وتارة يأخذ الإقناع منحى آخر عند الإمام عليه السلام يمكن أن يسمى بالإقناع التوجيهي وهو: «إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علماً بأن التوجيه هنا هو فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره»^(٢).

من ذلك رسالته عليه السلام في الجبر والتفويض إلى أهل الأهواز: «من علي بن محمد: سلام عليكم، وعلي من اتبع الهدى، ورحمة الله وبركاته. فإنه ورد علي كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، مقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك، وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه، وبيانه لكم، وفهمت ذلك كله، اعلموا - رحمكم الله - أنا نظرنا في الآثار، وكثرة ما جاءت به الأخبار، فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عز وجل - لا تخلو من معنيين: إما حق فيتع، وإما باطل فيجتنب، وقد اجتمعت الأمة قاطبة، لا اختلاف بينهم، على أن القرآن حق لا ريب فيه عند

(١) بحار الأنوار: ٧/٣٥.

(٢) مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم: ١٤٨.

جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيئون، مهتدون، وذلك بقول رسول الله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة». فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها (الأمة) بعضاً. والقرآن حق، لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة (الإسلام). فأول خبر - يُعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه، والتماس شهادته - خبر ورد عن رسول الله ﷺ ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لا تخالفه أقاويلهم، حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ وروى العامة في ذلك أخباراً لأمر المؤمنين عليه السلام أنه تصدّق بخاتمه وهو راعٍ، فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه. فوجدنا رسول الله ﷺ قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» وبقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، ووجدناه يقول: «علي يقضي ديني، ويُنجز موعدني، وهو خليفتي عليكم من بعدي»^(١)، إذ يستحضر الإمام هنا عليه السلام في خطابه الاقناعي ملاحظ رئيسة تقوم على تخطي الإشكال الفكري وتتجاوزها إلى حدود التقبل واليقين مستنداً عليه السلام على الأثر التاريخي (الخبر) ومدى تقبله عند الجمهور، وأول تلك الآثار هو القرآن والثاني هو رواية الرسول ﷺ مخبراً بمرجعية لا تخالف الحق اعتباراً برواية النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»^(٢).

(١) بحار الأنوار: ٣٥ / ١٨٤.

(٢) شرح اصول الكافي: ١ / ٢٧٤.

فالاختيار نوعٌ من التقديم الوثائقي هو فعل إقناعي غايته تقديم العناصر المؤثرة في الحوار بين المرسل والمتلقي يقول بيرلمان: «إنَّ اختيار عناصر معينة نحتفظ بها ونقدمها في خطاب ما يجعلها تحتل موقع الصدارة في وعينا وبذلك فهو يعطيها حضوراً يمنع من إهمالها»^(١).

والنمط الآخر من الإقناع البارز عند الإمام عليه السلام في مناظراته وردوده يمكن أن يسمى بالإقناع التقويمي، والتقويمي يراد به: «إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه»^(٢). هذا الإثبات يقوم على حسن توظيف الحجج ومدى قدرتها على الإقناع وهو منوط بالخلفية المعرفية للمرسل وعلمه بالمقام الحالي أي الظروف الموضوعية للخطاب، والإمام بلا شك هو قطب الرحى في عملية الحوار فكان عليه السلام «خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى في عصره» كما يقول أحد العلماء المعاصرين له؛ ولذلك تسلم علماء عصره وفقهاؤه على الرجوع إلى رأيه في المسائل المعقدة والغامضة من أحكام الشريعة الإسلامية مما جعل من مدرسته الفكرية في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله في المدينة محجةً للعلماء وقبلة يتوجه إليها طلاب العلم والمعرفة آنذاك وقد نقلت عن لسانه الشريف الكثير من الآراء الفقهية والعقائدية والكلامية والفلسفية من خلال أسئلة أصحابه والمناظرات التي كان يجيب فيها على تساؤلات المشككين والملحددين بالحجة والمنطق وبذلك احتل مكانة محترمة في قلوب الناس، مما أزعج السلطة العباسية أن يكون للإمام هذا الدور وهذه الموقعية والتأثير فأحاطوه بالرقابة وعناصر التجسس لمعرفة أخباره ومتابعة تحركاته»^(٣)، بالرغم من ذلك نرى الإمام عليه السلام يستعمل آليات الإقناع في خطابه مؤسساً لها في معرض خطابه الحجاجي مقتضيات التقويم والفهم

(١) اليات الحجاج: ٨٤.

(٢) الحجاج في القرآن: ٢٨٨.

(٣) أعلام الهداية: ٥٣/٧.

والتوجيه لمبادئ التشكيل والاستنتاج الفكري.

يقول عليه السلام: «الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه، فقد وهن الله في سلطانه، فهو هالك، ورجل يزعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلّفهم ما لا يطيقون، فقد ظلم الله في حكمه، فهو هالك، ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ، فأخبر عليه السلام إن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق. فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأن الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما»^(١).

فالتسلسل الإقناعي قام على التدرّج في الإيضاح من حيث اعتماد البيان في الخطاب (المفردات والجمل) دون أن تكون الغاية هي الإعلام بل التقويم والإخبار للذات يعتمدان بشكل أساسي على القيمة الحجاجية في الذكر والتأكيد لموضوع الحوار والرد باعتبار أن الإقناع: «عملية خطبية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتماد قول يعتبره كلّ منهما أو يعتبره الخطيب شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك»^(٢)، من ذلك قوله عليه السلام رداً على سؤال يحيى بن أكثم عن قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ أجاب عليه السلام: وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة الله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تر يقول في شكره ذلك الوقت: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ... إلى آخر الآية^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٧٠/٥ - ٧١.

(٢) منهاج البلغاء: ١١١.

(٣) الاحتجاج: ١٢١.

المبحث الثاني

عناصر الإقناع

يبنى فعل التواصل في الكلام على أركان رئيسة في عملية الحوار تتمثل في المرسل النص المرسل إليه.. وإن اختلفت الوثيقة التداولية التي اعتمدت في الشرح والتحليل بين الدارسين المعاصرين تسميةً وأركاناً، فياكوبسون يجعل لكل من أركان هذه العملية دوراً رئيساً في التواصل مؤكداً على أن الرسالة تارة تكون ذات وظيفة إفهامية أو تعليمية أو مرجعية أو غير ذلك^(١). وكلها في النهاية لفهم النص وقصديته، أمّا العلاقة بين الإقناع وتلك الرسالة فبلا شك أنها واضحة فمن الأهداف التي يرمي إليها المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي: إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي، وقد تجلّى ذلك كثيراً في أساليب الإمام عليه السلام، وإشاراته أو مناظراته بالشكل الذي تتضح وتتراوح وظائف الخطاب المرسل عنده من اقناعية إلى تأويلية إلى تربوية أو كشفية أو غير ذلك. من ذلك بيان القيمة الخطابية عنده فيما ذكره ابن شهر آشوب، قال المتوكل لابن السكيت: أريد منك أن تسأل الإمام الهادي عليه السلام مسائل عوصاء بحضرتي؛ فسأل قائلاً: «لم بعث الله موسى عليه السلام بالعصا؟ وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالقرآن والسيف؟ فأجابه الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام بقوله: إن الله تعالى بعث موسى بالعصا واليد البيضاء التي تظهر من غير سوء في زمن الغالب على أهل السحر، فكان دور السحرة وشعوذتهم قد أخذ مساحة واسعة من عقول الناس وتفكيرهم، وأدّى إلى انحرافهم عن طريق الله - طريق الحق والهدى - فأتاهم موسى بما يدحض إدعاءاتهم وكانت عصاه (التي تلقف ما يافكون) وأثبت بالحجة ما يدحض ادعاءاتهم وأكاذيبهم.

وأمّا مهمة عيسى بن مريم عليه السلام فتختلف عن مهمة موسى عليه السلام؛ لأن زمان

١٠٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

عيسى كان الغالب على أهله تقدّم الطب؛ فجاء النبي بمهّمات إعجازيّة قهرت أولئك وأثبتت عجزهم عمّا أتى به عيسى، إذ أنهم كانوا يشفون الناس من العلل والأمراض ولكنهم عجزوا عن مداواة الأكمه والأبرص، فتحدّاهم عيسى عليه السلام وكان يمسّ الأبرص والأكمه بيده فيبرأ بإذن الله^(١). وكذلك جاء بمهمة عجز عنها الجميع وهي: إحياء الموتى بإذن الله فكان عيسى عليه السلام يحييهم بأمر الله حين دُعائه لهم فيشفون، مما جعله المنتصر والمتغلب عليهم في مجال التحدي والمناظرة.

وأما بعثة نبي الرحمة محمد ﷺ فكان السائد في قومه الشعر والفصاحة والسياف للإعتزاز بالنفس والقبيلة والافتخار بمكارمها وعاداتها.

فجاء الرسول ﷺ بالمعجزة الكبرى، وفنّد ادّعاءاتهم وحججهم الواهية بآيات الرسالة المحكّمة، وبلاغة الرسول ودوره العظيم بالإبلاغ والتوجيه. وسلكت - أي قرّش - مختلف الوسائل والسبل لإيقاف عجلة الرسالة ولكنهم لم يفْلِحُوا حينما تحدّاهم القرآن بأن يأتيوا ببعض سُورِهِ أو بسورة واحدة، وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً. مما جعلهم يتخبّطون في وسائل البطش والأذى ولكن دون جدوى قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾؛ فاستراتيجية الإقناع هنا تمثلت عند الإمام عليه السلام بتحقيق أهداف البعثة في مجال توضيح الخطاب المقاصدي القائم على شراكة الذات والموضوع، كموسى عليه السلام والسحر، وعيسى عليه السلام وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ومحمد ﷺ وسيادة الشعر والفصاحة، فهي إجابات تبرر بواعث ظهور المعجزات وتفاوتها بين نبي وآخر انطلاقاً من السائد والمألوف في العصور الزمنية المتعاقبة وفقاً لمبدأ المناسبة أو علاقة الاستلزام بين الذات والموضوع.

أمّا القيمة النصيّة للرسالة فتتمثل بكونها منطقة البيان التي يتجاذبها التواصل ومن ثم الإقناع بين المرسل واللبّاث، ينقل عن الإمام عليه السلام أنه له موقفٌ في مسألة

(١) مناقب ال أبي طالب: ٣ / ٢٣١.

خلّق القرآن. يقول أحد الباحثين: «لقد عمّت الأمة فتنة كبرى زمن المأمون والمعتصم والواثق بامتحان الناس بخلّق القرآن، وكانت هذه المسألة مسألة يتوقف عليها مصير الأمة الإسلامية، وقد بين الإمام الهادي عليه السلام الرأي السديد في هذه المناورة السياسية التي ابتدعتها السلطة، فقد روي عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطين أنه قال: كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فأعظم بها نعمة وإلاّ يفعل فهي الهلكة. نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلاّ الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالّين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^(١)، فالمقتضى الأساس الذي يقوم عليه النص هنا كرسالة تبث إلى المخاطب تعتمد إزالة الإبهام في مورد الفتنة أي مسألة خلّق القرآن، فالطرفان السائل والمجيب قد اشتركا فيها فالسائل لم يعرف المراد والمجيب تكلف في الإجابة.

ثم إنَّ القطع في مجال ذلك الحجاج الخطابي في تلك المسألة يقوم على حقيقة يقينية هي أن الخالق ليس إلاّ الله وما سواه مخلوق، فالمرسل إليه هنا الركيزة التي اشتغل عليها الإمام عليه السلام في عملية الإقناع فالاعتماد على ممارسات التأثير في المتلقي وإقناعه واخضاعه لسلطة الخطاب هو بشكل ما بلاغة أي: أنه يملك وظيفة تأثيرية ذلك أن البلاغة: «تمثل منهجاً للفهم النصي مرجعه التأثير وعندما نفكر وفق المفاهيم البلاغية فإننا ننظر مبدئياً إلى النص من زاوية المستمع القاريء ونجعله تابعاً لمقصدية التأثير»^(٢). مثال ذلك ما تجلّى في رسالة الإمام عليه السلام إلى الصوفية: جاء عن حمزة أنه نقل عن محمد بن الحسن بن أبي الخطاب أنه قال: «كنت مع الإمام

(١) أعلام الهداية: ٥٤ / ٧.

(٢) البلاغة والأسلوبية: ١٨٥.

١١٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

الهادي عليه السلام في مسجد المدينة إذ جاءت جماعة وفيهم أبو هاشم الجعفري وكان متكلماً بارعاً وصاحب مكانة رفيعة عند الإمام، ثم دخلت من بعدهم ثلثة من الصوفية، فاعتزلوا جانباً، وشكلوا حلقة وبدأوا بالتهليل، فقال الإمام الهادي عليه السلام: «لا تغترّوا بهؤلاء فهم أولياء الشيطان، وماحقوا دعائم الدين، احترفوا الزهد للراحة، وتهجدوا لإيقاع الناس في الأغلال، ولم يتهلل هؤلاء سوى لخداع الناس ولم يقتصدوا في المأكّل سوى لإغوائهم وبثّ الفرقة بينهم، فأورادهم الرقص، وأذكّارهم الترنّم، لم يتبعهم إلّا السفهاء، ولم يلحق بهم سوى الحمقى، ومن زار أحدهم حياً أو ميتاً لم يزر في الحقيقة إلّا الشيطان، ومن أعانهم فما أعان إلّا يزيد ومعاوية وأبا سفيان»^(١)، إذ أراد الإمام عليه السلام كشف حقيقة المخاطب في النص، وهم الصوفية، بما تمثّلوا من أساليب وابتدعوا فلسفة مخالفة لتعاليم الدين وشرعيته.

المبحث الثالث

أدوات الإقناع

المقصود بأدوات الإقناع هي أدوات اللغة بوصف الوظيفة اللغوية بها فيها من قصدية تعبيرية عند المنشئ ركيزة أساسية في كشف دلالات الخطاب لاسيما إن كان التكثيف الدلالي واضحاً في مقامات الكلام وسياقاته التعبيرية..

١. الأدوات اللغوية: قديماً ذهب ابن جني إلى «أن اللغة هي مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١).

هذا التعبير مركّز على أدوات بها يتحقق الإنسجام والترابط بين مكونات الكلام، دون الوقوف عند ذلك الحدّ بل تتشكل بعض الدلالات من الخطاب غايتها إظهار القصد في التعبير عند المنشئ، ولعل أدوات التعليل وألفاظه واحدة من ملاحظ المسلك الإقناعي في العملية التواصلية، يقول أحد المعاصرين: «وتعدّ ألفاظ التعليل من الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه؛ إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات إلا تبريراً أو تعليلاً لفعله بناءً على سؤال ملفوظ به أو مفترض»^(٢)، من ذلك قوله عليه السلام في إجابته عن أسئلة يحيى بن أكثم: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ﴿نَبِيُّ اللَّهِ كَانَ محتاجاً إلى علم آصف؟ قال عليه السلام: ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرف أمته من الجنّ والإنس أنّه الحجة من بعده»^(٣) فقولته عليه السلام: «ولكنه» بهذه الأداة التعليلية هو تبرير لفعل سليمان في مراده من إيصاله الحجة إلى السامع بأن آصف هو وصيه، وذلك

(١) الخصائص: ٣٢.

(٢) استراتيجيات الخطاب: ٥٤.

(٣) تفسير الآلوسي: ٢٠٤/١٩.

تجسيد لآلية الإقناع وتركيزه في ذهن المخاطب.

ومثال ذلك التعليل المستعمل لغاية الإقناع قوله عليه السلام في إجابته عن سؤال ابن أكتهم عن شهادة المرأة: «وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْىَ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ قال الإمام عليه السلام: وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت، فهي القابلة، جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضى فلا أقلّ من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة؛ لأنّ الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها»^(١)؛ فالشرط بأنّ والتعليل باللام أحد التقنيات الإقناعية التي يستعملها المتكلّم لتمكين الرسالة وإيصالها إلى السامع بما يعزز الإقناع ويدعمه بتلك الأدوات التداولية في النص الخطابي، ولعل الدراسات الحديثة تذهب إلى قوة تلك الأدوات في التأثير الإقناعي الخطابي، وهو ما يسمى عند بيرلمان وزميله (بالحجة التداولية)^(٢).

أمّا الأفعال اللغوية فهي تسهم بدورها في الخطاب الإقناعي إذ يضطلع كلّ منها بدور محدد في الحجاج بين أطراف الخطاب فبعض الأفعال ما يلمس فيها التوجيه وعادة ما تكون مؤثرة إنّ ابتعدت عن لغة الأوامر والنواهي: «إذ لا يتطلب السياق استعمال بعض الأنواع منها الأوامر وأفعال التحريم»^(٣).

من ذلك قوله عليه السلام: «إن الله تعالى بعث موسى بالعصا واليد البيضاء التي تظهر من غير سوء في زمنٍ الغالب على أهل السحر،... وأما مهمة عيسى بن مريم عليه السلام فتختلف عن مهمة موسى عليه السلام؛ لأن زمان عيسى كان الغالب على أهله تقدّم الطب. فجاء النبي بمهمّات إعجازيّة قهرت أولئك وأثبتت عجزهم عمّا أتى به عيسى... وأما بعثة نبي الرحمة محمد ﷺ فكان السائد في قومه الشعر والفصاحة والسيف

(١) تفسير الألوسي: ٥٩.

(٢) آليات الحجاج: ٢٨.

(٣) م.ن: ٦٧.

للاعتزاز بالنفس والقبيلة والافتخار بمكارمها وعاداتها. فجاء الرسول ﷺ بالمعجزة الكبرى، وفنّد ادّعاءاتهم وحججهم الواهية بآيات الرسالة المحكّمة، وبلاغة الرسول ودوره العظيم بالإبلاغ والتوجيه..»^(١).

فقوله عليه السلام: (بعث) وتكرار الفعل (جاء) استدلالٌ حجاجي يقوم على إقناع المخاطب في وحدة المقصد من الرسالة وهي البعث بفارق التفاوت المنطلق من الظروف والمقامات المختلفة بين الأنبياء نتيجة التجسد لمظهر دون آخر بينهم، وتارةً يكون الفعل التزامياً أي يستعمل: «للتعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج من عدمه»^(٢) - مثال ذلك قوله عليه السلام: مجيباً يحيى بن أكثم: «وانت ألهمك الله الرشد أتاني كتابك فامتحتنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيّتك، وقد شرحنا مسائلك، فأصغ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، وأشغل بها قلبك، فقد لزمك الحجة والسلام»^(٣).

فمعرفة الإمام عليه السلام بمقاصد السؤال الدفينة لم تمنعه من الإجابة وإبداء التواصل مع الآخر في بيان الكشف عن مسالك المسؤول عنه بآلية تفصح عن حقيقة المعرفة الخطائية ذات الأدلة الإقناعية، فقوله عليه السلام «فألهمك الله الرشد» جملة دعائية تعبر عن الرغبة في الإجابة مع تطمين السائل بالدعاء، وتوجيهه بالابتعاد عن مقاصد التعنت في الخطاب.

ومن الأدوات الأخرى في الإقناع هو الاستفهام وهو من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً، وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم^(٤)، يقول عليه السلام مجيباً عن المقصود

(١) الاحتجاج: ٩٣.

(٢) الحجاج في القرآن: ٧٦.

(٣) تفسير الآلوسي: ٢٠٤ / ١٩.

(٤) الإقناع انماطه وأساليبه: ٩٨.

بالخطاب في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾: إنَّ المخاطب به رسول الله ﷺ ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء من المأكول والمشرب في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيه: «فسأل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر الجهلة هل بعث الله رسولاً قبلك إلا هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك به أسوة»^(١)، فكل قول بالاستفهام هنا هو حجة لإقناع المخاطب وتنبيهه إلى الحقيقة المعترض عليها، فاستعمال كيف وهل والاعتباس القرآني هي حجج بالقصد المباشر دلالة في التوجيه والتقويم.

أمّا الوصف فله دوره في العملية الإقناعية بوصفه حجة للرسول في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه، من ذلك قوله عليه السلام مجيباً عن قول السائل: «عن الخنثى وقول علي عليه السلام: يورث من المال، فمن ينظر إذا بال إليه؟ مع أنّه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليه الرجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النساء، وهذا ما لا يحل»^(٢) فأجابه عليه السلام: وأمّا قوله عليه السلام في الخنثى فهي كما قال: «ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم امرأة، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة، وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه»^(٣). فالصفة التي استعملها الإمام عليه السلام في جوابه (عدول) تمثل أداة في الفعل الإقناعي؛ إذ تجاوزت معناها المعجمي إلى معناها الوظيفي في كشف التوجيه والممارسة في هكذا عمل إفتائي ابتغاء توجيه المرسل إليه والتأثير فيه، ولعل الاستعارة تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقى^(٤)، بما فيها من قوة حجاجية لا تقف عند حدّ التقريرية، بل هي أقوى في

(١) الاحتجاج: ١٢٣.

(٢) م.ن: ١٢٣.

(٣) م.ن: ١٢٤.

(٤) استراتيجيات الخطاب: ٨٤.

لفت الأذهان إلى المغزى من الخطاب، يقول عليه السلام واصفاً الصوفية: «لا تغتروا بهؤلاء فهم أولياء الشيطان، وماحقو دعائم الدين، احترفوا الزهد للراحة، وتهجدوا لإيقاع الناس في الأغلال، ولم يتهلل هؤلاء سوى لخداع الناس ولم يقتصدوا في المأكّل سوى لإغوائهم وبث الفرقة بينهم، فأورادهم الرقص، وأذكّارهم الترنّم، لم يتبعهم إلّا السفهاء، ولم يلحق بهم سوى الحمقى، ومن زار أحدهم حياً أو ميتاً لم يزر في الحقيقة إلّا الشيطان، ومن أعانهم فما أعان إلّا يزيد ومعاوية وأبا سفيان»^(١) فقول عليه السلام: «فأورادهم الرقص وأذكّارهم الترنّم» يجسّد القوة الحقيقية للكلمات بخروجها عن تداولية السائد والمعروف إلى الملفت والمدهش في الخطاب؛ إذ بهذا التعبير تحوّلت اللغة من حمولة لفظية إلى قصدية ذات معنى منسجمة مع حال الموصوف وسلوكياته، والأنسب أنها جاءت في مدار الوعظ، يقول الغزالي: «المستعار ينبغي أن يتجنب في البراهين دون المواعظ والخطابات والشعر بل هي أبلغ باستعماله فيها»^(٢).

خاتمة البحث والنتائج..

الإقناع أسلوب ذو وظائف مقاصدية ينشدها المنشئ في خطابه ابتغاء التأثير أو التوجيه في إحراز الغاية المتوخاة من الكلام بفارق التفاوت في إمكانيات المؤلف للرسالة النصية..

مثل الإمام الهادي عليه السلام قطب الرحي في صياغة الأسلوب الإقناعي محاوراً أو راداً أو منشئاً لتضاعيف الكلام، منطلقاً من وظيفته الرسالية في تصحيح مواطن الانحراف في الرؤية والتطبيق.

تبين من البحث الرابط الموضوعي بين استراتيجية الإقناع عند الإمام عليه السلام وفحوى الخطاب السائد بما أثير من إشكاليات تستحق الإقناع كمسألة خلق القرآن

(١) الاثنا عشرية: ٢٨.

(٢) معيار العلم في المنطق: ٥٧.

١١٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعهد السلام المجمع / ج ٣

والجبر والتفويض والقضاء والقدر والبداء وغيرها.

لم يكن الإقناع عند الإمام عليه السلام ترفاً فكرياً بقدر ما كان قائماً على آليات مدروسة وفاعلة تقوم على تحديد ثقافة المخاطب وصدقه في السؤال المقصود أو الإيجاز والإطناب في الرسالة النصية لتحديد فاعليتها في المخاطب أولاً ومدى مناسبتها لطبيعة المقام ثانياً.

أفرز البحث أنواع الخطاب الإقناعي عند الإمام بنوعين متمثلاً بالإقناع التوجيهي والإقناع التقويمي بما فيهما من تفاوت في الآليات والاستعمال.

كشف البحث عن عناصر العملية الإقناعية في خطاب الإمام عليه السلام مستظهراً أن أبرز هذه العناصر وضوحاً هو المتلقي للخطاب، كون الطرف السائد آنذاك تمثل الحراك الفكري والعقائدي والفلسفي المؤثر على رؤية وبناء الذات المتلقية.

أفرز البحث عن الأدوات الإقناعية في خطاب الإمام عليه السلام بما لها من قوة في التعزيد والتأثير، فكانت أدوات التعليل وألفاظه والأفعال اللغوية والأساليب والوصف حاضرة في الخطاب بالشكل الذي يفتح مساحة للتأمل والتدبر في الرسالة المبشورة.

اعتماد التفصيل الموضوعي عند الإمام عليه السلام لما فيه من توضيح للإشارات المتعلقة بأكثر الموضوعات جسامة وخطراً على العقيدة الإسلامية، بغية توصيل رسالة تقوم على إقناع المخاطب أو السامع المتحرك في دائرة الزمن بمدى عمق البعد القرآني والفكري في الرسالة الإلهية أو في تجربة الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

مصادر البحث

القرآن الكريم

- (١) الصحاح في اللغة: الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار د.ت.
- (٢) الاحتجاج: الطبرسي: دار العلم للملايين.
- (٣) استراتيجيات الخطاب: أحمد بن ظافر الشهري، ط ١ ناشرون.
- (٤) الإسلام السياسي: صائب عبد الحميد ط ٣/ ١٩٩٣م، الدار العلمية، بيروت.
- (٥) أعلام الهداية، موسوعة أهل البيت، ١٩٩٦م.
- (٦) الإقناع والتواصل: عبد الحميد البازعي، ط ١، الدار البيضاء المغرب.
- (٧) الإقناع أنماطه وأساليبه: محمد العمري دار الفارابي ٢٠٠٨م.
- (٨) آليات الحجاج: اسماعيل صولة، دار الفارابي بيروت ٢٠٠١م.
- (٩) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، دارالكتب العلمية بيروت.
- (١٠) البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، الدار البيضاء ١٩٩٨م.
- (١١) تحف العقول: ابن شعبة الحرّاني.
- (١٢) الحجاج في القرآن: اسماعيل صولة، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٧م.
- (١٣) الخصائص: ابن جني تحقيق: محمد علي النجار، مصر القاهرة ١٩٩٨م.
- (١٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، بيروت د.ت. ١٩٧٩م.
- (١٥) المقدمة: ابن خلدون، دار البيضاء المغرب ط ٤ ١٩٩٢م.
- (١٦) مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم: عبد السلام بلعيد، الدار البيضاء المغرب، ٢٠٠٧م.

١١٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

(١٧) منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني د.ت.

(١٨) مدخل إلى اللسانيات: محمد محمد يونس، دار الكتب العلمية بيروت.

(١٩) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب د.ت.

(٢٠) معيار العلم في المنطق: الغزالي، دار مصر القاهرة ١٩٨٤م.

(١٢) الاثنا عشرية: الحر العاملي.



البحث الخامس

دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام

دراسة تحليلية

أ.م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري

جامعة الكوفة - كلية الفقه

قسم الفقه وأصوله



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يعدُّ الدَّعاء وسيلة الاتصال بين العبد وربّه، ففيه يشعر الإنسان بالقرب من الله تعالى، وأن هناك مَنْ يستمع إليه، ويحس باستجابة الدعاء له، فكلّما طهرت سريرة الإنسان زاد قرباً من الله تعالى إذ يقول جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٣)، ويمثل الصباح مفتاح الدعاء في حياة المؤمن؛ إذ يجد العبد في هذا الوقت من الانفتاح القلبي والشعور بالطمأنينة الذي يشرح صدره ليثبت ما في قلبه من الهموم، والأحزان، والآلام إلى الباري المجيب دعوة الداعي إذا دعاه دعوة خالصة، فلا يخفى أثر النتيجة المترتبة عن ذلك، وليس من غرابة أو مبالغة في التعبير، فما من أحد منا إلا ويتمنى أن يطلّ عليه الصباح وهو ينعم بنعمة الصحة، والعافية، والأمان، وهنا يجب التأمل والتفكير في أصل النشأة والتكوين لهذا الأمل الذي يبعث من نسائم الصباح، وكيف يقضى، وما وسيلته الإلهية التي يجب التمسك بها، ومن طريق من ياترى؟، ونظراً إلى الاقتداء بالسنة الشريفة التي تمثل قول المعصوم وفعله وتقريره، وللإجابة عن الأسئلة المارة الذكر، وكون الإمام الهادي عليه السلام

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) سورة الصافات: ٧٥.

(٣) سورة الإسراء: ١١٠.

١٢٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

من أئمتنا وقدوتنا؛ لذا وقع الاختيار على هذا البحث الذي جاء بعنوان (دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام دراسة تحليلية)، فكانت فرضية البحث: التركيز على بيان أهمية الدعاء وأثره في المجتمع، وبيان صفات الداعي، وأما قضية البحث فقد تناولت دعاء الصباح عند الإمام الهادي عليه السلام، وتحليل العناصر اللغوية التي وردت فيه، والتي أسهمت في تحقيق الاتساق والانسجام في دعاء الصباح، وأما منهج البحث فقد اعتمد على المنهج التحليلي الوصفي الذي تألف من مبحثين، تناول الأول: الجانب النظري للدعاء وأهميته في المجتمع، وبيان فضيلة الدعاء في روايات أهل البيت عليهم السلام، وصفات الداعي، في حين تناول المبحث الثاني الجانب التطبيقي في دعاء الصباح للإمام الهادي عليه السلام، وقد سبقهما تمهيدٌ تطرّق إلى مفهوم دعاء الصباح في اللغة والاصطلاح، وشذرات من حياة الإمام الهادي عليه السلام، ثم ختم البحث بالنتائج التي توصل إليها معتمداً في ذلك على عدد من المصادر والمراجع وكان في طليعتها موسوعة الإمام الهادي عليه السلام الذي أشرف عليها سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي.

التمهيد

أولاً: مفهوم دعاء الصباح في اللغة والاصطلاح

دعاء الصباح في اللغة مصطلح مركب من جزأين هما المضاف (دعاء) والمضاف إليه (الصباح)، فأفادت المصاحبة اللغوية بينهما في تخصيص الدعاء في وقت الصباح بعد أن كان عاماً في دلالة أي غير مقيد في زمن معين، والدعاء في اللغة: مصدر الفعل الثلاثي دَعَا الرجل دَعَواً، ودُعَاءً ناداه، والاسم الدَعْوَة، ودَعَوْتُ فلاناً: أي صَحْتُ به، واستَدْعَيْتُهُ^(١)، والدعاء في اللغة دلالة عامة يحددها السياق اللغوي الذي ترد فيه فقد تكون الدعوة لفلان من الأشخاص أو عليه، فالتَّشْمِيْتُ نوعٌ من الدُّعَاءِ وكُلُّ دَاعٍ لأحدٍ بخيرٍ فهو مُشَمِّتٌ لَهُ^(٢)، ومن الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أي ذريته^(٣)، ومن الدعاء الصلاة في أصلها اللغوي «مما جاء في الشرع: الصلاة وأصله في لغتهم الدُّعَاءُ وقد كانوا يعرفون الرُّكُوعَ والسُّجُودَ وإن لم يكن على هذه الهيئة»^(٤).

أما الجزء الثاني من المصطلح وهو المضاف إليه (الصباح) فهو في اللغة: أوّل النهار والصُّبْحُ الفجر، والصَّبَاحُ نقيض المساء، والجمع أَصْبَاحٌ، وهو الصَّيْحَةُ، والصَّبَاحُ، والإِصْبَاحُ والمُصْبِحُ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٥)، وقد يصاحب الصباح ألفاظاً أخر يحدد السياق دلالتها منها صَبَاحُ الْخَيْرِ: عِبَارَةٌ لِلتَّحِيَّةِ تُسْتَعْمَلُ فِي مَطْلَعِ النَّهَارِ، لِيَكُنْ يَوْمُكَ هَيئاً مُرِيحاً، وعَمَّ صباحاً: من تحيات الصَّبَاحِ وتعني طابَ عيشُك في

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٢٥٠ / ١٤

(٢) ينظر: العين، الخليل: ٢٤٧ / ٦

(٣) ينظر: اتفاق المباني وافتراق المعاني، سليمان النحوي: ١ / ١٩٠

(٤) ينظر: المزهري، السيوطي: ٢٣٥ / ١

(٥) سورة الأنعام: ٩٦.

١٢٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماد السّلم المُجمعي) / ج ٣

الصَّباح^(١)؛ يتضح مما تقدم دلالة (دعاء الصباح) اللغوية بالدعاء خوفاً أو رجاءً في وقت الصباح الذي هو أول النهار.

دعاء الصباح في الاصطلاح

ذكر ابن القيم نوعين من الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة وهما متلازمان وكلاهما وردا في القرآن الكريم فقد تضمنهما قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، فدعاء المسألة «هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقاً، والمعبود لا بدّ أن يكون مالكا للنفع والضرر»^(٤)، ودعاء العبادة هو دعاء المعبود خوفاً ورجاءً^(٥)، وقال الخطابي إن الدعاء هو: «استدعاء العبد ربه - عز وجل - العناية، واستمداده إياه المعونة»^(٦)، وقد حثّ الرسول ﷺ على طلب الدعاء فقد «قال رجل: يا رسول الله أوصني بشيء ينفعني الله به، قال: أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا، وعليك بالشكر فإن الشكر يزيد في النعمة، وأكثر الدعاء فانك لا تدري متى يستجاب لك»^(٧).

ثانياً: شذرات من حياة الإمام علي الهادي عليه السلام

لا بدّ من التنويه أولاً بأن الإمام علي الهادي عليه السلام أشهر من نار على علم؛ لكن

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥٠٢ / ٢.

(٢) سورة الأعراف: ٥٥.

(٣) سورة الأعراف: ٥٦.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم: ٥١٣ / ٣.

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم: ٥١٣ / ٣.

(٦) شأن الدعاء، الخطابي: ٤.

(٧) البيان والتبيين، الجاحظ: ٢٢٤ / ١.

لا بدّ للباحث أن يأخذ بلطف العين عند الكتابة أن البحث ليس حكرًا على جماعة ذات معرفة كبيرة بسيرة الإمام علي الهادي عليه السلام فقد يقع في أيدي فئة أخرى لا علم لها بسيرة الإمام الهادي عليه السلام فيكون البحث مفتاح معرفة - ولو يسيرة - بسيرة الإمام الهادي عليه السلام، ومما يزيد لها شرفاً انطلاقها من منبر صادق - أعني المؤتمر - ومن مكان علمي مقدس - فلها قيمتها، وكان من لآلئ سيرته العطرة ما يأتي:

ولادته: ولد عليّ بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام بقرية صريا^(١) في المدينة المنورة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين، وفي رواية ابن عياش يوم الثلاثاء الخامس من رجب، وهو النقيّ بن التقيّ بن الصابر بن الوفيّ بن الصادق بن الباقر بن السجاد بن سيد الشهداء بن حيدرة بن عبد مناف، اسمه عليّ، وكنيته أبو الحسن لا غيرها^(٢)، وربّما يقال تمييزاً له عن غيره من الأئمة المكنين بأبي الحسن: أبو الحسن الثالث عليه السلام^(٣).

نسبه: أمّا نسبه، فهو عليّ بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(٤)، وأمّه: أم ولد اسمها سمانة المغربية^(٥)، ويقال لها: السيدة^(٦)، وأولاده: الحسن الإمام عليه السلام،

(١) صريا: قرية أسسها موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة، ولا وجود لها في معجم البلدان ولا في كتب اللغة، ينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣٧/٢.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣/ ٥٠٥ وينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ١٠٧/٣.

(٣) ينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣٧/٢.

(٤) دلائل الإمامة، الطبري: ٤١١.

(٥) ينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣٧/٢.

(٦) ينظر: دلائل الإمامة، الطبري: ٤١١.

١٢٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعِمادُ السّلم المُجمَعِي) / ج ٣

والحسين، ومحمد، وجعفر الكذاب، وابنته عليّة^(١).

نقش خاتمه

كان نقش خاتمه عليه السلام هو: «الله ربي وهو عصمتي من خلقه» وهو نفس نقش خاتم الإمام الصادق عليه السلام؛ فقد كانت المدة التي عاشها الإمام الهادي عليه السلام شبيهة إلى حدّ كبير ببعض مراحل حياة الإمام الصادق عليه السلام، وهي المرحلة التي عاشها مع المنصور العباسي، فكان يكرمه بالظاهر، ويكنّ له الغوائل في باطن الأمر، وهنا تظهر علة التشابه في نقش الخاتم بينهما عليه السلام^(٢).

علة تسميته عليه السلام بالعسكري

ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله علة تسميته بالعسكري نسبة إلى سرّ من رأى التي كانت تسمى (عسكر) قائلاً: «سمعت مشايخنا رضي الله عنهم يقولون: إنّ المحلّة التي يسكنها الإمامان عليّ بن محمد، والحسن بن علي عليه السلام سرّ من رأى، كانت تسمى عسكر، فلذلك قيل لكل واحد منهما: العسكري»^(٣)، وذهب إلى ذلك ابن عنبه قائلاً: «أمّا عليّ الهادي، فيلقب العسكري، لمقامه سرّ من رأى، وكانت تسمى العسكر»^(٤)، وذكر السيّد محسن الأمين أن التسمية بالعسكري نسبة إلى العسكر سرّ من رأى الذي بناه المعتصم، لما كثر عسكره وضافت عليه بغداد، وتأذى به الناس، فانتقل إلى هذا الموضع بعسكره، وبنى به البنيان المليح، وسمّى سرّ من رأى. ويقال: سامرة وسامراً، وسميت العسكر؛ لأنّ عسكر المعتصم نزل بها، وذلك في سنة ٢٢١هـ.

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٥٠٦/٣.

(٢) ينظر: نقش خواتيم النبي ﷺ والأئمة عليه السلام، الشيخ جعفر السبحاني: ٧١.

(٣) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ٢٤١/١.

(٤) عمدة الطالب، ابن عنبه: ١٩٩.

وهو يدل على أن عسكرياً اسمٌ لمجموع سامراً^(١).

ألقابه:

ذكر أبو جعفر الطبري أن من ألقابه عليه السلام: المرتضى، والهادي، والعسكري، والعالم، والدليل، والموضح، والرشيد، والشهيد، والوفى، والنقيب، والمتقى، والمتوكل، والخالص^(٢).

وفاته:

عاصر الإمام الهادي عليه السلام خلافة المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز، وقد مارس المتوكل الأسلوب الخبيث نفسه الذي رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمة أهل البيت عليهم السلام من موطنهم وإجبارهم على الإقامة في مقر الخلافة، وجعل العيون والحراس عليهم حتى يطلعوا على دقيق حياتهم، وكان المتوكل من أحبب الخلفاء العباسيين، وأشدّهم عداءً لعلي الهادي عليه السلام، فبلغه مقامه الرفيع عليه السلام في المدينة، ومكانته، وميل الناس إليه، فخاف منه، فدعا يحيى ابن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا، وأقام بسرّ من رأى وكانت مدة إقامته فيها عشرين سنة وأشهرًا، واستشهد مسموماً في آخر ملك المعتز، ودفن بداره في سرّ من رأى في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين^(٣).

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣٧ / ٢

(٢) دلائل الإمامة، الطبري: ٤١١.

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ٣ / ٥٠٥، وينظر: إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي: ٣ / ١٠٧، وينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣٧ / ٢، وينظر: الأئمة الاثنا عشر،

جعفر السبحاني: ١٦٦

المبحث الأول

١ - أهمية الدعاء وأثره في الحياة

يمثل الدعاء حبل الوصل بين العبد وربّه، ذلك الحبل الذي يستطيع كل إنسان أن يمسك بأي طرف منه؛ في أي مكان، وزمان، ووضع، بغض النظر عن كونه فقيراً أو غنياً، كبيراً كان أم صغيراً، ذكراً كان أم أنثى، في السراء وفي الضراء، فهو حبل ممدود لا نهاية له، ولعل العلة في ذلك تعود إلى صاحب الحبل وهو قريب منا أقرب من حبل الوريد وهو الله سبحانه وتعالى فقد قال في محكم آياته: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥)، فضلاً عن ذلك إنّ الحياة الإنسانية في طبيعتها بنيت على التآلف الاجتماعي وعدم الاستغناء عن الآخرين حتى أن من يعيش منفرداً ولا يختلط بالآخر يوصف بالتوحد والعزلة، وفي ضوء ظروف الحياة المختلفة يمر الإنسان بأحوال مختلفة فيها الغث وفيها السمين وفي كليهما يحتاج إلى الدعاء بالشكر والثناء أو الخلاص والزوال من تلك الشدد؛ فالدعاء هو التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالثناء والشكر لسد النقائص وقضاء الحوائج، والطلب لرفع البلاء والشدائد، وأحياناً تتخذ بعض الوسائط التي يتشفع بها العبد إلى ربه، وليس هناك وسيلة أفضل من مواريث أهل البيت عليهم السلام وشفاعتهم؛ ليكونوا الواسطة بين العبد وربّه، وهنا ترد المسألة التي تطرح نفسها إذا كانوا أهل البيت عليهم السلام هم الذين يدعون فكيف يكونون هم الواسطة في استجابة الدعاء؟ والجواب هم قدوتنا الذين نهتدي بهم فهم عندما يدعون ليس فقط لأنفسهم بل لنا ولهم فضلاً عن بيان الطريقة التي يتم بها الدعاء من حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على محمد وآله عليهم السلام، والتوجه نحو القبلة، والخضوع،

(٤) سورة غافر: ٦٠.

(٥) سورة ق: ١٦.

والتذلل، والإلحاح في طلب الحاجة، وحضور القلب وغيرها من مواصفات الداعي فعندما نقرأ سيرة أهل البيت عليهم السلام في الدعاء نجد تلك الميزات ماثلة في أدعيتهم، وخير أنموذج على ذلك دعاء الصباح للإمام الهادي عليه السلام، مع الإشارة إلى قضية مهمة وهي أن الدعاء ليس حكراً على فئة من دون فئة بل يشمل الجميع من المؤمنين وغير المؤمنين ويظهر ذلك في الشدائد والملمات فهي بمثابة اختبار للإنسان.

٢- بيان فضيلة الدعاء في روايات أهل البيت عليهم السلام

للدعاء فضائل كثيرة وردت في عدد من الروايات الصريحة عن أهل البيت عليهم السلام على النحو الآتي:

١- الدعاء أحب الأعمال إلى الله جلّ جلاله من ذلك

«عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ في الأرض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف»^(١).

٢- أن الدعاء ينجي من الأعداء وأهل الشقاق ويفتح أبواب الأرزاق ومن ذلك.. ما روي «عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه عن فضالة بن أيوب، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدّرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى، قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء»^(٢)، وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام: «الدعاء أنفذ من السنان الحديد»^(٣).

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٨ - ٤٦٩، وينظر: فلاح المسائل، ابن طاووس: ٢٧.

(٢) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٩، وينظر: فلاح المسائل، ابن طاووس: ٢٨.

(٣) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٩، وينظر: فلاح المسائل، ابن طاووس: ٢٨.

١٣٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

٣- أن الدعاء عمود الدين ونور السموات والأرضين، من ذلك:

ما روي «عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه عن فضالة بن أيوب، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرض»^(١).

٤- أن الدعاء هو المراد بقوله جلّ جلاله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، من ذلك:

«مارواه محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن بن الصفار عن محمد ابن عيسى عن زياد العبدي عن حماد بن عثمان رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ قال: الدعاء»^(٣).

٥- أن الدعاء شفاء من كل داء، من ذلك:

ما رواه «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أسباط بن سالم، عن علاء بن كامل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: عليك بالدعاء فإنه شفاء من كل داء»^(٤)

٦- أن الدعاء يرد القضاء المبرم، من ذلك:

«ما رواه الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الدعاء يرد القضاء بعد ما أبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عز وجل إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه»^(٥).

(١) الكافي، الكليني: ٢ / ٤٦٨، وينظر: فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨.

(٢) سورة فاطر: ٢.

(٣) الكافي، الكليني: ٢ / ٤٧١، فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨.

(٤) فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٨.

(٥) الكافي، الكليني: ٢ / ٤٧٠، وينظر: فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٩.

٧- أن من تخوف من نزول البلاء فدفعه بالدعاء بلغه الله جلّ جلاله ما أَراده من الرجاء كما «رواه الحسين بن سعيد عن محمد بن سنان عن عنبة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من تخوف بلاء يصيبه فيقوم بالدعاء لم يرهُ الله ذلك البلاء أبداً»^(١).

٨- أن الدعاء يستقبل نزول البلاء فيمنعه ويدفعه إلى يوم الجزاء كما رواه «محمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى، عن أبي همام إسماعيل بن همام، عن الرضا عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: إن الدعاء والبلاء ليترافقان إلى يوم القيامة، إن الدعاء ليردّ البلاء وقد أبرم إبراماً»^(٢).

٩- أن يد الداعي لا ترجع فارغة من فضل رحمة الله جلّ جلاله «عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: ما أبرز عبداً يده إلى الله العزيز الجبار إلا استحيا الله عزّ وجلّ أن يردها صفراً حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه ورأسه»^(٣)، وأن الفضائل التي ذكرت -سابقاً- قد تحققت في حقيقة الحال فضلاً عن المقال إذ إن: «كلما تضمنته هذه الأخبار من فوائد الدعاء وجدناه على العيان مما تفضل الله جلّ جلاله به علينا من أنعمه والإحسان فمن كان يحسن ظنه في صدق المقال فلا يشك فيما ذكرناه من حقيقة هذه الحال»^(٤).

٣- صفات الداعي

من الأمور التي يجب الانتباه إليها هي الصورة التي يجب أن يكون عليها الداعي من التذلل والخشوع كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ

(١) الكافي، الكليني: ٢/ ٤٦٩، وينظر: فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٩

(٢) فلاح السائل، ابن طاووس: ٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ٢٩.

١٣٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾.

ومن صفات الداعي التي وردت في روايات أهل البيت عليه السلام ما يأتي:

أ- بسط اليدين في الدعاء والتوجه نحو القبلة والخشوع.

ب- ومن صفات الداعي هو أن يبدأ بمدح الله جلّ جلاله والثناء عليه قبل عرض الحوائج عليه.

روى الحسين بن سعيد عن صفوان، عن العيص بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا طلب أحدكم الحاجة فليشئ على ربه، وليمدحه، فإن الرجل إذا طلب الحاجة من السلطان، هياً له من الكلام أحسن ما يقدر، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله، وامدحوه، واثنوا عليه... تمام الخبر^(٢).

ج- ومن صفات الداعي أن تكون رغبته في الدعاء في السر أفضل من رغبته في الدعاء على الجهر إذا كان في حال دعائه غير مفوض إلى مالك أمره، فيما يقتضيه على سره من اخفائه، أو جهره، فإنه إذا كان على صفات التفويض على الكمال ألهمه الله جلّ جلاله ما يرضاه له من فعال، ومقال.

د- ومن صفات الداعي أن يكون عند دعائه طاهراً من مظالم العباد

هـ - ومن صفات الداعي أن لا يكون جباراً لما رواه محمد بن الحسن، عن أحمد ابن ادریس، عن سلمة بن الخطاب، عن القاسم بن يحيى الراشدي، عن جده الحسن عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام قل: للجبارين لا يذكرني عبد إلا ذكرته، وإنّ ذكروني ذكرتهم فلعنتهم^(٣).

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) ينظر: فلاح السائل، ابن طاووس: ٣٥.

(٣) ينظر: نفس المصدر: ٣٧.

و- ومن صفات الداعي أن يكون قلبه عند الدعاء نقياً ونيته صادقة؛ لما رواه محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن عمر بن مزيد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: إن رجلاً كان في بني اسرائيل، فدعا الله أن يرزقه غلاماً ثلث سنين، فلما رأى أن الله لا يجيبه، قال: يارب أبعد أنا منك؟ فلا تسمعني أم قريب أنت مني فلم لا تجيبني؟ قال: فأتاه آت في منامه، فقال له: انك تدعو الله منذ ثلث سنين بلسان بذيء، وقلب عاتٍ غير نقي، ونية غير صادقة، فاقلع عن ذلك، وليتق الله قلبك، وليحسن نيتك. قال ففعل الرجل ذلك، ثم دعا الله فولد له غلام^(١).

ز- ومن صفات الداعي أن لا يكون داعياً في دفع مظلمة عنه قد ظلم هو عبداً آخر بمثلها لما رواه محمد بن الحسن الصفار، عن أبي طالب، عن عثمان بن عيسى، عن علي بن سالم، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: قال الله تبارك وتعالى: وعزقي وجلالي، لا أجيب دعوة مظلوم في مظلمة ظلمها؛ ولأحد عنده مثل تلك المظلمة^(٢).

ح- ومن صفات الداعي أن يجتنب الذنوب بعد دعائه؛ لئلا تمنعه ذنوبه من بلوغ رجائه؛ لما رواه محمد بن الحسن بن أحمد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن العبد يسأل الله تبارك وتعالى الحاجة من حوائج الدنيا، قال: فيكون من شأن الله قضاؤها إلى أجل قريب أو وقت بطيء، قال: فيذنب العبد عند ذلك الوقت ذنباً، قال: فيقول الله للملك الموكل بحاجته؛ لا تنجز له حاجته واحرمه إياها؛ فإنه قد تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني^(٣).

(١) ينظر: فلاح السائل: ابن طاووس: ٣٧

(٢) ينظر: فلاح السائل: ابن طاووس: ٣٨

(٣) ينظر: فلاح السائل: ابن طاووس: ٣٨

ط - ومن صفات الداعي أن يكون عند دعائه آتياً تائباً صالحاً صادقاً.

ويتضح مما تقدم ارتباط استجابة الدعاء من طريق مرويّات أهل البيت عليهم السلام والموثقة بالشواهد النقليّة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كل ما ذكره أثر في استجابة الدعاء أو عدمه، فهناك صفات ظاهريّة يبدو الداعي ملتزماً بها من حيث التوجه نحو القبلة، والتحميد، والتمجيد، والصلوات على النبي وآله، وبسط اليدين، والتختم باليمين، وتلاوة الآيات القرآنية، وكلها غير كافية لاستجابة الدعاء؛ فلا بدّ من مصاحبة الصفات الباطنية التي لا يعلمها إلا الله من حيث طهارة القلب ونقاوته، وصدق الدعاء في طلب الحاجة من طريق التذلل، والخشوع أمام الله سبحانه وتعالى، وأن لا يجتهد الداعي في طلب حاجة قد أفنى جهده في حرمان غيره منها، وتلك نقطة مهمة قد يكون بعضنا في غفلة منها؛ لذا يتكرر السؤال دوماً؛ لماذا لم يستجب دعائي، فأنا صائم وقائم وراكع وساجد، وأدفع الخمس والزكاة، وهنا يجب أن ينظر في مصدر الرزق الذي منه ينفق فقد يكون عائقاً في عدم استجابة الدعاء.

المبحث الثاني

دعاء الصباح للإمام الهادي عليه السلام دراسة وصفية تحليلية

عند التأمل في دعاء الصباح للإمام الهادي عليه السلام نجد بعض الظواهر اللغوية التي جعلت من الدعاء وحدة نصية متكاملة تتصف بالاتساق والانسجام من طريق ما يأتي:

١- حسن الافتتاح في براعة الاستهلال وهو: «بدء الكلام، وينظره في الشعر: المطلع؛ وفي فن العزف على الناي: الافتتاحية. فتلد كلها بدايات كأنها تفتح السبيل لما يتلو»^(١)، إذ نجد أن الإمام الهادي عليه السلام قد أفتتح الدعاء بالنداء بواسطة (يا) التي تستعمل في النداء البعيد لإمكان امتداد الصوت ورفعها بها^(٢)، وقد وصفها الملقى بأنها أم حروف النداء قائلاً: «اعلم أن «يا» حرف من حروف التنبيه ينادى بها مرة ولا ينادى به أخرى، وإذا كان حرف نداء فتارة يكون لنداء القريب والوسط والبعيد مسافة وحكماً، وحققها للبعيد لجواز مد الصوت بالألف ما شئت، ثم إنها كثر استعمالها حتى صار ينادى بها البعيد أدنى مسافة منك ثم الحاضر معك؛ فلذلك كانت أم حروف النداء»^(٣)، وذكر الزمخشري أن استعمال (يا) في نداء القريب تنزيلاً له منزلة مَنْ بَعْدَ إِذَا نُوْدِي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوهُ معنيٌّ به جداً، ثم يقول: «فإن قلت: فما بال الداعي يقول في جواره (يا رب) و(يا الله) وهو أقرب إليه من جبل الوريد وأسمع به وأبصر؟ قلت: هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه إلى رضوان الله ومنازل المقرّين هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والإذن

(١) الخطابة، ارسطو طاليس: ١٣٠.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٢/٢٩٩-٢٣٠، والمقتضب، المبرد: ٤/٢٣٣، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٨/١٨٨.

(٣) رصف المباني، الملقى: ٤٥١.

لندائه وابتهاله»^(١).

وقد وصف الذات الإلهية بصفات تدل على العموم في قدرة الله تعالى قياساً إلى المخلوقين وخصوصيتها بالذات الإلهية إذ لا يُوصف بها غير الله تعالى في استعمال الألفاظ التي تدل على العموم ومنها لفظة (كل) ولفظة (لا) النافية للجنس في قوله عليه السلام: «يا كبير كل كبير، يا من لا شريك له ولا وزير...»^(٢)، فقد استعمل عليه السلام وصف (كبير) منكراً وفي ذلك دلالة على العموم المطلق ثم جاء التوكيد بلفظة (كل) التي تدل على العموم أيضاً مما زاد في توكيد وثبات الوصف في ذهن السامع، والمتلقي في التأمل بقدرة الله تعالى، والتدبر في خلق الكون، والحياة في أول وهلة من الصباح بعد الاستيقاظ من الموت المؤقت وهو النوم، إذ حثت روايات أهل البيت عليه السلام وسيرتهم على الشكر لله بعد الاستيقاظ من النوم في الصباح الباكر والقول فيها: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٣).

ثم انتقل عليه السلام في دعائه إلى ما يدل على الوحدانية والقدرة المطلقة بنفي الشريك والوزير نفياً مطلقاً باستعمال (لا) النافية للجنس مكررة واسمها النكرة في قوله عليه السلام: «لا شريك له ولا وزير».

ونلاحظ بلاغة الترتيب في نفي الأوصاف إذ بدأ بنفي الشرك أولاً، ثم التسلسل المنطقي بنفي المعين والمساعد ألا وهو (الوزير) حتى لا يبقى شيء عالقاً في ذهن مما تسير على الحياة بوجود النائب، والوزير اللذين يعينان الرئيس عادةً في إدارة الأمور الموكلة إليهم، فالله تعالى منزّه عن ذلك تنزيهاً مطلقاً، ومما يلفت انتباه السامع هو عدم التصريح بلفظ الجلالة (الله) لكون المعنى معروفاً لدى السامع والمتلقي، وأكد على

(١) الكشف، الزمخشري: ١/ ٤١، وينظر: الفصل، الزمخشري: ٣٠٩، وشرح المفصل، ابن يعيش: ٨/ ١٢١.

(٢) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ: مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: ساحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٢/ ٥٥٠.

(٣) صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٨٣.

ذلك باستعمال الإحالة المقامية التي تقع خارج النص من طريق ضمير الغائب (الهاء) في قوله عليه السلام: «له»؛ والتي تعتمد على ثقافة المتلقي، والسامع في فهم المراد من النص، وقد أبدع الإمام عليه السلام في بيان المراد من النص.

٢- المصاحبة اللغوية، وهي من الظواهر اللغوية المهمة التي تُسهّم في تحليل النص، إذ تمثل «المصاحبات نمطاً من العلاقة المعجمية الأفقية syntagmatie، ومن الناحية اللغوية، يمكن التنبؤ بها لغوياً على نطاق واسع، أو على نطاق ضيق، فالمصاحبة لا يراد بها اختصار لفظ معين للفظ واحد من دون غيره في جميع الكلام المستعمل في لغة معينة بل صحبة لفظ للفظ واحد، ولعدد من الألفاظ؛ ولذا عرّفت بأنها: الارتباط الاعتيادي association للكلمة في اللغة مع كلمات مخصوصة، في جمل»^(١) وفي هذا التعريف إشارة إلى السياق اللغوي الذي يرد فيه اللفظان المتصاحبان في جمل العلاقات الأفقية وليس العلاقات الرأسية التي تتصل بالحقول الدلالية، وإنما الاقتصار على العلاقات الأفقية التي تكون وحدة دلالية ذات معنى، لذا أطلق على ارتباط اللفظ بالألفاظ ومصاحبته لها مدى المصاحبة، وكلما كان المدى ممدوداً، زادت قوة التنبؤ بين الألفاظ المتصاحبة، عندما يذكر هذا اللفظ المصاحب لها، وبحسب هذا تُعدّ المصاحبة اللغوية «من أهم القيود السياقية إذ تحدد الكلمات الأكثر وروداً مع كلمة ما والتحديد يتم بواسطة الاحصاء من خلال مدونات نصية مكتوبة كبيرة»^(٢)، وفي ذلك إشارة إلى الجانب التطبيقي للمصاحبة اللغوية بألفاظ كثيرة كثرة ورود الألفاظ المتصاحبة في المدونات اللغوية، وهذا ما يميز المصاحبة اللغوية فهي تجمع بين التنظير والتطبيق الذي يحكمه الاستعمال حيناً، والتنبؤ حيناً آخر، والألف والعادات الاجتماعية أحياناً أخرى، وهذا ما جعل من المصاحبة اللغوية التي يتكرر ورودها في لغة ما متصاحبة على وجه التلازم والتوافق الدلالي بينها، وقد وردت في

(١) ينظر: فصول في علم اللغة التطبيقي علم المصطلح علم الأسلوب، فريد عوض حيدر: ١٣٨-١٣٩.

(٢) بحث، د. سلوى حمادي، معهد بحوث الإلكترونيات.

الدعاء على النحو الآتي:

١- المصاحبة اللغوية بين المعطوف والمعطوف عليه (الشمس والقمر)، وهما عنصران فلكيان يرتبطان ببدء الصباح ألا وهي الشمس، وبدء الليل ألا وهو القمر مع مراعاة حسن الترتيب في تقديم الشمس على القمر في قوله عليه السلام: «... يا خالق الشمس والقمر المنير»^(١)، ويسمى هذا النوع من المصاحبة اللغوية بـ(التقابل الدلالي بين ألفاظ الأجناس)؛ لأن: «الجنس أعمُّ من النوع، لأن الجنس هو الجملة المتفقة سواء أكان مما يعقل أم من غير ما يعقل، والنوع هو الجملة المتفقة من جنس ما لا يعقل، ألا ترى أنه يُقال: الفاكهة نوع كما يُقال: جنس»^(٢)، فضلاً عن ذلك نلاحظ وقوع المصاحبة اللغوية بين الموصوف (القمر) والصفة (المنير) للدلالة على إنارة ظلمة الليل بوساطة القمر مما يدلّ على الإعجاز الكونيّ في قدرة الله تعالى.

٣- التقابل الدلالي في المصاحبة اللغوية بين الصفة والموصوف في العلاقات الدلالية القائمة على التلازم بين الموصوفين (الخائف المستجير)، و(المكبل الأسير)، و(العظم الكسير)، و(الشيخ الكبير) في قوله عليه السلام: «... يا عصمة الخائف المستجير، يا مطلق المكبل الأسير، يا رازق الطفل الصغير، يا جابر العظم الكسير، يا راحم الشيخ الكبير»^(٣)، ويظهر التلازم الدلالي بين الأوصاف التي تتبادر إلى ذهن السامع بمجرد السماع بها إذ إن من صفات الخائف الاستجارة وهي طلب الحماية من غيرك القوي خاصة، لكن المحامي الوحيد الذي لا يرد سائله هو الله تعالى بوصفه وصفاً مطلقاً (يا عصمة)؛ فالعصمة تعني في اللغة عدم الوقوع في الخطأ مطلقاً، ولكن دلالة

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ: مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٠ / ٢.

(٢) الفروق اللغوية: ١٥٧، والكليّات: ٢١٩ / ١، وينظر: المصباح المنير: ٦٤ (الجنس).

(٣) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ: مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٠ / ٢.

السياق اللغوي للنص قد خصصت الدلالة بالذات الإلهية إذ إنها من صفات الله تعالى، وقد جاءت بصيغة النداء (يا عصمة) باستعمال المصدر (عصمة) الذي جاء بصيغة النكرة التي تدلّ على العموم فالله تعالى هو العاصم لكل خائف، ولكل مستجير؛ وكان في ذلك دلالة إيجابية إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١)، ومن صفات الأسير التكبيل وهو التقيد في اللغة، فـ(المكبّل) هو المقيد بالسلاسل، والمعروف أن الأسير يقيد مهما كان سبب الأسر إلى أن يودع في مثواه الأخير وهو (السجن) إلا أن المطلق له من الأسر هو الله تعالى، وهو وصف جاء بصيغة اسم الفاعل (مطلق) من الفعل المزيد (أطلق) للدلالة على التجدد، والحدوث في رحمة الله تعالى للعباد في أي مكان وفي أي وقت بل حتى في لحظة الأسر التي يعجز غير الله تعالى من الوصول إليه؛ ففي ذلك دلالة إيجابية إلى ما يدور في نفس المؤمن من طلب العفو والرحمة من الله تعالى عندما تضيق عليه السبل حتى لو كان في البحر وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، أما قوله عليه السلام: «يا جابر العظم الكسير..»^(٣) فمن صفات العظم التي يصعب علاجها إلا الله تعالى هي الكسر فالله تعالى هو الجابر فهو الخالق على ما يريد، ومن صفات الشيخ الملازمة له الكبر، والراحم له فيما هو عليه هو الله تعالى لا غيره؛ إذ يعجز الآخرون عن مدّ يد العون والمساعدة مهما كانت درجة قرابتهم إلا أن رحمة الله تعالى قريبة منه، أقرب إليه من جبل الوريد إذ إن المعروف من صفات الشيخ الكبير ملازمة الدعاء والله تعالى يقول ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

(١) سورة غافر: ٣٣.

(٢) سورة الأنعام: ٦٣.

(٣) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ: مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٠/٢.

١٤٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ^(١).

٤ - المصاحبة اللغوية بين المضاف والمضاف إليه في العلاقات الدلالية القائمة على التلازم بين الألفاظ في صفة مصدرية النور، والمضاف بصيغة اسم الفاعل الذي يدل على التجدد والحدوث (مدبر) و(باعث) و(شافي) و(جاعل) و(عالم) و(منزل) والمضاف إليه الذي تدلّ عليه القرائن اللفظية (الأمور) وعلاقتها القائمة على التدبير، و(من في القبور) وعلاقته بالبعث والنشور، و(الصدور) وهي جزء مهم في تكوين الإنسان فهو تعبير كنائي يريد بها الإنسان كله؛ وعلاقتها بالشفاء الإلهي الذي فيه صلاح الدنيا وثواب الآخرة، و(جاعل) وهو من الجعل التكويني وعلاقته بالظلّ والحُرُور، و(بذات الصدور) وهنا نلاحظ التكرار في اللفظ لهذا الجزء المهم من الإنسان الذي يقع فيه القلب الذي اثبت العلم حديثاً علاقته بالتفكير والتدبر قبل نطق اللسان وعلاقته بالعلم الإلهي، وفيه دلالة إيجابية إلى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢) الذي يشير إلى العلم الإلهي ببواطن الأمور أولاً وقدرته البالغة التي يعجز البشر حيالها ويقف مبهوراً إذ يعلم الله تعالى الأعين الخائنة التي تنظر نظرة الحرام إلى الآخر، ويعلم ما تضمّره الصدور^(٣)، و(الكتاب، والنور، والزبور) وعلاقتهم بالتنزيل الإلهي للآديان المختلفة بكتبها في قوله عليه السلام: «... يا نور النور، يا مدبر الأمور، يا باعث من في القبور، يا شافي الصدور، يا جاعل الظلّ والحُرور، يا عالماً بذات الصدور، يا منزل الكتاب والنور والزبور»^(٤)؛ ففي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

(٢) سورة غافر: ١٩.

(٣) مجمع البيان، الطبرسي: ٢٣٠ / ٨.

(٤) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٠ / ٢.

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا^(١)، ويتضح مما تقدم الأثر القرآني في سيرة أهل البيت عليهم السلام، وفي أقوالهم، وفي أفعالهم؛ فهم نشؤوا في بيت يُزَقُّ العلم زقاً ألا وهو بيت النبوة، وهم من سلالة النبي محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء، ومعجزته الخالدة التي لا تنكر وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل، ولا يستطيع أحد أن يأتي بسورة من مثله؛ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

٥- المصاحبة اللغوية والدلالة الصوتية: لا يخفى مما للصوت من أثر في تحقيق الانسجام والتنسيق اللغوي في النص، وقد بدا واضحاً بتكرار صوت (التاء) وهو صوت مهموس مسبق بحرف المد (الالف) وهو صوت مجهور^(٢) في نهاية كل فقرة في الدعاء وهو ما يسمى بالسجع في النثر الذي يعني توافق الحرف الأخير في الكلام^(٣)، وتأتي أهمية السجع في كون السامع يبقى كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها والذوق يشهد بذلك ويقضي بصحته^(٤) وقد ورد في قوله عليه السلام: «... يا دائم الثبات، يا مخرج النبات بالغدو والآصال، يا محيي الأموات، يا منشيء العظام الدارسات، يا سامع الأصوات، يا سابق الفوت، يا كاسي العظام البالية بعد الموت»^(٥)، ويبدو الأثر القرآني جلياً للعيان فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤَفَّكُونَ﴾^(٦).

٦- المصاحبة اللغوية بين الصفة والموصوف في قوله عليه السلام: «... يا من مواعيده

(١) سورة النساء: ١٦٣.

(٢) ينظر: الباب في علل البناء والاعراب، العكبري: ٢/ ٤٦٤.

(٣) ينظر: المثل السائر، ابن الأثير: ١/ ١٩٥.

(٤) ينظر: الايضاح، الخطيب القزويني: ٣٦٣.

(٥) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٢/ ٥٥٠.

(٦) سورة الأنعام: ٩٥.

١٤٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

صادقة، يا من أياديه فاضلة، يا من رحمته واسعة، يا غياث المستغيثين، يا محجب دعوة المضطرين، يا من هو بالمنظر الأعلى وخلقه بالمنزل الأدنى، يا ربّ الأرواح الفانية»^(١).

٧- المصاحبة اللغوية بين المضاف والمضاف إليه في قوله عليه السلام: «يا ربّ الأجساد البالية، يا أبصر الناظرين، يا أسمع السامعين، يا أسرع الحاسنين، يا أحكم الحاكمين، يا أرحم الراحمين، يا واهب العطايا، يا مطلق الأسارى، يا ربّ العزة، يا أهل التقوى وأهل المغفرة، يا من لا يدرك أمده، يا من لا يحصى عدده، يا من لا ينقطع مدده»^(٢).

٨- المصاحبة اللغوية في التقابل الدلالي بين الأفعال لبيان العلاقة الدلالية القائمة على التضاد في قوله عليه السلام: «... وأنتك تعطي دائماً وترزق، وتعطي وتمنع، وترفع وتضع، وتغني وتفقر، وتحذل وتنصر، وتعفو وترحم، وتصفح وتجاوز عما تعلم، ولا تجور ولا تظلم، وأنتك تقبض وتبسط، وتمحو وتثبت، وتبديء وتعيد، وتحبي وتميت، وأنت حي لا تموت»^(٣).

٩- المصاحبة اللغوية في التقابل الدلالي بين الجمل الاسمية المؤكدة بـ (إن) واسمها ضمير المخاطب الذي يمثل الإحالة المباشرة بضمير المخاطب (الكاف) الذي يدلّ على المباشرة في الدعاء، وضمير الفصل (أنت) الذي أفاد في زيادة التوكيد فضلاً عن الخبر الجملة الاسمية من الصفة والموصوف (الرب الجليل)؛ فلفظ (الرب) فيه من الإنسانية والقرب من النفس البشرية مما لا يوجد في غيره فهو لفظ عام يشترك فيه أكثر البشر فيقال: رب الدار، ورب الأسرة، ورب العمل، وهنا أفادت المصاحبة اللغوية بين الموصوف (الرب) والصفة (الجليل) في تخصيص الدلالة بالذات الإلهية وصفاتها؛ مما زاد في جعل النص أكثر تأثيراً في النفس الإنسانية في الحث على الدعاء،

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥١ / ٢

(٢) المصدر نفسه: ٥٥١ / ٢

(٣) المصدر نفسه: ٥٥٢ / ٢

والتردد عليه، ثم جاء التقابل الدلالي مع الجملة الاسمية التي مثلت الطرف الآخر وهو الداعي بوصفه بـ (أنا العبد الذليل)، فالعبودية والذل والخضوع لله تعالى مقابل الربوبية والعزة والجلال للذات الإلهية وشتان ما بينهما كما هو في قوله عليه السلام: «... إِنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الْجَلِيلُ وَأَنَا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ، وَشَتَانُ مَا بَيْنَنَا يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١)، ثم ختم عليه السلام العبارة بالمصدرين اللذين يدلّان على صفتي الجلال والإكرام المطلقتين لله تعالى وحده لا شريك له.

١٠- الأسلوب التركيبي الذي يقوم على الجملة التي تتألف من جزأين مما يلفت انتباه السامع إلى المراد من النص، وقد تكوّنت من صلة الموصول المسبوق بأداة النداء (يا) التي تدلّ على المباشرة في الدعاء لله تعالى في قوله عليه السلام: «... يَا مَنْ تَسْبِيحُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْإِبْكَارِ وَالظُّهْرِ»^(٢)، وجاء اسم الموصول (من) الذي يدل على الشخص العاقل، وصلته الجملة الفعلية (تسبح...) للدلالة على التجدد والحدوث في استمرار تسبيح الملائكة لله تعالى بالإبكار والظهور، وفي ذلك دلالة إيحائية إلى قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

١١- النداء بجملة صلة الموصول في قوله عليه السلام: «يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شُغْلٌ عَنْ شُغْلٍ، يَا مَنْ لَا يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، يَا مَنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَجَشُّمِ حَرَكَةٍ وَلَا انْتِقَالٍ، يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ، يَا مَنْ يَرُدُّ بِالطَّفِّ الصَّدَقَةَ وَالِدَعَاءَ عَنْ أَعْنَانِ السَّمَاءِ مَا حَتَمَ وَأَبْرَمَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، يَا مَنْ لَا يَحِيطُ بِهِ مَوْضِعٌ وَمَكَانٌ، يَا مَنْ يَجْعَلُ الشِّفَاءَ فِيمَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، يَا مَنْ يَمْسِكُ الرَّمْقَ مِنَ الْمَدْنَفِ الْعَمِيدِ بِمَا قَلَّ مِنَ الْغَدَاءِ، يَا مَنْ إِذَا وَعَدَ

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: سماحة آية الله أبي القاسم الحزعلي: ٥٥٢ / ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥٠ / ٢.

(٣) سورة الشورى: ٥.

١٤٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجمَعِي) / ج ٣

وفي وإذا توعد عفا، يا مَنْ يملك حوائج السائلين، يا مَنْ يعلم ما في الضمير، يا عظيم الخطر، يا كريم الظفر»^(١).

١٢ - التقديم والتأخير من خصائص اللغة العربية التي تعني الخروج عن الترتيب المألوف في قواعد اللغة من حيث ترتيب المسند والمسند إليه في الجملة لأغراض بلاغية، وإن كان طرفا الإسناد مهمين^(٢)، مما يزيد في قوة التعبير، وتخصيص المراد من النص، وشدّ انتباه السامع، والتشويق للدعاء فضلاً عن رعاية الإيقاع الموسيقي كما جاء في قوله عليه السلام: «... يا مَنْ له وجه لا يبلى، يا مَنْ له نور لا يطفى، يا مَنْ له ملك لا يفنى، يا مَنْ فوق كلّ شيء أمره، يا مَنْ في البرّ والبحر سلطانه، يا مَنْ في جهنّم سخطه، يا مَنْ في الجنة رحمته»^(٣)، فنجد أن الإمام عليه السلام قال: «له وجه لا يبلى»، وليرقل (يا من لا يبلى وجهه)، فالعبارة الأولى تمتاز بقوة التعبير وبلاغته بالتأكيد على صفات الله تعالى التي تفرّد بها عن غيره، في حين أن العبارة الثانية قد امتازت ببساطة التعبير فكأنه كأي وجه لا يبلى لأسباب علمية وطبية وغيرها.

١٣ - العدول في الأسلوب وهو مصطلح بلاغي يدلّ على ترك طريقة في صياغة الكلام إلى طريقة أخرى أحسن منها في التعبير عن المعنى، لتقريره في نفس السامع وتأكيد^(٤)، وقد تمثل بالتغيير من أسلوب النداء إلى المتكلم (أشهد) إلى الخطاب المباشر (إنك) إلى الغائب (أنه) في قوله عليه السلام: «... أشهد والشهادة لي رفعة وعدة، وهي مني سمع وطاعة، وبها أرجو المفازة يوم الحسرة والندامة، إنك أنت الله لا إله إلا

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة ساحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥١ / ٢.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه: ٦٧ / ٢.

(٣) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة ساحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥١ / ٢.

(٤) ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٣٤، الخصائص، ابن جني: ٤٤٢ / ٢.

أنت وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمداً عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله، وأنه قد بلغ عنك وأدى ما كان واجبا عليه لك»^(١).

١٤ - التقابل الدلالي في استعمال الفعل المتعدي (عودتني، وأعطيتني) إلى مفعولين الذي قابل الجملة الفعلية التي تعدت إلى مفعول واحد وهو (سترت علي القبيح)؛ لأن القبح فيه من الخصوصية التي تتعلق بصاحب الدعاء ذاته في حين أن التعويد والعطاء الإلهي عام للقاصي وللداني، وليس فيه من الخصوصية لأحد دون آخر، فالناس سواسية كأسنان المشط، ولا يفرق بينهما في التفضيل إلا بالعمل الصالح، وهنا تكمن بلاغة التعبير في قوله عليه السلام: «... فطالما عودتني الحسن الجميل، وأعطيتني الكثير الجزيل، وسترت علي القبيح»^(٢).

١٥ - الدعاء بـ (اللهم) في الصلاة على محمد وآل محمد في قوله عليه السلام: «... اللهم، فصلّ على محمد وآله»؛ فقد ذكر السيوطي أن (اللهم) من الأسماء الخاصة بالنداء سماعاً، وأصله: لفظ الجلالة (الله) زيدت فيه الميم المشددة عوضاً من حرف النداء، ومن ثم لا يجمع بينهما إلا في الضرورة، وهذا مذهب البصريين، وجوز الكوفيون الجمع بينهما بناءً على رأيهم أن الميم ليست عوضاً منه، بل بقية من جملة محذوفة، وهي: أمنا بخير، ومذهب سيويه والخليل أن هذا الاسم (اللهم) لا يوصف؛ لأنه صار عندهم بمنزلة الصوت، يعني غير متمكن في الاستعمال^(٣).

١٦ - الدعاء المباشر بفعل الأمر الصريح الذي يفيد معنى الدعاء؛ لكونه من الأدنى إلى الأعلى في الصلاة على محمد وآله، وفي طلب الهداية، ونشر الرحمة، وانزال البركة من الله تعالى في قوله عليه السلام: «... فصلّ على محمد وآله، واهدني من عندك وأفض عليّ

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: ساحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥١ / ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥٢ / ٢.

(٣) ينظر: همع الهوامع، السيوطي: ٤٧ / ٢ - ٤٨، معاني النحو، فاضل السامرائي: ٢٧٩.

من فضلك، وانشر عليّ من رحمتك وأنزل عليّ من بركاتك»^(١).

١٧- الدعاء بفعل الأمر مع مصاحبة ضمير المتكلم (الياء) الذي يدلّ على التخصيص في الدعاء لنفسه؛ إلا أنه فيه دلالة إيجابية للمتلقي، والسامع، والقارئ في أخذ العبرة والموعظة منه عليه السلام؛ لأنهم قدوتنا وأئمتنا فهو مع مكانته الإلهية ووجاهته عند الله، ومع مكانته الاجتماعية المعروفة عند الجميع بوصفه إماماً معصوماً مفترض الطاعة إلا أننا نجد دعاءه عليه السلام يتضمن ألفاظاً فيها معانٍ توحى بعظم الخطيئة خاصة قوله عليه السلام: «وأقلني عثرتي» فضلاً عن ذلك الدعاء بطلب المغفرة والعون على الموت وعلى وحشة القبر، والميزان، والصراط، ويوم القيامة بقوله عليه السلام: «... وعجل فرجي، وأقلني عثرتي، وارحم عبرتي، وارددني إلى أفضل عادتك عندي، واستقبل بي صحّة من سقمي، وسعة من عدمي، وسلامة شاملة في بدني، وبصيرة ونظرة نافذة في ديني، ومهّدي وأعني على استغفارك واستقالتك قبل أن يفنى الأجل، وينقطع العمل، وأعني على الموت وكربته، وعلى القبر ووحشته، وعلى الميزان وخفّته، وعلى الصراط وزلّته، وعلى يوم القيامة وروعته»^(٢).

١٨- استعمال الطلب المباشر بالفعل (أسألك) المسند إلى كاف الخطاب المتعلّق بالذات الإلهية، وتخصيص الخطاب في نجاح العمل الصالح واستعماله، والقوة في السمع والبصر قبل انقطاع الأجل الذي هو الموت في قوله عليه السلام: «... وأسألك نجاح العمل قبل انقطاع الأجل، وقوّة في سمعي وبصري، واستعمال العمل الصالح ممّا علّمتني وفهمّنتي»^(٣).

١٩- السياق الخطابيّ الذي يمثّل عنصراً مهماً في تحقيق الاتساق والانسجام في

(١) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٢ / ٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥٢ / ٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥٥٢ / ٢.

مضمون الدعاء وشكله من حسن الافتتاح، وبلاغة الترتيب في تسلسل مضامين الدعاء، ثم حسن الختام في دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام؛ وكل ما ذكر يعزز السياق الخطابي الذي يمثل «استراتيجية تواصلية إلى التأثير في الآخر بالاعتماد على تمثيلات حجاجية تكون في شكل أفكار وآراء، وبهذا المعنى يصبح الحجاج شكلاً أو نظاماً تواصلياً يتفاعل فيه ما هو لفظي بما هو غير لفظي، وسيلته اللغة وغايته الإقناع»^(١)، وقد تضمن الدعاء وسيلة من وسائل الحجاج هو القياس الخطابي وهو: «آلية من آليات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك، بناءً على أن القياس يقوم على التجربة التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية»^(٢).

٢٠- التكرار وهو: «شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عاماً»^(٣)، ويكون لأغراض عديدة منها استيفاء المعاني التي يريد إيصالها عليه السلام إلى المخاطب أو القارئ أو السامع، وهذا يعود في اللغة إلى أمرين يتعلّقان باللفظ المتكرّر هما: «موسيقاه ونغمه، والثانية إلى معناه»^(٤)، وقد رأينا كيف كان حرف النداء (يا) كثير التكرار في دعاء الصباح للإمام الهادي عليه السلام، وأكثر مصاحبة للصفات الخاصة بالذات الإلهية، لتحقيق المباشرة في الدعاء، والإيجاز، والاختصار.

(١) الحجاج في النص القرآني- سورة الأنبياء أنموذجاً-: إيمان الدروني: ٤٩، وينظر: بلاغة الإقناع قراءة حجاجية في خطب الامام الحسين عليه السلام، رائد حاكم الكعبي: ٢٨.

(٢) الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة، حسن بوبلوط: ٩٩.

(٣) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي: ١٦، ١٧.

(٤) نماذج من الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم -دراسة دلالية- د. دفة بلقاسم: ١٥.

١٤٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

٢١- حسن الختام الذي تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه^(١)، بالدعاء بالصلاة على محمد ﷺ وعترته الطاهرة في قوله عليه السلام: «... وصلّ على من به فهمتنا، وهو أقرب وسائلنا إليك ربنا محمد وآله وعترته الطاهرين»^(٢)

(١) ينظر: خزانة الأدب: ابن حجة الحموي: ٤٩٤ / ٢

(٢) موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ: مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة: سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي: ٥٥٢ / ٢

الخاتمة ونتائج البحث

١- يعدُّ الدعاء وسيلةً الوصل بين العبد وربّه، ومما يزيد في أهميته كون الداعي هو الإمام الهادي عليه السلام، وهو قدوة وأسوة للعالم كافة، وللمؤمنين خاصة، فعلى أن نتخذ من سيرته العبرة ما ينير الطريق لنا في الدنيا، وما يحقق الثواب في الآخرة؛ لأن دعاءهم عليه السلام لا يحمل في مضامينه إلا الخير، وخير الأوقات له هو وقت الصباح الذي تكرر دعاء أهل البيت عليه السلام فيه؛ كونه يمثل بدء يوم جديد فعسى الفرد منا أن يفتتحه بالدعاء والتوسل إلى الله تعالى ليكون مفتاحاً للصالح والتوفيق والسداد في الحياة اليومية القادمة للفرد.

٢- ضرورة التمسك بسيرة أهل البيت عليهم السلام قولاً وفعلاً، من طريق التمسك بطريقتهم في الدعاء، وكل ما يحقق استجابة الدعاء من نقاء القلب، وصفاء النية، وغيرها من البواطن فضلاً عن الأمور التي تتعلّق بالظواهر من التوجه نحو القبلة، والطهارة، وفتح اليدين وغيرها.

٣- أن الاتساق والانسجام قد تحقّقا في دعاء الصباح بشكل واضح من طريق الدراسة التحليلية، فالانساق يتعلّق بالبنية السطحية الشكلية للنص التي تقوم على مجموعة من الأدوات الداخلية منها الضمائر والتكرار والتضاد، والانسجام الذي هو مجموعة من العلاقات الدلالية المتمثلة بوحدة الموضوع وعدم التناقض، والمقابلة بين فكرتين، والانسجام الصوتي.

٤- تظهر بلاغة الإمام عليه السلام في الإعجاز اللغوي وبراعة الترتيب في الانتقال والتسلسل في الدعاء مع تحقيق التأثير على المتلقي والسامع ولفت الانتباه إليه؛ عن طريق الإحالة النصية المتمثلة بالتكرار، والتضاد، والتقابل الدلالي، والإحالة المقامية التي تتعلّق بخارج النص.

٥- المحال إليه في دعاء الصباح وقع في عناصر راعى فيها الإمام الهادي عليه السلام

١٥٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلم المجتمعي) / ج ٣

الترتيب الوجودي لله تعالى والدعاء بالصفات الخاصة بالذات الإلهية، والصلاة على محمد وآله عليه السلام.

٦- كثرت الإحالة القبلية بالضمائر وهي (هو، الكاف، له).

٧- الإحالة بالاسم الموصول (الذي) وما يتعلق به من جملة صلة الموصول.

٨- الإحالة بحروف العطف وكانت (الواو) أكثرها تكراراً، وهي أصل حروف العطف؛ لأنها تدلّ على الجمع والاشتراك وغيرها يدل على الاشتراك وعلى معنى زائد كالترتيب والمهلة، والشك وغير ذلك^(١)، وبما أن الإمام عليه السلام كان كلامه في سياق الدعاء المباشر بسائر الدعوات المختلفة بين العبد المخلص وربّه التي تتميز بالانسجام والتماسك، فكانت (الواو) أكثر استعمالاً من بعض حروف العطف الأخرى التي تفيد المهلة والترتيب.

٩- حسن الختام في الصلوات على محمد وآل محمد إذ إنّ حبّ آل البيت عليه السلام له الأثر الكبير في إيمان المؤمن كما هو مروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهلي أحبّ إليه من أهله وذاتي أحبّ إليه من ذاته»^(٢)

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٦/٥، ينظر: الأشباه والنظائر، السيوطي: ١٢٤/٢، أسرار العربية، أبو بركات الأنباري، تحقيق: د. فخر صالح قدارة: ٢٦٧، المحرر في النحو، عمر بن عيسى الهرمّي، تح: منصور علي محمد عبد السمیع: ٩٩٤-٩٩٥.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي: ٥/٧٥.

المصادر والمرجع

- القرآن الكريم
- الأئمة الاثنا عشر: الشيخ جعفر السبحاني، د.ط، د.ت.
- اتفاق المباني وافتراق المعاني: سليمان بن بنين الدقيقي النحوي (ت ٦١٤ هـ)، تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر، ط ١، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.
- أسرار العربية: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧ هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، ط ١، ١٩٩٥ م.
- الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، راجعه وقدم له د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.
- إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ الطبرسي (٥٤٨ هـ)، ط ١، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم المشرفة، ١٤١٧ هـ.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (١٣٧١)، تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف، بيروت، لبنان.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩ هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بجامع الأزهر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٤ هـ.
- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج، ط ١، الناشر: مكتبة نزار

١٥٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

مصطفى الباز - مكة المكرمة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- بلاغة الإقناع قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام: رائد حاكم الكعبي، مجلة العميد، السنة الثالثة، المجلد الثالث، العدد الأول، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

- البيان والبيان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٧، مطبعة المدني، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- تاريخ الأئمة (المجموعة النفيسة): الكاتب البغدادي (٣٢٢هـ)، الناشر: مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي، باهتمام: السيد محمود المرعشي، ١٤٠٦هـ.

- الحجاج في كتاب الامتاع والمؤانسة (رسالة ماجستير): حسين بوبلوطه، كلية الآداب، الجزائر، ٢٠١٠م.

- الحجاج في النص القرآني - سورة الأنبياء أنموذجاً - (رسالة ماجستير): إيمان دروني، جامعة بانتة، كلية الآداب، الجزائر، ٢٠١٣م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي، تحقيق: عصام شعيتو، ط ١، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٧م.

- الخطابة: أرسطو أطليس، حققه وعلّق عليه: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٤٩م.

- دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري الشيعي، ط ١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٢هـ.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، لآحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢هـ) تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، ١٩٧٥م.

- شأن الدعاء: أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي، (د.ط.د.ت).

البحث الخامس: دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام دراسة تحليلية ١٥٣

- شرح المفصل: موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦١٧هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. اميل بديع يعقوب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- عمدة الطالب: ابن عنبه (٨٢٨)، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، ط ٢، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ضبط وتحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- فصول في علم اللغة التطبيقي، علم المصطلح وعلم الاسلوب: د. فريد عوض حيدر، ط ١، مكتبة.
- فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة: السيد ابن طاووس: أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد، تحقيق: غلام حسين المجيدي، ط ١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٩ق، ١٣٧٧ش.
- الكافي: أبو اسحاق جعفر بن محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، نص: علي أكبر الغفاري، ط ٥، حيدري، طهران، ١٤١٧هـ.
- الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، ١٩٦٦-١٩٧٧م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) بولاق، مصر، ١٢٨١هـ.

١٥٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجتمعي) / ج ٣

- الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء العكبري محب الدين عبدالله بن الحسين بن عبدالله، تحقيق: غازي مختار طليحات، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار صادر - بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص: محمد خطابي، المركز الثقافي، بيروت، ١٩٩١م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: دكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، مصر ١٩٦٠-١٩٦٢م.
- مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- المحرر في النحو: عمر بن عيسى بن إسماعيل الهرمي (ت ٧٠٢هـ)، تحقيق: منصور علي محمد عبد السميع، ط ١، دار السلام، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرفاعي: أحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- معاني النحو، د. فاضل السامرائي، مطبعة التعليم العالي، الموصل، الطبعة الأولى ١٩٨٦م - ١٩٨٧م.

البحث الخامس: دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام دراسة تحليلية ١٥٥

- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

- معهد بحوث الالكترونيات: Electronics Research In statute أو: سلوى حمادي hesalwa@hotmail.com.

- المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م.

- موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، السيد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، المشرف على تأليف الموسوعة سماحة آية الله أبي القاسم الخزعلي، ط١، مؤسسة ولي العصر، مركز الدراسات الإسلامية، قم المشرفة، ربيع الأول، ١٤٢٣هـ.

- نقش خواتيم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، الشيخ جعفر السبحاني، د.ط، د.ت.

- نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم -دراسة دلالية-: أ.د. دفة بلقاسم، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، ٢٠٠٩م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، السيوطي (ت ٩١١)، مطبعة السعادة بمصر عام ١٣٢٧هـ.



البحث السادس
استعراض تطور خبر إنشاد
الإمام الهادي عليه السلام
عند المتوكل

ليلي شريفي

منصور داداش نجاد

مركز بحوث الحوزة والجامعة المدرسة العلمية المعصومية

إيران

إيران



بسم الله الرحمن الرحيم

فذلكة تأريخية (خلاصة النص)

حسب التقارير الموجودة في بعض المصادر، أن الإمام الهادي (م ٢٥٤ ق) أنشد في أحد مجالس المتوكل (ح ٢٣٢-٢٤٧) أبياتاً في ذم الدنيا وغدرها؛ فأنثرت في نفسية المتوكل. تختلف المصادر الموجودة حول سابقة القصيدة وشاعرها وعدد أبياتها وغيرها من التفاصيل. هذا البحث بصدد استعراض هذا الحادث مع اتجاه تأريخي ودراسة للمصادر التاريخية والروائية والتفسير والأدب. ويعرض مراحل تطور هذا الخبر. تفيد نتائج البحث أن القصيدة المنشودة من الأشعار العامية ذات سابقة قبل الإمام الهادي عليه السلام. حيث تنشد في حالات تتعلق بتذكر الموت. فتمثل الإمام عليه السلام بها فقط. وكذلك انتسابها إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأيضاً أصالة الأبيات المذكورة في المصادر الصفوية غير ممكن إثباته مستنداً إلى هذه المصادر.

الكلمات الرئيسية: الإمام الهادي عليه السلام، الأنشودة، أشعار أهل البيت، المتوكل، الأدبي.

المقدمة:

ولد الإمام الهادي عليه السلام الإمام العاشر لدى الشيعة في المدينة في شهر ذي الحجة سنة (٢١٣ق)، وتصدى للإمامة سنة (٢٣٠ق)، واستمرت إمامته ٣٣ سنة حتى استشهاده سنة (٢٥٤ق)، عاصر الإمام مع ستة من الحكام العباسيين منهم المتوكل (٢٣٢-٢٤٧ق). لقد فاق المتوكل غيره من الحكام العباسيين في التضيق على الشيعة وأثمتهم^(١)، بعد سنة من تصدي المتوكل للحكم، وفي سنة ٢٣٣ ق اجتلب الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء. وجعل تحت سيطرة ورقابة بلاط الحكومة، وكان يستدعى أحياناً إلى بلاط الخليفة، قام المتوكل بالاستخفاف بالإمام فدعاه مرة إلى حفلته المصحوبة بشرب الخمر، فحضر عليه السلام المأدبة. لكن رفض أمر المتوكل بشرب الخمر، وأنشد شعراً تنبيهه المتوكل^(٢).

ورد تقرير هذه الحفلة ومواجهة المتوكل مع الإمام عليه السلام في مصادر كثيرة للشيعة والسنة، وبعنوان إحدى خصائص الإمام التي هي تأثير كلامه في تنبيه النفوس، والمحكية في المصادر التاريخية، لكنه إلى الآن لم يتعرض تطور وانتشار هذا الخبر للاستعراض والفحص؛ فهذه المقالة تحمل هذه المسؤولية.

هذا الاستعراض مهم من أجل تبين سيرة الإمام الهادي عليه السلام في مجال إنشاد الشعر والتمثل به وجواز ذلك، في حالة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إنشاد الشعر، ووجود آراء فقهية أيضاً في باب كراهة الشعر^(٣)، إلى جانب الاستعراض الخاص للموضوع نسعى إلى تحقيق أدق لنسبة الأقوال والكلمات الحكمية إلى زعماء الدين.

انتظم هذا التحقيق على أساس الفحص في المصادر التاريخية والروائية والأدبية

(١) حمد الله المستوفي القزويني، تاريخ كزیده، ص ٣٢٢.

(٢) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي، الخلاف، ج ٦، ص ٣٠٨، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ١٦٩.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٦١

والفقهية، وأفادت برامج الحاسوب المنتجة في المركز الكمبيوتر للعلوم الإسلامية مساعدة وافرة في هذا المجال، استوعب هذا التحقيق الفحوص والمؤلفات المنجزة حتى العصر الصفوي (٩٠٧-١٣٥٠ ق) من غير تقييد بمكان خاص.

أكثر المصادر المدونة حديثاً حول تأريخ الإمام الهادي عليه السلام وسيرته ذكرت قصيدته، ولكن لم يتصد واحد منها لاستعراض تطورها وازدياده الذي تصدت له هذه المقالة.

١ - خبر إحضار المتوكل العباسي للإمام الهادي عليه السلام

كتبت المصادر حول ترجمة الإمام الهادي عليه السلام: أن جماعة من أعوان المتوكل قاموا بالسعاية ضد الإمام، واتهموه بإجراءات مضادة للحكومة، وأنه مرتبط بمعارضتي الخلافة؛ فأمر المتوكل أزلامه بفحص بيت الإمام ليلاً، فلم يعثروا على شيء مريب. بل وجدوه مقبلاً على العبادة وتلاوة آيات الكتاب المجيد؛ فاجتلبوا الإمام عليه السلام بهذا الحال إلى مجلس المتوكل الملتهي بالخمير، وبعد أن خلت يده عن حجة لإيذاء الإمام عليه السلام قدم له كأس الخمير، فاعتذر عليه قائلاً: «لم يختلط لحمي ودمي بها، فاعفني منها». فعفاه المتوكل وطلب منه أن يطرفه بشعر يسره، فاعتذر الإمام عليه السلام، لكنه لم يعذره وألح عليه؛ فأنشد الإمام عليه السلام القصيدة التالية التي تبلغ تسعة أبيات^(١):

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم	غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستزلوا بعد عز عن منازلها	إلى مقابرهم يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود تنتقل

(١) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١.

١٦٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما أكثروا الأموال وادخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
وطالما شيدوا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
اضحت مساكنهم قفراً معطلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
اصناف واشكال نقل الحادث المتنوعة.

كان للأبيات المنشودة انعكاس في مصادر متنوعة لم تعطنا جميعها تقريراً موحداً
عنها، فبعض المصادر عدّه من الشعر القديم يتعلّق بالعصر السابق على الإمام
الهادي عليه السلام. وبعض ارتبط بموقع ومكان آخر لا يتعلق بالإمام الهادي عليه السلام.

الصور المتنوعة لنقل الحادث والقصيدة، مشروحة كما يلي:

النوع الأول: أدرج بعض المصنفين الأشعار المذكورة ضمن عنوان (الموت)
ولم يتعرضوا لمنشدها، في طليعة هؤلاء الكتاب ابن قتيبة (م ٢٧٦ق)، الذي - مع ذكره
سته أبيات منها -، كتب أنها قرئت على قبر في الشام^(١).

النوع الثاني: زعم بعضهم أن هذه الأبيات مسطورة على قصر سيف بن ذي
يزن المشهور بقصر غمدان، تتعلّق بعصر ما قبل الإسلام؛ لأول مرة ذكر هذا أبو بكر
أحمد الدينوري (م ٣٣٣ق) في كتاب المجالسة وجواهر العلم^(٢).

النوع الثالث: زعم جمع كثير من المصنفين انتساب الأبيات المسبوقة إلى الإمام
الهادي عليه السلام، وأنها منشدة في مجلس المتوكل، فالمسعودي (م ٣٤٦ق) هو أول من ثبت
هذا التقرير في مروج الذهب^(٣).

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) أحمد بن مروان الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ج ١، ص ٣٩٠.

(٣) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٦٣

النوع الرابع: يزعم جماعة انتساب الشعر المذكور إلى الإمام علي عليه السلام، منهم الميدي (م ٩١١ ق^(١))، ويعتقد بعض أن الأشعار من إنشاد أمير المؤمنين علي عليه السلام قرأها الإمام الهادي عليه السلام في مجلس المتوكل^(٢).

فمن بين الأنواع المذكورة، الرأي الثالث الذي نسب الشعر إلى الإمام الهادي عليه السلام أكثر شهرة.

تطور قصيدة الإمام الهادي عليه السلام في المصادر.

توجهت مصادر القرنين الثالث والرابع إلى هذه القصيدة لأول مرة، ونقلت المصادر اللاحقة التقارير السابقة عادة متأثرة بالأخطاء والزوائد والنقائص. فتعرّضت لخلافات بسيطة، ونحن هنا نستعرض مراحل تطور نقل الشعر في المصادر وخلافاتها المذكورة ضمن الأنواع الأربعة:

النوع الأول: رواية ابن قتيبة الدينوري.

على وفق رواية ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار، وهو أول وأقدم خبر وجد حول هذه القصيدة^(٣)، لهذا الخبر أربع خصائص:

١- لم يقدم ابن قتيبة سنداً لتقريره هذا بل نقله بعبارة (بلغني)، فلذلك يحتمل أنه تلقاه مشافهة.

٢- لم يبين لنا المنشد والقائل لهذه الأبيات.

٣- نقل الأبيات الستة في أولها فقط.

٤- شوه الشعر المذكور على قبر في الشام، وليس له أية علاقة بالإمام

(١) الحسين بن معين الدين الميدي، ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٢١.

(٢) مجد الدين النجفي الاصفهاني، المختار من القصائد والأشعار ص ١١.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، ج ٢، ص ٣٢٦.

الهادي عليه السلام.

هذا التقرير، وبهذا النمط الذي نقله ابن قتيبة لم يصل شهرة معتداً بها في المصادر المتأخرة، بل قد نقله عدد يسير من المصنفين على وفق نقل ابن قتيبة. ذكر ابن نايقا (م ٤٥٨ق) في الجمان في تشبيه القرآن على وفق رواية ابن قتيبة^(١).

سجل مصنفون آخرون هذه القصيدة أو بعض أبياتها في مناسبات تتعلق بتذكر الموت وذكر جفاء الدنيا وغدرها. فمصنف مجهول من القرن الرابع صاحب كتاب التفسير الفارسي العتيق^(٢) وأبو حيان التوحيدي (م ٤١٤ق)^(٣) وابن عبد البر (م ٤٦٤ق)^(٤) والمبيدي (م ٥٣٠ق)^(٥) وابن الجوزي (م ٥٩٧ق)^(٦) والديلمي (م ٨٤١ق)^(٧) والسخاوي (م ٨٩١ق)^(٨)، هم من جملة المصنفين الذين تمثلوا بهذه الأبيات عند التذكير بفناء الدنيا وأيضاً عند التعرّض لبعض الوفيات من غير تبين لمصدرها ومناسبتها، وعلى رأي هؤلاء تكون هذه الأشعار أشعاراً عامية وقديمة تخص المناسبات المذكورة ولا حاجة إلى معرفة قائلها.

النوع الثاني: رواية وهب بن منبه

ما يقارب خمسين سنة بعد ابن قتيبة الدينوري أدرج مواطنه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري (م ٣٣٣ق)، مؤلف كتاب المجالسة وجواهر العلم، هذه الأشعار في

(١) عبد الله بن محمد بن نايقا، الجمان في تشبيه القرآن، ص ١١٢.

(٢) مجهول، قسم من التفسير العتيق بالفارسية (القرن الرابع)، ج ١، ص ٢١٩.

(٣) علي بن محمد ابو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ج ٤، ص ١٩٨.

(٤) يوسف بن عبد الله بن عبد البر، بهجة المجالس، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٥) رشيد الدين المبيدي، كشف الأسرار، ج ٢، ص ٥٩١، نفسه ج ٥، ص ١٥٩.

(٦) عبد الرحمن بن الجوزي، بستان الواعظين، ص ١٩٤.

(٧) الحسين بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب، ج ١، ص ٢٩.

(٨) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٥٨.

كتابه مع ذكر سند لها^(١).

خصيصة خبره بالشرح الآتي:

١ - يسند خبره إلى وهب بن منبه (م ١١٤ ق) ويعرفه هكذا:

«حدثنا أحمد بن محمد البغدادي حدثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب ابن منبه»^(٢).

٢ - لم يعرف أيضاً قائل هذا الشعر.

٣ - درج في هذا الخبر ستة أبيات من القصيدة.

٤ - حسب إخباره كان الشعر منقوشاً على قصر سيف بن ذي يزن في اليمن بخط المسند ثم نقل إلى العربية متأخراً، وسيف بن ذي يزن هذا كان من ملوك اليمن عاش قبل الإسلام بخمسين سنة.

رسخ خبر أبو بكر أحمد الدينوري هذا في المصادر اللاحقة ونقل كما هو.

نقل الطرطوشي (م ٥٢٠ ق) في كتابه سراج الملوك تحت عنوان (مواعظ الملوك) ستة أبيات من الشعر عن قول وهب بن منبه، ويقول: كان الشعر مكتوباً على قصر سيف بن ذي يزن^(٣). ولم يذكر مصدراً لذلك.

أدرج الأبشيهي (م ٨٥٠ ق) في المستطرف^(٤) والسخاوي (م ٩٠٢ ق) في

(١) أحمد بن مروان بن محمد الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ج ١، ص ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، سراج الملوك، ص ١٠.

(٤) محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف، ص ٥١٦.

١٦٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

البلدانيات^(١) والبحراني (م ١١٨٦ق) في الكشكول^(٢) وابن عجيبة (م ١٢٢٤ق) في البحر المديد^(٣)، التقرير نفسه الذي ينتهي إلى وهب بن منبه، والخبر هذا موافق للخبر الأول ومكمل له، فيحتمل أن يكون أساساً لخبر ابن قتيبة قد حذف منها بعض التفاصيل.

كان عصر ابن قتيبة (م ٢٧٦ق) متقدماً على عصر أبي بكر أحمد الدينوري (م ٣٣٣ق)، لكن مع ملاحظة السند الذي قدمه أبو بكر الدينوري للشعر وأوصله إلى وهب بن منبه (م ١١٤ق)، يمكن الحصول على قَدَمِ خبره ويقال: إن مصدر رواية ابن قتيبة هو خبر وهب بن منبه.

النوع الثالث: خبر المبرّد.

بعد هذا بقليل يقدم لنا علي بن الحسين المسعودي (م ٣٤٦ق) رواية أخرى عن هذا الخبر في مروج الذهب^(٤). يختلف خبر المسعودي عن الخبرين اختلافاً أساسياً.

يتفاوت سند المسعودي عن المصادر السابقة وهو هكذا: «وحدّث أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال حدثنا: محمد بن يزيد المبرّد...» فينتهي سند المسعودي إلى المبرّد (م ٢٨٥ق)، ولم يتعين السند الذي نقله المبرّد، وعلى هذا يكون سند المسعودي متأخراً عن السند السابق الذي ينتهي إلى وهب بن منبه (م ١١٤ق). جدير بالذكر أن هذا السند لا يوجد في الكامل للمبرّد، حتى يتابع اتصال السند فيه.

٢- أهم تغيير موجود في رواية المسعودي هو ارتباط الأشعار بالإمام الهادي عليه السلام وإنشاده لها في حفلة المتوكل، ففي هذا الخبر بعد سعاية أقرباء المتوكل بالإمام

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، البلدانيات، ص ١٩٩.

(٢) يوسف بن أحمد البحراني، الكشكول، ج ١، ص ٢٧٦.

(٣) أحمد بن عجيبة، البحر المديد، ج ٥، ص ٢٨٩.

(٤) علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب، ج ٤، ص ١١.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٦٧

الهادي عليه السلام وتفتيش بيته وثبوت براءته، قد تأثر المتوكل من استماعه الأشعار حين قراءة الإمام لها^(١).

٣- وصل عدد الأبيات في خبر المسعودي إلى تسعة وزادت ثلاثة أبيات على رواية وهب بن منبه.

د. استخدم المسعودي كلمة «أنشد» لقراءة الإمام، وهذا يدل على أنه عليه السلام قرأه متمثلاً به لا أنه كان أنشده بنفسه^(٢).

قامت المصادر المتأخرة متأثرة بالمسعودي واتكالا على مروج الذهب بدرجة الخبر بصورة مستقيمة أو بواسطة مصادر آخر لا سيما عن طريق وفيات الأعيان لابن خلكان (م ٦٨١ ق)، وبعضهم من دون أن يذكروا إسناد الخبر نقلوه مثل المسعودي، وفرضوه مرتبطاً بالإمام الهادي عليه السلام والمتوكل، وهذا يبين استفادتهم من المسعودي من دون ذكرهم للمصادر، فقد حصل هذا الخبر على التكرار وكثرة الورود في المصادر المتأخرة.

وبعض المصنفين الذين نقلوا الخبر مثل مروج الذهب للمسعودي، وحسبوا قراءة الإمام للأشعار متعلقة بحفلة المتوكل، هم كالأتي:

عبد الملك بن كردبوس التوزري (الموجود في ٥٧٥ ق) في الاكتفاء^(٣)

(١) يقول الكراجكي (م ٤٤٩ ق) في كنز الفوائد، ج ١، ص ٣٤١، من غير مراجعة أو ذكر لمصدر قوله: «أحضر بعض الحكام العباسيين أحد الأئمة وأظنه كان الإمام الجواد عليه السلام والحاكم هو المتوكل؛ فطلب المتوكل من الإمام أن ينشد شعراً؛ فقرأ هذه الأشعار» ثم اتبع ذلك بستة أبيات من الشعر، من الواضح أن الكراجكي اتكل على ذاكرته؛ لأن الإمام الجواد عليه السلام قد استشهد في سنة ٢٢٠ ولم يدرك عصر المتوكل.

(٢) انظروا: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج ٩، ص ٢٢٣.

(٣) عبد الملك بن كردبوس التوزري، الاكتفاء، ج ٢، ص ٢١٢.

١٦٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

والشريشي (م٦١٩ق) في شرح مقامات الحريري^(١) وابن البحري الحلبي (م٦٢٥ق) في أنس المجنون^(٢) وسبط بن الجوزي (م٦٥٤ق) في تذكرة الخواص^(٣) وابن خلكان (م٦٩١ق) في وفيات الأعيان^(٤) والعلامة الحلي (م٧٢٦ق) في منهاج الكرامة^(٥) وأبو الفداء (م٧٣٢ق) في تأريخ أبي الفداء^(٦) والذهبي (م٧٤٨ق) في تأريخ الإسلام^(٧) وابن الوردي (م٧٤٩ق) في تنمة المختصر^(٨) والصفدي (م٧٦٤ق) في الوافي بالوفيات^(٩) واليافعي (م٧٦٨ق) في مرآة الجنان^(١٠) وابن كثير (م٧٧٤ق) في البداية والنهاية^(١١) وسيد حيدر الآملي (م٧٨٢ق) في تفسير المحيط الأعظم^(١٢) والخواجه محمد بارسا (م٨٢٢ق) في فصل الخطاب^(١٣). وهناك كتاب آخرون استوعبوا خبر المسعودي ذلك متأثرين به^(١٤) أو بواسطة مصادر أخر سيما بالرواية عن

(١) أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، شرح المقامات الحريري، ص ٢١٥.

(٢) عيسى بن البحري الحلبي، أنس المجنون، ص ٢٤٢.

(٣) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٢٣.

(٤) أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٥) الحسن بن يوسف الحلبي، منهاج الكرامة، ص ٦٥.

(٦) إسماعيل بن علي أبو الفداء، تأريخ أبي الفداء، ج ١، ص ٣٦٠.

(٧) شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٨، ص ١٩١.

(٨) زين الدين عمر ابن الوردي، تنمة المختصر، ج ١، ص ٣٤٧.

(٩) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٢، ص ٤٨.

(١٠) عبدالله بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان، ج ٢، ص ١٦٠.

(١١) عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٥.

(١٢) حيدر بن علي الآملي، تفسير المحيط الأعظم، ج ١، ص ٥٧٥.

(١٣) خواجه محمد بارسا، فصل الخطاب، ص ٥٩١.

(١٤) بعض المصادر الأخر التي روت الشعر ونسبته للإمام الهادي عليه السلام متكلمة على رواية المسعودي حول الإمام هي: الدميري (م٨٠٨ق) في حياة الحيوان؛ القلقشندي في مآثر الانافة؛ ابن طولون (م٩٥٣ق) في الأئمة الاثنا عشر؛ أبو مخرمة (م٩٤٧ق) في قلادة النحر؛ البهائي (م١٠٣١ق) في الكشكول؛ ضامن

ابن خلكان^(١).

النقطة المهمة والجديرة بالملاحظة حول النوع الثالث الذي يرتبط بالإمام الهادي عليه السلام، هي أن هذا الخبر لم يرسخ في المصنفات القديمة التي دوّنها الشيعة حول سيرة المعصومين وحياتهم مع اختصاص قسم منها بحياة الإمام الهادي عليه السلام. مصادر كالإرشاد للشيخ المفيد (م ٤١٣ ق)، وأعلام الوري للطرسي (م ٥٤٨ ق) والمناقب لابن شهر آشوب (م ٥٨٨ ق)^(٢)، رغم روايتهم لخبر السعاية بالإمام عليه السلام عند المتوكل وتفتيش منزله لكنهم لم يخبروا عن إحضار الإمام عليه السلام وإنشاده الشعر، ولو حظ هذا الخبر في المصادر السنية بكثرة.

ليرؤى خبر المسعودي إلى سابقة الشعر لكنه لا ينافي الخبر السابق المتصل إلى وهب بن منبه.

يحتمل كثيراً أن الإمام عليه السلام تمثل بالشعر الدارج بين العامة والمجاميع العلمية مسبقاً، وليس من إنشاده بدواً، وبما أنه يحتوي على معاني حكمية ومناسبة استشهد به الإمام عليه السلام لتنبيه المتوكل، كما أن سائر الأئمة عليه السلام قد تمثلوا بأشعار الشعراء أحياناً.

النوع الرابع: إنشاد الإمام علي عليه السلام.

من القرن التاسع وبعده، لا سيما عند تسلط الدولة الصفوية (٩٠٧-١١٣٥ ق)،

بن شذقم (م ١٠٩٠ ق) في تحفة الأزهار؛ الشبراوي (م ١١٧١ ق) في الانحاف؛ المجلسي (م ١١١٠ ق) في بحار الأنوار؛ نعمة الله الجزائري (م ١١١٢ ق) في رياض الأنوار؛ الشيخ عباس القمي (م ١٢٥٩ ق) في منتهى الآمال؛ الأمين (م ١٣٧٢ ق) في أعيان الشيعة.

(١) البندنجي، جامع الأنوار، ١٥٨؛ ابن وادرن، تاريخ العباسيين، ص ٥٩٨؛ الشبلنجي، نور الأبصار، ص ٣٣٦؛ المدرس، ربحانة الأدب، ج ٥، ص ١٧٣.

(٢) محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٢٠٣؛ الفضل بن الحسن الطبرسي، أعلام الوري، ج ٢، ص ١٢٠.

١٧٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

عدّ بعض المصادر ومستنداً إلى ديوان الإمام علي عليه السلام^(١)، هذا الشعر من إنشاد الإمام. أهم ما يميز الرواية بحسب النوع الرابع إضافة إلى تبديل الشاعر، هي أن القصيدة بلغت من تسعة أبيات إلى خمسة وعشرين بيتاً. المصادر التي ذكرتها كذلك كالآتي:

علي بن الحسين بن معين الدين الميدي (م ٩١١ق)، في شرح ديوان الإمام علي عليه السلام، نسب الشعر إلى الإمام وذكر ٢٥ بيتاً منه^(٢). ابن الكربلائي (م ٩٩٧ق) في روضات الجنات أيضاً نسب هذا الشعر إلى الإمام علي عليه السلام قائلاً هكذا:

قد أخبر سيد الأولياء علي المرتضى عليه آلاف التحية والثناء، عن أحوال السلاطين الغابرة الذي باد أثرهم وأفنى عليهم الدهر بهذه الأبيات: باتوا على قلل الجبال تحرسهم...^(٣)

كذلك أحمد بن يوسف البحراني (م ١١٨٦ق) في الكشكول ونقلاً عن الديوان المرتضوي سرد ٢٥ بيتاً من هذه الأشعار^(٤). حبيب الله الكاشاني (م ١٣٤٠ق) في تفسير الست سور، ونقلاً عن الديوان العلوي الذي يتكفل رواية أشعار الإمام علي عليه السلام يذكر تسعة أبيات من هذا الشعر^(٥). وبعد هؤلاء الشيخ مجد الدين النجفي الاصفهاني (م ١٤٠٣ق) إضافة إلى نسبه الأشعار إلى الإمام علي عليه السلام أشار إلى تمثل الإمام الهادي عليه السلام بها في حفلة المتوكل^(٦). ليس هناك سابقة لانتساب الأشعار إلى

(١) ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الأشعار المنسوبة إلى الإمام التي جمعها كتاب مختلفون منهم الجلودي (م ٣٢٢ق)، الفنجركدي النيسابوري (م ٥١٣ق) وقطب الدين الكيدري (م ٦١٠ق).
(المصدر: الآقا بزرك الطهراني، الذريعة، ج ٢، ص ٤٣١).

(٢) الحسين بن معين الدين الميدي، ديوان أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٢١.

(٣) حافظ حسين الكربلائي، روضات الجنان وحنات الجنان، ج ١، ص ٥٣٠.

(٤) يوسف بن أحمد البحراني، الكشكول، ج ٣، ص ١٤٧.

(٥) حبيب الله بن علي مدد الكاشاني، تفسير ست سور، ص ٢٥٨.

(٦) الشيخ مجد الدين النجفي الاصفهاني، المختار من القصائد، ص ١٠.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٧١

الإمام علي عليه السلام في المصادر القديمة لا سيما مع تضاعف أبيات الشعر وبلوغها من الستة إلى خمسة وعشرين يبين توسع الشعر في العصور اللاحقة. كان الهدف من انتسابه إلى الإمام لغرض ترويجه واعتباره. من حيث إن الشعر حاوٍ لنكت أخلاقية حدث تساهلاً في انتسابه إلى الإمام علي عليه السلام؛ لأن العامة تميل عادة إلى إسناد الأقوال العظيمة والحكيمة إلى شخصيات الدين، لكن خصوص هذا المورد لا تؤيده المصادر.

مع ملاحظة المحتوى الرفيع لهذا الشعر ورونقه قد تمثل به أشخاص آخرون أيضاً، وأحياناً زعموا أنه من إنشادهم، ذكر الجرجاني (م ٤٣٠ ق) تسعة أبياتٍ منه في باب (زوال النعمة) تبعاً لمروج الذهب قائلًا: إنها من إنشاد أبي الهيثم بن مروان الزاهد^(١).

و بعض آخر قام بتنسيق أشعاره اتكالاً على هذا الشعر والمضمون، واستمدَّ به في أشعاره، منهم ياسر بن تركي بن ثابت الرصافي الخطيب المحتسب، من مشايخ ابن عساكر (م ٥٧١ ق)^(٢).

(١) الحسين بن إسماعيل الجرجاني، الاعتبار وسلوة العارفين، ص ١٥٧.

(٢) علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ج ٢، ص ١٢٣٦.

النتيجة:

نسبت المصادر القديمة قصيدة ذات تسعة أبيات إلى الإمام الهادي عليه السلام، وذكروا أنه أنشدها في حفلة المتوكل لتنبيهه مع ندمائه، وعلى وفق تقرير بعض مصادر آخر، يتصل زمنها بالعصر الجاهلي. في التحقيق الحاضر ومع متابعة أنواع نقل الخبر، انحصر الأخبار حسب جذورها وأصولها في أربعة أنواع: الثلاثة الأولى منها (رواية ابن قتيبة، رواية وهب بن منبه، رواية المبرّد) صالحة الجمع معاً لا تنافي بينها. وأسند النوع الرابع فقط إلى الإمام علي عليه السلام وبلغ أبياته ٢٥ بيتاً، فلا أصل له في المصادر القديمة. فإذا هذا الانتساب لا اعتبار لها.

أمثال هذه الأشعار الحاوية للنكت الأخلاقية والمضامين العالية والمنبهة كانت ملحوظة عند العامة يستندون إليها في المناسبات.

لم يتضح قائل أمثال هذه الأشعار، ويمكن عدّها حصيلة عدة أجيال قام كل جيل في وقته بالإضافة إليها أو الإقلال منها، وتمثل الإمام الهادي عليه السلام أيضاً في حفلة المتوكل بمورد من هذه الأشعار. ثم بعد ذلك وبعد ما بلغ الشعر منزلة خاصة عند النخب نسب إلى الإمام علي عليه السلام مع زيادات ودرج في ديوانه.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٧٣

المصادر:

- ١- الآقا بزرك الطهراني، محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، قم: اسماعيليان، ١٣٨١ق.
- ٢- الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق سعيد محمد اللحام، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٩ق.
- ٣- أمين العاملي، السيد محسن، أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف، ١٤٠٣ق.
- ٤- الأملي، حيدر بن علي، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق محسن الموسوي التبريزي، قم، نور على نور، ١٤٢٢ق.
- ٥- ابن البحري الحلبي، عيسى، أنس المجنون وراحة المحزون، تحقيق محمد أديب جادر، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م.
- ٦- البحراني، يوسف بن أحمد، الكشكول، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٨م.
- ٧- البندنجي، عيسى صفاء الدين، جامع الأنوار في مناقب الأخيار، تحقيق أسامة ناصر النقشبدي، بيروت: الدار العربي للموسوعات، ١٤٢٢ق.
- ٨- البهائي، محمد بن الحسن العاملي، الكشكول، بيروت: الأعلمي، ١٤٠٣ق.
- ٩- بارسا، خواجه محمد، فصل الخطاب لوصل الأحباب، تحقيق جليل مسكر نجاد، طهران: مركز النشر الجامعي، ١٣٨١ش.
- ١٠- الجرجاني، الحسن بن إسماعيل، الاعتبار وسلوة العارفين، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي، ٢٠٠١م.
- ١١- الجزائري، السيد نعمة الله، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار،

١٧٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

بيروت: مؤسسة التأريخ العربي، ١٤٢٧ق.

١٢- ابن الجوزي، عبدالرحمن، بستان الواعظين ورياض السامعين، تحقيق أيمن عبدالجابر البحيري، بيروت: مؤسسة الكتاب الثقافية، [بى تا].

١٣- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، قم، مؤسسة آل البيت، ١٤٠٩ق.

١٤- الحلي، الحسن بن يوسف بن مطهر، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، مشهد: مؤسسة عاشوراء، ١٣٧٩ش.

١٥- أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد، البصائر والذخائر، تحقيق وداد القاضى، بيروت: دار صادر، [بى تا].

١٦- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق عباس احسان، قم: الشريف الرضي، ١٣٦٤ش.

١٧- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن بسيج، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ق.

١٨- الديلمي، الحسن بن محمد، إرشاد القلوب، قم: الشريف الرضي، ١٤١٢ق.

١٩- الدينوري، ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق يوسف علي الطويل، القاهرة: دار الكتب، ١٣٤٦ق.

٢٠- الدينوري، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد، المجالسة وجواهر العلم، تحقيق مشهور بن الحسن آل سلمان أبو عبيدة، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩ق.

٢١- الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت: دار الكتب العربي، ١٤٠٩ق.

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٧٥

٢٢- الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، تحقيق علي الشيري، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ق.

٢٣- السبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، قم: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٨ق.

٢٤- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، [بى تا].

٢٥- البلدانيات، تحقيق حسام بن محمد القطان، الرياض دار العطاء، ١٤٢٢ق.

٢٦- الشبراوي؛ جمال الدين، الإتحاف بحب الأشراف، قم: دار الكتب، ١٤٢٣ق.

٢٧- الشبلنجي، مؤمن بن الحسن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، قم: الرضي، [بى تا].

٢٨- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، [بى تا].

٢٩- ضامن بن شدم، تحفة الأهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار، طهران: مكتب نشر الميراث المكتوب.

٣٠- الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، قم: آل البيت، ١٤١٧ق.

٣١- الطرطوشي المالكي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، سراج الملوك، مصر: أوائل المطبوعات العربية، ١٢٨٩ق.

٣٢- الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف، تحقيق علي الخراساني وأعوانه، قم:

١٧٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة و عباد السلام المجمع) / ج ٣

جماعة المدرسين، ١٤٠٧ ق.

٣٣- ابن طولون، شمس الدين محمد، الأئمة الاثنا عشر، قم: الرضي [بى تا].

٣٤- العامري الحرصي اليماني، يحيى بن أبي بكر بن محمد، غربال الزمان في وفيات الأعيان، تصحيح محمد ناجي زعبي عمر، دمشق: دار الخير، [بى تا].

٣٥- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، بهجة المجالس، تحقيق محمد مرسي خولي، بيروت: دار الكتب العلمية، [بى تا].

٣٦- ابن عجيبة، أحمد، البحر المديد في تفسير القرآن، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة: ١٤١٩ ق.

٣٧- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، معجم الشيوخ، تحقيق الدكتور وفاء تقي الدين، دمشق: دار البشائر، ١٤٢١ ق.

٣٨- ابو الفداء، إسماعيل بن علي، تأريخ أبي الفداء، تحقيق محمود ديوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ ق.

٣٩- القلقشندي، أحمد بن علي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٨ ق.

٤٠- القمي، الشيخ عباس، منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، قم، دليلنا، ١٣٧٩ ش.

٤١- القيسي الشريشي، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن، شرح مقامات الحريري البصري، تصحيح محمد عبد المنعم الخفاجي، مصر: ١٣٧٢ ق.

٤٢- الكاشاني، حبيب الله بن علي مدد، تفسير ست سور، تحقيق مؤسسة ضحى الثقافية، طهران، شمس الضحى، ١٣٨٣ ش.

٤٣- ابن كثير الدمشقي، عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية،

البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل ١٧٧

بيروت: دار الفكر، [بى تا].

٤٤- الكراجكي، محمد بن علي، كنز الفوائد، قم: دار الذخائر، ١٤١٠ ق.

٤٥- الكربلائي، حافظ حسين، روضات الجنان وجنات الجنان، تحقيق جعفر سلطان القرائي، تبريز، ستودة، ١٣٨٢ ش.

٤٦- التوزري، عبد الملك بن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق عبد القادر بوبايه، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩ م.

٤٧- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، طهران: الإسلامية، ١٣٦٣ ش.

٤٨- أبو مخرمة، عبد الله بن طيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، بيروت: دار المنهاج، ١٣٢٨ ق.

٤٩- المدرس، محمد علي، ریحانة الأدب، طهران، مكتبة خيام، ١٣٦٩ ش.

٥٠- المستوفي القزويني، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد، التاريخ المنتخب، تحقيق عبد الحسين نوائي، طهران، أمير كبير، ١٣٦٤ ش.

٥١- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب، قم: دار الهجرة، ١٤٠٩ ق.

٥٢- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم: مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ ق.

٥٣- الميدي، أبو الفضل رشيد الدين، كشف الأسرار، طهران، أمير كبير، ١٣٧١ ش.

٥٤- الميدي، الحسين بن معين الدين، شرح الديوان المنسوب إلى الإمام علي، طهران، منشورات الميراث المكتوب، [بى تا].

١٧٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

٥٥- مجهول، قسم من التفسير العتيق بالفارسية، تصحيح آية الله زادة الشيرازي، طهران، منشورات الميراث المكتوب، ١٣٧٥ ش.

٥٦- ابن ناقياء، عبد الله بن محمد، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق على مير لوشي، مشهد: الروضة الرضوية، ١٣٧٤ ش.

٥٧- النجفي الأصفهاني، الشيخ مجد الدين، المختار من القصائد والأشعار، تحقيق محمد حسين النجفي، قم: مجمع الذخائر الإسلامية، ١٣٩٣ ش.

٥٨- ابن واداران، تأريخ العباسيين، تحقيق منجي الكعبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، [بى تا].

٥٩- ابن الوردي، زين الدين عمر، تنمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد رفعت البدرأوي، بيروت: دار المعرفة، ١٣٨٩ ق.

٦٠- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، القاهرة: دار الكتب الإسلامية، [بى تا].

٦١- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، [بى تا].



المحور السادس

عام





البحث الأول
الوسطية والاعتدال في مكاتيب
الإمام عليّ الهادي عليه السلام

أ.د. هاشمية حميد جعفر

جامعة الكوفة

كلية التربية الأساسية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله حمداً لا انقطاع له، والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي لا نبي بعده، وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن والا هم إلى يوم لا ريب فيه.

وبعد: فإنه من دواعي سروري أن أكتب عن سيدي ومولاي الإمام عليّ الهادي عليه السلام وما خطه قلمه الرفيع: من وصايا وكتب وأدعية وما أنشده من أشعار، وما وجه به من حكم ومواعظ، منتقى منها مواقف الوسطية والاعتدال؛ لتكون عنواناً لبحثي الموسوم: (الوسطية والاعتدال في مكاتيب الإمام عليّ الهادي عليه السلام)، لأشارك به في مؤتمر علمي الذي سيعقد تحت شعار: الإمام علي الهادي عبك النبوة وعماد السلم المجتمعي. وقد وزعت الدراسة وفق الآتي: مقدمة يعقبها تمهيد: اختص بتعريف مصطلحات البحث لغة واصطلاحاً، والبحث الأول: الذي تناول: الوسطية والاعتدال في أدعية الإمام عليّ الهادي عليه السلام، ثم البحث الثاني: الذي تناول الوسطية والاعتدال في حكمه عليه السلام ومواعظه ونوادره، ثم البحث الثالث: الذي اختص بالوسطية والاعتدال في أشعاره عليه السلام، وأخيراً خاتمة البحث ونتائجه، مشفوعة بهوامش البحث ومصادره ومراجعته.

نسأل الله العليّ القدير أن يوفقنا وإياكم ويجعل مسعانا ومسعاكم في ميزان أعمالنا وأعمالكم.

التمهيد

معنى الوسطية في اللغة:

قال ابن فارس في مقاييسه: (الواو والسين والطاء)، بناءً صحيح، يدلُّ على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُمَّةٌ وَسَطًا﴾، ويقولون: ضربتُ وسطَ رأسه - بفتح السين - ووسط القوم - بسكونها - وهو أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومهِ وأرفعه محلاً^(١).

وجاء في الصحاح: الوسط من كلِّ شيءٍ أعدله، قال تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢).

وفي لسان العرب: التوسط أن تجعل الشيء في الوسط^(٣). وقال الفيروز آبادي: الوسط (محرَّكة) من كلِّ شيءٍ أعدله^(٤). وقال الزبيدي: الوسط - محرَّكة - من كلِّ شيءٍ أعدله، يقال: شيءٌ وسط، أي بين الجيد والردى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٥). أمّا الفرق بين الوسط (بالتحريك) والوسط (بالتسكين)، فقد قال صاحب الفروق اللغوية: (الفرق بين الوسط والوسط أن الوسط لا يكون إلا ظرفاً، تقول: قعدتُ وسط القوم، وثوبى وسط الثياب، وإنما تخبر عن شيء فيه الثوب وليس به. فإذا حركت السين كان اسماً، وكان بمعنى بعض الشيء، تقول:

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٦/ ١٠٨.

(٢) الصحاح، الجوهري، ج ٣/ ١١٦٧.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، ج ٧/ ٤٢٨.

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢/ ١١٤.

(٥) تاج العروس، الزبيدي، ج ٥/ ٢٣٨.

وسَط رأسه صلبٌ، فترفع، لأنَّك إنَّما تخبر عن بعض الرأس، لا عن شيء فيه^(١).
واضح مما تقدم: (أنَّ المؤدَّى واحدٌ سواء قلنا وسَط محرَّكة أم وسَط ساكنة؛ لأنَّ الثاني وإن كان ظرفاً يأتي بمعنى (بين) لكن المعنى هو التوسُّط بين شيء وآخر كما تقدَّمت الإشارة إليه عند ذكرنا للكلام صاحب الفروق اللغوية فلاحظ، ونحن هنا في كلامنا عن الوسطية نريد هذا المعنى، أعني: التوسُّط وإن كان الوسَط بالتحريك هو الأنسب والأقرب لبحثنا؛ لدخوله في معظم الأبحاث الآتية، دون الوسَط بالسكون وسوف يتضح ذلك جلياً عند حديثنا عن وسطية الأحكام والآداب، وأنَّ المقصود في الغالب المعنى الاسمي الوسَط لا الظرفي الوسَط)^(٢).

الوسطية اصطلاحاً:

هي حالة خطائية أو سلوكية محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط. ومفهوم الوسطية قديم قدم العدل الذي يمتد إلى عمق التاريخ، فكان لفظ الاعتدال معبراً أساسياً عن مفهوم الوسطية، أما في كتب اللغة والأدب، فكان نادراً، باستثناء الفترة الأخيرة التي أخذ بها يتوسع على حساب المصطلحات الأخرى^(٣).

الوسطية في القرآن الكريم:

لقد حثَّ الله تعالى في كتابه العزيز على اتباع الوسطية في أمور عدَّة، بيَّنها بلفظ الوسط ومشتقاته، منها قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ

(١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٥٧٢.

(٢) الإسلام دين الوسطية والاعتدال، الشيخ كاظم رهيف البهائي، ص ٢٢.

(٣) الوسطية.. المرتكزات والمجالات، علي عبد الرضا، مجلة النبأ، العدد ٣٩-٤٠.

(٤) سورة البقرة: ١٤٣.

(٥) سورة البقرة: ٢٣٨.

١٨٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

عَشْرَةَ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ^(١)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾^(٢)، وقوله عزّ من قائل: ﴿فَوَسَّطُنَا بِهِ جَمْعًا﴾^(٣).

إن أشد الأخطار فتكاً بالأمة الإسلامية، تلك التي تصيبها من الداخل وتجعلها تُعرض عن المنهج الوسط الذي دعا إليه الحق تعالى حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤)؛ لأن كل ابتعاد عن النمط الوسط يولد التصدّع والشرخ في كيان الأمة، وكلما كبر هذا الشرخ كثرت الفتن، وتشعبت الآراء الخاصة وتفككت العرى والأوصال.

ومن هذه الثغرة بالتحديد استطاعت بعض الأمم وأصحاب الأفكار المسمومة أن ينفذوا إلى قلاع المسلمين ويتحكموا بمصائرهم وقدراتهم، وإلا لو كان الاعتدال حاكماً فيها والموزونية مسيطرة على مختلف أفعالها لعاشت الوحدة بكل معانيها ولتهيبتها بقية الدول.

إن (انعدام الوسطية) أظهر الغلو في فهم الحقائق إفراطاً وتفريطاً، وأولد تيارات وفرقاً سياسية وفكرية متطرفة يلعن بعضها البعض ويكفر كل أتباع طائفة، أتباع الطائفة الأخرى، فصرنا أشداء على إخواننا، رحماء على أعدائنا، أقوياء على من ساعدنا، أذلاء أمام من حاربنا.

وعلى هذا إذا كان المراد بالوسط المعنى الأعم فهذا يشمل كل من التزم بالوسط قولاً وعملاً من أهل القبلية. وإذا كان المراد المعنى الأخص فهذا لا يخرج عن حدود

(١) سورة المائدة: ٨٩.

(٢) سورة القلم: ٢٨.

(٣) سورة الذاريات: ٥.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣.

الأئمة الأطهار^(١).

الاعتدال لغة:

الاعتدال: من العدل، وهو القصد في الأمور^(٢)، أي التوسط فيها وعدم مجاوزة الحد^(٣). وقيل: هو توسط بين حالين في كمّ أو كيف، كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحارّ، ويوم معتدل: طيّب الهواء، وكلّ ما تناسب فقد اعتدل، وكلّ ما أقمته فقد عدلته.^(٤) و^(٥) ولا فرق في اللغة بين الاعتدال والاستقامة والاستواء،^(٦) و^(٧) و^(٨) و^(٩) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ يَنْزِلُ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١٠) أي معتدلاً^(١١) و^(١٢).

الاعتدال في الاصطلاح:

وهو التوسط بين حالتين، وقد قام بناء الشريعة والأخلاق الإسلامية على الاعتدال بين الإفراط والتفريط، فالجبن قبيح والتهور كذلك، فيما الشجاعة التي تمثّل

(١) المصدر السابق.

(٢) المصباح المنير: ج ١ / ٣٩٦.

(٣) المصباح المنير: ج ١ / ٥٠٥.

(٤) لسان العرب: ج ٩ / ٨٥.

(٥) القاموس المحيط: ج ٤ / ٢٠.

(٦) الصحاح: ج ٥ / ١٧٦١.

(٧) لسان العرب: ج ٩ / ٨٥.

(٨) المصباح المنير: ج ١ / ٥٢٠.

(٩) القاموس المحيط: ج ٤ / ٢٠.

(١٠) سورة الفرقان: ٦٧.

(١١) الصحاح: ج ٥ / ٢٠١٧.

(١٢) المصباح المنير: ج ١ / ٥٢٠.

الوسط بينهما ممدوحة، ولهذا نجد في الفقه الإسلامي أحكاماً تتجنب الطريق الوسط الذي يراعي تمام الأمور على المستوى المادي والمعنوي وغيرهما^(١٣).

والاعتدال هو الاستقامة في الدين، وهو الالتزام بما جاء به قولاً وفعلاً، وعدم الانحراف عن جادة الصواب، ومنها قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٤). ومعناه: ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة - أي عدم نكثهم العهد وعدم غدرهم بكم - فكونوا باقين على العهد بينكم معهم. فالاستقامة معيار الاعتدال.

لقد انتشر في الآونة الأخيرة الحديث عن الإرهاب والتطرف، واتجهت أصابع الاتهام بشدة إلى الإسلام كمصدر للتطرف ومنبع للإرهاب، ووصم المسلمون بمختلف طوائفهم سنة وشيعة بوصمة التطرف وتهميش الآخر. ونحن بدورنا كمثقفين وبدافع من شعورنا بالمسؤولية الفكرية والتاريخية تجاه هذه الأفكار والأحداث والفتاوى المتناقضة، لابد لنا أن نوضح ونفند تلك الآراء الهدامة ونبدلي بدلونا في هذه الموضوعات الساخنة والخطيرة في حياة شعوب الأمة الإسلامية، متخذين من أحد عمالق المسلمين مثلاً يحتذى به ألا وهو الإمام علي الهادي عليه السلام لأنه واجه كثيراً من المحن والفتن والعداوة من بني العباس، موضحين من خلال مكاتيبه دوره في نشر السلم المجتمعي، وكيف يمكن لنا اتباع سياسته في الوسطية والاعتدال ليعم التسامح والتآلف بين المجتمعات الإسلامية، وبذلك نكون قد قضينا على التطرف والإرهاب فكرياً، مصححين نظرة العالم إلى الإسلام.

(١٣) ويكي فقه، الموسوعة الحوزوية، نقلاً عن الموسوعة الفقهية: ج ١٤ / ٣٧١-٣٧٤.

(١٤) سورة التوبة: ٧.

المبحث الأول

الوسطية والاعتدال في أدعية الإمام عليّ الهادي عليه السلام

حرص الإمام علي الهادي كلّ الحرص على أن يعمّ السلام في المجتمع الإسلامي آنذاك، مقارعاً بشتى الوسائل الفتن والمحاولات اللإنسانية التي اتبعتها بنو العباس ضده وضد من والاه، فكان سلاحه الأول لقمع تلك المحاولات (الدعاء)، فمن أدعيته عليه السلام في مشهد سامراء^(١) هذا الدعاء:

أخبرنا ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن أبي محمد الفحام قال: حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد قال: حدثني عم أبي قال: قصدت الإمام عليه السلام يوماً فقلت: يا سيدي إنّ هذا الرجل قد اطرحنى وقطع رزقي وملّني وما اتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك فإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك فينبغي أن تتفضّل عليّ لمسألة. فقال: تكفي إن شاء الله.

فلما كان في الليل طرقتني رسل المتوكّل رسول يتلو رسولاً فجئت والفتح على الباب قائم فقال: يا رجل ما تأوي في منزلك بالليل كدني هذا الرجل ممّا يطلبك فدخلت وإذا المتوكّل جالس في فراشه.

فقال: يا أبا موسى نشتغل عنك وتنسينا نفسك أي شيء لك عندي.

فقلت: الصلّة الفلانية والرّزق الفلاني وذكرت أشياء فأمرني بها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافئ عليّ بن محمد إلى هاهنا؟

فقال: لا.

فقلت: كتب رقعة؟

(١) أمالي الطوسي ١/ ٢٩١ - ٢٩٢، ح ١١، ٢: أخبرنا ابن الشيخ الطوسي، عن والده، عن أبي محمد الفحام.

١٩٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

فقال: لا، فوليت منصرفاً فتبعني فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاء لك فالتمس لي منه دعاءً.

فلما دخلت إليه عليه السلام فقال لي: يا أبا موسى، هذا وجه الرضا.

فقلت: ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنك ما مضيت إليه ولا سألته، فقال: إن الله تعالى علم منا أننا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ولا نتوكل في المهمات إلا عليه وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

قلت: إن الفتح قال لي كيت وكيت.

قال: إنه يوالينا بظاهره، ويجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به إذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله ﷺ وبحقنا أهل البيت وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك.

قلت: يا سيدي فتعلمني دعاء أختص به من الأدعية.

قال: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي وهو: (يا عدتي عند العدد ويا رجائي والمعتمد ويا كهفي والسند ويا واحداً يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم وتفعل بي كيت وكيت)

واضح أن الشخص الذي قصد الإمام علي الهادي عليه السلام كان خائفاً من بطش الخليفة المتوكل العباسي، فدعا له الإمام وهدأ من روعه بعبارة: «تكفى إن شاء الله»، وفعلاً تغير أسلوب المتوكل مع أبي موسى، فأعطاه ضعف الأشياء التي كانت له عند الخليفة، فنجنا من بطشه. فالدعاء الخالص في طاعة الله سبحانه وتعالى - كما قال عليه السلام - والاعتراف برسوله الكريم محمد ﷺ وبحق آل البيت عليهم السلام، لم يرد أبداً.

أما الغاية من دعائه عليه السلام لهذا الرجل الذي قصده فهو حرصه الشديد على أفراد

المجتمع الإسلامي ودفع الضرر عنهم وإبعاد الفتنة من أن تتفشى بينهم نتيجة قتل الخليفة لأحدهم، ولا سيما وأن هذا الرجل كان من الموالين لآل البيت عليه السلام.

وله عليه السلام هذا الدعاء: «يا من تحلّ بأسائه عقد المكاره، ويا من يفلّ بذكره حدّ الشدائد، ويا من يدعى بأسائه العظام من ضيق المخرج على محل الفرج، ذلّت لقدرتك الصعاب وتسبّبت بلطفك الأسباب وجرى بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك الأشياء، فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون وحيك منزجرة، وأنت المرجو للمهمات، وأنت المفزع للملمات، لا يندفع منها إلاّ ما دفعت، ولا ينكشف منها إلاّ ما كشفت، وقد نزلت بي من الأمر ما فدحني ثقله، وحلّ بي منه ما بهضني حمله، وبقدرتك أوردت عليّ ذلك وبسلطانك وجهته إليّ، فلا مصدر لما أوردت، ولا ميسر لما عسرت، ولا صارف لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ناصر لمن خذلت إلاّ أنت، صلّ على محمد وآل محمد، وافتح لي باب الفرج بطولك، واصرف عني سلطان الهمّ بحولك، وأنلني حسن النظر فيما شكوت، وارزقني حلاوة الصنع فيما سألتك، وهب لي من لدنك فرجاً وحيّاً، واجعل لي من عندك مخرجاً هنيئاً، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فرائضك، واستعمال سنتك، فقد ضقت بما نزل بي ذرعاً، وامتألت بحمل ما حدث عليّ جزعاً، وأنت القادر على كشف ما بليت به ودفع وما وقعت فيه. فافعل ذلك بي وإن كنت غير مستوجه منك، يا ذا العرش العظيم، وذا المنّ الكريم، فأنت قادر يا أرحم الراحمين آمين رب العالمين».

فالإمام علي الهادي عليه السلام يلتجئ إلى الله تعالى في دفع الضرر عنه وكشف ما نزل به من ثقل الأمور وما يعانیه من ظلم الظلمة وجور الطغاة. فلم يشهر سيفه ليحاربهم خوفاً من وقوع الفتنة بين صفوف المسلمين. وقد علّم هذا الدعاء لأحد أصحابه لدفع البلاء عنه، وهو اليسع بن حمزة^(١).

(١) مهج الدعوات ٢٧١ - ٢٧٢: أخبرنا محمد بن جعفر بن هشام الأصبغي قال أخبرني اليسع بن حمزة القمي.

١٩٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

أخبرني عمرو بن مسعدة وزير المعتصم الخليفة أنه جاء عليّ بالمكروه الفظيع حتّى تخوّفته على إراقة دمي وفقر عقبي فكتبت إلى سيدي أبي الحسن العسكري عليه السلام أشكو إليه ما حلّ بي فكتب إليّ: لا روع عليك ولا بأس فادع الله بهذه الكلمات يخلصك الله وشيكاً ممّا وقعت فيه ويجعل لك فرجاً فإنّ آل محمد ﷺ يدعون بها عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وعند تخوّف الفقر وضيق الصدر.

قال اليسع بن حمزة: فدعوت الله بالكلمات التي كتب إليّ سيدي بها في صدر النهار فوالله ما مضى شطره حتّى جاءني رسول الخليفة عمرو بن مسعدة فقال لي: أجب الوزير، فنهضت ودخلت عليه فلمّا بصر بي تبسّم إليّ وأمر بالحديد ففكّ عني، وبالأغلال فحلّت منّي وأمرني بخلعة من فاخر ثيابه وأتحفني بطيب ثمّ أدناني وقربني وجعل يحدثني ويعتذر إليّ وردّ عليّ جميع ما كان استخرجه منّي وأحسن رفدي وردّني إلى الناحية التي كنت أتقلّدها وأضاف إليها الكورة التي تليها قال: وكان الدعاء. يقصد الدعاء الذي ذكرناه آنفاً:

لم يكن الإمام الهادي عليه السلام وحده من اتخذ الدعاء سلاحاً لمحاربة الأعداء، بل كان هذا ديدن أهل البيت جميعاً، سائرین بذلك على هدي النبي الأكرم محمد ﷺ فقد قال صلوات الله عليه: «الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السموات والأرض»^(١).

وفي الحقيقة، إن الأدعية الواردة عن النبي وآل بيته عليهم الصلاة والسلام، خير منهج للمسلم إذا تدبّرهما، تبعث في نفسه قوّة الإيمان والعقيدة وروح التضحية في سبيل الحق، وتعرّفه سرّ العبادة ولذّة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه^(٢).

(١) الكافي للكليني (٣٢٩هـ): ج ٢ / ٤٦٨، ح ١، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، للصدوق (٣٨١هـ): ١: ٤٠، ح ٩٥، والمستدرک علی الصحیحین، للحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ): ١: ٤٩٢، مجمع الزوائد: للهيثمي (٨٠٧هـ): ١٠: ١٤٧، باب الاستنصار بالدعاء.

(٢) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، الفصل الرابع، ما أدّب به آل البيت عليهم السلام شيعتهم،

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الدعاء يردّ القضاء والبلاء»^(١).

وقد دعا الإمام عليّ الهادي عليه السلام بعد هذه الحادثة التي آلمته؛ حيث كانت للفتح ابن خاقان حظوة كبيرة عند المتوكل فقربه منه دون الناس جميعاً، ودون ولده وأهله، وأراد أن يبيّن موضعه عندهم، فأمر جميع مملكته من الأشراف من أهله وغيرهم، والوزراء والأمراء والقوّاد، وسائر العساكر، ووجوه الناس، أن يزيّنوا بأحسن التزيّن، ويظهروا في أفخر عددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلاّ هو والفتح بن خاقان خاصة بسرّ من رأى، ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة، وكان يوماً قائظاً شديد الحرّ وأخرجوا في جملة الأشراف أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام وشقّ عليه ما لقيه من الحرّ والزحمة.

قال زرّافة: فأقبلت إليه وقلت له: يا سيدي يعزّزّ الله عليّ ما تلقى من هذه الطغاة، وما تكلفته من المشقة، وأخذت بيده فتوكأ عليّ وقال: يا زرّافة ما ناقة صالح عند الله بأكرم منّي أو قال: بأعظم قدراً منّي. ولم أزل أسأله واستفيد منه، وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب، وأمر الناس بالإنصراف فقدمت إليهم دوابهم فركبوا إلى منازلهم، وقدمت بغلة له فركبها فركبت معه إلى داره فنزل وودعته وانصرفت إلى داري، ولولدي مؤدّب يتشيع من أهل العلم والفضل، وذكرت له ما شاهدته من أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام وما سمعته من قوله: «ما ناقة صالح عند الله بأعظم قدراً منّي». وكان المؤدّب يأكل معي فرفع يده وقال: بالله إنك سمعت هذا اللفظ منه؟ فقلت له: والله إنّي سمعته يقوله.

فقال لي: اعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام، ويهلك فانظر في أمرك وأحرز ما تريد إحرازه وتأهب لأمرك كي لا يفجؤكم هلاك هذا الرجل فتهلك

أموالكم بحادثة تحدث أو سبب يجري. فقلت له: من أين لك ذلك؟

فقال: أما قرأت القرآن في قصة صالح عليه السلام والناقة وقوله تعالى: ﴿مَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾^(١). ولا يجوز أن يبطل قول الإمام.

قال زرافة: فوالله ما جاء اليوم الثالث حتى هجم المنتصر ومعه الأتراك على المتوكل فقتلوه وقطعوه والفتح بن خاقان جميعاً قطعاً حتى لم يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله نعمته ومملكته، فلقيت الإمام أبا الحسن عليه السلام، وعرفته ما جرى مع المؤدب وما قاله بعد ذلك، فقال: صدق، إنه لما بلغ مني الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا هي أعز من الحصون والسلاح والجئن، وهو دعاء المظلوم على الظالم، فدعوت به عليه فأهلكه الله، فقلت: يا سيدي إن رأيت أن تعلمني فعله فاعلمني وهو: «اللهم إني وفلاناً عبدان من عبيدك، نواصينا بيدك، تعلم مستقرنا ومستودعنا، وتعلم منقلبنا ومثوانا، وسرنا وعلانيتنا، وتطلع على نياتنا وتحيط بضمائرنا، علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره ولا ينطوي عليك شيء من أمورنا، ولا يستتر دونك حال من أحوالنا، ولا لنا منك معقل يحصننا، ولا حرز يحرزنا، ولا هارب يفوتك منّا، ولا يمتنع الظالم منك بسلطانه، ولا يجاهدك عنه جنوده ولا يغالبك مغالب بمنعة، ولا يعازلك متعزز بكثرة أنت مدركه أينما سلك، وقادر عليه أينما لجأ، فمعاذ المظلوم منك، وتوكل المقهور منا عليك، ورجوعه إليك، ويستغيث بك إذا خذله المغيث، ويستصرحك إذا قعد عنه النصير ويلوذ بك إذا نفته الأفيّة، ويطرق بابك إذا أغلقت دونه الأبواب المرتجة ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغافلة، تعلم ما حلّ به قبل أن يشكوه إليك وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له، فلك الحمد سميعاً بصيراً لطيفاً قديراً.

اللهم إنه قد كان في سابق علمك ومحكم قضائك وجاري قدرك وماضي

حكمك ونافذ مشييتك في خلقك أجمعين، سعيدهم وشقيهم وبرهم وفاجرهم أن جعلت لفلان بن فلان عليّ قدرة فظلمني بها، وبغى عليّ لمكانها وتعزز عليّ بسلطانه الذي خولته إياه، وتجبر عليّ بعلوّ حاله التي جعلتها له وغره إملاؤك له، وأطغاه حلمك عنه؛ فقصدني بمكروه عجزت عن الصبر عليه، وتعمدني بشرّ ضعفت عن احتماله، ولم أقدر على الانتصار منه لضعفي، والانتصاف منه لذلي فوكلته إليك وتوكلت في أمره عليك، وتوعدته بعقوبتك، وحذّرتك سطوتك وخوفته نقمتك، فظنّ أن حلمك عنه من ضعف، وحسب أن إملاءك له من عجز، ولم تنته واحدة عن أخرى، ولا انزجر عن ثانية بأولى، ولكنه تمادى في غيّه، وتتابع في ظلمه ولجّ في عدوانه، واستشرى في طغيانه جرأة عليك يا سيدي، وتعرّضاً لسخطك الذي لا تردّه عن القوم الظالمين، وقلة اكتراث بئأسك الذي لا تحبسه عن الباغين.

فها أنا ذا يا سيدي مستضعف في يديه، مستضام تحت سلطانه مستذلّ بعناؤه، مغلوب مبغى عليّ مغضوب وجل خائف مروّع مقهور، قد قلّ صبري وضائق حيلتي، وانغلقت عليّ المذاهب إلّا إليك، وانسدّت عليّ الجهات إلّا جهتك والتبست عليّ أموري في دفع مكروهه عني، واشتبهت عليّ الآراء في إزالة ظلمه وخذلني من استنصرته من عبادك، وأسلمني من تعلقت به من خلقك طراً، واستشرت نصيحي فأشار عليّ بالرغبة إليك، واسترشدت دليلي فلم يدلّني إلّا عليك. فرجعت إليك يا مولاي صاغراً راغماً مستكيناً عالماً أنه لا فرج إلّا عندك ولا خلاص لي إلّا بك، انتجز وعدك في نصرتي، وإجابة دعائي، فإنّك قلت وقولك الحق الذي لا يردّ ولا يبدل: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّقَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾^(١) وقلت جلّ جلالك وتقدّست أسماؤك: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٢)، وأنا فاعل ما أمرتني به لا مناً عليك وكيف أمنّ به وأنت عليه دللتني، فصلّ على محمد وآل محمد واستجب لي كما وعدتني يا من لا يخلف الميعاد.

(١) سورة الحج: ٦٠.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

وإني لأعلم يا سيدي أنّ لك يوماً تنتقم فيه من الظالم للمظلوم، وأتقن أن لك وقتاً تأخذ فيه من الغاصب للمغصوب؛ لأنك لا يسبقك معاند، ولا يخرج عن قبضتك منابذ، ولا تخاف فوت فائت، ولكن جزعي وهلعي لا يبلغان بي الصبر على أُناتك وانتظار حلمك، فقد رتك عليّ يا سيدي ومولاي فوق كل قدرة، وسلطانك غالب على كل سلطان، ومعاد كل أحد إليك وإن أمهلت، ورجوع كل ظالم إليك وإن أنظرت، وقد أضرتني يا رب حلمك عن فلان بن فلان، وطول أُناتك له وإمهالك إياه وكاد القنوط يستولي عليّ لولا الثقة بك، واليقين بوعدك. فإن كان في قضائك النافذ، وقد رتك الماضية أن ينيب أو يتوب، أو يرجع عن ظلمي أو يكفّ مكروهه عني، ويتنقل عن عظيم ما ركب مني، فصلّ اللهم على محمد وآل محمد، وأوقع ذلك في قلبه الساعة الساعة قبل إزالته نعمتك التي أنعمت بها عليّ، وتكديره معروفك الذي صنعه عندي. وإن كان في علمك به غير ذلك، من مقام على ظلمي، فأسألك يا ناصر المظلوم المبغي عليه إجابة دعوتي، فصلّ على محمد وآل محمد وخذه من مأمنه أخذ عزيز مقتدر...»^(١).

وهنا يتضح لنا أن الإمام الهادي عليه السلام فوّض أمره إلى الله جرّاء ما عانى من ظلم وسطوة وجور وتعذيب بالوقوف تحت أشعة الشمس الملتهبة لأمر تافه، لا فيه إصلاح لرعية أو عناية بمحرومين، أو تقديم مساعدة لمحتاجين، وما إلى ذلك من أمور ينتفع بها المسلمون، سوى أن المتوكل أراد أن يبين للناس مدى اعتزازه بوزيره الفتح بن خاقان، وهما راكبان والناس مشاة، أي عدالة هذه، بل أي طغيان؟! فاتخذ الإمام عليه السلام طريق العدالة الإلهية ليتخلّص من بطش الظالم وليحافظ على السلم المجتمعي آنذاك. فكان بالإمكان أن يثور أو يؤلّب الناس عليه، ولكنه اتخذ طريق الاعتدال ليتخلّص من شرّ المعتدين.

(١) دعوات الراوندي: ٩٤، ضمن ح ٢٢٨ من تسييح للإمام أبي الحسن علي بن محمد النقي عليه السلام.

المبحث الثاني

الوسطية والاعتدال في حكم الإمام الهادي عليه السلام ومواعظه ونوادره

لقد كانت حكم الإمام عليّ الهادي عليه السلام ومواعظه ونوادره مثلاً يحتذى به في الوسطية والاعتدال، فمن حكمه عليه السلام في هذا الخصوص قوله للمتوكل في جواب كلام دار بينهما: «لا تطلب الصفا ممن كدّرت عليه، ولا الوفاء لمن غدرت به، ولا النصيحة ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنّها قلبٌ غيرك كقلبك له»^(١).

فكانها جعل عليه السلام كلماته ميزاناً لقياس سلوك البشر. وقال عليه السلام في كيفية التصرف في زماني العدل والجور: «إذا كان زمانُ العدل فيه أغلبُ من الجور فحرام أن يظنَّ بأحدٍ سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمانُ الجور أغلبُ فيه من العدل فليس لأحدٍ أن يظنَّ بأحدٍ خيراً ما لم يعلم ذلك منه»^(٢). فعلياً بوزن الأمور حسب الظروف التي نعيشها، فإذا عمّ العدل كان لزاماً علينا أن نتأكد من أن أحداً من الناس قد فعل سوءاً فحرام علينا ظنُّ السوء به لقلة ذلك، وإن عمّ الجور فلا نظن بالناس خيراً إلا بعد التأكد منه؛ لقلة فاعلي الخير في زمن الظلم والجور، فالعملية متزنة فكلما انتشر العدل قلّ من يفعل السوء، وكلما انتشر الظلم والجور قلّ الخير وفاعله.

ومن حكمه عليه السلام في التوسط والاعتدال قوله: «من رضي عن نفسه كثير السّاخطين عليه، الغنى قلة تمنّيك والرّضا بما يكفيك، والفقر شرّة النفس وشدة القنوط، والرّاكب الحرون أسير نفسه والجاهل أسير لسانه، النّاس في الدّنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال»^(٣).

(١) بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٧٠.

(٢) المصدر السابق: ٧٨ / ٣٧٠.

(٣) مسند الإمام الهادي، جمعه ورتّبه الشيخ عزيز الله العطاردي، ط ٢، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م. ص ٣٠٣ باب الحكم والمواعظ والنوادر.

١٩٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وِعِمَادُ السَّلَامِ الْمُجْتَمَعِي) / ج ٣

وله عليه السلام هذه الموعدة لرجل أكثر من إفراط الشاء عليه: «أقبل على شأنك، فإن كثرة الملق يهجم على الظنة، وإذا حللت من أخيك في محل الثقة، فاعدل عن الملق إلى حسن النية»^(١).

ومعناه: لا حاجة للتملق حينما يتوفر حسن النية، وكان الآخر في محل ثقة.

وحفاظاً منه على استقامة المجتمع الإسلامي وجه أبناء المجتمع بترك الحسد والفخر والإعجاب بالنفس والبخل والطمع بقوله: «الحسد ماحق الحسنات، والزَّهو جالب المقت، والعجب صارف عن طلب العلم داعٍ إلى الغمط والجهل، والبخل أذم الأخلاق، والطمع سجيّة سيئة»^(٢).

والحقيقة أن توجيهه لهم لم يكن مجرد ترك تلك الأمور فحسب، وإنما قرنها بموازنة ومقادير متعادلة معها، فالحسد يمحق الحسنات، والزَّهو يجلب المقت، والعجب يصرف العلم ويدعو إلى الجهل، والبخل جعله في ميزان أذم الأخلاق، والطمع من السجايا السيئة.

وله عليه السلام هذا الموقف مع أبي هاشم الجعفري، قال أبو هاشم: أصابتنى ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام فأذن لي، فلما جلست قال: «يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدر ما أقول له، فابتدأ عليه السلام فقال: رَزَقَكَ الإيمانَ فَحَرِّمْ به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل، يا أبا هاشم إنما ابتدأتك بهذا لأني ظننت أنك تريد أن تشكو إلي من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بهائة دينار فخذها»^(٣).

(١) مسند الإمام الهادي: ٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ١٩٩ ومسند الامام: ص ٣٠٢.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٤٨، ومسند الامام: ٢٩٧.

وفي هذه الموعظة الحسنة التي أسداها لأبي هاشم الجعفري عبرة لأهل زمانه وزماننا، فأراد عليه السلام منه ومن كل أفراد المجتمع الإسلامي أن يستذكروا نعم الله عليهم التي لا تعد ولا تحصى، فمنها نعمة الإيثار والعافية والقناعة وغير ذلك، وأن يتركوا الشكوى ضد من كان السبب في إيذائهم أو حرمانهم. فالشكوى لغير الله مذلة. فاتخاذ طريق الاعتدال والوسطية يبعثنا عن ارتكاب الحماقات.

وقال عليه السلام في الاعتدال: «من سأل فوق قدر حقه فهو أولى بالحرمان»^(١) ومعناه أن لا يطلب الإنسان أكثر من حقه؛ لأن العدالة واجبة، وكى لا يعرض نفسه للحرمان من ذلك الحق جزاء تلك المطالبة.

وقال عليه السلام في الحث على فعل الخير، والقول الجميل، وحمل العلم: «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه»^(٢) فما أجمل هذه العبارات، فالدلالة المشتركة للمفردات، وللتعابير، والتي يشترك في قولها وفي فهمها جمهرة الناس، مثقفين وغير مثقفين، هي توكيداً للتفاهم بين أفراد المجتمع وللتعبير عن حاجاتهم الأساسية.

وقد أشبعت الكلمات والتعابير المشتركة تداولاً منذ بدء استعمالها، فأصبح الوصول إلى المعنى من خلالها ممارسة اعتيادية ولكن أساسية. والفارق بين الكلام العادي والاسلوب الأدبي ليس فارقاً في الاستعمالات اللغوية فقط، بل هو فارق في دقة الاختيار على المعاني، ومن ثم التعبير عنها. فأنيطت بالقدرة التعبيرية مسؤولية الإمساك بالمعاني والكشف عن الدلالات، وإحراز أكبر نجاح في مخاطبة الآخرين والوصول إلى أذهانهم ونفوسهم^(٣).

(١) أعلام الهداية، ينظر: من تراثه التربوي والأخلاقي، وينظر: حياة الإمام علي الهادي عليه السلام من ١٥٦-١٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٧٠.

(٣) رؤية في أسلوب نهج البلاغة، د. هيفاء بنت عثمان فدا، موقع فضاء أوروک.

٢٠٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

وله عليه السلام هذه الحكمة البليغة في الحلم وكظم الغيظ: «الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة عليه»^(١).

إن من كرم أخلاق المرء وسمو نفسه أن يتحلّى بالحلم؛ لأنه من أشرف السجايا وأعزّ الخصال الإنسانية، وهو سبب للمودة والألفة بين الناس وفي المجتمع، وإن صاحب هذا الخلق يعيش بسلام دائماً مع نفسه ومع الآخرين. والحلم هو اعتدال قوة الغضب عند الإنسان، فيشعر بالطمأنينة بحيث لا يحركها الغضب بسهولة، ولا يزعجها المكروه بسرعة، فالحليم إذا تعرّض لأمر يخالف مزاجه لا يتهور ولا يخرج عن طوره، بل يكظم غيظه ويتصرّف بحكمة ودراية وروية^(٢).

هذه هي أخلاق آل البيت عليهم السلام التي جُبلوا عليها، وحثوا أبناء المجتمع الإسلامي أن يتحلّوا بها؛ لأنها أساس التآلف والمودة، وكلّما كان الإنسان حليماً عفواً متسامحاً، كلّما زاد ذلك من تقواه.

(١) أعلام الهداية: ٥- من تراثه التربوي والأخلاقي، وينظر: حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ١٥٦-١٦٥.

(٢) ينظر https://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/rafed/bab_alnajat/page/les

المبحث الثالث

الوسطية والاعتدال في ما رواه عليه السلام من أشعار

كان ديدن أهل البيت عليه السلام العبادة والتهجد طوال الليل، فلا تلهيهم تجارة ولا بيع، ولم تغريهم الدنيا بمفاتنها وزخرفها، وكانوا على درجة من العلم والفطنة والذكاء والحكمة، فهم أهل بيت النبوة الذين وهبهم الله العلم والموهبة، يزقون العلم زقاً، وهم خزّان علم الله وورثته، فعلمهم رباني غير مكتسب، والدلائل تشير إلى أنهم عليه السلام تميّزوا في كل المعارف والعلوم، وحتى في رواية الشعر، فقد ذكرت كتب التاريخ أن المتوكل العباسي أوجس في نفسه خيفة من الإمام علي الهادي عليه السلام، فأوعز إلى جماعة من شرطته الأتراك بالهجوم على دار الإمام ليلاً واعتقاله، فهجموا عليه فوجدوه في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وليس بينه وبين الأرض من بساط إلا الرمل والحصى^(١). وهو مستقبل القبلة وهو يتلو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢)، وحملوه إلى المتوكل وهو بتلك الحالة^(٣) التي تمثل زهد الأنبياء وروحانية المرسلين، وكان المتوكل على موائد الخمر ثملاً سكراناً، فلمّا بصر بالإمام ناوله الطاغية كأساً من الخمر فزجره الإمام وصاح به: والله ما خامر لحمي ودمي قط. وقال المتوكل للإمام: أنشدني شعراً، فقال الإمام عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر، وأصرّ المتوكل على ما أراد بقوله: لا بدّ أن تنشديني ولم يجد الإمام عليه السلام بداً من إنشاده، فأنشده هذه الأبيات التي حوّلت أنس الخليفة المتوكل إلى بكاء وحزن قائلاً^(٤):

(١) الإمام علي الهادي عليه السلام، سيرة وتاريخ: ٨٨، ودائرة معارف القرن العشرين: ٦/ ٤٣٧.

(٢) سورة العنكبوت: ٤.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٨/ ١٩٩، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٢.

(٤) منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل: ٢/ ٤٩٨-٤٩٩.

٢٠٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغتتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن مراتبهم فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرة والتيجان والحلل؟
أين الوجوه التي كانت منعمةً من دونها تضرب الأستار والكلل؟
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم: تلك الوجوه عليها الدود يقتل
لطالما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا^(١)
وطالما عمّروا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وارتحلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا فخلّفوها على الأعداء وانتقلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا^(٢)

(١) ذكر صاحب اليواقيت الحسان في تفسير سورة الرحمن والمختار من القصائد والأشعار: ١٢٠ - ١٢١، بأنها تنسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد انشدها الإمام علي الهادي عليه السلام.

(٢) مروج الذهب: ٩٣/٤، وفيات الأعيان: ٤٣٤/٢، جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام: ١٥٢، نزهة الجليس: ١٣٨/٢. مرآة الجنان: ١٦٠/٢، نور الأبصار: ١٩٣، تذكرة الخواص: ٣٦١، الإنحاف بحب الأشراف: ٦٧، بحار الأنوار: ١٤٩/١٢، منتهى الآمال: ٤٩٩/٢، الإمام علي الهادي سيرة وتاريخ: ١٥٥، وحياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٣١٥ - ٣١٦، وذكر في الهامش ما نصه: (جاء في جوهرة الكلام: ١٥٢: أن هذه الأبيات وجدت مكتوبة على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وقبلها الأبيات التالية:

انظر ماذا ترى أيها الرجل وكن على حذر من قبل تستقل
وقدّم الزاد من خير تسرّ به فكل ساكن دار سوف يرتحل
وانظر إلى معشر باتوا على دعة فأصبحوا في الشرى رهنا بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا مالا فلم يغنهم لما انقضى الأجل
ونحن وجدنا أبيات آخر وردت في (حكايات عن النبي سليمان الحكيم عليه السلام) من المخطوط العماني ٤٨٧٨، المكتبة الوطنية في (ستراسبورغ) نقلها من المخطوط الدكتور جعفر الكنج الدندشي. وكانت أحد عشر بيتاً، أولها:

انظر إلى ما ترى أيها الرجل وأكثر من الزاد من خير تقدمه
وحينما رآها النبي سليمان عليه السلام مكتوبة على قصر عظيم في اليمن، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (منقول من متنديات العلويين الأحرار).

سل الخليفة إذ وافت منيته أين الحماة وأين الخيل والخول
أين الرماة أما تحمى بأسهمهم لما أتنك سهام الموت تنتقل
أين الكماة أما حاموا أما اغتضبوا أين الجيوش التي تحمي بها الدول
هيهات ما نفعوا شيئاً و ما دفعوا عنك المنية إن وافى بها الأجل
فكيف يرجو دوام العيش متصلاً من روحه بحبال الموت تتصل^(١)
ولما سمع المتوكل تلك الأبيات بكى حتى بلّت لحيته دموع عينيه، وبكى كل
من حضره، ثم أمر برفع الشراب ثم قال له: يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم،
أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً^(٢). وروى
الكراجكي في كنز الفوائد وقال: ف ضرب المتوكل بالكأس الأرض وتنغص عيشه

ويبقى السؤال من هو قائلها؟ فقد قال ابن قتيبة في (عيون الأخبار): بلغني أنه قرئ على قبر في الشام
وذكر الأبيات من دون ذكر لقائلها. ونقل الأبيهي في (مستطرفه) عن وهب بن منبه: (قيل توفي
١١٠ وقيل ١١٤ وقيل ١١٦ وعمره ٩٠ سنة في صنعاء) أنه وجدها مكتوبة بالخط المسندي (خط قبيلة
حمير) فترجمت (بتعبير وهب بن منبه) أي نقلت للأحرف العربية. واكتفى الجراوي في الحماسة المغربية
بقوله: (وقال بعضهم.. وذكر الأبيات). واكتفى ابن عبد البر القرطبي في بهجة المجالس بقوله: (وقال
آخر ولم يذكر غير بيت واحد منها). والله اعلم بقائلها.
أما رأينا:

فإذا أخذنا بكلام وهب فهذا يعني أنها من القصائد الجاهلية، وقد يدعم هذا الرأي بعض المفردات
التي وردت فيها مثل: التيجان، الأساور، الأسرة. في حين قد يضعف هذا الرأي قول البيت: (ناداهم
صارخ)، والبيت الآخر: (فأفصح القبر) وكذلك: (سلّ الخليفة)، ففيها نكهة إسلامية؛ لذا قد تكون
الأبيات الأخيرة من نظم الإمام الهادي عليه السلام؛ لأنني لم أقف على مصدر قديم وردت فيه تلك الأبيات.
متنديات الموصل، متندي الشعر والخواطر. والمتندي الرسمي لمؤسسة الشهداء، متندي الخالدون،
متندي الشعر الفصيح. ومجالس العوالي الثقافية.

(١) مروج الذهب: ٤ / ٣٦٧-٣٦٨، تذكرة الخواص: ٣٢٢، البداية والنهاية: ١١ / ١٥، وفيات الأعيان:
٢٧٢ / ٣.

(٢) الأئمة الاثنا عشر: ١٠٧، والإمام علي الهادي عليه السلام سيرة وتاريخ: ٤٢.

٢٠٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

في ذلك اليوم^(١). وهكذا لم يكن المتوكل وبطانته يتوقعون أن الإمام علياً الهادي عليه السلام سوف يصفعهم بمثل هذه العظات التي نزلت كالصاعقة على أسماعه وأسماع ندمائه، لأنها تصور ماسيؤول إليه أمره وأمر أمثاله من الطغاة المتجبرين عبيد الأهواء والشهوات.

والحقيقة أن الإمام الهادي عليه السلام بفكره الوقاد روى قصيدة من أروع ما قيل في تذكير الإنسان بنهايته الحتمية فكانت خطاباً لاذعاً موجهاً إلى أحد طواغيت عصره، وهو المتوكل، وهي تصلح لكل زمان ومكان، فلا يخلو زمن من الأزمان إلا وفيه فرعون كفرعون موسى، يعيش متبخرأ مستنداً على قوته وأمواله وحاشيته وحرّاسه، فهو لا يفكر مطلقاً بمصيره وما ينتظره في قبره وآخرته، بل كان يشعر وكأنه مخلد، وما درى أن الله جلّت قدرته سيعاقبه على ظلمه وجوره وتجبره متمثلاً ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٢) وفي قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣). وهذه القصيدة اختارها الإمام عليه السلام لأنها تطابق مقتضى حال المتوكل المتجبر الظالم الذي لا يفكر بعواقب الأمور؛ لأن الدنيا غرته بمباهجها.

والظالم دائماً يشعر بعدم الأمان في الدنيا وفي الآخرة، حيث إنه يشعر بالخوف والقلق الدائم من انتقام المظلومين منه، فيزيد من حرّاسه وقوى بطشه وهو جاهل بأن العدل أساس الملك، وهو الذي يوفر له الأمن والأمان؛ لذا نرى الحكام المستبدين قديماً وحديثاً يحيطون أنفسهم بالآلاف الحراس وعشرات الأجهزة الأمنية والاستخباراتية ويحصنون أنفسهم بالدبابات والمدرعات في حين أن الحاكم العادل لا يأبه بكل ذلك، فأتمتنا الأطهار عليهم السلام لا يملكون حرّاساً، ولا أمنيين، ولا أسلحة،

(١) كنز الفوائد للكراجي، نقلا عن منتهى الآمال: ٤٩٩.

(٢) سورة الزمر: ٥١.

(٣) سورة النحل: ٣٤.

لأنهم أسسوا أساس العدل، ومن يؤسس أساس العدل فاز بمحبة الله وعنايته وأمنه وأمانه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٤).

ومن الملفت للنظر أن الإمام الهادي عليه السلام أعجب بهذه القصيدة التي كتبت بعض أبياتها على قصر الملك سيف بن ذي يزن - كما ورد ذلك في بعض الروايات - الذي يسمى - قصر غمدان - وقد وصف الله تعالى قصور اليمينين بقوله تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾^(٥) وقيل: إن هذا القصر بناه سام بن نوح، وسكنه الملك سيف بن ذي يزن وهو آخر ملوك الحميريين، وقد اتصف بالحكمة والشجاعة والعدل، ولذلك أثنى عليه عبد المطلب بن هاشم جدُّ رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله حين تزعم وفد قریش لتهنئته بتحقيق النصر على الحبشة، وذلك بعد ولادة سيد الكائنات رسول الله صلى الله عليه وآله بستين، وهو الذي بشر عبد المطلب بنبوة محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يبعثه الله رحمة للعالمين. وكان سيف بن ذي يزن كلما أعجب بقصيدة أمر بكتابتها على أحجار قصره كي لا تضيع أو تنسى^(٦).

وكانت القصيدة التي أنشدها الإمام علي الهادي عليه السلام إحدى تلك القصائد لما فيها من الحكم والمواعظ التي جعلت المتوكل يكسر أقداح الشراب ويبكي على ما اقترفه من ذنوب ومآثم في حياته. فلم يكن اختيار الإمام الهادي عليه السلام لهذه القصيدة اعتباراً. وقد يكون المتوكل عامداً بطلب إنشاد الشعر من الإمام، ليوهم الآخرين أن الإمام على منهج رواة عصره من الأدباء فقد أعيته صنعة الروحانية وتقديس المسلمين له، وتساعد هيئته الاجتماعية فأراد بشكل وآخر زج الإمام في أمر لا شأن

(٤) سورة الأنعام: ٨٢.

(٥) سورة الفجر: ٨.

(٦) ينظر: (هواتف الجان) للحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي.

٢٠٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

له فيه، ولذلك كان يزدلف للإمام بالإحراج بما لا يناسب مقام الإمامة^(١). وعلى الرغم من كل تلك المحاولات الدنيئة التي قام بها المتوكل للنيل من منزله الإمام عليه السلام إلا أنها باءت بالفشل وعمل الإمام عليه السلام بأخلاقه التي تلقاها عن آباءه وجدّه صلوات الله عليهم أجمعين، وبتكليفه الشرعي فوعظ المتوكل بتلك الآيات وأبكاها على عمله الشائن.

وعلى الرغم من اختلاف الروايات في عائدية هذه الآيات، فيكفيها فخراً أن يكون الإمام الهادي عليه السلام راوياً لها، ويكفي أن قوتها أثرت في نفس الطاغية المتوكل العباسي، فعكرت صفو عيشه. فكانت تلك القصيدة وسيلة للاعتدال، فالإمام لم يشهر سيفه ويقاتل ويثير الفتنة بل حافظ على سلامة المجتمع الإسلامي. فكان عنواناً للسلم المجتمعي.

الوسطية والاعتدال في أجوبة الإمام علي الهادي عليه السلام:

لقد حاول بنو العباس النيل من شأن الإمام عليه السلام بشتى الوسائل، ولكن تلك المحاولات باءت بالفشل؛ لأنه عليه السلام كان يستخدم الاعتدال والتعقل في ردهم. فهذا المتوكل يدعو ابن السكيت لامتحان الإمام عليه السلام: طلب المتوكل من العالم يعقوب بن إسحاق المشهور بابن السكيت أن يسأل الإمام الهادي عليه السلام عن مسألة معقدة غامضة لعله لا يهتدي إلى حلّها فيتخذ من ذلك وسيلة للتشهير بالإمام والخط من شأنه وتقدم ابن السكيت بمسألته إلى الإمام قائلاً: لم يبعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء وبعث عيسى بإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟

فأجابه الإمام عن الحكمة في ذلك قائلاً: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم ويهديم واثبت الحجة عليهم وبعث عيسى بإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان

(١) الإمام علي الهادي عليه السلام النموذج الأرقى: ١٣٢.

الغالب على أهله الطب فأتاهم من ذلك ما قهرهم وبهرهم وبعث محمداً بالقرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهربه شعرهم وقهر سيفهم واثبت الحجة عليهم^(١).

وانبرى ابن السكيت بعد هذا الجواب الحاسم الذي أدلى به الإمام عليه السلام فقال له: ما الحجة الآن؟ قال عليه السلام: العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب. إن العقل هو الحاكم في هذه الميادين، وهو الذي يشخص الصادق من الكاذب، وحكمه هو فصل الخطاب؛ لذا بان العجز على ابن السكيت^(٢).

اسئلة يحيى بن أكثم:

قال موسى بن محمد الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة فسألني عن مسائل فجئت إلى أخي علي بن محمد عليه السلام فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصرني طاعته فقلت: جعلت فداك إن ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها فضحك عليه السلام ثم قال: فهل أفتيته؟

قلت: لا، لم اعرفها. قال عليه السلام: وما هي؟

قال: كتب يسألني عن قول الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(٣) - نبي الله كان محتاجاً إلى علم اصف؟ وعن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ - سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ وعن قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبي ﷺ فقد شك؟ وإن كان المخاطب غيره فعلى من إذا أنزل الكتاب؟ وعن قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ما هذه

(١) ينظر حياة الإمام علي الهادي عليه السلام: ٢٩٤-٢٩٥.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٥/٢٩٦.

(٣) سورة النمل: ٤٠.

٢٠٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

الأبحر وأين هي؟ وعن قوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فاشتهدت نفس آدم عليه السلام أكل البر فأكل واطعم، وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب؟ وعن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يزوج الله عباده الذكران وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك؟ وعن شهادة المرأة جازت وحدها وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(١) وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النهار وإنما يجهر في صلاة الليل؟ وعن قول علي عليه السلام لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية بالنار فلم يقتله وهو إمام؟ واخبرني عن علي عليه السلام قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجاز على الجرحى وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً ولم يجhez على جريح ولم يأمر بذلك وقال: من دخل داره فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن، لم فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ.

هذه بعض الأسئلة التي وجهها يحيى بن أكثم إلى الإمام علي الهادي عليه السلام قاصداً من وراء ذلك الظفر إن عجز الإمام عن الإجابة فعمل بسوء نيته ليكسب رضا خليفته الطاغية المتوكل فعلم الإمام بخبثه وسوء نيته فكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت فألهمك الله الرشد، الفاني كتابك ما امتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الظفر سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائل فأصغ إليها سمعك، وذلك لها فهمك، وأشغل بها قلبك، فقد لزمك الحجة والسلام. سألت عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنه صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده.

(١) سورة الطلاق: ٢.

(٢) أئمتنا: ٢٢٨.

أما سجود يعقوب عليه السلام وولده فكان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنما كان كذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام^(١).

فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ إلى آخر الآية.

وأما قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾^(٢) فإن المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه ولكن قالت الجهمية: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المأكّل والمشارب والمشى في الأسواق فأوحى الله إلى نبيه - فسئل الذين يقرءون الكتب - بمحضر الجهمية، هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولك بهم أسوة.

وأما قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفذت قبل ان تنفذ كلمات الله، وهي: عين الكبريت، وعين اليمن، وعين البرهوت، وعين طبرية، وحمة ماسبذان، وحمة افريقية يدعى لسنان، وعين بحرون، ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا.

وأما الجنة فإن فيها من المأكّل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وأباح الله ذلك لآدم عليه السلام والشجرة التي نهى الله عنها آدم عليه السلام وزوجته أن

(١) المصدر السابق: ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) سورة يونس: ٩٤.

٢١٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظر إلى من فضل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزمًا.

وأما قوله - «أويز وجههم ذكراناً وإناثاً»- اي يولد له ذكور ويولد له إناث ويقال لكل اثنين مقرنين زوجان كل واحد زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لا ارتكاب المآثم - «ومن يفعل ذلك يلق آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً» إن لم يتب^(١).

وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضى فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يغلس بها فقراءتها من الليل.

وأما قول علي عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين عليه السلام لأنه علم انه يقتل في فتنه النهروان.

وأما قولك: إن علياً عليه السلام قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين، وأجاز على جريهم وأنه يوم الجمل لم يتبع مولياً... إلخ فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين، رضوا بالكف عنهم فكان الحكم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يحمل إليهم السلاح والدروع والرماح والسيوف ويسني لهم العطاء ويهيئ لهم الإنزال ويعود مريضهم ويحبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راحليهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم فلم يساوي بين الفريقين في الحكم، ولولا أمير المؤمنين

وحكمه في صفين والجمل لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم، فمن رغب عرض على السيف أو يتوب من ذلك^(١).

قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك^(٢).

ومن الأجوبة السابقة للإمام عليه السلام لاحظنا أنه استند في أغلبها على آيات الذكر الحكيم، وهذا ليس بغريب ولا عجيب فهم حفظ القرآن وتراجمه. كما استند في بعضها على سنة جدّه المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله، كجوابه عن صلاة الفجر، واعتمد في بعض أجوبته على ما أخذه من علم من آبائه، فهو ابن مدينة العلم وعلي بابها، فهم ذرية بعضها من بعض، لم يخلق مثلهم لا في علمهم ولا في أدبهم ولا في حكمتهم ولا في ورعهم، ولا حلمهم، فلا أحد يجاريهم، وكانت معاجزهم أنه يعلمون ماذا قصد السائل في سؤاله، وهذه من الكرامات التي خصهم الله بها. فقد قال ابن شهر آشوب عن الإمام الهادي عليه السلام: (٣).

وكان أطيب الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلم سماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة، شعبة من دوحة النبوة مرتضاة، وثمره من شجرة الرسالة مجتناة.

(١) المصدر السابق: ٢٣١-٢٣٢.

(٢) تحف العقول: ١١٧.

(٣) المناقب: ٤٠١/٤.

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد هذه الإطلالة السريعة على وسطية واعتدال الإمام علي الهادي عليه السلام في بعض مكاتيبه، كأدعيته وحكمه ومواعظه، والأشعار التي رواها، يتضح لنا أنه عليه السلام كان شديد الحرص على وحدة الأمة الإسلامية، فحاول بشتى الوسائل دفع الضرر عن أبنائها، سواء أكانوا موالين لأهل البيت عليهم السلام أم لم يكونوا، خوفاً من وقوع الفتن والاضطرابات. وقد قارع ظلم الطغاة من خلفاء بني العباس بتلك الوسائل السلمية التي كانت أمضى من حدّ السيف عليهم، فردعهم وانتصر عليهم بقوة إيمانه وحلمه وحسن تدبيره.

وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

١ - كان لدعائه عليه السلام لبعض من قصده حصناً حصيناً، وسوراً منيعاً، أبعد عنه كيد الكائدين وغيض المتسلطين. ومن هؤلاء الذين قصدوه ليدعوا لهم، أبو موسى عم أبي محمد بن أحمد، واليسع بن حمزة.

٢ - اتخذ عليه السلام الدعاء وسيلة دفاعية لدرء ما أصابه من سوء أعمال المتوكل العباسي، الذي عانى من ظلمه حين أوقفه تحت الشمس المحرقة. فكان دعاؤه مستجاباً؛ لأنه صدر من مظلوم بحق الظالم المتجبر، فالله سبحانه وتعالى سلط على المتوكل ابنه وبعض حاشيته فقتلوه أشنع قتلة وقطعوه هو ووزيره الفتح بن خاقان بعد ثلاثة أيام من تلك الواقعة. فالله على الظالم دوماً.

٣ - كلام الأئمة عليهم السلام نور يهتدى به، ولا سيما، إذا كان به حكمة بليغة وموعظة حسنة؛ لذا وجه الناس من خلال حكمه ومواعظه ليتحلّوا بالأخلاق الفاضلة، وأن يتعدوا عن كل صفة ذمها الإسلام أو نهى عنها، وأوصاهم بحمد نعم الله عليهم وبالعلم والعلم والقناعة وعدم الشكوى والرضا بالقليل ونبد الحسد والاعتدال، وما إلى ذلك من النصح والإرشاد، كل ذلك لتستقيم الأمة ويعم الأمن والأمان.

٤- إن الإمام علياً الهادي لم يكن شاعراً ولكنه كان يحفظ أشعار العرب المتتقة والتي فيها عبرة، وحين ألح عليه المتوكل العباسي بأن ينشد شعراً أنشده قصيدة من أروع ما قيل في تذكير الإنسان بمصيره الفاني، وما حلّ بالأمم السابقة، وقيل: إن هذه القصيدة كان الملك سيف بن ذي يزن ملك اليمن قد علّقها على أحجار قصره؛ لروعتها، ولما سمعها المتوكل أجهش بالبكاء حتى ابتلت لحيته من دموعه. هكذا هو إمامنا عليه السلام لم يشهر سيفاً، ولم يعلن حرباً ضد من ظلمه أو ظلم الناس، ولكنه كان ماهراً في ردعهم بوسائل اتسمت بالاعتدال والوسطية، وحققت السلم المجتمعي آنذاك.

روحي لك الفداء يا أبا الحسن العسكري.

٢١٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

مصادر البحث ومراجعته:

* القرآن الكريم

١ - أئمتنا، سيرة الأئمة الاثنا عشر، علي محمد علي دخیل، ط ١، مطبعة ستار، ١٤٢٧هـ.ق - ٢٠٠٦م.

٢ - الإتحاف بحب الأشراف، الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي وثق أصوله وحققه: سامي الغريري، ط ١، الناشر: مؤسسة الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٢.

٤ - الإمام علي الهادي سيرة وتاريخ، علي موسى الكعبي، ط ١، مطبعة ستار، مركز الرسالة.

٥ - الإمام علي الهادي عليه السلام النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي، الدكتور محمد حسين علي الصغير، ط ١، مؤسسة البلاغ، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢م.

٦ - أعلام الهدايا، تأليف ونشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٧ - الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، الطوسي، تحقيق وتصحيح: بهرام الجعفري - الأستاذ علي أكبر الغفاري، ط ١، دار الكتب الإسلامية، كتاب ألكتروني، مكتبة نرجس.

٨ - أمالي الصدوق، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، قدم له: الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩م.

٩ - البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط ١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

البحث الأول: الوسطية والاعتدال في مكاتيب الإمام علي الهادي عليه السلام ٢١٥

١٠- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ط ٣، مؤسسة الوفاء، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، موقع المكتبة الشاملة، أضيف بتاريخ ١٤ نوفمبر ٢٠١٠م.

١٢- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٣- تاريخ الإسلام للذهبي تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

١٣- تذكرة الخواص، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، للسيط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: د. عامر النجار، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٤- جوهرة الكلام في مدح السادة الأعلام، محمود بن وهيب القرغولي، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٢٩.

١٥- حياة الإمام علي الهادي

١٦- كتاب الخصال، محمد بن علي بن بابويه القمي الملقب بالصدوق، طبع الكتاب بتحقيق علي أكبر الغفاري، ط ١، المكتب التابع لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.

١٧- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط ١، دار المعرفة

٢١٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

للطباعة والنشر - بيروت، ١٩١٠ م.

١٨ - دعوات للراوندي، قطب الدين الراوندي، تحقيق مدرسة الإمام المهدي،

ط ١، امير - قم، ١٤٠٧ هـ.

١٩ - الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد

الجوهري الفارابي، (ت: ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٠ - عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق: عبد الكريم الكرمانی،

ط ١، مؤسسة الراشد للمطبوعات، بغداد ٢٠١١ م.

٢١ - الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى

بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٢٢ - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي

(ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط ٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ.

٢٣ - الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٥،

المطبعة حيدري، إيران ١٣٦٣ هـ.

٢٤ - كنز الفوائد، أبو الفتح الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي

الطرابلسي، حققه: الشيخ عبد الله نعمة، ط ١، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

٢٥ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور

الأنصاري الأفرقي، (ت: ٧١١ هـ)، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

البحث الأول: الوسطية والاعتدال في مكاتيب الإمام عليّ الهادي عليه السلام ٢١٧

٢٦- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م

٢٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، كتاب ألكتروني ٤ أجزاء، مكتبة نرجس.

٢٨- مسند الإمام الهادي، جمعه ورتّبه: الشيخ عزيز الله العطاردي، ط ٢، دار الصفوة، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٢٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، أبو العباس، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، كتاب الكتروني المكتبة الوقفية.

٣٠- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٣١- المناقب، الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامية، ١٤١١هـ.

٣٢- منتهى الآمال في تاريخ النبي والآل، الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٣٣- مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني، علّق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، ط ١، الطبعة المصححة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م.

٣٤- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، الشيخ مؤمن الشبلنجي،

٢١٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣

تحقيق محمد طعمة حليبي، ط ١، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٣٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن

محمد بن ابراهيم بن خلكان البرمكي الاربلي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر بيروت.

٣٦ - اليواقيت الحسان في تفسير سورة الرحمن، مجد الدين النجفي الأصفهاني،

كتاب ألكتروني، مكتبة مدرسة الفقاهة.



البحث الثاني

سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي

من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود

أ. د. هناء جواد عبد السادة أ. د. سعيد حسين علي الثلاب

جامعة بابل

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه أجمعين وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد، سامراء مدينة عراقية تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وتبعد نحو (١١٨ كم) إلى الشمال من العاصمة بغداد، وكانت مدينة سامراء قضاءً تابعاً إلى لواء (محافظة بغداد) عند تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢٠ م.

ويعود اكتشاف مدينة سامراء إلى عصور قديمة، فقد ذكرها المؤرخ الروماني أميانوس مرقليس (٣٢٠ م) وفي (saoma)، ونوّه عنها المؤرخ اليوناني زوسيمس بصورة سومرا (sumera) بصيغة (سومرا ٣٩٠ م)، ويذكر بعض المؤرخين أن سامراء في المنطقة التي جاء منها السومريون الذين أسسوا أول حضارة بشرية في جنوب العراق، ازدهرت سامراء وسطع نجمها مرة أخرى في عهد بني العباس (٢٢١ هـ / ١٣٩ م) بعد ما اختارها المعتصم بن هارون الرشيد عاصمة للدولة العباسية وهو ثامن خلفاء بني العباس اهتم ببناء المدينة وشيّد ثكنات عسكرية لسكن الف جندي، ولأن المعتصم أرادها أن تكون أجمل مدينة في إمبراطوريته. فقد وسع بنائها حتى امتد العمران إلى مسافة (٣٥ كم) على ضفتي نهر دجلة، وكان هذا الجمال في البناء والعمران سبباً في تسميتها (سر من رأى)؛ لأنها تسر الناظرين.

والذي يهمننا هنا ازدياد هذا الجمال بدخول الهالة الأثرية التي رسمت دائرة الإشعاع الطاقوي للإمام علي الهادي عليه السلام في مدينة (سر من رأى).

٢٢٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

فقد وصل الامام علي الهادي عليه السلام إلى سامراء بأمر من الخليفة العباسي المتوكل ابن المعتصم عام (٢٣٤هـ) ليضعه أمام عينيه خوفاً من ثورته ضد الظلم والطغيان، وقد جاء من المدينة المنورة بصحبة ابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ومن هنا نبداً مع بؤرة الإشعاع الطاقوي لولادة صاحب اليوم الموعود الذي تحدث عنه الإمام علي الهادي عليه السلام كثيراً في جهاده العلمي موضحاً الولادة المباركة لحفيده المنتظر وقد أحاط كلامه بهالة من القدسية والغموض.

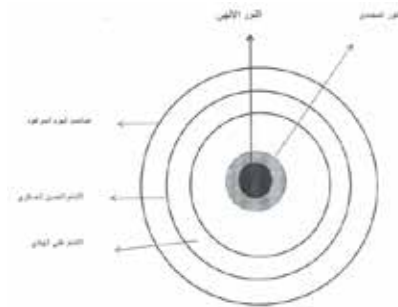
كما يتجه البحث إلى إثبات الهالة الأثرية للإمامين (علي الهادي والحسن العسكري عليه السلام)، وصولاً إلى صاحب اليوم الموعود، والبحث كفيل بإثبات هذه الحقيقة علمياً باستعمال أجهزة مختبرية مختصة تصور الهالة الضوئية (الجسم الأثري)، التي تتحول إلى ذبذبات وتنطلق من الجسم إلى مكان آخر، ثم تعود فتجسد لتظهر الهالة الاثرية بالشكل والحجم اللذين يتمتع به الجسد المادي، وهذه هي عملية التحول التي سيتكفل البحث بإثباتها عن طريق انفلات الهالة الاثرية من الجسد لتتخذ لنفسها وجوداً آخر في مكان آخر، علماً أن الملامح قد تتغير قليلاً حين تظهر في الهالة الأثرية، وذلك لأن مقاييس المادة تختلف عن مقاييس الأثير.

أما مضامين البحث فجاءت على وفق الترتيب الآتي:

المضمون الأول: مفهوم الهالة الأثرية.

المضمون الثاني: الولادة المباركة.

المضمون الثالث: التطبيقات العملية والتمارين الذهنية.



المضمون الأول: مفهوم الهالة الأثرية :

The Aura

أولاً: المعنى اللغوي: الهالة: هالة: اسم والجمع هالات، والهالة دائرة القمر، أو دائرة من الضوء يحيط بجرم سماوي، ويقال: أحاطه بهالة من الحفاوة: أحاطه بحفاوة بالغة، أحاطه بهالة من المجد^(١).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي: الهالة: الطيف أو النور المحيط يُجسّد الكائنات الحية سواءً الإنسانية منها أو غير الإنسانية، إذ أن لكل فرد منا مجال طاقة يحيط بجسده على شكل إطار بيضوي يسمى (Aura) وهي إشعاعات مضيئة تنتشر على بعد قدم حول جسد الإنسان إذا كان الشخص معافى.

وعليه فالهالة: عبارة عن إشعاعات ضوئية تغلف الجسد وتنحدر، كلمة هالة من أصل يوناني وتعني (لنفس Breath) أو (الهواء) وقد أحصى الدكتور دلاور محمد صابر مجموعة من التعاريف التي ذكرتها المصادر والمراجع للهالة وهي:

١ - انبثاق دقيق غير مرئي، أو زفير، مثال ذلك: الهالة المنبثقة عن حزمة من الورد.

٢ - فضاء مميز يحيط بالشخص كالهالة المميزة حولنا.

٣ - تيار أو حركة الهواء التي تحدثها النبضة الكهربائية.

٤ - وقد تطلق مثلاً على إشراق الوجه، ويقال: على وجه هذا الشيخ هالة من النور، أو تحيط به هالة من القداسة^(٢)، وهذا التعريف هو بيت القصيد في البحث، إذ ما يشاهد على وجه الشيخ الصالح من نورانية يعني أنه يمتلك هالة أثرية طويلة وتزداد عند الإنسان المؤمن، الورع، النقي، طاهر القلب والسريرة، أي أن طول الهالة

(١) ينظر: لسان العربية، المعجم الوسيط ومعجم المعاني الجامع.

(٢) واقع الهالة الضوئية حول جسم الإنسان حقيقته في المختبر والشرعية، ص ١٥.

٢٢٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

مرتبط بمفاهيم عليا «دينية وأخلاقية» قال تعالى مخاطباً رسولنا الأعظم ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، هذا التكريم العظيم والثناء العلوي للرسول الكريم يثبت في صميم الوجود فيحتجز البشر عن إدراك هذه الشهادة الكبرى وعن وصف قيمة هذا القول من الرب العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢). شهادة الله لعبد الله في ميزان الله الحق لا يستحقها أحد إلا محمد بن عبد الله الذي روي على لسان أصحابه روايات كثيرة عن حسن خلقه، وجاء على لسانه ﷺ: «إِنْ مِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا».

فالرسالة هدفها واضح واختيار الرسول ﷺ كان مبنياً على أساس تلك القيم الروحية للمفاهيم الأخلاقية المرتبطة بالسماء؛ لذا دعت الرسالة المحمدية إلى طهارة النفس وتركيتها ونشر العدل والبر بالوالدين وحفظ العهد والأمانة ومزج الإيمان بالنية وهذا هو العنصر الأخلاقي في الرسالة المحمدية، إنها قيم سماوية مرسلة إلى البشر ليحققوا إنسانيتهم العليا واستخلافهم في الأرض؛ لأن الإنسان خليفة الله في أرضه وقد تمثلت تلك القيم الروحية الجمالية الأخلاقية الإسلامية بكمالها واستقامتها في رسولنا الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ^(٣)، فأثنى عليه الخالق عز وجل ثناءً حسناً وقال بحقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٤). وأعلن - تقدست ذاته - يصلي عليه هو وملائكته: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(٥). ثم يخاطب المؤمنين ويطلب منهم أَنْ يَصَلُّوا على الصادق الأمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) لآلئ الطاقة الإيجابية، ص ٧٩.

(٤) سورة القلم: ٤.

(٥) سورة الأحزاب: ٥٦.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٢٥

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١). من هذا الجذر الطاهر الطيب ولدت الهالة الأثرية للإمام الحجة عجل الله فرجه وكانت ولادة منبثقة من بؤرة الإشعاع لزواج فاطمة الزهراء من الإمام علي عليه السلام واتساع مدارات الدائرة بولادة اثني عشر إماماً وصولاً إلى ولادة صاحب اليوم الموعود.

المضمون الثاني: الولادة المباركة:

إن الحديث عن حياة الإمام المنتظر عليه السلام أمر ليس بالهين فقد ألّفت مجلدات ضخمة وكثيرة، وبقلم أعظم الكتاب من رجال الدين والعلم داخل العالم الإسلامي وخارجه، والبحث ليس معنياً بذلك، ولكن الحديث هنا ينصبُّ في دائرة الحقل الطاقوي الذي عبر الزمان ليصل بنا إلى اليوم الموعود.

إن حياة الإمام المنتظر عليه السلام تعني ولادة نور من نور، ذلك النور الذي استمدّه من بيت النبوة عبر أحد عشر إماماً معصوماً، أيّ ولادة تلك أيها الموعود، كيف لي أن أطرق باب النور، وأكتب عن ليلة الخامس عشر من شعبان، تلك الليلة المنيرة بالنور الإلهي الذي ملأ الأرض ليسر الإنسانية باليوم الموعود، إنها ليلة ولادة المصلح العظيم التي تتطلع الدنيا لمقدمه السعيد، إنه أمل الإنسانية في تحقيق العدل وتبديد الظلام والقضاء على الفساد والبغي والشر.

إن ليلة الخامس عشر من شعبان، ليلة مباركة، ليلة نستلهم منها حقيقة ديمومة الرسالة المحمدية إلى قيام الساعة، على عكس ما كانت عليه الرسائل السماوية التي سبقت الإسلام، ولأهمية تلك الليلة المباركة، سنذكر دقائق ما حدث فيها من أجل إثبات قوة الهالة الربانية التي وهبها الله عزّ وجلّ لآل محمد الأطهار وتأصلت بقائهم عجل الله فرجه وسهل مخرجه.

روي أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بعث إلى عمته (حكيمه) وقال لها: «يا

٢٢٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

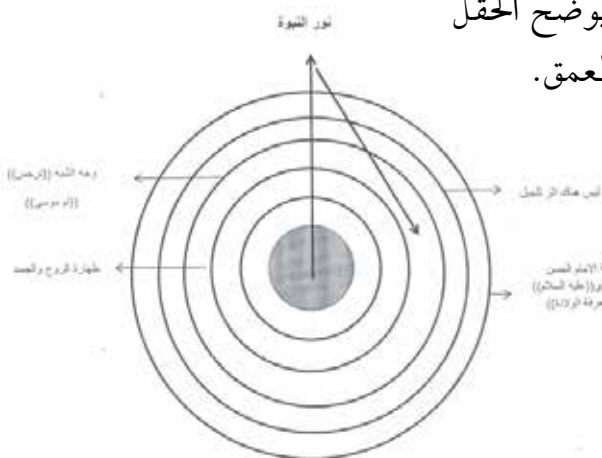
عمة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته في أرضه. فقالت: ومن أمه؟ قال: نرجس، قالت له: والله - جعلني الله فداك - ما بها أثر. فقال: هو ما أقول لك. قالت: فجلست فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيدتي كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمة؟ فقلت: يا بنية إن الله سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيدياً في الدنيا والآخرة، فجلست واستحيت، ثم قال لي أبو محمد عليه السلام: إذا كان وقت الفجر يظهر بها لك الحبل؛ لأن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد وقت ولادتها؛ لأن فرعون كان يشق بطون الحبال في طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه السلام. قالت حكيمة: فلما فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلما كان في جوف الليل قمْتُ إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقبة ثم انتهيت وهي راقدة، ثم قامت فصلت فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد من المجلس: لا تعجلي يا عمة، فإن الأمر قد قرب. فقرأت أمر السجدة ويس فينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت: تحسين شيئاً؟ قالت: نعم، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك، ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة فأنتهيت بحس سيدي فكشفت الثوب عنه فإذا به ساجد يتلقى الأرض بساجده فضممته إليّ فإذا به نظيف منظف»^(١).

ولو قرأنا النص قراءة إشعاعية ووقفنا أمام كل حلقة ضوئية انبعثت من النقطة في العمق فإننا سنحصل على حقل طاقوي طويل المدى يؤكد ما ذهبنا إليه في هذا البحث، فقد كانت بؤرة النص حوارية بين الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعمته حكيمة عليها السلام تكشف منه الحلقة الإشعاعية للحقل الأثري الأول (هالة السرب)، ثم تأتي الحلقة الإشعاعية الثانية التي تجيب عن أسئلة العمّة حكيمة التي أصابها

الذهول عندما أخبرت بولادة صاحب اليوم الموعود، اليوم بعد صلاة الفجر يولد صاحب العصر والزمان. السؤال: من أمه؟ (نرجس) لا أثر ظاهر للعيان، وكيف يظهر الأثر ونرجس تحمل في بطنها نوراً.

وجاء الحقل الطاقوي الرابع والأخير ليتوّج هامة الزمن الفيزيائي ليلة الخامس عشر من شعبان ليلة نورانية، رحمانية، روحانية تحمل البشرى للعالم جميعاً بولادة صاحب اليوم الموعود الذي امتاز بزكاة روحه ونظافة جسده، فكان حقله الطاقوي في تلك اللحظة يتسع مداه ليضم الكون بأسره، طفل يحمل صفتين لم يعرفه أحد (قبل هذه الولادة ولا بعدها) صفة السجود والنظافة. هذا ما جاء على لسان العمّة حكيمة: «فإذا به ساجد يتلقى الأرض بساجده فضممته اليّ فإذا به نظيف منطف» وهذا يؤكد أن الإمام عليه السلام جمع بين جمال الجسد وجمال الروح وقد ظهر الطرفان في آن واحد «ساجد ونظيف» طفل ينظف بالحق المبين ويردد الشهادة ويسلّم على جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١) إنها المعجزة الإلهية المستمرة على مدى التاريخ للنبي الرحمة وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

ويمكن رسم مخطط يوضح الحقل
الطاقوى المحيط بالنقطة فى العمق.



ولو نظرنا للنقطة المضئية في الدائرة نظرة تأمل وتفاعل منسجم من مستويات كل من العقل الواعي والعقل الباطني الموجهة علمياً لغرض معرفة القوة الكامنة لدى الطفل المولود في الخامس عشر من شعبان المبارك لوجدناها قوة خارقة تصنع المعجزات؛ لأنها منبثقة من نور النبوة المحمدية، ، نور الحق، نور القسط والعدل ولو أعدنا قراءة النص عكسياً أي من النقطة في الدائرة إلى المدارات الإشعاعية للحقل الطاقوي الأثيري لوجدنا أن القوى التي تحقق المعجزات موجودة أصلاً في عمق الدائرة، وقبل وجود أي دار عبادة في الأرض وكان النور المحمدي يشع من العالم العلوي إلى العالم الدنيوي، وعبر تلك الرحلة الكونية كانت الإشعاعات تملأ الوجود، ولتكن الحقيقة منبثقة من ذلك أولاً كي تتخيل اتساع المدارات عبر الحركة الزمكانية للكون، وعليك أن تلتحم عاطفياً وذهنياً مع تلك الحقيقة التي تؤكد أن النور المحمدي، هو النور السرمدي الذي كان قبل أن يكون الوجود وهو مستمر ولا يزول، وعند اكتساب تلك المعرفة سوف تسري فيك قوة خلابة يطلقها نور روحاني إيماني وستتمكن من توليد قوة جديدة تمكنك من التقرب إلى الدائرة والنظر إلى العالم غير المرئي وعندها تجد الإجابة عن كل التساؤلات التي اطلقتها على اتساع المدارات الإشعاعية الأربعة المذكور سابقاً.

ومهما تعددت القراءات تبقى الدائرة مشعة بالنور المحمدي يوم الخامس عشر من شعبان شعاعاً منبثقاً ممتداً من عمق الدائرة متصلاً بأرجاء المعمورة.

المضمون الثالث: التطبيقات العملية و التمارين الذهنية.

لرّيعد الحديث عن الحقل الطاقوي والهالة الضوئية مجرد كلام يطلقه أصحاب الغيبيات أو الذين اشتغلوا على العقل الواعي والعقل الباطن، بل أصبح بإمكان أي فرد أن يسري هالته بأجهزة مبتكرة مختصة في هذا المجال، فهذا جهاز يدعى بـ (Aura video star ion) يصور هالة الفرد ويعكس صورتها على شاشة كومبيوتر

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٢٩

وعلى أثرها تفسر الحالة الحيوية والسيكولوجية للفرد، بأن يجلس باسترخاء ويضع يده اليسرى على صندوق التحسس الحياتي. إن هذا الجهاز يُعدُّ فريداً من نوعه في الكشف عن حالة الفرد العاطفية والطاقة^(١). أما جهاز «روبرت كنزي» فيقيس الانبعاث الحراري من جسد الإنسان ويحلله؛ وهذا ما سنقف عنده في التمارين.

سمّي الجهاز باسم مخترعه العالم السويدي (روبرت كنزي) الذي يُعدُّ أول من اهتم بموضوع الجسم الأثيري (الهالة) عن طريق جهاز اخترعه للاستشعار الحراري بجسم الإنسان عن بعد.

وصف الجهاز:

الجهاز عبارة عن أجهزة مستطيلة يجلس الإنسان في وسطها وحوله (٨) كاميرات في ضلع المستطيل الطويل و(٨) أخريات في ضلع المستطيل الموازي له، وفي الضلع القصير للمستطيل توجد (٦) كاميرات يقابلها (٦) أخرى، ويجلس الإنسان بملابسه والجهاز يقيس الانبعاث الحراري من جسمه ويحلله^(٢).

٨ كاميرات

٦ كاميرات



٨ كاميرات

طريقة قياس الهالة: يدخل الشخص داخل المستطيل والجهاز يقيس الانبعاث الحراري من جسمه ويحلله؛ فيجد (٣٧) مليون لون تتحول في النهاية إلى سبعة ألوان

(١) واقع الهالة الضوئية حول جسم الانسان، ص ٣١.

(٢) م.ن، ص ٤٢.

٢٣٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجمَعِي) / ج ٣

موزعة توزيعاً عشوائياً، وهذه الألوان السبعة ذات معالم مرتبطة بالذات الإنسانية فإذا كان الإنسان الجالس في المستطيل مؤمناً، روحانياً «نورانياً»، فإن الألوان السبعة تتضح معالمها وتتحدد وتكوّن ضوءاً غير مرئي، له سعي على السفر (التأثير)؛ لأن طول الموجة الخاصة به لتصبر ومن ثم فقدّرتة على النفاذ كبيرة، وهي تساوي (١٢٠٠) ميل.

التطبيقات:

بعدما اطلعت على التجارب التي أجراها (روبرت كنزي) والنتائج المذهلة التي وصل إليها من تلك التجارب وقف عند تجربة الشيخ (أحمد ديدات) لتكون انطلاقة للتمارين الذهنية، ويمكن أن نذكر بإيجاز التجربة:

قام روبرت كنزي بتصوير جسم الإنسان في أنحاء عديدة في أوروبا، فوجد أن الجسم الأثيري الخاصة بهم في المنام ذوملامح غير واضحة، وتوصل إلى أنهم يعيشون في حالة قلق وتوتر. استغرق (روبرت كنزي) وقتاً طويلاً في البحث عن شخص مستقر روحياً، وعندما سمع أحد الدعاة المسلمين، وهو الشيخ (أحمد ديدات)، ذهب إليه وقال: انني أدعي أنني على نور من ربي؛ لأن الله شرح صدري للإسلام. فأدخله الجهاز وكانت المفاجأة، ومن هنا كانت رحلتي مع الهالة -هالة آل البيت النبوي- وحقلهم الطاقوي بعدما طرحت على نفسي مجموعة أسئلة إجابتها حاضرة في ذهن كل من أحبَّ محمداً وآل بيته الأطهار، وهذا ما سنقف عنده في التطبيقات.

إن جهاز (روبرت كنزي) استطاع أن يحدد طول الحقل الطاقوي للشيخ (أحمد ديدات) بـ (١٢٠٠) ميل وقد اندهش كثيراً^(١)، قال له الشيخ: لا تندهش فسوف أطيل لك الجسم الأثيري الخاص بي، أي أجعله أكثر نقاوة. فقال له: كيف؟ قال ديدات: اتركني اغتسل الغسل الإسلامي. فبدأ الجسم الأثيري له أكثر وضوحاً.

(١) أعلن إسلامه؛ لأنه علم أن الإسلام هو الحق.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٣١

فسأله (روبرت كنزي)، كيف عرفت ذلك؟ قال الشيخ: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا توضأ العبد خرجت ذنوبه من عينه ومن يديه ومن رجله ومن أذنيه..» وعندها أعلن روبرت كنزي إسلامه.

وهكذا يزداد طول الجسم الأثيري في الصلاة وقراءة القرآن، وعند بيت الله، وعند زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله، وزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام، هكذا كانت رحلتي مع آل البيت عليهم السلام، أخذت من طول مدى الحقل الطاقوي لشيخ مؤمن يسير على النهج المحمدي الشريف، المدى الذي وصفه (روبرت كنزي) كحد أعلى وهو (١٢٠٠) ميل، وهو مدى طويل يستطيع الجسم الأثيري أن يسافر به بعيداً عن الجسد وخاصة في المنام.

وقد استطاع الشيخ (أحمد ديدات) أن يزيد المدى لدرجة عدم استطاعة جهاز روبرت تسجيل طول الحقل الطاقوي للشيخ في الصلاة وفي أثناء قراءة القرآن. وهنا وقفتُ أمام هالة النور الإلهي الذي ملأ الدنيا، النور المحمدي المشع، نور النبوة السرمدي، النور الذي أضاء الظلمات، وجلا العتمات، وختم به الله الأنبياء، من هذا النور كان مهدينا عليه السلام ألمٌ نستطع أن نعرف طول هالته الأثيرية؟ ألمٌ نعرف كيف يملأ الأرض عدلاً وقسطاً؟ ألمٌ نعرف كيف تلتقي روحياً بصاحب اليوم الموعود؟

نعم، باستطاعتنا وبسهولة، بعدما تتحد قوة الإرادة بقوة الفكر أي قوة العقل الباطن بقوة العقل الواعي ويندمج الوعي باللاوعي بتزكية النفس والإيمان المطلق بالقوة الكونية المحركة لكل شيء حولنا.

إن اكتشاف (روبرت كنزي) لطول هالة الجسم الأثيري للشيخ (أحمد ديدات) كان حافزاً أساسياً لي أن أسير في هذا الطريق الذي توصلت إليه سابقاً، لم استند على أساس علمي، بل كان جانباً روحياً فقط. أما اليوم فقد امتزج الجانب العلمي بالروحي، فكان أول بحث كتبه في قياس الحقل الطاقوي لدى الإمام علي بن أبي

٢٣٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

طالب عليه السلام في فتح خير^(١)، ثم تلاه بحث آخر عن الحقل الطاقوي للإمام الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، وهكذا يمكن أن نكتب عن كل ما هو جديد في عالم الطاقة في بيت النبوة ما يبهر العالم كله.

وقبل الولوج إلى عالم قياس الحقل الطاقوي للإمام المهدي عليه السلام والذي نحتاج إلى جهاز بحجم الفضاء الكوني، علينا أن نعرض مجموعة تمارين روحية ذهنية تساعدنا على اكتشاف مجموعة حقائق علمية توصلنا إلى معرفة طول الحقل الطاقوي للإمام المهدي عجل الله فرجه وسهّل مخرجه الذي نتظر ظهوره من أجل القضاء على الظلم والفساد ونشر السلم والسلام والسعادة والهناء في أرجاء المعمورة.

إن التمارين الروحية ترفع الحجب عن بني العقل الباطن ذات الأفكار البناءة المثمرة المنسجمة بشكل واع مع القوى القيمة التي تتحكم بحركة الأشياء من حولنا، ويتوقف ذلك على عدة جوانب أبرزها :

١ - الإيمان المطلق بالخالق عز وجلّ.

٢ - الدعاء والتضرع.

٣ - السير على النهج المحمدي وآل بيته الأطهار عن طريق:

أ - الإخلاص في العبادة لله وحده لا شريك له.

ب - العمل الصالح.

وعندما يصبح عقلك الواعي ملتزماً بتلك الجوانب الأساسية فإن عقلك الباطن يكشف عن الكنز الكامن في أعماق الروح المؤمنة، فتصبح هالتك قادرة على السفر إلى عالم الملكوت الأعلى في المنام، أما عند أهل البيت الأطهار، فإن هالتهم

(١) محاضرة في مدارس وارث في العتبة الحسينية الشريفة

(٢) مؤتمر الحسن المجتبي (٢٠١٧).

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٣٣

الأثرية تتصل بالملكوت الأعلى ليل نهار؛ لأنهم ورثوا النور المحمدي المنبثق من النور الإلهي المقدس، وهم الذين يمتلكون المقدرات الخلاقة «الروحانية، والذاتية، والعقلية» ومن ثم امتلكوا السلطة لاستعمال الطاقة الطبيعية والحياتية المنسجمة مع المشيئة الإلهية والمتناغمة مع نظام الخالق.

إن الإمام المهدي عجل الله فرجه قادر على فعل كل شيء، وله الحق في استعمال الطاقات الحياتية والطبيعية؛ لأن هدفه الرئيس نشر السلام والخير والمحبة، وتطوير الوعي البشري في معرفة الذات الإنسانية وعلاقتها بالذات الإلهية كي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

قال الرسول صلى الله عليه وآله: «يخرج رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، وخلقه خلقي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً...»^(١). فعندما نتحدث عن ولادة الإمام المهدي، وعن غيبته الصغرى والكبرى^(٢)، وعن ظهوره، وما بعد الظهور^(٣)، ولا نجد اليوم حرجاً؛ لأن الأبحاث العلمية أثبتت للأشخاص الروحانيين خوارق، فكيف بسليل السيرة المحمدية السرمدية؟. قال رسولنا العظيم صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلُقاً، تكون له غيبة وحيرة تفضل فيها الأمم ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٤)، هذا هو الحقل الطاقوي للإمام المهدي «كالشهاب الثاقب» حدّده خاتم الأنبياء، وعلينا معرفة طول الهالة الضوئية لذلك الجسم والتي تسافر متخطية الزمان والمكان لتملأ الأرض نوراً بالقسط والعدل. وعندما أحدد طريقة قياس المدى الأثري لهالة الإمام المهدي لا أكون قد انتهكت القانون العام؛ لأنني لا أفعل ذلك من باب الاستعراض

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر، ص ٥٥.

(٢) ينظر: موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، تاريخ الغيبة الصغرى ونفس المصدر تاريخ الغيبة الكبرى.

(٣) ينظر: موسوعة الإمام المهدي الكتاب الرابع (تاريخ ما بعد الظهور).

(٤) كفاية الأثر، ص ٦٧ وينظر: ينابيع المودة: ٣ / ٣٦٨.

٢٣٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

أو حب الظهور، بل أفعل ذلك لأظهر حقيقة ما تحويه العترة المحمدية من طاقات نورانية مصدرها الأول النور الإلهي المقدس الذي أوجد تلك القوانين من أجل أن ينعم خليفته في الأرض - الإنسان - وبما أن الأمام المهدي شعاع رוחي من نسل محمد ﷺ، فكيف لا يكون خلافاً بطبيعته؟!

إنه الشهاب الثاقب كما وصفه الرسول الأكرم ﷺ والامتداد الطبيعي لهم لتحقيق الاستمرارية في العطاء ونشر الإسلام والقضاء على الفساد والمفسدين ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١). فكان الإمام الثاني عشر من المعصومين ولا إمام بعده، وحفظه الله عز وجل لليوم الموعود^(٢) ليملا الأرض بما ملأها جده رسول الله ﷺ سعادة ورخاء قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣). وأن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف^(٤)، وهكذا كانت الرسالة الإلهية المقدسة رحمة للعالمين من أرحم الراحمين، منزلة على رسول الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى في وصف النبي: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥). وإمامنا المهدي سليل تلك الرحمة الإلهية التي كانت وكائنة وستكون في اليوم الموعود، إنه القائم بالحق للعالمين وطوبى لمن تمسك بحبلته إلى اليوم الموعود.

روى يونس بن عبد الرحمن أنه قال: «دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله، أنت القائم؟

فقال: أنا القائم بالحق، ولكن القائم بالحق الذي يطهر الأرض من أعداء الله،

(١) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٢) موسوعة الإمام المهدي ما بعد الغيبة: ٣ / ٤٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٠٧.

(٥) سورة التوبة: ١٢٨.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٣٥

ويمملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه ويرتدُّ فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون، طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا، والبراءة من أعدائنا، أولئك منا، ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، وفطوبى لهم ثم طوبى لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة^(١)، هذا الدور الإيجابي الفعّال الذي يقوم به الإمام المهدي في تطهير الأرض من أعداء الله عزَّ وجلَّ وتخطيم صروح الظالمين والطغاة، فهل تستطيع التعرف على حقله الطاقوي، يوم ولد ويوم غاب ويوم يبعث في اليوم الموعود؟ ومن أجل أن تتفتح الحقيقة في عقول الأجيال - حقيقة اليوم الموعود - علينا أن نتخذ طرائق جديدة ومبتكرة في التدريب معتمدين في ذلك على ثلاث ركائز أساسية هي :

١- التراث الضخم الذي كتب عبر العصور عن المهدي واليوم الموعود.

٢- التطور العلمي.

٣- التدريب الذهني.

فاذا جعلنا من الكتب التي ألّفت في هذا المجال فرشة عريضة لمعرفة التفاصيل وأخذ الجزئيات الأساسية التي تؤكد حقيقة وجوده ومنها ننطلق لمتابعة ما يجري في العالم من تطورات علمية وبحوث مهمة بدراسة الذات الإنسانية وأجهزة تكشف ما وراء المرئيات.

ثم نفتح للأجيال آفاقاً جديدة لمعرفة الثراء الروحي الذي يسمو بنا إلى عالم أجمل لا يعرف جماله إلا السالكون إلى الملكوت الأعلى بحبهم الصادق لله ورسوله وآل بيته الأطهار وعندها تنفتح المقدرات الكاملة، وتصبح المعرفة عقيدة والعقل بقوة الإرادة المتوجهة بالوعي الذي يرمي إلى الحكمة في العمل عندها تخرج مقدراتهم الباطنية والقوة الخلافة بذواتهم المحبة فيحققوا منه المزيد بأنفسهم بقوة وتمكن الحب

(١) كفاية الأثر: ص ٢٦٥-٢٦٦.

٢٣٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماذ السلم المُجتمعي / ج ٣

الإلهي من ذواتهم ويكون أمامنا المصدر الملهم لهذا الجليل الذي تحجرت روحه بسبب فقدانها للغذاء الملئ لتطورات العصر.

وقبل أن تبدأ التمارين أطلب منكم أن لا تفتحوا أذهانكم وحسب، بل قلوبكم أيضاً؛ لأن القلب يتكلم لغة الروح وينقل همساتها، وحكمُ الروح أكثر صواباً من حكم العقل.

لا أطلب منكم سوى الانفتاح على كل جديد، والتزموا بما يأتي:

١ - لا تتسرعوا في الحكم على الأمور قبل دراستها والتمعن فيها.

٢ - غوصوا في الأعماق ونقبوا عن الصواب.

٣ - لجوا إلى ذاتكم لتبدي رأيها في تلك الأمور الجديدة؛ لأن الفكر يعجز عن الحكم على كل شيء.

٤ - بعد التوصل إلى النتائج غير مدركة في حينها، عليكم عدم رفضها بل دونوها في مذكراتكم، فقد يأتي اليوم الذي سيؤكد لكم صحتها !

دعوني أبدأ معكم التمارين و عليكم أن تنظروا إليها بإيجابية وأن تلتزموا بهاتين الحقيقتين :

الأولى: لا تجعلوا من الحواس الخمس المعيار الذي تحكمون به على الأشياء.

والحقيقة الأخرى: لا تلجؤوا إلى فكركم المادي المحدود للحكم على الأشياء أو إثباتها، بل اعمدوا إلى فكركم الواسع اللامحدود.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٣٧

التمارين:

التمرين الأول: المحبة:

المحبة أقوى مقدرة على وجه الأرض، وهي سرُّ إطلاق القوى الخلاقة، ومن هنا تبدأ التمارين، وعليك الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- أين أنت من المحبة؟ أين أنت من محبة الآخرين؟ بل أين أنت من محبة ذاتك؟ هل تعتقد بأن الإبقاء على ذاتك سجين الكبرياء يدعى محبة؟

نبدأ التمرين عملياً «إبحث عن المحبة في طوايا ذاتك واطلقها عملياً، ترى الكبرياء والغرور وسائر مشتقاتها وقد بدأت تلمس نفسها وترحل عنك إلى غير رجعة».

التطبيق:

واختر مكاناً يريح ذاتك.. (البيت - غرفتك - الحديقة - المسجد..) وفكر بهدوء وأجب على الأسئلة بصدق مع ذاتك فإذا كانت المحبة متمكنة منك، فإن روح الله عز وجل تنبض في قلبك وهذا الحب متبوع بحب الرسول صلى الله عليه وآله، وحب الرسول متبوع بحب آل بيته الأطهار، وهذا الحب الذي نجده في قلب المؤمن قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وبهذا الحب ستنتقل إلى الفضاء الأرحب، بهالة مشعة، قادرة على تخطي القوى السلبية من حولها، وعندها تكون أنت واحداً من بين هؤلاء.

١ - مجموعة تتألف السعادة على وجههم، وبوادر تفتح مقدراتهم ظاهرة.

٢ - مجموعة بدأت الرؤى تتوارد إلى بصيرة ذاتهم.

٣ - مجموعة تبصر في عالم الأحلام ما لا يبصره الآخرون وهذه المجاميع تتصف

(١) سورة آل عمران: ٣١.

بما يأتي :

- أ- تَمَكَّنَ الْحُبُّ الإِلَهِيُّ مِنْ ذَاتِهِمْ لِدَرَجَةِ التَّمَاهِي ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).
- ب- فِي تَرْكِيةِ النَّفْسِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢).
- ج- التَّفَكِيرُ وَالتَّدْبِيرُ فِي الْخَلْقِ لَا فِي الْخَالِقِ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

وبعد أن عرفت مكانك في أحد هذه المجاميع التي تتصف بهذه الصفات المشعة بالنور الإلهي المحب لعباده المؤمنين تستطيع أن تتواصل روحياً مع الإمام المهدي عجل الله فرجه بالحب الإلهي وتعمل جاهداً من أجل نشر الخير في المكان الذي تتواجد فيه، كي تتلمس توجيهاته، وتستمد القوة من عزمه وتكون أحد المقاتلين تحت رايته في اليوم الموعود بالمحبة الإلهية المتبوعة بحب رسولنا الكريم وآل بيته الأطهار تحصل على هالة نورانية تسافر بك إلى عالم اللامريات.

التمرين الثاني: العطاء:

العطاء طبيعة إنسانية، (والعطاء الإنابة قال تعالى: ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٤))، واختص العطية والعطاء بالصلة، قال تعالى: ﴿هُذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥) وذلك زيادة في الإكرام والمنة.

وقد اقترن العطاء بسر كبير علينا في هذا التمرين الكشف عنه كي نتواصل مع صاحب العصر والزمان روحياً بذلك السر الذي يكمن في العطاء.

(١) سورة آل عمران: ٧٦.

(٢) سورة الشمس: ٩.

(٣) سورة البقرة: ٢١٩.

(٤) سورة التوبة: ٢٩٠.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٧٢.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٣٩

العطاء، تلك المقدرة الإنسانية التي إن هي تفتحت في الروح لقيت التربة الخصبة التي تستقبل بذارها.

العطاء طبيعة إنسانية جبلت بأعماق الإنسان منذ بداية خلقه، فالطبيعة تعطي، والشمس تعطي، والحياة تعطي، الكل يعطي؛ لأن هذا هو ناموس الحياة، ولكن يبقى عطاء الله عز وجل هو العطاء الأجل؛ لأنه منته منه إلى العبد، وقال الله عز وجل مخاطباً الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١). وهذا العطاء الإلهي لرسوله الكريم عطاء مطلق غير محدود، كثير فائض غزير، غير ممنوع ولا مبتور فإذا أراد أحد أن يتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه فهو واجده أينما نظر أو تصور.

فهو من بين الخير الكثير الذي أوتيته الرسول، فهو كوثر من الكوثر!! سواء إن كان نهراً في الجنة أو بنية رسول الله أو أنه من الخير الكثير الذي وهبه المحب إلى الحبيب المصطفى حبيب الله صلى الله عليه وآله.

نبدأ التمرين عملياً: تمعن في الآية الكريمة بإدراك لتفتح مقدرات باطنية وذهنية وحدد أين يكون هذا العطاء الإلهي؟ وبعد هذا التفكير لا بد أنك توصلت إلى الحقيقة الماثلة أمام النفوس الزكية والعقول المفتحة وهي:

١- أنت واجده في النبوة، في هذا الاتصال بالله عز وجل، الاتصال بالوجود وموجد الوجود.

٢- أنت واجده في هذا القرآن الذي نزل عليه، وسورة منه كوثر لا نهاية لكثرتة، فهو ينبوع ثر لا نهاية لفيضه!

٣- أنت واجده في الملاء الأعلى الذي يصلي عليه، ويصلي على من يصلي عليه في الأرض، حيث يقترن اسمه باسم الله في الأرض والسماء قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

(١) سورة الكوثر: ١.

٢٤٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عُبِقَ النُّبُوَّةِ وَعِمَادُ السَّلَامِ الْمُجْتَمَعِي / ج ٣

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١).

٤ - أنت واجده في الأذان ليل نهار في كل دقيقة بل في كل ثانية يرفع الأذان في أنحاء المعمورة واسمه مقترن باسم الله.

٥ - أنت واجده في سننه الممتدة على مدار القرآن، وفي أرجاء الأرض.

٦ - وأنت واجده في الخير الكثير الذي فاض على البشرية في جميع أجيالها.

إنه العطاء الذي لا ينضب، وكيف^(٢) وهو من الفيض الإلهي المقدس. وبعد أن عرفت سعة وجود هذا العطاء الإلهي تستطيع التعرف على سرّ العطاء بسهولة ويسر وكذلك تحدد لنا العلاقة التوافقية بين السعادة والعطاء وصولاً إلى الاتحاد الروحي بصاحب اليوم الموعود الذي يملأ المعمورة قسطاً وعدلاً، فرحاً وسعادة.

نعم، خذ نفساً عميقاً واطرحه ببطء، استجمع كل المقدرات الكامنة في داخلك، وانتزع الشك من قلبك واستبدله بالإيمان، واعلم أن الحكمة الإلهية في الأرض، الأمر الذي لا يدركه سوى القلة، سرّ العطاء كامن في الحكمة التي توجه هذا العطاء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣). شخص بصرك نحو الأفق البعيد، تمنع في إدراك وتفكر مزوج بقوة الإرادة المصحوبة بقوة اليقين، واسأل نفسك ما هي هذه المقدرة العجيبة المسماة عطاء؟!

اذهب بفكرك بعيداً، وانظر إلى الدورة الحياتية تجد أن الإنسان يعطي نفسه؛ لأن كل شيء يصب في النهاية في الإنسان، فالإنسان مهما أعطى، فهو يعطي لأخيه الإنسان، الأرض، للعالم، للمادة، للمخلوقات الأخرى. فماذا يجني من ذلك؟ يجني أخذاً بالمقابل.. أي أن العطاء يعود فينعكس على الإنسان نفسه، ومن هنا يمكنك

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٢) التطبيق في التمرين الثالث.

(٣) سورة الحج: ٥٢.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٤١

التيقن بأن العطاء هو دورة الحياة في هذا الوجود العظيم؛ لأن مصدره الخالق عزَّ وجلَّ وهذا يجسد حقيقتين هما :

أولهما: العطاء نظام الاستمرارية.

ثانيهما: العطاء مسار التجديد.

ومن هاتين الحقيقتين نرجع إلى العطاء الإلهي الأول الذي أوجدناه في خاتم الأنبياء وآل بيته الأطهار لثبوت للعالم بأسره أن عطاء محمد وآل بيته الأطهار مستمر إلى يوم الدين ومتجدد يلائم كل عصر وزمان، واليوم إيماننا المنتظر يعطي للبشرية الأمل في تحقيق المرغوب فيه الممكن في اليوم الموعود، حتى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً فتنعم السعادة والفرح، وعندها تتحقق الذات الإنسانية التي كرمها الله عزَّ وجلَّ. قال في محكم كتابة العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ يتكشف سر العطاء ويعم العدل أرجاء المعمورة.

التمرين الثالث: التوافق بين العطاء والسعادة:

بعد توصلنا إلى سرّ العطاء بالتجربة، أشرق نور السعادة في سمائه - أي العطاء - معلناً علاقته التوافقية.

السعادة تلك الكلمة التي يبحث الجميع عنها وهي تعيش في أعماقهم بل تولد معهم، وقد حدّد الراغب الأصفهاني معنى السعادة بقوله: «والسعد والسعادة معاونة الأمور الإلهية للإنسان على فعل الخير، ويضاده الشقاوة، يقال: سعد وأسعده الله، ورجل سعيد وأعظم السعادات الجنة»^(١). قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾^(٢).

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤١٠.

(٢) سورة هود: ١٠٨.

٢٤٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

هذا هو العطاء الدائم غير مقطوع ولا ممنوع، خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض، وهو تعبير يلقي في الذهن صفة الدوام والاستمرار. والله اعلم.
نبدأ التمرين عملياً:

اطلبُ منكم قبل البدء بالتمرين أن لا تغلقوا الحقيقة بالشكوك ولا تطمسوها بين سلبيات الفكرة، في الإنسان أبعادٌ ومكونات أكثر بكثير مما اكتشفته العلوم المادية، التي لم تتوصل بعد إلا لفهم القليل من الجسد البشري، أما اللب فما زال عاصياً عليها، هكذا أراد الله عزَّ وجلَّ، أمعنوا النظر في الأسئلة الآتية قبل الإجابة عنها.

س ١: ما العلاقة بين السعادة وقوى الإصلاح؟

س ٢: ما العلاقة بين السعادة والأخذ؟

س ٣: ما العلاقة بين السعادة والتقوى؟

س ٤: ما العلاقة بين السعادة والطاعات.

اطلبُ منكم الاسترخاء، وإعادة قراءة الآية الكريمة بتدبر وخشوع، أي سعادة تلك التي توصلنا إلى الجنة؟ ما هو هذا العطاء الإلهي الذي لا ينقطع؟.

ما سرُّ الاستمرارية؟ اغمضوا عيونكم وانفصلوا عنا لبضع لحظات ثم اتركوا الإجابة لي بشرط أن تعيشوا في فضاء أوسع مما أنتم فيه الآن وبعد الإجابة اطلبُ منكم تحديد عملية الاتحاد والانفصال، وصدق اللقاء الروحي مع الإمام عجل الله فرجه، يرى الشيخ محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ) أن السعادة لا تحصل إلا بإصلاح جميع الصفات والقوى دائماً، فلا تحصل بإصلاحها بعضاً دون بعض، ووقتاً دون وقت، كما أن الصحة الجسمية، وتدير المنزل، وسياسة المدن لا تحصل إلا بإصلاح جميع الأعضاء والأشخاص والطوائف في جميع الأوقات، فالسعيد المطلق من أصلح جميع صفاته وأفعاله على وجه الثبوت والدوام بحيث لا يغيّره تغيير

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٤٣

الأحوال والأزمان، لا يزول صبره بحدوث المصائب والفتن، ولا شكره بورود النوائب والمحن، ولا يقينه بكثرة الشبهات، ولا رضاه بأعظم النكبات، ولا إحسانه بالإساءة ولا صداقته بالعداوة، والجامع لذلك أن لا يحصل التفاوت في حاله^(١). إن السعادة الحقيقية هي في صيرورة الأخلاق الفاضلة ملكات لا تغيرها المتغيرات ظاهراً وباطناً أما العلاقة بين السعادة والأخذ فتتجسد في العلاقة بين العطاء والسعادة أولاً؛ لأن العطاء هو دورة الحياة في هذا الوجود العظيم؛ لأن مصدره الله عز وجل وهو نظام الاستمرارية والأخذ «أنت أخذت فتعست وأنا أعطيت فسعدت»^(٢).

مخطئ من يعتقد أن السعادة تتحقق بالأخذ فقط؛ لأن الأخذ استدانة من الحياة عليك ردّها في يوم ما.

مخطئ من يعتقد أن الأخذ سعادة بل الأخذ لذة وشتان بين اللذة والسعادة.

السعادة الحقيقية في العطاء؛ لأن العطاء هو تحقيق الذات، والشخص الوحيد الذي تصحّ فيه صفة (سعيد) هو ذاك الذي استطاع أن يحقق ذاته، هذه الذات التي جعلت النفس في وقاية من سخط الله عز وجل وهي التي ترتقي إلى عالم المحبة الذي بدوره يجسد سرّ إطلاق القوى الخلاّبة والمقدّرات الباطنية من عقالها، هذه هي الحقيقة التي يجهلها الكثيرون ولا يؤمنون بها حتى وإن هم اطلعوا عليها^(٣)، قال رسولنا الأعظم صلّى الله عليه وآله: «لو أن السماء والأرض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً»^(٤) وما أجمل التقوى التي تجعل العطاء بقوة المحبة والعقل بقوة الإرادة قال رسولنا الكريم صلّى الله عليه وآله «من أراد أن يكون أعز الناس فليتنق الله»^(٥)، وبقدر ما يقوم

(١) جامع السعادات: ١ / ٤٨.

(٢) الطاقة البشرية والطريق إلى القمة: ص ٨٤.

(٣) الجمال الذات الإنسانية في النص القرآني: ص ٤٥

(٤) بحار الأنوار: ٧٦ / ١٢.

(٥) م.ن.

٢٤٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وِعِمَادُ السَّلامِ الْمُجْتَمَعِي) / ج ٣

المتقي في هذا المسار يرتقي إلى مرتبة الجميل لذاته، ويحظى بمحبة الله عزَّ وجلَّ وهل يعلم الإنسان الذي يصل إلى هذه المرتبة ماذا يعطيه الله من النعم في الدنيا والآخرة؟ إنها السعادة في الدارين.

إذن أهل التقوى هم أسعد السعداء؛ لأن الله عزَّ وجلَّ أحبهم وأعطاهم العطاء الجزيل قال تعالى: ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)؛ لأنهم عملوا بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله ففازوا الفوز العظيم (الجنة) وهي أعظم السعادات قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢). هذه هي السعادة الأبدية، أنت الأسعد بالعمل الصالح وهجر المعاصي، ويرى صاحب مواهب الرحمن: «أن الطاعات والعبادات في الإسلام إنما هي ألطاف إلهية لتكميل النفوس المستعدة والوصول إلى الغاية المتوخاة من خلق الإنسان فبالعبادة ينال الإنسان مقام العبودية التي هي مجمع الكمالات الإنسانية وبها يصل إلى درجة الخلقة الحقيقية، وبها يتقرب العبد إلى خالقه ويصل إلى ساحة قدسه، وبها تتخلَّى النفس من الرذائل وتتخلَّى بالفضائل وتتخلَّى بالأخلاق الإلهية لتتجلَّى أنوار الغيب على القلوب وتفوز بالسعادة التي هي فوق كل مطلوب وبها ينال العبد مرتبتي الفناء في الله تعالى في البقاء به عزَّ وجلَّ وكل ذلك إذا أتى العبد بها على وجهها المطلوب»^(٣).

نعم، تفتحت مقدراتكم الأهلية والروحية بعدما تغذيتهم بهذا الغذاء الروحي، عليكم الآن أن تتكلموا بلغة الروح، دعوني أطرح عليكم سؤالاً: ما الذي أحسستم به بعد هذا السفر إلى عوالم ما وراء المرئيات، هل شفقتكم كثافة ذرات الحجب التي تجعلكم لا ترون إلا بالمدى المحدود؟ هل جميعكم توصلتم لذلك؟ بالطبع لا فقد

(١) سورة آل عمران: ٧٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ٣ / ٢٠٨.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٤٥

تكون أنت الوحيد من بين ثلاث مجاميع استطعت الوصول إلى صاحب اليوم الموعود ونقلت من طاقته الإيجابية فأنت الأسعد في الدارين وهذه المجاميع هي:

المجموعة الأولى: أخفقت في السفر، وتوقفت عند الإجابة: لا أدري، وهذه الإجابة السلبية تشير إلى عدم تفتح أي مقدرة ذهنية أو روحية وكان على أفرادها أن يتكهنوا ويخمنوا، ليس مهماً إن كان تخمينهم خاطئاً، لكن التوجه الإيجابي يضعف في ذواتكم السلبية وعدم المعرفة؛ فتصبخوا مع الوقت والتمرن، قادرين ليس على التخمين، بل على استشفاف أو رؤية صاحب اليوم الموعود.

المجموعة الثانية: بقيت محايدة، وهذه المجموعة تتأرجح بين طرفي ثنائية «الشك / اليقين» أي «السلبية / الإيجابية» وهذه المجموعة يمكن أن تنظم إلى الأولى؛ لأنها في كل الأحوال طغى الشك على ذوات عناصرها.

المجموعة الثالثة: هي مجموعتك التي تقودها بعقلك النيّر وروحك المتناهية إلى عوالم الملكوت الأعلى، فقد نظر بإيجابية إلى تلك الحجب التي تحجب الرؤيا عن الفضاء الأوسع وتخيّلت أنك ترى وتصف لنا ما حدث: (أرى وكان كل شيء أمامي بدون جدار بدون حواجز أصبحت الجدران شفافة، أشاهد شخصاً جالساً ويشع نوراً، أسعدتني تلك الرؤيا وملاً الأمل قلبي).

نعم، أنت أكثر إيجابية وانفتاحاً؛ لأن الفكر المغلق والسلبى يضعف ذبذبات الرؤية ويكنفها فلا يرى صاحبه شيئاً.

أنت صاحب التفكير الإيجابي المنفتح، أنت الذي ستحظى بتجارب مماثلة، وستلمس النتائج بنفسك وتقود مجموعتك إلى عالم صاحب اليوم الموعود.

وبعد هذه الرحلة مع حلّ التمارين الثلاثة علينا أن نطرح تمارين أخرى تريد من المجموعة الثالثة بقيادتك حلّها بلغة الروح وارسل أجوبتها إلى (مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام).

٢٤٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

التمرين الأول: القيام برحلة إلى أعماق الذات.

التمرين الثاني: التحكم بقوى الطبيعة.

التمرين الثالث: اللقاء الروحي دون انقطاع مع صاحب اليوم الموعود.

قياس الهالة الأثرية للإمام المهدي عليه السلام بحسم معادلة رياضية بسيطة نختم بها بحثنا هذا ومن الله التوفيق.

تعلمنا في دراستنا السابقة في درس الرياضيات أن لكل من «ص» و «س» قيمة عددية علينا إثبات القيمة العددية لطول الهالة الضوئية حول جسم الإمام المهدي عليه السلام، إذ جعلنا من المجموعة الأولى والثانية (ص) والمجموعة الثالثة بقيادتك (س) وحسب ما سجله جهاز روبرت كنزي سنضع المعادلة الآتية:

$$\text{ص} \times \text{س} = \text{م}$$

$$\text{ص} = ١٢٠٠ \text{ ميلاً}$$

$$\text{س} = ١٢٠٠٠ \text{ (عشرة أضعاف) (تحطم جهاز كنزي) .}$$

$$\text{إذن ما طول المدى الطاقوي لـ (م) ؟}$$

$$١٢٠٠ \times ١٢٠٠٠ = ١٤٤٠٠٠٠٠ \text{ ميلاً}$$

وهذه النتيجة تؤكد وجود المهدي عليه السلام في كل زمان ومكان.

إذن لا يمكن أن نتوصل إلى معرفة طول الحقل الطاقوي للإمام المهدي عجل الله فرجه، ولكن يمكن أن نعرف طول الحقل الطاقوي لدى المتقين السالكين في طريق العرفان ليتواصلوا مع تلك القوى النورانية سليلة النبوة التي تملأ الأرض سعادة وفرح عندما تنشر القسط والعدل.

هذه رحلتي مع صاحب اليوم الموعود عرضتها بحذافيرها وقدمتها بصدق وإخلاص بعدما أبصرت، لمست، تحققت وجود حقله الطاقوي في كل الوجود متخطٍ الزمان والمكان بنور الإله، والله أعلم.

البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب اليوم الموعود ٢٤٧

المصادر والمراجع.

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي (ت - ١٢٠٩ هـ) لبنان، بيروت، ط ١، (ت - د).
- (٣) جمال الذات الإنسانية في النص القرآني، أ. د. هناء جواد عبد السادة و أ. د. سعيد حسين، دار النور، المانيا، ٢٠١٧.
- (٤) الطاقة البشرية والطريق إلى القمة، د. إبراهيم الفقي بداية للإنتاج الإعلامي (د. ت).
- (٥) عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى بن علي الشافعي، تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، مسجد مقدس صاحب الزمان، ط ١: ١٤١٦ هـ.
- (٦) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، أبو القاسم علي بن محمد بن علي البازي (٤٠٠ هـ) تحقيق عبد اللطيف الحسيني، قم ١٤٠١ هـ.
- (٧) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦ م.
- (٨) المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية السيد محسن الأمين الحسيني العاملي، دار النعمان للنشر، النجف ط ٣، ١٩٦٥ م.
- (٩) محاضرة في مدارس وارث، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، كربلاء المقدسة (٢٠١٦ م).
- (١٠) مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار ذوي القربي، ط ٦: ١٤٣١ هـ.

٢٤٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

(١١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري، مؤسسة الأعلى، بيروت.

(١٢) مؤتمر الحسن المجتبي عليه السلام، جامعة بابل - كلية التربية الأساسية (٢٠١٦م).

(١٣) موسوعة الإمام المهدي (تاريخ الغيبة الصغرى) الكتاب الأول الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر، منشورات مهديس جمهورية إيران الإسلامية ط ١ : ١٣٨٤هـ ش - ١٤٢٦هـ ق - ٢٠٠٥م.

(١٤) موسوعة الإمام المهدي: الكتاب الثاني (تاريخ الغيبة الكبرى) الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر، منشورات مهديس جمهورية إيران الإسلامية ط ١ : ١٣٨٤هـ ش - ١٤٢٦هـ ق - ٢٠٠٥م.

(١٥) موسوعة الإمام المهدي: الكتاب الرابع (اليوم الموعود) الشهيد السعيد محمد محمد صادق الصدر، منشورات مهديس جمهورية إيران الإسلامية ط ١ : ١٣٨٤هـ ش - ١٤٢٦هـ ق - ٢٠٠٥م.

(١٦) واقع الهالة الضوئية حول جسم الإنسان حقيقة في المختبر والشريعة، أد: دلاور محمد صابر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١ : ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.



البحث الثالث
مرتكزاتُ السَّلمِ المجتمعيِّ
عند الإمام الهادي عليه السلام
دراسة تحليلية بلاغية

أ.م.د. بشائر أمير عبد السادة أ.م. مهدي محمد جواد

جامعة بابل

جامعة بابل

كلية التربية الأساسية

كلية التربية للعلوم الإنسانية



ملخص البحث:

ليس السلم الاجتماعي بالمفهوم الطارئ على المجتمع الإسلامي فمنذ نزول القرآن وجدنا الآيات تحث على اللاعنف واحترام حرية الآخر في العيش الكريم بعيداً عن النزاعات القبلية والدينية والمذهبية وكان رسولنا العظيم ﷺ مثال القدوة الحسنة والأنموذج الأمثل لتوحيد صفوف المسلمين والحث على احترام كيان الإنسان وحقوقه الفردية والعامة، ولا عجب أن يكون إمامنا الهادي عليه السلام حفيداً لهذه الدوحة العليا وعبقاً للنبوة المعطاء والخليفة الأمثل للروح الإنسانية - المتمثلة بشخص الرسول ﷺ - التي لطالما مدت المجتمع بكل أطيافه وقوميّاته بروح السلم والسلام المتمثل بتحرير النفس البشرية من براثن الحقد والحسد والعنف وحب السيطرة، فالقارئ لأفكار وسيرة الإمام الهادي عليه السلام يجد ذلك السلام وتلك الطمأنينة النفسية والتربية الخلقية التي تعمل على انقاذ الروح من كل حقد وشر.

ولما كان أهل البيت موطن الرحمة والعلم والأدب والبلاغة العربية لذا وجدنا أن هذا الجانب الإنساني من حياتهم لا بد أن يدرس دراسة بلاغية تحليلية متوخين من سيرتهم العطرة وسلوكهم الأخلاقي التربوي مثلاً يحتذى به.

وقد انبنى البحث على مجموعة مطالب: الأول: مفهوم السلم لغة واصطلاحاً، ثم مفهوم السلم المجتمعي، المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن سيرة الإمام الهادي عليه السلام، المطلب الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي وقد حدّدت بمجموعة من النقاط منها: (السلطة والنظام، الحوار والتفاهم ونبذ العصبية، والتمسك بالقيم الخلقية)، وقد عمدنا في هذه الدراسة إلى تحليل هذه المرتكزات تحليلاً بلاغياً جمالياً، وقد تلت هذه

المطالب خاتمة تضمنت أهم النتائج ثم قائمة المصادر والمراجع.

مفهوم السلم لغةً واصطلاحاً:

السلم لغةً: ذكر ابن منظور أن السَّلام والسَّلامة بمعنى البراءة، تَسَلَّمَ مِنْهُ تَبَرَّأً، وقال ابن الأعرابي: السَّلامة العافية، ويقال سَلامٌ عليكم تعني المُسالمة، أي لا حَرْبَ هنالك، والسَّلم بالكسر السَّلام، والسَّلام في الأصل السَّلامة يُقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاماً سَلامةً، ومنه قيل للجنة دار السَّلام؛ لأنها دار السَّلامة من الآفات، والمسالمة تعني المصالحة^(١)

السلم اصطلاحاً: هو ضد الحرب، ويُعدُّ عاملاً أساسياً لتقدم الأمم وازدهارها، وهذا المعنى المتعارف عليه، أي حالة أمة، أو دولة، ليست في حرب^(٢)، وأيضاً هو الحاجة الفطرية إلى العيش بطمأنينة وسلام على وفق مبدأ التفاهم والانسجام والتكف بين الناس، وهذا الأمر بدوره يؤدي إلى الهدوء والتفاهم المشترك؛ لأن الإنسان ضمن طبيعة النفس البشرية يميل إلى نبذ الكراهية والعداوة والحقْد؛ لأنها أمور معاكسة للفطرة فهو بطبعه اجتماعي يولد ضمن مجموعة ترى ذاتها ضمن مجموعات أخرى تعيش حالة من الإخاء بين مواطنيها^(٣).

أما في المعنى السياسي، فيدلّ على توظيف تلك الأدوات التي تضع لغة الحوار والتفاهم بين أفراد المجتمع في المقدمة، من دون فرض تلك الآراء بالقسر والإكراه^(٤)، ويشير أيضاً إلى انعدام العدوان الدولي مع وجود روابط للعلاقات القوية، بين

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠: ١٢/ ٢٨٩

(٢) ينظر: التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي، أياد كامل ابراهيم الزبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٩٧١: ٢٢.

(٣) ينظر: السلم المجتمعي: المقومات وآليات الحماية (محافظة نينوى انموذجاً)، د. محمد وائل القيسي، مركز نون للدراسات الاستراتيجية، ط ١، ٢٠١٧: ٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣.

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٥٣

مجموعة من الدول، وتصدق أيضاً على بعض النظم التي نجحت في تنظيم العلاقات بين دولتين، أو أكثر وعملت على استقرارها سياسياً^(١)، وقد أكدت الآراء الحديثة على تسويق استخدام القوة إذا تطلب الأمر؛ دفعاً للعدوان المهدد للذات أو بمعنى أدق للأوطان ورغبة في عودة السلم والأمان إلى المجتمع^(٢).

السلم المجتمعي: لعل دلالة هذا المركب الوصفي (السلم المجتمعي) لا يبتعد عن معنى السلم اصطلاحاً إذ يمثل حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه، وبين شرائحه وقواه^(٣)، ويعني أيضاً (النتيجة التي افضت إليها الممارسات الديمقراطية وحرية التعبير ما بين شرائح المجتمع عامة ضمن الدولة، وهي نتيجة منطقية تستند عليها قوة البلد الداخلية من نواحي عديدة اقتصادية وتنموية)^(٤).

فالسلم المجتمعي هو حالة الوئام والمسالمة والرغبة في الصلح مع الذات أولاً، ومع الآخرين، ثانياً تعزيزاً لفكرة أن الله (عز وجل) خلق الإنسان على هذه الأرض للسلم والعيش الهادئ وتطبيقاً لمبدأ الرحمة بين أفراد المجتمع الواحد ونبدأ للعنف والعنصرية على أساس المذهب والدين واللون وما إلى ذلك من أمور تدفع إلى حروب لا طائل من ورائها غير الدمار وزعزعة أمن الدولة وعدم استقرارها، ومن المؤكد أن أهل بيت النبوة كانوا المثال الأصدق لتثبيت مبادئ السلم المجتمعي وتعزيز فكرة المؤاخاة بين أفراد المجتمع؛ لذا سنحاول جاهدين قراءة أهم مرتكزات السلم المجتمعي في فكر الإمام الهادي عليه السلام، مسلطين الضوء على العصر الذي عاش فيه الإمام، وأبرز التحديات التي واجهها وكيفية إيجاد الحلول المناسبة لحلها بوصفه

(١) ينظر: التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي: ٢٣.

(٢) ينظر: السلم المجتمعي: ٣.

(٣) ينظر: السلم المجتمعي: ٤، وينظر: الحوار وبناء السلم الاجتماعي، خالد بن محمد البديوي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط ١، ٢٠١١: ١٢.

(٤) السلم المجتمعي: ٤.

٢٥٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

الخليفة الحقّ المكلف من قبل الله (سبحانه وتعالى) والمنصوص عليه بالولاية من الرسول الأكرم محمد ﷺ.

نبذة مختصرة عن حياة الإمام الهادي عليه السلام

اسمه ونسبه:

ينتمي إمامنا الهادي عليه السلام إلى أشرف البيوت الهاشمية، فهو سليل الدوحة النبوية المخصوص بالإمامة بنصّ الرسول الأعظم ﷺ بعد أبيه الإمام الجواد عليه السلام، هو أبو الحسن عليّ بن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(١) وهو العاشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأمه من خيرة النساء ويقال لها سمانة المغربية أو حديث أوسليل^(٢).

ولادته:

ولد إمامنا في النصف من ذي الحجة أو ثاني رجب سنة ٢١٢ هـ أو ٢١٤ هـ على أغلب الآراء^(٣)، وكانت ولادته عليه السلام في قرية (صريا) حيث مزارع آل محمد ﷺ، التي تبعد عن المدينة ثلاثة أميال^(٤).

(١) ينظر: تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، تحقيق: السيد حسن الخراسان، دار الاضواء، بيروت، ط٣، ١٩٨٥: ٩٢/٦.

(٢) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣: ١١٤/٥٠.

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب السروي المازندراني، المطبعة العلمية، قم المقدسة، ط١، ١٩٥٦: ٤٣٣/٤.

(٤) ينظر: أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى، بيروت، ط١، ٢٠٠٥: ١/٤٩٧، وينظر: الإرشاد، الشيخ المفيد، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٣، ١٣٩٩ هـ: ٣٦٨.

كنيته وألقابه:

يُكنّى الإمام عليه السلام بأبي الحسن، وتمييزاً له عن الإمامين الكاظم والرضا عليه السلام. يقال له: أبو الحسن الثالث، وأشهر القابه الهادي والنقي^(١) حتى أصبح بديلاً عن اسمه ثم لقب بالعسكري وذلك نسبة إلى العسكر وهي سُرٌّ مَنْ رَأَى، وله عليه السلام ألقاب أخرى وهي المرتضى، والفتّاح، والناصح، والعالم، والفقيه، والأمين، وغيرها من الألقاب المباركة التي كان يلقب بها^(٢).

علمه:

كان لنشأته في رحاب الدوحة النبوية والعلوية أثرٌ بالغٌ في براعته العلمية والدينية، إذ لا غرابة أن يكون هذا الإمام الموهوب قد حرص منذ عهده الأول باستلهم أجواء بيته وعطاء بيئته، إذ أخذ بالتقاط كل ما يدور بينه وبين أبيه الإمام المتدفق العلم وتلك الأعداد الوافدة عليه من السائلين المتطلّعين إلى المعرفة في شتى مجالاتها المفتوحة على الفكر الإنساني الواسع الافاق، أن يزقّ ما يسمع زقاً ويستوعب جميع ذلك استيعاباً شاملاً، ويصبح بفضل كل تلك الملكات التي حباه الله بها ملء السمع والبصر ومثار الإكبار والإعجاب^(٣).

ومن الأخبار الواردة عن علمه: «عن يحيى بن أكثم انه قال في مجلس الواثق: مَنْ حَلَقَ رَأْسَ آدَمَ حِينَ حَجَّ؟ فَتَعَايَا الْفُقَهَاءُ عَنِ الْجَوَابِ فَقَالَ الْوَاثِقُ: أَنَا أَحْضَرُ مَنْ يُنْبِئُكُمْ بِالْخَبَرِ، فَبَعَثَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمْرُ جَبْرِئِيلَ أَنْ

(١) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، مكتبة بني هاشمي، تبريز، إيران، ط١، ١٣٨١ هـ: ٢/٤٧٣.

(٢) المناقب، موفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٣، ١٣١٧ هـ: ٤/٤٣٢.

(٣) ينظر: الإمام الهادي عليه السلام بين ولادته وإمامته: ٣٢٠-٣٢١.

٢٥٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

ينزل يا قوته من الجنة فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً»^(١).

زواجه:

حينما بلغ الإمام الهادي عليه السلام مبلغ الزواج اختار لنفسه زوجة من السيدات المنزهات المرضيات التي كانت تسمى (حديث)، أو (سليل)،^(٢) يذكر المؤرخون وكتاب الحديث أنها حينما أدخلت على الإمام عليه السلام قال لها: «سليل مسلوقة من الآفات والعاهات، والأرجاس والأنجاس، ثم قال لها: سيهب الله حجته على خلقه، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».^(٣) وكانت (رضوان الله عليها) أحد الوسائط بين الإمام الحجة عليه السلام وبين شيعته، فهي المفرع للشيعه بعد وفاة ابنها العسكري عليه السلام، سئلت السيدة حكيمه بنت الإمام الجواد عليه السلام: (فإلى من تفرع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام)^(٤).

أولاده:

ذكر الشيخ المفيد أن الإمام خلف من الولد: (أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمداً، وجعفرأ، وابنته عايشة)^(٥).

(١) بحار الأنوار: ٩٦/٥٠-٥١.

(٢) ينظر: الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الأضواء، بيروت، ط ١، ١٩٨٥: ١/٥٠٣.

(٣) ينظر: اثبات الوصية: ٢٠٥.

(٤) كمال الدين وتام النعمة، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٥ هـ: ٢٨/٦٧.

(٥) الإرشاد: ٣٣٤.

الإمام الهادي عليه السلام وخلفاء بني العباس:

يمكن القول: إن حياة الإمام عليه السلام، قد انقسمت إلى قسمين: القسم الأول تمثل في حياته مع والده الإمام الجواد عليه السلام، وقد كانت مدة قصيرة لم تتجاوز ثمان سنين على أكثر الآراء، أما المرحلة الثانية من حياته، فقد عاصر فيها خلفاء بني العباس وهم: (المعتصم، والواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمستعين، والمعتز)، وقد ناهزت (٣٤) سنة^(١)، عانى فيها الإمام عليه السلام ظلم بني العباس وسياستهم الظالمة بحق الأئمة عليهم السلام، ولعل أقسى مرحلة في حياة الإمام هي مرحلة معاصرته للمتوكل العباسي، إذ يصفه المؤرخون بأنه كيزيد بن معاوية في بني أمية، فقد قام بحمل الإمام من المدينة إلى سُرَّ مَنْ رأى على غير رغبة منه^(٢)، وكان كثيراً ما يؤذيه بالقول والفعل، فقد روي أن الإمام حينما ورد إلى سامراء أنزله المتوكل العباسي في خان الصعاليك^(٣) رغبة منه في إذلال الإمام عليه السلام، فالتوكل هو مَنْ دعا الإمام، ولا بدَّ أن يكون قد هيأ له مسكناً ملائماً للعيش فما الداعي لنزوله في خان الصعاليك لو لم يكن لغاية في نفس المتوكل؟! ولم يقف عند هذا الحدّ إذا تروي المصادر أنه لم يترك فرصة إلا واستغلّها في سبيل تحقيق غاياته المذمومة تجاه الإمام عليه السلام، وقد كان يرسل بين مدة وأخرى عساكره لتفتيش دار الإمام من دون استئذان لعله يجد في بيته ما يدينه كي يسوّغ لنفسه قتله وحتى لا يكون مداناً أمام المجتمع^(٤).

(١) ينظر: أعلام الهداية:

(٢) ينظر: أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، علي محمد علي دخيل، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٦م/١/٢٤٢.

(٣) ينظر: الإمام الهادي قدوة واسوة، السيد محمد تقي المدرسي، مركز العصر للثقافة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠١٠: ٣١.

(٤) ينظر: بحار الأنوار: ٥٠/١٩٩.

شهادته:

مات الإمام الهادي عليه السلام مسموماً إذ دس له السمّ المعتزّ العباسي بحسب رواية الكفعمي، وهي أصحّ الروايات المذكورة^(١)، وقد عمد إلى تشييعه جمع غفير من محبيه ومواليه، وقد صلى عليه الإمام العسكري عليه السلام ودفن سلام الله عليه في داره في سامراء^(٢).

عصر الإمام الهادي عليه السلام وأثره الفاعل في نشر مبادئ السلم:

تمثّل عصر الإمام عليه السلام تمثل بحالة من حالات الاضطراب والتفكك الذي زعزع كيان الأمة الواحدة، فكانت مهمة الإمام بوصفه قائد هذه الأمة المنصب من قبل الله (سبحانه وتعالى) عن طريق رسوله الكريم ﷺ، مهمة كبيرة وعظيمة إذ كان لا بدّ له من جمع شتات الأمة وتهذيب نفوسها وإرجاعها إلى جادة الصواب بعد أن زادت مغريات الحياة وتوسّعت دائرة اللهو والفسوق في الأمة لذا كان على الإمام عليه السلام لكي يضمن تأسيس مجتمع سوي حريص على تطبيق أحكام الله غير مبالٍ بظلم السلطة الغاشمة وغير مكترث لطبيعة الحياة في ذلك العصر، أن يهذب النفس البشرية من جانبيين:

الأول: تمثّل في بناء النفس عبر تهذيبها وربطها بخالقها (الجانب التهذيبي).

الثاني: بناء النفس الإنسانية من أجل قدرتها على تجاوز المحن والصعاب (الجانب التنظيمي)^(٣).

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١١٧/٥٠.

(٢) ينظر: أصول الكافي: ١/٣٢٦.

(٣) ينظر: في رحاب ذكرى ميلاد الإمام الهادي عليه السلام نبراس للعلم ومقارعة الانحراف، جميل الظاهري، المراقب العراقي، صحيفة يومية سياسية عامة، صحيفة الكترونية،

ومن الواضح أن الجانب التهذيبي هو الأساس في بناء مجتمع سليم، فسوء الأخلاق يؤدي إلى قطيعة واضحة بين الإنسان وما سواه إذ إن سيء الطباع لا يجد ملاذاً آمناً في حديثه ومصاحبته للآخرين، وبهذا تنقطع صلته بهم ولا يمكن تأسيس مجتمع يكون افراده يعيشون في حالة انقطاع وانفصال؛ لأن الإنسان ولد اجتماعياً فعملية اهتمامه بنفسه وذاته وإغفاله البعد الاجتماعي يجعل منه إنساناً أنانياً يعيش ضمن حدود ذاته، وهذا يؤدي إلى عزلة اجتماعية تبعده عن الفاعلية، وتشعره بالغرابة وتحوله إلى صفر على هامش المجتمع بعد أن كان ركيزة مهمة فيه، وقد أكدت تعاليم السماء على ضرورة تفعيل الجانب الاجتماعي في حياة الإنسان، وإن القوة الحقيقية تكمن في وحدة أبناء المجتمع وتجانسه وانسجامه، إن قوة الإنسان وسلامته بل إن إصلاح المجتمع وتماسك ابنائه ترتبط في التفاف الناس بعضهم بالبعض الآخر^(١)، فعن الإمام علي عليه السلام: «إن لم تحب أخاك فلست أخاه...»^(٢).

وعلى وفق هذين المبدئين سنحاول دراسة مرتكزات السلم المجتمعي في فكر الإمام عليه السلام إذ لا يمكن أن نفعل هذه الركائز بشكل سليم إلا بوجودهما معاً.

مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام

١ - السلطة والنظام: لا يمكن لأي مجتمع بشري أن يستغني عن سلطة حاكمة ونظام سائد، يعمل على إدارة شؤون المجتمع، وتعمل القوى المختلفة تحت سقف هيئته، إذ إن غياب السلطة والنظام في المجتمع سيؤدي بالنتيجة إلى الفوضى وإلى تصارع القوى والإرادات^(٣)، فالسلطة تمثل المحرك الأساس لحياة الفرد داخل

(١) ينظر: ركائز التربية في فكر أهل البيت عليهم السلام، الشيخ صادق الرواغة، من شبكة المعلومات الالكترونية،

<http://www.arrwagah.org/home/print>

(٢) ميزان الحكمة، محمدي الريشهري، دار الحديث، ط ١، (د.ت): ١/ ٣٢

(٣) ينظر: مقومات السلم الاجتماعي، الشيخ حسن الصفار،

<https://www.saffar.org/?act=artc&id=758&print=1>

المجتمع وتمثّل أيضاً مصدر الأمن والأمان له.

وقبل الولوج في هذا الباب لا بدّ من القول: إنّ الإمام الهادي عليه السلام هو خليفة الله وهو المأمور بالطاعة والاحترام وأن السلطة لا بدّ أن تكون بيده وحده، ولأننا نعلم أن الخلافة على أرض الواقع لم تكن بيده، وإنما كانت بيد خلفاء بني العباس ولأن الدولة العباسية على وفق ما نوهّنا سابقاً تعيش في حالة من عدم الاستقرار لذا أصبح أمام الإمام عليه السلام واجبان:

الأول: المحافظة على سلامة الدولة من الانهيار والتمزق والفوضى إذ أخذ على عاتقه مسألة النصح والإرشاد لهؤلاء الخلفاء، وأيضاً التصدي بحزم لكل ما يهدّد أمن الدولة وسلامتها سواء أكان من ناحية سياسية أم دينية مثل: مسألة خلق القرآن والجبر والتفويض وغيرها.

الثاني: يتجلّى في توليه القيادة لأُمور الموالين من الشيعة وتنظيم حياتهم عبر مجموعة من الرسائل التي كان يرسلها إلى ولاة أمره وعمّاله، وأيضاً الحثّ على العيش بسلام مع مَنْ لا يتوافقون معهم بالدين والمذهب، لما لهم من حق العيش الكريم.

فمن أقواله عليه السلام التي تدلّ على النصح والإرشاد للسلطة والرعية: «لا تطلب الصفاء ممّن كدّرت عليه، ولا الوفاء ممّن غدّرت به، ولا النصّح ممّن صرّفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك كقلبك له»^(١).

اهتم الإمام عليه السلام باصلاح أحوال المجتمع عبر الحثّ على حسن التعامل مع الآخرين وإصلاح علاقة الأفراد بعضهم البعض الآخر، ولا يخفى - وهم أهل بيت النبوة - أن تتضمن مواعظهم الحكمة مع (بيان القاعدة فالإمام يعطي الموعدة، ويضمنها الدليل والحكمة، بما يوجب إقناع الآخرين وتسليمهم لكلام الإمام، لأن

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن بن أبي الحسن الديلمي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٤هـ: ٣١٢.

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٦١

القلب يلين للحكمة^(١)، لذا جاء توظيف الإمام لاسلوب النهي الذي يمثل (طلب الكف على وجه الاستعلاء)^(٢) لغاية بلاغية مضمونها النصح والإرشاد، فلا يصح من أي شخص أن يطلب المعاملة الحسنة ممن أساء إليه ومنعه حقه، فالنفس البشرية ترغب بمنّ رغب بها وأعطاها حقّها، ولعلّ في هذا يكمن سرّ التآزر بين الأفراد فليس كلّ الناس لهم طاقة على العفو والتسامح وخاصة إن جاءت الاساءة ممن ترجو منه أن يكون سندك وأن يوفر لك كل ما تحتاجه.

ورافق اسلوب النهي اسلوب الحذف للإيجاز، ولأن يكون الاسلوب أبلغ وأشدّ على المتلقّي فقلوه: «ولا الوفاء ممن غدرت به» دلّ على حذف الفعل (تطلب) لدلالة سياق الجملة عليه، فالإمام عليه السلام باسلوب تربوي وبلاغي جميل ينهي المتوكل وغيره أن يرجو الوفاء من الآخر وهو (أي المتوكل) ديدنه الغدر مع العلم أنه لا يفهم من كلام الإمام عليه السلام تسويغ فعل الغدر ممن غدر بنا فحاشاه من ذلك، بل هو يوضح مسألة في غاية الأهمية إن ممن غدر بأخيه هو ممن فتح على نفسه باباً للغدر فعليه أن يلوم نفسه^(٣) ويحسن سلوكه حتى لا يكون عرضة لهذا الفعل الذي أنكره وحثّ على اجتنابه القرآن الكريم والسنة النبوية.

وتأتي الجملة الثالثة حاملة صيغة النهي والحذف نفسها فأصل الكلام: (ولا تطلب النصح)، لتعطينا درساً أخلاقياً مهماً وهو حاجة الإنسان مهما بلغت قدرته وعلمه ومكانته إلى النصيحة؛ لذا توجب على من يطلب النصيحة أن يختار من يحسن

(١) من وصايا الإمام علي الهادي عليه السلام (المعاملة بالمثل)، منبر المحراب - السنة العشرون - العدد: ٩٩١ - ٣٠ جمادى الثانية ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٢ أيار ٢٠١٢م، من شبكة المعلومات الالكترونية، <http://www.almenbar.org/essaydetailsf.php?eid=1083&fid1=>

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط.)، (د.ت): ٧٦.

(٣) ينظر: من وصايا الإمام علي الهادي عليه السلام (المعاملة بالمثل)، <http://www.almenbar.org/essaydetailsf.php?eid=1083&fid1=>

الظنَّ به ولا يشك للحظة أنه لا يريد مصلحته؛ لأن النصيحة هنا لا يكون لها أي تأثير على الناصح إن ساء ظنُّه بمنَّ قدَّم له الحكمة والهداية.

في الجمل الثلاث السابقة ركز الإمام على ثلاثة أمور أساسية وهي الصفاء، والوفاء، والنصح، وهي أمور تتعلق بمشاعر المودة والترابط الوجداني والنفسي أكثر من ارتباطها بجانب المعاملة، أو بمعنى أدق المعروف؛ لأن المعروف سمة مرتبطة بشكل مباشر بعلاقة الفرد مع الله، فأنا أساعد الفقير وأطعمه ابتغاء وجه الله ذلك معروف لا أقصد منه المبادلة بالمثل من الفقير، أما الركائز الثلاث التي حددت سابقاً، فعنايتها وعلاقتها بالقلب، لذا جاءت خاتمة كلام الإمام عليه السلام بحجة بلاغية جميلة ذات معنى دقيق وقوة عقلية دامغة لا تقبل الشك: «فإنما قلب غيرك كقلبك له»، فالمودة الصادقة يحس بها القلبان على حد سواء؛ لذا جاء بالخبر: «أن رجلاً سأل الإمام أبا عبد الله عليه السلام: الرجل يقول: إني أودك، فكيف أعلم أنه يودني؟ فقال عليه السلام: امتحن قلبك فإن كنت تودّه فإنه يودّك»^(١) فالمودة الحقيقية تنبع من القلب إلى القلب من دون رياء أو محاباة.

لا جرم أن جمالية النصّ تنبع من أسلوبه البلاغي، فقد وظّف الإمام عليه السلام أسلوب القصر^(٢) بـ(إنما)، مع أسلوب التشبيه بتوظيف أداة التشبيه (الكاف)، والمشبّه هو قلبك والمشبّه به قلب غيرك، ووجه الشبه محذوف تمثل بـ (المحبة والكُره) اللذين دلّا دلالة قاطعة على رغبته في تحذير المتوكل والآخرين من نشر الكراهية والحقد بين الافراد، لأنه بالنتيجة سيولّد كرهاً، وهذا ما يؤدي إلى زعزعة أركان المجتمع ونبذ روح السلام والطمأنينة فيه.

هذا فيما يخص جانب النصّ والإرشاد للفئة العباسية الحاكمة، أما ما يخصّ

(١) ميزان الحكمة: ٣٧/١.

(٢) القصر: هو تخصيص شيء بشيء بعبارة كلامية تدلّ عليه، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦: ٤١٣.

تصدّي الإمام عليه السلام بحزم لكل ما يهدد أمن الدولة وسلامتها فنجدّه يتصدّى إلى مسألة خلق القرآن والتي كان خلفها غايات سياسية تحاول زعزعة الأمن والأمان بين أفراد المجتمع الواحد من أجل مصالحها، وإرضاء لنفوسها المريضة، فمسألة خلق القرآن أحدثت فتنة كبيرة في المجتمع أدّت إلى معارك دامية استمرت لعقود من الزمن، سجن على أثرها من سجن، وقتل من قتل، لذا تصدّى الإمام لها للدرء الخطر عن شيعته ومواليه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم، عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل، فأعظم بها نعمة، وإلا يفعل، فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك، فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون»^(١).

وظّف الإمام عليه السلام في نصّه مجموعة من الأساليب البلاغية الحجاجية وهو منطق العقل والفكر السليم، فهذه الأساليب لم تكن غايتها جمالية بقدر ما كانت غايتها تربوية علاجية لذا كان توظيف الإمام لهذه اللغة هو محاولة لتحويل أو تعديل رؤية المستمع بما تتضمنه هذه اللغة بأساليبها المتنوعة من مشاعر ومواقف وطرائق تفكير إلى حالة الإقناع والتسليم التام بفكر وعقيدة الإمام.

فبعد البسملة يوظّف الإمام عليه السلام أسلوب الدعاء عبر استعمال الجملة الفعلية «عصمنا الله وإياك من الفتنة» واختياره للفعل (عصم) فيه بُعد وقائيّ فالعصمة هي المنع والحفظ والوقاء^(٢) فالأمر أخطر ممّا قد يتصوره البعض، لأن الإمام عليه السلام يطلب من الله أن يمنعه وشيعته من الخوض في هذا الأمر لما فيه من خطر جسيم وهو الوقوع في الفتنة، والفتنة في كتب اللغة معناها الاختبار والوقوع في المكروه والكفر والعذاب،

(١) بحار الأنوار: ١١٨/٨٩.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٢/٤٠٣، مادة (عصم).

٢٦٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

والإحراق بالنار والضلال، وباتساع معناها يكمن خطرهما، ويعقب عليه أسلوب الدعاء بأسلوب الشرط (فإن يفعل...)؛ لما في هذا الأسلوب من وظائف مؤثرة في الكلام فكرية وبلاغية، وهذه الجملة مؤطرة بإطار حجاجي إقناعي، فتوظيف إن الشرطية مع الفعل جاءت ممهدة لدليل عقلي:

إن عصمنا الله من الفتنة أعظم بها نعمة (النجاة من النار)

لم يعصمنا الله من الفتنة الهلكة (الوقوع في الكفر المؤدي إلى الخراب)

ويأتي الأسلوب الخبري المثبت للجزم في هذه المسألة فالكلام صادر من إمام معصوم؛ لذا يتوجب على المستمع الإنصات إليه والإذعان له: «نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه»، ثم يعقب كلامه بأسلوب القصر، والغاية منه هو تخصيص سمة الخلق لله تعالى، وهو أصل ما وقعوا فيه من الفتنة، فإذا ما ثبت عقلياً لديهم بأن الله وحده الخالق وإن ما سواه مخلوق بطلت أصل الفتنة: «وليس الخالق إلا الله، وما سواه مخلوق»، لذا جاء أمر النهي عبر أسلوب النهي الحقيقي بأداة النهي (لا) والفعل المضارع بشكل قطعي أن لا يجعلوا للقرآن اسماً من عندهم، لأن هذا الأمر سيؤدي إلى الوقوع بالضلالة: «لا تجعل له اسماً من عندك، فتكون من الضالين» أي: الخروج عن طريق الحق أو هو الابتعاد عن الغاية المطلوبة التي من أجلها أنزل الله القرآن الكريم وجعله منهج الأمة الإسلامية ومنبع علمها.

فالدليل العقلي رافق هذا النص بشكل مستمر؛ لأن الأمر لا يحتمل التصديق والتكذيب أو مخاطبة المشاعر كي تلين، وإنما هو خطاب عقلي فكري الغاية منه الابتعاد عن كل ما لا يعيننا وما لا يكون من ورائه غاية معلومة ونافعة لنا.

وقبل أن يختم النص يزينه بلغة الدعاء مرة أخرى وكأنه إقرار بأن هذا الأمر والوقوع فيه مناط بعصمة الله ووقائه لا من ناحية إجبارية ولكن من ناحية عقلية

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٦٥

فكرية، مضمناً نصّه آية قرآنية، ليزيد المعنى قوة وتأثيراً في نفس المستمع، فالإمام يدعو الله أن يصيرهم إلى الخشية من ربهم بالغيب فهذا هو الأمان الحقيقي، ثم يعدل من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية «وهم مشفقون» لدلالة ثبوت الإشفاق من قبلهم.

إنّ مسألة خلق القرآن مسألة في غاية الأهمية، لذا فإن التزام المواليين بعدم الولوج فيها سيؤدي إلى حالة من حالات السلم والأمان فيما بينهم أو مع الآخرين.

أمّا ما يخصّ دور الإمام عليه السلام مع شيعته وعمّاله فنورد هذه الرسالة التي أرسلها عليه السلام إلى وكيله أيوب بن نوح^(١) وأبي علي^(٢) قائلاً: «وأنا أمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي، وأن يلزم كل واحد منكما ما وكل به وأمر القيام فيه بأمر ناحيته، فإنكم إن انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وأمرك يا أبا علي بمثل ما أمرك به يا أيوب أن لا تقبل من أحد من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه ولا تلي لهم استئذاناً عليّ، ومُرْ مَنْ أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يصيره إلى الموكل بناحيته، وأمرك يا أبا علي بمثل ما أمرت به أيوب وليقبل كل واحد منكما ما أمرته به»^(٣).

على الرغم من الأوضاع الصعبة في عصر الإمام عليه السلام إلا أنه عمّل على تأسيس

(١) أيوب بن نوح بن دراج النخعي أبو الحسين، كان وكيلاً لأبي الحسن وأبي محمد، عظيم المنزلة عندهما مأموناً، وكان شديد الورع، كثير العبادة، ثقة في رواياته وكان أيوب من عباد الله الصالحين. ينظر: الغيبة الشيخ الطوسي، دار الهداية، بيروت، لبنان، ط ١، (د.ت): ١/٣٤٩

(٢) عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الجواد قائلاً: الحسن بن راشد، يكنى أبا علي، مولى لآل المهلب، بغدادي، ثقة. وعدّه أيضاً من أصحاب الهادي. وعدّه الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء الأعلام، والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام الذين لا يطعن عليهم بشيء ولا طريق لدم واحد منهم. وعدّه الشيخ والبرقي في رجاليهما من أصحاب الهادي، ويظهر من ترجمة الحسن بن راشد أنّه كان وكيلاً لأبي محمد العسكري، ينظر: الغيبة، الطوسي: ١/٣٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ٥٠/٢٢٤.

نظام خاص يحمي شيعته ومواليه من الفوضى وضياع الحقوق؛ لذا أسس شبكة الممثلين له في شتى البلدان التي يقطنها الشيعة في (إيران، ومصر، واليمن، والعراق)، فأتخذ وكلاء يوثقهم ويمدحهم، ليكونوا الوساطة بينه وبين شيعته في التواصل المعرفي ومعالجة المضكلات واستلام الحقوق الشرعية وإيصالها إلى الإمام عليه السلام، لذا نجد النص مشحوناً بالأسلوب الطلبية الأمر والنهي؛ لأن هؤلاء العمال يمثلون الصورة الحقيقية لمنهج أهل البيت عليهم السلام، فيجب عليهم الحرص وأداء مهامهم من دون تلكؤ أو مماطلة.

إن افتتاح النص بكلمة حوت مادة (أمر) التي تدل على الأمر المجازي التحذير والتنبيه لعظم الأمر وخطره، متبوعاً بأسلوب النداء الدال على التخصيص والتنبيه، فلأمر موكل لأيوب خاصة ومنبهاً إياه أن يعنى بمهامه الموكلة إليه بشكل خاص، وأن لا تكون له علاقة بمهام (أبي علي)، والعلة في ذلك هو التزام النظام المؤسس من قبل الإمام حتى لا تحل الفوضى وتضيع الحقوق من ناحية، ومن ناحية أخرى نجده يشفع كلامه بأسلوب الشرط «فانكم إن انتهيتم» تؤدّي إلى «استغنيتم عن معاودتي»، دلّت باطنياً على السرية في العمل حتى لا تعلم السلطات ارتباطهم بالإمام كي يؤدّوا مهامهم على أكمل وجه، وحتى لا يتعرضوا للسجن كما فعل بها سواهم.

إن الأمر عبر هذا الأسلوب «أمر» دل على الإلزام الواجب، أما أسلوب الشرط، ففيه كثافة الدلالة مع الإيجاز، ونلاحظ أهمية الأمر وخصوصيته فالإمام يكرّر ما قاله لأيوب بقوله إلى أبي علي مع علمنا أن كليهما من الثقات والعلماء الأجلاء الذين لا تقبل عليهم أدنى شبهة، لكن لعظم الأمر ولتعزيزه في نفسيهما أدّى إلى تكراره مرة أخرى، ثم جاء أسلوب النهي عبر النهي الحقيقي باستخدام أداة النهي (لا) مع الفعل المضارع (لا تقبل)، (لا تل) ودلالته التحذير من عاقبة الأمر، فهذا الأسلوب يعمل على نقل القارئ إلى ما وراء المعنى اللغوي من دلالات وإيحاءات تثير المستمع والقارئ فتؤثر في نفسه، ثم يعقب كلامه بأسلوب الأمر مرة أخرى عبر توظيف (لام الامر)

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٦٧

مع الفعل المضارع (ليقبل) الدالة على إلزام القبول.

شحن النص بمجموعة من الأساليب البلاغية كانت الغاية منها التحذير وإلزام القبول بالأمر لعظمه وأهميته في إحلال السلام عبر هيمنة السلطة وطاعتها واحترامها.

٢ - الحوار والتفاهم: الحوار هو من المحاور، وتجاوزوا أي: تراجعوا في الكلام^(١)، والمحاورة: حسن الحوار، ومنها أيضاً: كَلَّمْتُهُ فمَارَدٌ عَلَى مُحَوَّرَةِ أَي كَلَامٍ^(٢)، فهي تعطي في طياتها دلالة خلقية تتعلق بكيفية الحوار وأدبه، وهذا صحيح فالحوار يستلزم طرفين أو أكثر، ولا يتم إلا في جوٍّ أدبيٍّ يتيح السمع والقول بين المتحاورين. وتتسع دلالة الحوار معجماً فتكون بمعنى: جادله^(٣)، والجدال يعطي فرصة للقول والمراجعة بين المتحاورين.

والحوار اصطلاحاً: هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام فيما بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما من دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والابتعاد عن الخصومة والعصبية^(٤)، فلغة الحوار تتسم بأنها لغة العقل والمنطق والرؤية الحقيقية للأشياء بعيداً عن التعصب الجاهلي لمعايير زائفة لا طائل من ورائها، وهي من أسلم اللغات التي تؤدي إلى التفاهم والتعايش السلمي ونبذ الكراهية، لذا كان الامام عليه السلام، يحاول نشر هذه الثقافة بين أفراد المجتمع قولاً وفعلاً في حوادث عدة وفي أمكنة متفرقة حتى يعطي للناس انطباعاتاً خاصاً حول أهمية هذه

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ: ٣٨٠-٣٨١، مادة (حور).

(٢) ينظر: أساس البلاغة، الزخشي، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ط١، (د.ت): ٩٨.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، (د.ت): ١/٢١٢.

(٤) ينظر: في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ١٤١٦هـ: ١٢.

الثقافة، وسنحاول أخذ أنموذجين يؤصّلان هذه الثقافة:

الأول: تقديم صاحب العلم على ذي النسب، على الرغم من أن العصر العباسي ابتعد عن العصر الجاهلي إلا أن ثقافة ذلك العصر ما زالت ماثلة أمامنا في القول والفعل، فيروى أن رجلاً من فقهاء الشيعة قد كلّم بعض النصاب فأفحمه بحجته، فقرّبه الإمام عليه السلام إليه، وقد كان في مجلسه جمع كبير من العلويين والهاشميين فاشتد الأمر عليهم، فقال له شيخ الهاشميين: «يا بن رسول الله هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبين والعباسيين؟ فقال عليه السلام: إياكم وأن تكونوا من الذين قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١) أترضون بكتاب الله عز وجل حكماً؟^(٢)

يبين النص من البدء على نزعة عصبية فشيخ الهاشميين يخاطب الإمام عبر النسب (يا ابن رسول الله) موظفاً أسلوب النداء لجذب انتباهه إليه، وأيضاً نلاحظ لغة العتاب والاعتراض واضحة في كلامه وتوظيفه لأسلوب النداء المحذوفة أداته في قوله (هكذا تؤثر عامياً)، وأصل الكلام (أهكذا)، ولفظة (عامياً) فيها بعد دلالي للعصبية القبلية والتمسك بالنسب من دون غيره، فيأتي رد الإمام عليه السلام قوياً وواضحاً (إياكم)، فتوظيفه لأسلوب التحذير وهو أحد أساليب الإنشاء الطلبي الذي (يراد به تنبيه المخاطب ليجنب مكرهاً يمكن أن يقع فيه)^(٣) كان رداً مباشراً لغاية تربوية دينية؛ لذا ألحق أسلوب التحذير بدليل عقلي وهو توظيف الآية القرآنية التي لا تقبل الشك والمتضمنة لمعنى الإقرار، فقد ابتدأت الآية باستئناف ابتدائي (للتعجب من

(١) آل عمران: ٢٣.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٩ هـ: ٣٥١.

(٣) معجم الغني، عبد الغني أبو العزم، كتاب الكروني، <http://shamela.ws/rep.php/book/2236>.

حَالَةَ الْيَهُودِ فِي شِدَّةِ ضَلَالِهِمْ. فَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: أَلَمْ تَرَ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّعْجِيبِ،... وَالْمَرَادُ حُصُولُ الْإِقْرَارِ بِالْفِعْلِ لِيَكُونَ التَّقْرِيرُ عَلَى نَفْيِهِ مُحَرِّضاً لِلْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِهِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَجْهَلُهُ^(١) فالإمام عليه السلام يحذرهم ويتعجب من قولهم، وفي الوقت نفسه جاء أسلوب التحريض لحثهم على الاعتراف بما حاولوا أن يتجاهلوه، لذا أعقب قوله بتوظيف الاستفهام الحقيقي، ليأتي الرد من قبلهم بـ (بلى)، وهو اعتراف ضمني بكل ما يتضمنه القرآن من أحكام، فيردّ عليهم الإمام: «أليس الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾»^(٢)، إن رؤية الإمام ليست رؤية محدودة في موضوع معين ومكان محدد، فقد ربط بين سياق الآية القرآنية والحادثة التي حدثت مع الرسول ومجموعة من المنافقين وبينه وبين الهاشميين والعلويين، فأصل الكلام هو التأدب في مجلسهما، وإفساح المجال للمؤمن العالم من الجلوس في المكان الذي يستحقه والمبين من قبل الله (سبحانه وتعالى): ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فرفعة المكان متأية من قربهم من الله (جلّ وعلا) وهي محددة بقرينة عقلية على أن المراد (بهؤلاء الذين أوتوا العلم العلماء من المؤمنين)^(٣)، ويكمل الإمام عليه السلام كلامه بقوله: «فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه أقال: يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات؟ أو قال يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات؟ أو ليس قال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط.)، ١٩٨٤: ٢٠٨/٣.

(٢) ال عمران: ٢٣.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، صححه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٩٩٧: ١٠٣/١٩.

٢٧٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، فكيف تنكرون رفعي لهذا لما وفقه الله، إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأفضل له من كل شرف في النسب»^(٢)، يتساءل الإمام بأسلوب إنكاري، فهو على علم بالجواب إلا أنه ينكر عليهم إنكارهم لبيطله ويكذبه؛ لذا تأتي العبارات زاخرة بالحجج مكثفة الدلالة حول فكرة واحدة هي أن الرفعة والمقام الرفيع للعالم المؤمن وليس لصاحب الحسب والنسب الرفيع، وقد لاحظنا أن الإمام أفحم المعاتين بمجموعة من الأساليب البلاغية كان أقواها أسلوب الاستفهام فقد أعطى للكلام حيوية وزاد من عملية الإقناع والتأثير به، وفيه أيضاً إثارة للسامعين وجلب لانتباههم وإشراكهم في التفكير، حتى وصل بهم الأمر إلى الاقتناع والسكوت أمام كلام الإمام وحججه. سنكتفي بهذا النص المقتطع من كلام الإمام عليه السلام خوفاً من الإطالة.

النص الثاني: ورد في الأخبار (إن المتوكل قيل له: إن أبا الحسن يعني - علي بن محمد بن علي الرضا- يفسر قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾^(٣) الآيتين، في الأول والثاني. قال: فكيف الوجه في أمره؟ قالوا: تجمع له الناس وتسأله بحضرتهم، فإن فسرهما بهذا كفاك الحاضرون أمره، وإن فسرهما بخلاف ذلك افتضح عند أصحابه، قال: فوجه إلى القضاة وبني هاشم والأولياء، وسئل عليه السلام، فقال: هذان رجلان كتى الله عنهما ومن بالستر عليهما، أفيحب أمير المؤمنين أن يكشف ما ستره الله؟ فقال: لا أحب^(٤)).

يتجلى في هذه الرواية معنيان متضادان، أولهما: محاولة نشر العداوة والبغضاء بين المجتمع عن طريق التفرقة بين فريقين، فريق من اتبع أبا بكر وعمر وفريق

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ٣٥١.

(٣) الفرقان: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ٣٠/ ٢٤٦.

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٧١

الموالين من أهل بيت النبوة، وثانيهما: تأصيل مبدأ التعايش السلمي بين الأفراد بغض النظر عن مذهبهم، لذا جاء الاسلوب البلاغي المزين بالحجة العقلية المنطقية وسيلة لإقناع المخاطب، وإنهاء مسألة الجدل في هذا الأمر، فالإمام عليه السلام عبر اسلوب الإخبار يؤكد أن الله أخفى اسميهما وأنعم عليهما في الحياة بالستر، ثم يأتي اسلوب الاستفهام لغاية بلاغية غرضها التعجب من فعل المتوكل وقوله؛ فإذا كان الله لم يذكر اسميهما فلم تذكرهما؛ لذا جاء الجواب: لا أحبُّ، ولعلَّ في لفظة (أحبُّ) غاية ابتغاها الإمام عليه السلام وهي أن ذكر اسميهما ليس حراماً بدليل تفسير الإمام الرضا عليه السلام للآية وذكرهما جهارة، وإنما في وقت تشدد فيه العصبية ويكون المجتمع في حالة فوضى وعدم سلام لا بدَّ أن تراعى فيه العواطف ففيها إحلال السلام وعدمه فالمحبة بين أفراد المجتمع أقوى من أي عصبية لمذهب أو دين، أو عرق، ففي النص غاية تربوية أخلاقية اتبع فيها الإمام اسلوب الحوار لحل النزاع الذي كان من الممكن أن ينشب لولا حكمته.

٣- إشاعة القيم الأخلاقية في المجتمع: لا شك أن التربية الخلقية تؤدي إلى تهذيب النفوس وشحنها بالموودة والمحبة المؤدية بطبيعة الحال إلى السلم بين أفراد المجتمع، لذا ارتأينا أن ندرس بعض هذه القيم التي أكد عليها الإمام عليه السلام ومنها:

أ- الحث على المحبة والموودة بين الناس: الإنسان كائن اجتماعي لا يمكن عزله عن المجتمع؛ لأن اعتزاله يؤدي إلى (الشعور بالغرابة والوحشة والإحساس بالوهن والخذلان إزاء طوارئ الأحداث وملفات الزمان، من أجل ذلك كان الإنسان تَوَاقفاً إلى اتخاذ الحُلاَّن والأصدقاء، ليكونوا له سنداً وسلواناً يسرون عنه الهموم ويخففون عنه المتاعب ويشاطرونه السراء والضراء)^(١)، قال الإمام عليه السلام: «مَنْ جَمَعَ لَكَ وَدَّه

(١) فكر الإمام علي الهادي عليه السلام التربوي، أ.م.د. باسم قاسم الغبان، مجلة الاداب، العدد ١٠٦، ٢٠١٣:

ورأيه، فاجمع له طاعتك»^(١).

يحمل النصُّ في طيّاته تربية أخلاقية وروحية، فقد اشتملت على الموعظة الحسنة والتهديب الخلقي الذي يرشد الإنسان سواء أكان (قائداً، أم أباً، أم أمّاً، أم ابناً، أم عاملاً)، إلى مسألة في غاية الأهمية وهي كسب الثقة والمقدرة على إدارة شؤون الحياة على وفق الطاعة والاحترام، يفتتح النص بجملته شرطية عبر أداة الشرط (من) وفعل الشرط (جمع) الدالّ على الاستمرار والحركة، فالعملية ليست ثابتة في موقف واحد وإنما هي ذات دينامية حركية وفيها بعد نفسيّ أخلاقي محدد (بالمودة واجتماع الرأي)، وقد قدّم المودة لما فيها من أسرار عظيمة ودافعة نحو السلوكيات الأخلاقية الأخرى، فلو لا محبة الإنسان لله، لما انقاد لأوامره، وبالنتيجة، لولا المحبة بين الناس لما استطاعوا العيش بسلام وأمان فتحقق الأمر الأول دافعٌ قوي وملزم للآخر بفعل الطاعة الجالبة لكل خير، فجواب الشرط جاء بصيغة الأمر الملزم، أي: وجوب الطاعة الدالة على الاحترام والمحبة والانقياد، وتوظيف أسلوب الشرط يدلّ على الإيجاز في التعبير والمقدرة على إيصال المعنى إلى المخاطب بأقرب الطرق وأيسرها وهذا ما يسمى بإيجاز (القصر أو البلاغة)، وجاءت أداة الربط (الفاء) التي تُعدُّ من الروابط الحجاجية في المنظومة اللسانية التداولية التي تجمع بين الحجج المتتابعة لتربط بين جملة فعل الشرط وجوابه.

من جمع لك وده ورأيه
ف —
الْحِجَّةُ الْأُولَى مرتبطة بالثانية ومسببة لها وناجئة عنها
اجمع له طاعتك

ب- العتاب بين الأصدقاء ونبذ الحقْد: لا شك أن هناك الكثير من الأمور التي

(١) تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحرّاني، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٧، ٢٠٠٢م: ٤٨٣.

البحث الثالث: مرتكزات السّلم المجتمعيّ عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٧٣

تؤدّي إلى اختلاف الرأي وعدم الاتفاق بشكل كامل عليها، فكلّ له ثقافته وقيمه وعاداته فقد يتفق الأفراد على أطراف قضية ما إلا أنهم يختلفون في تفاصيلها، وهذا الأمر لا يؤدي إلى الخصام وإنهاء علاقات الصداقة والمحبة بين الأفراد، فحسن الظنّ بالآخر من أبرز الأخلاق التي دعا إليها الرسول ﷺ.

والعتاب من باب حسن الظن بالآخر مع مراعاة الأدب وعدم رفع الصوت، أو الإكثار منه في كل أمر؛ إذ يصبح الأمر مدعاة للنفاق والضعينة بينهم، والعتاب خير من الحقد وسوء الظن بالآخر؛ لذا نجد الإمام الهادي عليه السلام بتوجيه تربوي يقول: «عاتب فلاناً وقل له: إن الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عُوْتِبَ قَبْلَ»^(١).

عند قراءة النص لا بدّ لنا من التعامل معه تعاملًا روحياً لاستنباط الاهداف والمقاصد الواردة فيه فحقّ المسلم على المسلم أن لا يسيء الظنّ به، وأن لا يحمل كلّ كلامه وأفعاله على محمل السوء، فالطريقة الوقائية لعدم نشوب المشاكل هي العتاب المدفوع بحسن النية من جانب المعاتب والقبول من قبل المعاتب ففيه سلامهما وراحتهما، فالإمام عليه السلام أراد بهذه الموعظة تهذيب النفوس وتوجيه الاجيال إلى السلوك السليم؛ ليؤسس بذلك مجتمعاً خلقياً ودينياً، بُني النصّ على القيم التربوية؛ لذا افتتح النصّ بأسلوب الأمر (عاتب، قل)، وقد ورد عند أهل البيان أن من البلاغة حسن الابتداء، ففعلاً الأمر دلّ على ما يناسب الحالة المتكلّم عنها، وهي التزام الخلق الرفيع ونشر المودة بين الأصدقاء بالابتعاد عن الحقد والتزام حسن الظن، وهذا الأسلوب يُعدّ من الأساليب الطليبية التي خرجت للنصح والإرشاد وتحديد الغاية.

ثم يردف الإمام عليه السلام أسلوب الأمر بأسلوب التوكيد «إن الله» ثم بجملة شرطية «إذا أراد الله بعبد خيراً إذا عُوْتِبَ قَبْلَ»، نلاحظ أن صياغة العبارة جاءت مكثفة الدلالة وذات معنى عميق مؤكدة عبر توظيف أداة التوكيد (إن)، ثم قيّد الإمام

٢٧٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعبّاد السّلم المُجتمعي) / ج ٣

محيي الخير بقبول العتاب من قبل الفرد؛ لأن الغاية المبتغاة هي نشر السلم والرحمة بين الأفراد، وتكمن دلالة توظيف (إذا) على إمكانية تحقيق الأمر فهي عند أهل اللغة تستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه^(١).

ج- تجنب المراء: المراء: هو: (كثرة الملاحاة للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعث على ذلك الترفع)^(٢)، وقال الجرجاني: المراء: طعن في كلام الآخر لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الآخر^(٣)، وهذا الأمر بطبيعة الحال يؤدي إلى الخصام بين الأفراد والكراهية لذا أكد الإمام الهادي عليه السلام على تجنبه، قال: «المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون فيه المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة»^(٤).

صيغت مواظ الإمام عليه السلام بتركيب لغوي يتناسب مع ما وضع لها من معان وما أريد لها من دلالات، فهذه الموعظة صيغت بجملة اسمية دالة على الثبوت والحكم القطعي في الدلالة^(٥)، فالإمام يوجهنا إلى مسألة في غاية الأهمية وهي عدم الاعتراض على كلام الآخرين ومجادلتهم في أمور الدين والدنيا من أجل إثبات رأينا والشعور بالغلبة عليهم وتحقير رأيهم، لأن ذلك يؤدي إلى زعزعة العلاقات القديمة، وفي توظيف «قديمة» دلالة على الثبوت في القدم أي ما مضى على وجوده زمنًا طويلاً وقد ارتبطت بلفظة الصداقة الدالة على علاقة المودة والمحبة وتشاطر الحديث

(١) خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، (د.ت): ٣٢٢

(٢) التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، ٢٦٥

(٣) ينظر: التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٩: ١٩٨٣.

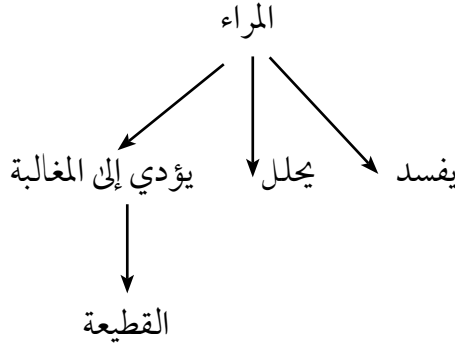
(٤) بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٦٩.

(٥) ينظر: مظاهر التربية النفسية في أقوال الإمام الهادي عليه السلام، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، مجلة الولاية، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة، مجلة الكترونية، <http://alwelayh.com>

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٧٥

والاستئناس، وإذا بالمرء يفسدها أي: يتلفها ويخربها ويمحوها ففي توظيف هذه اللفظة بعد نفسي وأخلاقي يترتب على إنهاء علاقة اجتماعية قديمة، ووظفت (الواو) للربط بين الجمل؛ لأنها كلها متساوية في وظيفتها، فهذه الجملة الخبرية أفادت ثبوت الدلالة وتركيزها في ذهن المتلقي.

ثم يوظف الإمام أسلوب الحذف لتكثيف الدلالة والإيجاز في العبارة، وكأن كلمة (المرء) أصبحت المركز لإنهاء العلاقات الطيبة كما هو موضح في المخطط:



إنَّ تركيب (العقد الوثيقة) ذو معنى عميق يدلُّ على ثبوت العلاقة بين الطرفين إلا أنها ترحزت عن مكانها وفك وثاقها مما أدَّى إلى زعزعة العلاقة المؤدية بالنتيجة إلى المخاصمة التي تُعدُّ من أولى أسس القطيعة بين الأفراد، إنَّ صياغة الجمل وتركيبها واعتمادها على الأسلوب الخبري كان ذا معنى تربوي وعلاجي دقيق؛ لتأسيس نظام متماسك بين أفراد المجتمع أساسه القيم الحسنة والأخلاق الفاضلة والابتعاد عن كل ما يعكّر صفو هذه العلاقة؛ لأنه بالنتيجة سيؤدي إلى فك نسيج المجتمع الواحد، وإخلال النظام والابتعاد عن روح السلام بين أفراد.

وأخيراً إنَّ أخلاق الإنسان وسلوكياته لها أثر كبير في تأسيس مجتمع متماسك يحظى بالأمان والسلام بين أفراد.

الختامة

إنَّ استجلاء الرؤى والمقاصد التي ترشّحت من عبقرية الإمام الهادي عليه السلام تدلُّ دلالة واضحة أنهم زقّوا العلم زقاً، لكنني حاولت ومن الله التوفيق أن اخوض في هذا الفكر المتدفق فتوصلت إلى مجموعة من الأمور فيما يخص البحث وهي:

- إنَّ مفهوم السلم مفهوم عام لا يقتصر على الجانب العسكري من دون الجانب الاجتماعي والإنساني المتفرّع إلى مجموع سلوكيات الفرد مع خالقه ومع أبناء جلدته، فهو الدفاع عن الأوطان لدرء المخاطر، وهو الراحة والطمأنينة النفسية بين أفراد المجتمع الواحد.

- تمثّل منهج الإمام بكونه منهجاً تربوياً كان يسعى عبره إلى تأسيس مجتمع متماسك نظراً لما عمّ العصر العباسي من فوضى واضطراب سياسي عام.

- اعتمد الإمام عليه السلام في منهجه على أمرين أساسيين: هما المنهج التهذيبي والمنهج التنظيمي، تمثّل المنهج التهذيبي بالنصح والإرشاد وإرساء مبادئ وقيم المجتمع المسلم كالتعامل الحسن والمودة بين الاصدقاء ونبذ النفاق والحسد، وترك المراء، أما المنهج التنظيمي فقد تمثّل في تفعيل دور الوكلاء وتنظيم عملهم حتى لا تضيع حقوق الناس.

- تصدّى الإمام وبكل قوة للفتن الدائرة في عصره والتي كان من الممكن أن تضع المجتمع في حرب لا طائل من ورائها سوى إشاعة الفوضى وهدم مرتكزات الدين الإسلامي.

- عدّ الحوار أهم طرق رعاية السلم المجتمعي؛ لما فيه من احترام رأي الآخر، وعدم التجاوز بالقول والفعل عليه، فالحوار هو أفضل وسيلة لرعاية الرابطة بين أفراد المجتمع الواحد.

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٧٧

- كان عمل الإمام عليه السلام في ترسيخ مبدأ السلام في المجتمع العباسي هو تحدٍّ بحد ذاته، فالخلفاء العباسيون وما ورد من بطشهم وجبروتهم في التسلط والظلم، فضلاً عن ذبوع ثقافات لا تمت للإسلام بصلة ومع كل هذه الأمور استطاع الإمام بفضل منهجه التربوي أن يغرس روح المحبة والتفاهم بين فئات المجتمع.

المصادر والمراجع

الكتب

القرآن الكريم.

* أئمتنا سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، علي محمد علي دخيل، مؤسسة دار

الكتاب الإسلامي، ط ١، ٢٠٠٦م

* الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩ هـ

* أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود،

دارالمعرفة، بيروت، ط ١، (د.ت)

أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٨هـ)، دار المرتضى،

بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.

* أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن بن أبي الحسن الديلمي،

تحقيق ونشر: مؤسسة البيت لحياء التراث، قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٤هـ: ٣١٢.

* الإمام الهادي قدوة وأسوة، السيد محمد تقى المدرسي، مركز العصر للثقافة

والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠١٠م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة المجلسي

(ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.

٢٧٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

* البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

* التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٤ هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، ١٩٨٤ م.

* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة الحراني، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٧، ٢٠٠٢ م.

* التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي، أياد كامل إبراهيم الزبياري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١، ١٩٧١ م.

* التعريفات الاعتقادية، سعد آل عبد اللطيف، مدار الوطن للنشر، ط ١، د.ت
* التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣ م.

* التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ط ١، ١٤٠٩ هـ

* تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، صححه: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٩٩٧ م.

* تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: السيد حسن الخرسان، دار الاضواء، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥ م.

* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، تحقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

* الحوار وبناء السلم الاجتماعي، خالد بن محمد البديوي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط ١، ٢٠١١ م.

* خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،

البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية بلاغية ٢٧٩

د.ت.

* السلم المجتمعي: المقومات وآليات الحماية (محافظة نينوى انموذجاً)،
د. محمد وائل القيسي، مركز نون للدراسات الاستراتيجية، ط١، ٢٠١٧م.

* الغيبة، الشيخ الطوسي، دار الهداية، بيروت، لبنان، ط١، (د.ت)

* القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ،

* كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح
الاربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، مكتبة بني هاشمي، تبريز،
إيران، ط١، ١٣٨١هـ.

* كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر
الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٥هـ.

* لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠م.

* المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٣، د.ت.

* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب السروي المازندراني، المطبعة العلمية،
قم المقدسة، ط١، ١٩٥٦م.

* المناقب، موفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ مالك
المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٣، ١٣١٧هـ.

البحوث والدوريات

* ركائز التربية في فكر أهل البيت عليهم السلام، الشيخ صادق الرواغة، من شبكة
المعلومات الالكترونية، <http://www.arrwagah.org/home/print>

* فكر الإمام علي الهادي عليه السلام التربوي، أ.م.د باسم قاسم الغبان، مجلة الآداب،
العدد ١٠٦، ٢٠١٣م.

* في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، ١٤١٦هـ

٢٨٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

* في رحاب ذكرى ميلاد الإمام الهادي عليه السلام نبراس للعلم ومقارعة الانحراف،
جميل الظاهري، المراقب العراقي، صحيفة يومية سياسية عامة، صحيفة الكترونية،
<http://www.almuraqeb-aliraqi.org/> 2018/03/22/105387/.

* مظاهر التربية النفسية في أقوال الإمام الهادي عليه السلام، عبد الهادي عبد
الرحمن الشاوي، مجلة الولاية، تصدر عن العتبة العلوية المقدسة، مجلة الكترونية،
<http://alwelayh.com>

* معجم الغني، عبد الغني أبو العزم، كتاب الكتروني،
<http://shamela.ws/rep.php/book/2236>.

* مقومات السلم الاجتماعي، الشيخ حسن الصفار،
<https://www.saffar.org/?act=artc&id=758&print=1>

* من وصايا الإمام علي الهادي عليه السلام (المعاملة بالمثل)
<http://www.almenbar.org/essaydetailsf.php?eid=1083&fid1=>

* من وصايا الإمام علي الهادي عليه السلام (المعاملة بالمثل)، منبر المحراب - السنة
العشرون - العدد: ٩٩١ - ٣٠ جمادى الثانية ١٤٣٣ هـ الموافق ٢٢ أيار ٢٠١٢ م، من
شبكة المعلومات الالكترونية،

<http://www.almenbar.org/essaydetailsf.php?eid=1083&fid1=>



البحث الرابع
الروضة العسكرية
بين الماضي والحاضر

أ.د. انمار عبد الجبار جاسم أ.م.د. ضرغام سامي عبد الأمير

جامعة القادسية

كلية الآداب

كلية التربية

رئيس قسم الآثار



ملخص البحث:

إنَّ سفر أهل البيت عليهم السلام محط جدل بين الناس على اختلاف مضاربتهم لسبب بسيط هو وضوح هذا السفر العظيم وعمقه في التاريخ الإنساني، والحديث عن الإمامين العسكريين عليهما السلام، يأتي من باب الوفاء لنسل الرسول صلى الله عليه وآله ولما قدمه هؤلاء الأئمة الأجلاء للإنسانية جمعاء من إرث حضاري كبير، ولذلك جادت قرائح الشعراء ولهجت ألسنة الكتاب والمفكرين بسفرهم العظيم وأفكارهم التي قدمت أرقى الحلول وأيسرها لمشاكل البشرية.

ويظن الارهابيون والتكفيريون الذين فجّروا مرقد الإمام علي بن محمد الهادي ومرقد الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنهم يستطيعون أن يمحوا أئمة أهل البيت عليهم السلام من ذاكرة التاريخ والضمير الإنساني، لكنهم فشلوا كما فشلوا سابقاً عندما هدموا قبور البقيع في المدينة المنورة، لأن وجود أهل البيت عليهم السلام المعنوي هو أقوى بقاءً وأسمى خلوداً حيث تبقى الذاكرة الحضارية متوهجة بما قدموه عليهم السلام من آثار عظيمة في الحياة الإنسانية. وسوف تبقى قباهم شامخة مهما تعرّضت لمحاولات التدمير فهذه ليست المرة الأولى ولن تكون الأخيرة.

وهذه إطلالة على سيرة الإمامين العسكريين وهي قليل من كثير مما جادت به الأقلام التي حاولت وما زالت تحاول أن تنصف مكارم أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

Abstract

(The Greens military between past and present)

That travel Ahl al-Bayt (AS) center of controversy between people of different Mdharbhm the simple reason that the clarity of this great travel and depth in human history, talk about military peace be upon them shrine, comes from the door of loyalty to the descendants of the Prophet (r) and for their these imams revered of all humanity from great cultural legacy, so generously Aqraih year Ahjt poets and writers and thinkers and their ideas by traveling the Great presented the finest and easiest solutions to human problems.

He thinks the terrorists and takfiris who blew the shrine of Imam Ali bin Mohammed Al-Hadi and Imam Hassan bin Ali Askari (peace be upon them) that they can to erase Ahlulbait (peace be upon them) from the memory of history and the human conscience, but they failed as they failed previously when they demolished the graves of Baqi in Medina because the presence of Ahl al-Bayt (peace be upon them) is the most powerful moral Bakaoua my name is eternal, where cultural memory remains glowing including their (peace be upon them) from a great impact on human life. Kabbabhm will remain no matter how tall exposed to attempts destruction This is not the first time will not be the last.

These views of the biography of a military shrine little more generously than its pens that have tried and are still trying to do justice to the noble people of the house pure peace be upon them.

المقدمة :

إن المملكة التي كان يحكمها الخليفة المعتصم كانت غنية وكثيرة الموارد جداً. فكان في استطاعته أن ينفق أموالاً طائلة لتشييد القصور والمساجد، وسائر المرافق العامة، إن المملكة التي تبوأ كرسىها المعتصم كانت فسيحة الأرجاء مترامية الأطراف، فكان في إمكانه أن يجلب أمهر البنائين، وأشهر المهندسين والفنانين، من جميع أقطار ملكه العظيم، وفي استطاعته أن يضع تحت تصرف هؤلاء كل ما يطلبونه من مواد الزخرف والبناء ولو كانت مما يجب جلبه من بلاد بعيدة. وإن اجتماع كل هذه العوامل الفعالة بهذه الوجوه المساعدة، سيفسح أمام المهندسين والفنانين مجالاً واسعاً للعمل والابداع، وسيتحف العاصمة الجديدة بأوسع القصور وأجملها، وأعظم المساجد وأبدعها. وكان من الطبيعي ألا تقف هذه الحركة الإنشائية عند حد القصور والمساجد وحدها. بل تتعداها إلى الدور والشوارع والبساتين أيضاً؛ لأن المعتصم لم يقصد بعمله هذا إيجاد «مقر خلافة» و«معسكر جيش» فحسب، بل كان يقصد فوق ذلك إيجاد «عاصمة مملكة» بكل معنى الكلمة. إنه أراد إنشاء عاصمة جديدة، تنافس بغداد في السعة والنفوس والعمران، فكان من الحتم عليه أن يستقدم جماعات كبيرة من الناس ومن أصحاب المهن على اختلاف أنواعهم واصنافهم، ويجزل لهم العطايا، ويحثهم على البناء وكان من الطبيعي أن تتولد من جراء ذلك حركة إنشائية واسعة النطاق شديدة النشاط. ^(١)

غير أن من البديهي أن بناء الحوانيت والدور لا يمكن أن يحاكي بناء المساجد والقصور. فإذا كان في استطاعة الخلفاء أن يزودوا المعمارين والفنانين بكل ما يطلبونه من النفقات، فلم يكن بإمكان الناس أن يقتدوا بهم في هذا المضمار، وإذا جاء الخليفة لمعماري المساجد والقصور أمرهم أن يبنوا ما يبنونه في قصوره بأجود

(١) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، بغداد ١٩٧١، ص ١٤٦.

المواد الإنشائية ولو كانت كثيرة الكلفة وأن يزيّنوها بأجمل المواد الزخرفية ولو كانت باهضة الثمن، فلم يكن معقولاً لبنائي الدور أن يطمعوا في شيء من ذلك، بوجه من الوجوه. بل كان عليهم أن يتسابقوا في إيجاد الطرق والأساليب التي تضمن البناء بأقل ما يمكن من النفقة وأعظم ما يمكن من السرعة، دون أن يتعدوا عن مقتضيات الطرافة والجمال. كان يتحتم عليهم أن يستعملوا المواد المبذولة في محيطهم، ويظهروا قوة ابتكارهم في كيفية استفادتهم من خواص تلك المواد في الزخرفة والبناء. ومن حسن حظهم أن الطبيعة في سامراء كانت مساعدة على كل ذلك مساعدة كبيرة؛ لأن موقع المدينة يرتفع عن الضفة الأخرى بعض الارتفاع، والطبقة الترابية فيه تكون قشرة قليلة الثخن تستر طبقة صخرية، فالأرض لا تتعرض لخطر الغرق حتى في أشد حالات الفيضان، كما تبقى مصنونة من الرطوبة على الدوام، وهناك مناطق طينية واسعة تساعد على صنع اللبن الجيد، وهناك أتربة كلسية كثيرة تصلح لتحضير الجص القوي. ففي استطاعة البنائين أن يستفيدوا من هذه الوجوه المساعدة، فإنهم يستطيعون أن يبنوا المباني الكبيرة باللبن دون أن يخشوا تأثير الرطوبة والمياه فيها، كما أنهم يستطيعون أن يضمّنوا متانة تلك الأبنية باستعمال الجص ملاطاً لاحقاً بين قطع اللبن وأسوافها، وبعقد الطوق بالآجر أو بطابوقات مصنوعة من الجص. وأخيراً يستطيعون أن يستروا رداءة مادة البناء بطلاء الجدران بالجص، كما يستطيعون أن يزخرفوا هذا الطلاء بالتلوين أو بالنقش والحفر. إن هذه الزخرفة يمكن أن تعمل خلال البناء كما يمكن أن تعمل بعد أتمامه، والقشرة الجصية التي تتكون عليها هذه الزخارف يمكن أن ترفع بسهولة، كما يمكن أن تعوض بقشرة جديدة تزخرف بأشكال تختلف عن الأشكال السابقة.

إن الزخرفة على هذه الطريقة تكون رخيصة، ولذلك تعمم بسهولة. فكل واحد من أصحاب الدور يستطيع أن يزخرف بعض غرفه بمقدار ما تسمح له موارده، كما يستطيع أن يعمم الزخرفة في الغرف الأخرى متى صلحت أحواله المالية، أو يستبدل

بها غيرها متى ملّها وأراد الأبدع والأكمل منها.

ولهذه الأسباب كلها سيكون أمام الفنانين مجال واسع للعمل في هذا المضمار. ومن الطبيعي أن هذا الطلب الشديد المستمر سيؤدي إلى تنشئة جماعة كبيرة من الفنانين الماهرين في الزخرفة وسيحملهم على التسابق في طريق التفنن والإبداع على الدوام.

ولهذا كان من الطبيعي أن تزدهر في سامراء صناعة الزخرفة الجصية ازدهاراً كبيراً، وتولد طرازاً خاصاً مع أشكال لا تُعدُّ ولا تحصى، فيرتبط اسم سامراء في تاريخ فن هذا الطراز الخاص من الزخرفة. وتمتاز هذه المدينة، بجانب عظمة قصورها العديدة، وفخامة مساجدها الفسيحة، وامتداد شوارعها العظيمة، ونضارة بساطتها الجميلة وبزخارف دورها الكثيرة.

كما كان من الطبيعي ألا يبقى هذا الطراز من الزخرفة محصوراً بسامراء وحدها، بل ينتقل بواسطة قواد المعتمصم إلى القاهرة أيضاً، ويخلف هناك آثاراً باهرة في جامع ابن طولون من جهة، وفي المنازل المبنية في العهد الطولوني من جهة أخرى^(١).

لقد مضى على قصة هذه المدينة العجيبة أكثر من عشرة قرون. وأما الآثار والأطلال الباقية منها إلى الآن، فتضيف ذيلًا جديدًا إلى غرابة مقدراتها المتسلسلة. إذ من الغريب أن آثار دورها المبنية من اللبن والمزخرفة بالجبس، قاومت حدثان الدهر، أكثر من قصورها المبنية بالآجر والمزخرفة بالرخام. والسبب في ذلك أن القصور تعرضت لتخريب الناس الذين اعتبروها بمثابة محاجر غنية بالمواد الإنشائية الصالحة للاستعمال، في حين أن الدور سلمت من تخريب الناس، ولم تتعرض لتدمير أيد غير أيدي الطبيعة والزمان. ويظهر أن أيدي الناس قادرة على التخريب بوجه عام أكثر

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٥، ص ٢٣٤.

من أيدي الزمان.^(١)

أولاً: البعد التاريخي لمدينة سامراء:

سامراء مدينة عراقية تقع في الضفة الشرقية لنهر دجلة في محافظة صلاح الدين، وتبعد حوالي مسافة (١٢٥ / كيلومتر) شمال العاصمة بغداد ويحدها من الشمال مدينة تكريت ومن الغرب مدينة الرمادي ومن الشرق مدينة بعقوبة. ومنذ قديم الزمان وتحديدًا في زمن المناذرة اتخذت بعض المواقع في مدينة سامراء كحصون استراتيجية وعسكرية أثناء الاحتدام الصراع ضد الروم والفرس آنذاك. كما كانت سامراء عاصمة للعباسيين بعد بغداد، وكانت تسمى بـ (سر من رأى). اعتقد المؤرخون أن سامراء كانت في متقدم الأيام صحراء من أرض الطيرهان لا عمارة فيها، وقد أكدت الدراسات الأثرية الحديثة أن موضع المدينة كان أهلاً بالسكان وذلك منذ مطلع الألف السادس قبل الميلاد، وظهرت كمدينة في الألف الرابع ق.م، وعليه فقد صنفت سامراء من المدن العراقية الموغلة في القدم وهكذا كانت مسيرة الاستيطان متواصلة غير منقطعة في هذه المنطقة.^(٢)

بنيت مدينة سامراء لتكون عاصمة الإمبراطورية العباسية، وكان المكان الذي شيدت عليه المدينة مستوطناً منذ أقدم العصور، وكان لسكانه نصيب من الحضارة تمتدُّ إلى عصور سحيقة، ولما انتقل المعتصم العباسي من بغداد إلى سامراء، راح يفتش عن موضع لبناء عاصمته الجديدة، فلما كان يتحرى المواضع وصل إلى موضع يبعد عن بغداد ١١٨ كم، فوجد فيه ديراً للمسيحيين، فأقام فيه ثلاثة أيام ليتأكد له ملائمة المحل، فاستحسنه واستطاب هواءه، واشترى أرض الدير بأربعة آلاف دينار، وأخذ في سنة (٢٢١ هـ) بتخطيط مدينته التي سميت (سر من رأى)، وعندما تم بناؤها

(١) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، المصدر السابق، ص ٦١١.

(٢) جمال الدين، د. محسن، المستشرقون والأماكن المقدسة، دار الثقافة الإسلامية، بغداد ٢٦٩١، ص ٦١.

انتقل مع قواده وعسكره إليها، ولم يمض إلا زمن قليل حتى قصدها الناس وشيّدوا فيها مباني شاهقة وسميت بالعسكر والنسبة إليه عسكري، واشتهرت بسامراء، وهي كلمة مشتقة من (سرّ من رأى) يوم كانت المدينة عامرة ومزدهرة، ثم أصبحت (ساء من رأى) لما تهدمت وتقوّضت عمارتها. وهذه المدينة التي أنشئت لتكون عاصمة الخلافة في أيام المعتصم بالله ثامن خلفاء بني العباس، شاء لها القدر أن تكون عاصمة لامبراطورية من أعظم الامبراطوريات التي ظهرت على مسرح التاريخ، فقد امتدت الإمبراطورية العربية من سواحل المحيط الأطلسي غرباً حتى تخوم الصين شرقاً ورغم اختلاف أجناس رعاياها واختلاف ألسنتهم، وقيام بعض الإمارات شبه المستقلة على أطرافها المتباعدة، فقد كانت ولاياتها جميعها مرتبطة برباط الدين الإسلامي والحضارة العربية وتخضع كلها لخليفة سامراء. وكما يقول المستشرق الهولندي كرامرز (انها كانت كتلة دينية واحدة فضلاً عن وحدة سياسية متينة العرى متراسة البنيان، جمعت بينها قوة السلاح، وجعلت سكانها يقفون كأعظم قوة مركزية عرفها البشر)^(١).

ونستطيع أن نعتبر تأسيس مدينة سامراء أهم أعمال المعتصم بالله وأبقاها أثراً. وتقوم هذه الأهمية على ما تطلّبه تأسيسها من تصميم مسبق، وجهد كبير متواصل، ومال وفير، وما لقيته العاصمة الجديدة من دور مهم في مسيرة الحضارة العربية خلال الشطر الأكبر من القرن الثالث.

مع توفر المال، فقد اختار المعتصم بالله المكان المناسب للمدينة من حيث حسن الجو والمناخ وتوفر المياه وحصانة الموقع وخططها بما يسد احتياجات عسكره ومتطلبات الحياة المدنية، ووزع الأعمال الإنشائية المطلوبة لتأسيس المدينة على قواده وكبار رجاله بما كفّل سرعة انجازها، ولم ييخل ببذل ما احتاجته لذلك من الأموال،

(١) العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ج ٣، مصر، ١٩٦٥ ص ٤٣.

٢٩٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعِمادُ السّلم المُجتمعي) / ج ٣

فاستطاع أن يقيم مدينة واسعة كاملة للمرافق في خلال مدة وجيزة تعتبر قياسية، إذ ابتداءً بناؤها في سنة (٢٢١ هـ) وتم إنجازها في أواخر السنة التالية، وما أن لبثت المدينة حتى قصدها أصناف الناس واستوطنوها باعتباره حاضرة الخلافة، ولم تمض مدة يسيرة على تأسيسها حتى غدت من أمهات مدن الدنيا آنذاك، وقد أقدم إليها الخليفة نفسه من كل بلد من يعمل عملاً من الأعمال أو يعالج مهنة من المهن الزرع، وحمل من سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة فأنزلهم في المدينة واقطعهم، فاستعت عمارة المدينة واتصلت بيوتها وقصورها وأسواقها، وانتقل إليها عدد كبير من وجوه الناس وأهل النباهة من سائر المدن والبلدان والأمصار لطيب جوها وحسن موقعها وعمارتها^(١).

أسماء المدينة:

١. الاسم الغالب على المدينة في مؤلفات القدماء من البلدانين والمؤرخين هو (سر من رأى).

٢. القول الثاني: إنها مدينة بناها سام بن نوح، أو انها بنيت له فنسبت إليه وقيل: سام راه.

٣. هناك من يرجح إن اسم موضع سامرا مشتق من اسم مستوطن قديم عرفه الآشوريون والبابليون باسم (سومورم sumurim أو باسم (سورمارتا) وكان موضعاً مهماً في العهد الذي سبق الفتح العربي.

٤. يقول انستانس الكرمل: (أما اسم المدينة فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قديم في التاريخ فقد ذكره المؤرخ الروماني اميانوس مرسيلينوس الشهير الذي ولد سنة ٣٢٠ م وتوفي سنة ٣٩٠ بصورة (سومر، - sumera ونوّه به زوسميس المؤرخ اليوناني من أبناء المائة الخامسة للمسيح صاحب التاريخ الروماني بصورة

(١) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ط ٢، بيروت ١٩٨٧، ص ١٢.

(سوما souma).^(١)

٥. وهناك رأي للدكتور مصطفى جواد، قريبٌ من هذا في تخريج اسم سامرا فيقول: (سامرا اسم آرامي وهو في أصله مقصور كسائر الأسماء الآرامية بالعراق مثل: كربلا، وعكبرا، وحرورا، وباعقوبا).^(٢)

والذي يظهر من مختلف التوضيحات التي قدمت عن أصل تسمية موضع سامرا بهذا الاسم أن ذلك الأصل قديم يرجع إلى أيام الآشوريين والبابليين، ومن الطبيعي أن يتعرّض اللفظ للتحوير والتعديل بمرور الزمن وفي مختلف اللغات، حتى استقرَّ عند بناء المدينة في عهد المعتصم بالله إلى سرّ من رأى وسامرا^(٣).

البعد الجغرافي لسامراء:

أسست المدينة في زمن الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد سنة (٢٢١ هـ/ ٨٣٥ م). بلغت مساحة سامراء في أوج فترات عمرانها سبعة فراسخ أي حوالي ٤٠ كم طولاً و ٢ كم عرضاً، وقدرها اشتورا بـ ٦٨٠٠ هكتاراً، ويرى الدكتور المهندس أحمد سوسة أن مساحة المدينة تصبح ٢١٧ كم بدلاً من ١٠٢ كم إذا أضيف لها مساحة حير المتوكل والقادسية والاصطبلات وبهذا تُعدُّ مدينة سامراء من المدن الكبرى في العالمين القديم والحديث وتميزت سامراء بشوارعها العريضة والطويلة وقلة الأسوار على عكس مدينة بغداد.^(٤)

وقد بنى المعتصم قصور الجوسق والعمرى والوزيرى ثم خط القطائع للقواد والناس وخط المسجد الجامع واختط الأسواق حوله وأفرد كل أهل صنعة بسوق

(١) جمال الدين، د. محسن، المستشرقون والأماكن المقدسة، المصدر السابق، ص ١٢.

(٢) جواد مصطفى، سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها، بيروت ١٩٦٧، ص ٧٢.

(٣) العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، ط ١، بغداد ١٩٧٦، ص ١٣.

(٤) سوسة، أحمد نسيم، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج ١، بيروت ١٩٤٨، ص ٦٢.

٢٩٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام وعهد النبوة وعهد السلم المجتمعي) / ج ٣

وشيّدت الدور والقصور وكثرت العمارة واستنبطت المياه.^(١)

للمدينة قرى وضواحي تابعة لها هي:

١. الدور وهناك منطقتان بهذا الاسم الدور الأعلى بين سامراء وتكريت، والثاني الدور الأسفل، وهو الحد الشمالي لعمران المعتصم بسامراء.

٢. القادسية تسمى الآن الجالسية، وتقع على بعد ١١ كم جنوب سامراء وبمحاذاة دجلة شرقاً وجنوب برج القائم، وفيها قتل الخليفة المستعين بالله.

٣. القاطول منطقة جنوب سامراء فيها من المشاريع الإروائية التي أقيمت في سامراء، سكنها المعتصم إلا أن البناء كان صعباً فيها؛ لأنها حصي وأخاديد، فتركها إلى سامراء.

٤. الكرخ تقع على بعد ٨ كم بين سامراء والدور، وقد سكنها الأتراك أيام المعتصم.

٥. المتوكلية، لها أسماء كثيرة: (المتوكلية، والجعفرية، والماحوزة والجعفري)، تقع على بعد ١٠ كم من سامراء باتجاه الدور وما تزال آثارها شاخصة للعيان.

٦. قرية المحمدية، قرية سكنها المتوكل قبل بنائه المتوكلية، ويصعب تحديد موضعها اليوم.

٧. قرية المطيرة تبعد ١١ كم جنوب سامراء، وكانت من متنزهات بغداد في خلافة المأمون.

٨. قرية هاطري، تبعد ١٧ كم وهي شمال سامراء.

وقد تعرضت أغلب مباني سامراء للتدمير أثناء الغزو المغولي والصفوي

(١) الحليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ط ٢، المصدر السابق، ص ٤٣.

حالتها حال مدينة بغداد، وهُدمت أسوارها ومبانيها الشاهقة، وأثناء الخلافة العثمانية شهدت المدينة نهضة عمرانية صغيرة، ففي سنة (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م) بنيت أول مدرسة ابتدائية في مدينة سامراء.^(١)

أما في سنة (١٢٩٤هـ / ١٨٧٨م) وذلك أيام الدولة العثمانية نصب أول جسر على نهر دجلة يربط مدينة سامراء بالضفة الأخرى^(٢).

ويوجد فيها أيضاً مئذنة الملوية والتي تعتبر واحدة من الآثار العراقية القديمة وقد كانت في الأصل مئذنة المسجد الجامع الذي أسسه المتوكل في عام (٢٣٧هـ) في الجهة الغربية لمدينة سامراء واعتبرت في حينها من أكبر المساجد في العالم الإسلامي، وتقع مئذنة الملوية على بعد حوالي (٢٥، ٢٧م) من الحائط الشمالي، وهو من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع. والدرج سعتة (٢م) وهو بعكس عقارب الساعة وعدد درجاته تبلغ حوالي (٣٩٩/ درجة) والارتفاع الكلي للمئذنة يبلغ حوالي (٥٠م). أما في أعلى القمة توجد طبقة يسميها أهل سامراء بالجاون والتي كان يرتقيها (أو يصعد عليها) المؤذن العباسي ويرفع بها الأذان.^(٣)

ثانياً: البعد الديني لمدينة سامراء:

تتمتع مدينة سامراء بالمكانة الدينية حيث يوجد فيها ضريحاً للإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، وللضريحين مكانة مهمة في العراق؛ لأنه يضم مقامي الإمامين العاشر والحادي عشر من أئمة الشيعة، كما أن المكان يضم أيضاً مقام السيدة حكيمة (أخت الإمام الحسن العسكري) والسيدة نرجس (أم الإمام المهدي). كما يوجد بجوار الضريحين السرداب الذي يعتبر آخر مكان تواجد فيه

(١) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٢) سوسة، أحمد نسيم، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج ١، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٣) العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، ط ١، المصدر السابق، ص ١٣.

٢٩٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

المهدي المنتظر (وذلك حسب المعتقد الشيعي) قبل الغيبة. ولذلك ارتأى الباحثان إعطاء نبذة مختصرة عن الإمامين العسكريين عليهما السلام^(١).

الإمام علي بن محمد الهادي:

هو علي بن محمد الجواد بن علي الرضا، وهو العاشر من أئمة أهل البيت، وكان مولده بـ(صريا) بالقرب من المدينة المنورة سنة ٢١٢هـ، وتوفي بسر من رأى في رجب سنة ٢٥٤هـ وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهر.

عاصر الإمام الهادي عصر الخليفة العباسي المتوكل الذي كان شديد العداوة لأهل البيت حتى أنه أقدم على جريمة لا تقل بشاعة عن جرائم الوهابية عندما قام بتدمير ضريح الإمام الحسين بكربلاء وكان كما يصفه أبو الفرج الأصفهاني: (شديد الوطأة على آل أبي طالب غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقدهم عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم فحسن له القبيح في معاملتهم فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين^(٢) (أي قام بهدمه وحرثه) وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق نقاط حراسة مسلحة لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة)^(٣). ومن ثم فقد قام بإحضار الإمام الهادي من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سامراء بهدف وضعه تحت الإقامة الجبرية فأقام بها حتى مضى لسبيله وكانت مدة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة.^(٤)

(١) المقرئزي، تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الحكمة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٣.

(٢) الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، دار الترية، بغداد ١٩٧٦، ص ٢٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٧، ص ١٨٥.

(٤) البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد، الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة،

وقد عاش الإمام الهادي عليه السلام في فترة من الخلافة العباسية لها خصوصيات تتميز بها عن غيرها من الفترات وهي:

١- زوال هيبة الخلافة، ويعود ذلك إلى سيطرة الموالي والأتراك على شؤون الحكم يدبرونه كيف شاؤوا، وكان للخليفة دور شكلي فقط يقتصر على الدعاء له في المساجد.

٢- تفسخ رجال البلاط: نتيجة مجالس اللهو والمجون التي كان يقيمها هؤلاء الخلفاء والقواد بسبب الفراغ الذي يعانيه جهاز الخلافة.

٣- ازدياد الظلم والاستبداد المتأتي من العبث ببيت المال بسبب الانفاق والبذخ على بطانة الخليفة والمحيطين به وعلى الدسائس والمؤامرات.

٤- تصاعد الثورات العلوية التي كانت ردة فعل للظلم والاضطهاد اللذين كانا يخيمان على المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، وقد سجلت كتب التاريخ ١٨ ثورة بين الفترة ٢٦٩ - ٢٧٠ هـ، وغالباً ما كانت تنتهي هذه الثورات بالفشل ويتم القضاء عليها من قبل الدولة العباسية.

وكان المتوكل يسيء معاملته بني هاشم ويضطهدهم كثيراً، وكان يسيء الظن بهم ويتهمهم دائماً، وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان يسعى بهم لديه ويشجعه على الإساءة إليهم، وقد حاز المتوكل على قصب السبق في ظلم أهل البيت واضطهادهم من بين الخلفاء العباسيين.

ولأجل ذلك كان الإمام الهادي عليه السلام يمارس نشاطاته في عصر المتوكل بشكل سري، ويراعي السرية التامة في مختلف أحواله مع شيعته، وفرضت على الإمام حين إقامته بسامراء رقابة شديدة وضيق الخناق عليه من قبل الحاكم العباسي.^(١)

الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة الانحراف:

سادت المدارس الدينية والفكرية كالمعتزلة والأشاعرة في عصر الإمام الهادي عليه السلام، وظهرت في المجتمع الإسلامي آراء ونظريات كلامية متعددة وثار الجدل والبحث على قدم وساق حول مسائل كلامية مثل الجبر والتفويض وأحكامه، ورؤية الله وعدم ذلك، وجسميته تعالى، وغيرها من القضايا الأخرى، ومن هنا كان الإمام عليه السلام يواجه أسئلة ناتجة عن هذه الآراء والنظريات.

وجعل انتشار هذه الآراء المنحرفة وتفشيها قيادة الشيعة فكراً من قبل الإمام عليه السلام أمراً ضرورياً للغاية، ولذلك راح الإمام عليه السلام يثبّط بطلان الآراء والمدارس المنحرفة مثل الجبرية والمجسّمة خلال مناظراته ورسائله بأدلة قاطعة وساطعة، وقدّم الإسلام الحقيقي مجرداً عن كل شائبة وانحراف إلى المجتمع الإسلامي وهذا أحد مظاهر عظمة الإمام عليه السلام العلمية^(١).

الإمام الحسن بن علي العسكري:

هو الحسن بن علي بن محمد الجواد وهو الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة، وللإمام الحسن العسكري عليه السلام ألقاب كثيرة جاءت بها النصوص الماثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام وألقاب أطلقها عليه الرواة عنه، كما وردت في كتب الرجال^(٢).

ألقابه عند أهل البيت عليهم السلام:

العسكري، الرفيق، الزكي، الفاضل، الأمين، الميمون، النقي، الطاهر، الناطق عن الله، المؤمن بالله، المرشد إلى الله، الصادق، الصامت، الأمين على سر الله، العلامة، ولي الله، سراج أهل الجنة، خزانة الوصيين.

(١) آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي عليه السلام دار الأعلمي، بيروت ١٩٩٩، ص ١٦٥.

(٢) داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرّخ العربي، بيروت ١٩٩٤، ص ٢٩.

وقد روى الحرّ العاملي عن الفضل بن شاذان في كتاب الرجعة بسنده عن أبي خالد الكابلي، قال: «دخلت على مولاي علي بن الحسين عليه السلام وفي يده صحيفة، فقلت: ما هذه الصحيفة. فقال هذه نسخة اللوح الذي أهداه الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه اسم الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وآله وابنه الحسن العسكري»^(١).

ألقابه المشهورة في الكتب :

اشتهر أيضاً بألقاب شريفة، كلّ لقب يمثل صفة بارزة من صفاته الحميدة عليه السلام كالهادي والمهتدي والمضيء والشافي، والمرضي، والخالص، والخاص، والتقي، والشفيع والموفي، والسخي، والمستودع.

النصّ على إمامته عليه السلام:

روي عن الإمام علي الهادي عليه السلام في النصّ على إمامة ولده الحسن العسكري روايات كثيرة منها:

١. روى الشيخ الطوسي عن سعد بن عبد الله، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن سيّار بن محمد البصري، عن علي بن عمر النوفلي قال: «كنت مع أبي الحسن العسكري في داره، فمرّ علينا أبو جعفر فقلت له: هذا صاحبنا؟ فقال: لا، صاحبكم الحسن عليه السلام»^(٢).

٢. عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر، قال: «دخلت على أبي الحسن عليه السلام بـ«صريا» فسلمنا عليه، فإذا نحن بأبي جعفر وأبي محمد قد دخلا، فقمنا

(١) العاملي، محمد بن الحسن الحرّ، الرجعة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٨٥، ص ٤٣.

(٢) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، مكتبة الداوري، قم المقدسة ١٩٩٦، ص ٥٣ و العاملي، محمد بن الحسن الحرّ، إثبات الهداة، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٤، ج ٣، ص ٣٩٤، الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ج ٣، بغداد ١٩٨٧، ص ٣٢٥.

٢٩٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلم المجتمعي) / ج ٣

إلى أبي جعفر لنسلم عليه. فقال أبو الحسن: ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم وأشار إلى أبي محمد.^(١)

سمو مقامه عليه ومنزلته في عصره :

١ . مقامه الرفيع عند والده عليه :

إن أول من عاصره وعرفه حق معرفته والدّه الإمام الهادي عليه، فإنه وإن حجب ولده عن الناس ولم يُطلع أحداً على مقامه الرفيع إلا خاصة أوليائه؛ حفظاً على بقاء الإمامة، غير أنّه قال عليه ما يعكس شيئاً من حقيقته، فنراه يعرف ولده الحسن العسكري عليه للفهفكي حينما سأله عن القائم مقامه قائلاً عليه: «أبو محمد أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عُرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده ما يُحتاج إليه»^(٢).

٢ . مقامه عند علماء عصره:

اكتسب الإمام العسكري عليه مقاماً رفيعاً بين علماء عصره وقالوا فيه ما يحير العقول، فمن الذين عاصروا الإمام من العلماء هو أبو عمرو الجاحظ، وقال فيه: (ومن الذين يُعدُّ من قريش، أو من غيرهم، ما بعد الطالبين في نسق واحد، كلُّ منهم عالم زاهد ناسك، شجاع، جواد، طاهر، زاك، فمنهم خلفاء، ومنهم مرشحون، ابن ابن ابن ابن هكذا إلى عشرة، وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من العجم).^(٣)

(١) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، المصدر السابق، ص ١٢٠. والعاملي، محمد بن الحسن الحر، إثبات الهداة، مؤسسة الأعلمي، ج ٣ المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي، المصدر السابق، ط ٣، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٣) الجاحظ، ابو عمر، آثار الجاحظ، دار العلمية، بيروت ١٩٦٧، ص ٢٣٥، والعاملي، جعفر مرتضى،

٣. مناقبه عليه السلام ومعالي أموره:

من جملة معالي أموره والصفات البارزة فيه عليه السلام شدة خوفه من الله عز وجل في صباه، فإنه قد يستغرب مما يقرأ بأن الإمام حينما ينظر إلى الحطب والنار يبكي خوفاً من الله ثم يغشى عليه وهو صبي، ولكن ذلك ليس بغريب ولا بعجيب من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

روى الشبلنجي عن درّة الأصداف^(١) قال: «وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون، فظنّ أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟

فقال: يا قليل العقل ما للعب خلقتنا، فقال له: فلماذا خلقتنا؟

قال: للعلم والعبادة، فقال: من أين لك ذلك؟ فقال من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

ثم سألته أن يعظه موعظة فوعظه بأبيات ثم خرّ الحسن عليه السلام مغشياً عليه، فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال: «إليك عني يا بهلول إنني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم»^(٣).

ثالثاً: الروضة العسكرية في كتابات المستشرقين:

١. الدكتور دوايت دونالدسون الإنكليزي الذي عاش في إيران سنين عديدة

الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٢، ص ٤٠٣.

(١) الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧، ص ٤٣.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ط ٢، القاهرة ١٩٦٥، ص ٤٨.

٣٠٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلم المُجتمعي) / ج ٣

كتب أربعة فصول غير قصيرة في كتابه عقائد الشيعة: (التاسع عشر والعشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون) عن سامراء والأئمة الأطهار الثلاثة عليهم السلام علي الهادي والحسن العسكري والإمام المهدي^(١).

٢. المستر سيتون لويد في كتابه (مدن العراق الأثرية)^(٢).

٣. المستشرق لسترنج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية)^(٣).

٤. المستشرق هوليستر في كتابه (شيعة الهند)^(٤).

رابعاً: الروضة العسكرية في كتابات الرحالة المسلمين:

١. جاء في رحلة المنشئ البغدادي: ومن المزارات فيها - أي سامراء - مزار الإمام علي النقي والإمام الحسن العسكري عليه السلام ومحلُّ غيبة الإمام المهدي وفي كل سنة يبلغ زوار الشيعة من العرب والعجم نحو ثلاثين ألفاً يأتون إلى هذه المشاهد للزيارة.^(٥)

٢. أما في رحلات عبد الوهاب عزام فقد تحدّث مفصلاً عن رحلته إلى سامراء أشار إلى زيارته للمرقد المقدس.^(٦)

خامساً: الروضة العسكرية في كتابات الرحالة الغربيين:

إنَّ أقدم من وصف المرقد المقدس للإمامين العسكريين من الرحالة الغربيين الذين أخذ يزداد عددهم في القرن التاسع عشر:

(١) دونالدسون، دوايت، عقائد الشيعة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ص ٤٨.

(٢) لويد، المستر سيتون، مدن العراق الأثرية، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٥، ص ٧٣.

(٣) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٣.

(٤) هوليستر، شيعة الهند، دار العلوم، بيروت ١٩٧١، ص ١٣٦.

(٥) البغدادي، محمد بن السيد أحمد المنشئ، رحلة المنشئ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ص ٨٨.

(٦) عزام، عبد الوهاب، رحلة إلى سامراء، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٣.

١. الكابتن جون مكدونالد كينير الإنكليزي الذي وصل إلى سامراء عام ١٨١٣م فكتب مذكراته عن سامراء، وبعد أن وصف آثار سامراء وأطلال قصورها العباسية قال: (أهمها قبر ومشهد الإمامين اللذين دفنا في سامراء، وهو بناء جميل من الطابوق تعلوه قبتان ومنارتان مزيتتان بالكاشي الملون الذي يتباهى به العرب، ويبدو بمنظر جذاب حينما تتساقط أشعة الشمس عليه، وهناك على مسافة غير بعيدة عنه برج مخروطي الشكل يعلو علواً عظيماً ويبدو بمنظر مناسب، وتلفّ حول هذا البرج مرقاة حلزونية شيدت بمهارة).^(١)

٢. المستر كلود ديس ريج من الرحالة الغربيين في القرن التاسع عشر الذي بقي في العراق ما بين الأعوام ١٨٠٨ / ١٨٢١ فقال: (على أن سامراء لها أهمية ويقدها الشيعة تقديساً كبيراً) أشار إلى دفن الإمامين العسكريين فيها ثم قال: (وكان قد بني جامع جديد وبقره حمام وخان لإيواء الزوار على نفقة أحد الإيرانيين المتدينين)^(٢).

٣. الرحالة فليكس جونر كتب عن المرقد الشريف فقال: (لكن أهميتها - أي سامراء - تعزى في الدرجة الأولى إلى الضريحين الجميلين الموجودين فيها وتعلو الضريحين قبتان شيدت كبراهما فوق قبر الإمام الحسن العسكري وقد أجريت بعض الترميمات فيها مؤخراً واعتقد أنها كانت قد كسيت من قبل بالذهب على غرار القباب المقامة في الكاظمية وكربلاء والنجف)، ثم يقول: (أمّا القبة الصغيرة فهي قبة نظيفة جديدة قد زُيّنت بالكاشي الجميل الموشى بأوراد صفراء وببيضاء فوق أرضية خضراء تميل إلى الزرقة)، ثم يشير إلى زوّار القبرين الشريفين فيقول: (ويقصد هذا المكان كل سنة من الزوار من أنحاء إيران كلها فقد قيل لي: إن معدل زوّار هذه البقعة المقدسة يبلغ حوالي عشرة آلاف كل سنة لكنني ميّال إلى الاعتقاد بأن هذا العدد يعتبر أقل من

(١) مكدونالد كينير، الكابتن جون، مذكراتي في الشرق، دار المعارف، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٣.

(٢) ريج، المستر كلود ديسوس، رحلة إلى بلاد الرافدين، دار الكتي العلمية، بغداد ١٩٦٢، ص ١٢.

٣٠٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

الواقع بكثير^(١).

٤. المستر جون اشـر وصل عام ١٨٦٤م إلى سامراء أشار إلى المرقـد الشريف وتقديس المسلمين له^(٢).

٥. الرحالة الهولندي نيجهولت زار عام ١٨٦٧ سامراء وبعد أن وصف الأماكن الأثرية فيها قال أثناء حديثه عن الروضة العسكرية المطهرة: (أن شاه إيران قد أعلن قبل عدة أشهر عزمه على إهداء صفائح ذهب لتزيين القبة فكان الناس ينتظرون وصول هذه الهدية الثمينة خلال أيام معدودة)^(٣).

٦. في عام ١٨٨٨م زار سامراء عالم الآثار البريطاني السير والس بج قادماً من مصر فقال: (إنَّ البلدة تشتهر بوجود مشهدي الإمامين العاشر والحادي عشر فيها واسمهما: علي الهادي والحسن العسكري) ثم يقول: (إن القبتين القائمتين فوق الضريحين كانتا من أروع ما يمكن أن يشاهده المرء من بعيد)^(٤).

سادساً: وصف العتبة العسكرية:

ستتكلّم هنا باختصار حول وصف مبسط للعتبة المقدّسة، حيث يتخذ البناء الداخلي شكلاً مربعاً تقريباً، حيث يبلغ طوله ١٤٦ متراً، وعرضه من جهة الشمال ١٣٣ متراً، ومن جهة الجنوب ١١٥ متراً، أما حجرة الأضرحة، فيبلغ طولها ٥٣ متراً، وعرضها ٣٧ متراً، وارتفاعها ١١ متراً، وفوق الأضرحة ترتفع القبة الكبيرة، وتقوم هذه القبة على رقبة بارتفاع متر واحد.

أما ارتفاع القبة نفسها فيبلغ أربعة وستين متراً، ومحيطها ٦٨ متراً، وقطرها ٢٢

(١) جونر، فليكس، رحلتي إلى الأماكن المقدسة في العراق، دار الحكمة ١٩٨٥، ص ٥٦.

(٢) اشـر، المستر جون، زيارة إلى الشرق، دار الكتب العلمية ١٩٧٥، ص ٤٣.

(٣) نيجهولت، رحلة نحو الشرق، مطبعة الخيام، قم المقدسة ١٩٧٥، ص ٥٤.

(٤) بج، السير والس، رحلة إلى بلاد الرافدين، بيروت ١٩٦٧، ص ٣٣.

متراً، وتتميز هذه القبة بأنها مكسوة بالذهب، حيث يبلغ عدد الطابوق المطلي بالذهب ٧٢٠٠ طابوقة، وتعتبر أكبر قبة مذهبة في العالم الإسلامي، يتقدم الحرم طارمة عالية مزوّقة بأفانين من الزخارف الإسلامية، كان قد أنفق على إنشائها الحاج عبد الواحد الحاج سكر، رئيس عشائر الفتلة، وأنجزت سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م ويبلغ طولها ٣٧ متراً، وعرضها ٨ أمتار، وهي ترتفع في وسطها لتغطي باب الحرم، فيصل ارتفاعها هناك ١٤ متراً، بينما لا يتجاوز هذا الارتفاع من الجهتين الآخرين ٩ أمتار^(١).

للحرم خمسة أبواب، هي: الباب الغربي والباب الجنوبي، ويسمى باب القبلة، ويقع في وسط سوق الهادي، والباب الشرقي، وبابان في الشمال.

وفي غرب الصحن الشريف قبة مكسوة بالكاشي الكربلائي الملون البديع، تقع فوق سرداب دار الأئمة عليهم السلام، والذي أصبح مزاراً، فيبلغ محيط تلك القبة ٤٥ متراً، وقطرها ١٥ متراً.

تمثل العتبة العسكرية المقدسة ذلك البناء الشامخ الذي بُني على أطلال الدار التي تعود لثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد سكنها اثنان منهم مدة من الزمن طويلة نسبياً بالقياس لأعمارهم الشريفة، وهما: الإمام علي بن محمد الهادي وولده الإمام الحسن بن علي العسكري، وقد ولد فيها ولده الإمام المهدي وهو الخليفة الشرعي الثاني عشر للنبي صلى الله عليه وآله وخاتم الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين^(٢).

بعد استدعاء الإمام أبي الحسن الثالث علي بن محمد الهادي عليه السلام من المدينة المنورة إلى سامراء سنة (٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م) من قبل المتوكل العباسي، وسكنه فيها فقد أبلغ عليه السلام أنه غير مغادرها بعد يومه هذا، إذ ذكر أبو علي في أماليه: عن والده الشيخ الطوسي، عن أبي محمد الفحام، عن المنصور محمد بن أحمد الهاشمي، عن عم أبيه

(١) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٢) العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، ط ١، المصدر السابق، ص ٥٣.

٣٠٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

عيسى بن أحمد بن عيسى قال: قال يوما الإمام علي بن محمد عليه السلام: «يا أبا موسى، أخرجت إلى سر من رأى كرهاً، ولو أخرجت عنها أخرجت كرهاً قال: قلت: ولم يا سيدي؟ قال: لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وقلة دائها»^(١).

فاشترى الإمام الهادي عليه السلام له داراً، حين قدومه لسامراء من نصراني يقال له: دليل بن يعقوب فسكنها الإمام مع أهله وعياله الذين جاء بهم من المدينة المنورة معه، دون أن يعلم الناس في ذلك الزمن أن هذا الحدث سيغير تاريخ سامراء ويشكل انعطافة حاسمة حتى في بقائها كمدينة تسكن من قبل الناس من عدمه، فأصبحت هذه الدار فيما بعد مركز سامراء حين تحولت إلى أقدس موضع فيها، وانسحبت تلك القدسية إلى هذه المدينة، فبُنيت حول تلك الدار دور الأهالي ومتاجرهم وشُقت إليها الطرق ليعيش الناس فيها ببركتها وليكونوا كالأفلاك الدائرة حول النجم المتألئ، بعد أن اضمحل دور سامراء كعاصمة لبني العباس، وتحولها إلى أطلال وأكم بعد أن كانت أجمل وأكبر مدن ذلك الزمان باحتوائها القصور والدور الفخمة الزاهية بأهلها والتي بناها عددٌ من ملوكهم، رغم أنها كانت كبيرة وضخمة ولا تقارن مادياً بتلك الدار البسيطة في بنائها والعظيمة فيما تضمه من نفحات وآثار أهل بيت النبوة عليه السلام، فقد زالت تلك القصور بعد بنائها بفترة قصيرة نسبة لعمر المدينة الذي بقي مستمراً بعد ذلك بسبب تلك الدار المباركة التي بقيت رغم صغرها، والتي سنحاول فيما يلي بيان مراحل التطوير التي جرت عليها^(٢).

لما توفي الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي دسّه له الحاكم العباسي المعتز في ٣ رجب سنة (٢٥٤هـ / ٨٦٨م) دفن في صحن داره هذه أو في حجرة من حجراتها فكان عمره يوم وفاته ٤٢ سنة، وعمر ولده الحسن يوم وفاة أبيه ٢٢ سنة، باعتبار أنه وُلد صلوات الله عليه سنة ٢٣٢ هـ، وخرج مع أبيه لسامراء وعمره

(١) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، الأمالي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٠ هـ، ص ٤٣.

(٢) الحسيني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط ٧، بغداد ١٩٨٢، ص ١١٩.

حينئذ ٤ سنوات وأشهر، فبعد هذه التواريخ كلها يكون سكن الإمام الهادي عليه السلام في تلك الدار ١٨ سنة، وفي ٨ شهر ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) توفي الإمام الحسن العسكري عليه السلام وكان قد سمّه الحاكم العباسي المعتمد فدفن إلى جوار والده الإمام الهادي عليه السلام في نفس الدار طبعاً، وكان قد سكن عليه السلام فيها مدة ٢٣ سنة وبضعة أشهر، ويمكن أن نعتبر عمليتي الدفن هاتين نواة لتكون العتبة العسكرية المقدسة، باعتبار أن الدار أصبحت فيما بعد مزاراً قبل أن تهدم وتتحول إلى مسجد تحيطه الأروقة والصحن ثم السور^(١).

في نفس العام توفيت السيدة نرجس والدة الإمام المهدي عليه السلام الذي ولد في هذه الدار في ١٥ شعبان من سنة ٢٥٥هـ وكانت قد ولدت في ذلك السرداب المنيف ضمن دار الأئمة عليهم السلام، وقد رآه فيها عدة من أصحاب أبيه، وكانت الرؤية تلك في حياة أبيه عليه السلام فكان للسرداب مزية مهمة وهو أنه جزء من تلك الدار العظيمة بأهلها عليهم السلام، المتشرفة بسكنى ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ودفنت السيدة نرجس خلف قبر الإمامين بمسافة قليلة، وفي سنة (٢٧٤هـ / ٨٨٧م) توفيت السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فدفنت جوار أخيها، ثم بعد ذلك توفي من توفي من العائلة الكريمة أمثال السيدة سوسن وقيل: حديث أو حديث والدة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والحسين بن الإمام علي الهادي، وأبو هاشم الجعفري داود بن القاسم وابنه جعفر، كل هؤلاء دفنوا في دار الإمامين العسكريين عليهم السلام، بعضهم إلى جوارهما وبعضهم بالقرب منها.

في سنة (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) أي بعد تولي المعتضد بالله العباسي مقاليد الحكم أرسل حرساً خاصاً من بغداد لإلقاء القبض على الإمام المهدي عليه السلام وحمله إلى بغداد، فاستعان الإمام عليه السلام بالمعجزة بالتخلص من المهاجمين المقتحمين عليه الدار، وبعد

(١) الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، المصدر السابق،

٣٠٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

ذلك التأريخ يبدو أن دار الإمام الهادي عليه السلام بقيت خالية من ساكنيها الأحياء، وأغلقت بابها حتى موت المعتضد سنة ٢٨٩هـ، رغم أن هذا الحادث يبقى موضع تأمل؛ لأن الإمام المهدي عليه السلام في هذه الفترة كان في غيبته الصغرى ٢٦٠ / ٣٢٩هـ، ولا يعلم بموضعه أحد حتى من شيعته غير النواب الأربعة، فيمكن القول أن الدار بعد خروج صاحب العصر - عجل الله فرجه - منها، أصبحت مدفناً لتلك الأجساد الطاهرة وتُزار من قبل المؤمنين كبقية مراقد أهل البيت وذرائعهم عليهم السلام جميعاً^(١).

سابعاً: سرداب الغيبة :

وجد في سامراء سرداب أثري في العتبة العسكرية المقدسة من جهتها الغربية، يدعى بسرداب الغيبة، وقد حاك أعداء الشيعة الأساطير عن هذا السرداب ونسبوا إلى الشيعة أنهم يقولون: إن الإمام المهدي قد غاب فيه وأنه سيخرج منه، وكل هذا زورٌ وبهتان، فلا يعتقد الشيعة إلا أنه سرداب دار الأئمة، الذين عاشوا فيه وولد آخرهم في هذا الدار.

وإن وجود هذا السرداب في دارهم هذه أمر طبيعي؛ لأنها في العراق، وكل دوره في السهل الرسوبي عدا المناطق الشمالية منه تحتوي سرداباً يأوي إليه أهل الدار في أشهر الحر التي تتميز بها أغلب أشهر السنة في العراق.

قال الشيخ ذبيح الله المحلاقي: (ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة؛ لأن الحجة عليه السلام غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ، بل لأن بعض الأولياء تشرف بخدمته وحيث إنه مبيت الثلاثة من الأئمة ومعبدهم طوال المدة وحظي فيه عدة من الصلحاء بلقائه صار من البقاع المباركة فينبغي إتيانه بخضوع وخشوع وحضور قلب والوقوف على بابه والدعاء)؛ لذا فوجود السرداب في دار الأئمة المذكور أمرٌ طبيعي في دور كل أهل العراق، للسكن فيه خلال تلك الأشهر، والتعب والنوم، وإثارة

(١) مغنية، محمد جواد، الشيعة والتشيع، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٧، ص ٧٥.

الشبهة حول أمر بديهي في العراق مثل وجود هذا السرداب، هو أمر يثير السخرية والعجب في آن واحد^(١).

ويقول الشيخ النوري بهذا الصدد: (واختص ذلك المكان بمزيد شرافة واحترام وتقدير والتبرك به). فلما رأت سدنته رغبة المؤمنين إلى زيارة تلك البقعة جعلوا يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه الزائرين بإزاء دراهم معدودة، فأدّى ذلك أن حفر تلك البقعة مقدار درجتين، ثم تصدّى إلى طمها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمته الله، ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسموها بئر صاحب الزمان. ومع ذلك فقد جعلوا الآن قبة تحت الرخام بمقدار أن يدخل الكف فيه لأخذ التراب، وربما وضعوا التراب فيها من الخارج لإعطائه الزائرين الذين لا يعلمون حقيقة التراب. وللسرداب باب خشبي جميل باقٍ من عهد الحاكم العباسي الناصر لدين الله وقد عمله في سنة ٦٠٦ هـ، أي أنه مضى على صنعه أكثر من سبعة قرون^(٢).

قال السيد الجلالى في مزارات أهل البيت: (وقد رأيت الباب المذكور ولا تزال قائمة وبها آثار الحريق والكتابة بخط كوفي قرأت منها أسماء المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام) وقد نشرت مديرية الآثار العراقية رسالة بعنوان (باب الغيبة) في سنة ١٩٣٨ هـ وأوردت النص المذكور كاملاً (النص المكتوب على الباب)^(٣).

وقد تأثر الباب في التفجير الإرهابي الذي طال العتبة العسكرية المقدسة في ٢٢/٢/٢٠٠٦م وقُلِعَ من مكانه، ولكن بحمد الله أنقذه المؤمنون وتم حفظه في مكان آمن ريثما تنتهي حملة إعمار السرداب.

(١) المحلاتى، الشيخ ذبيح، مآثر الكبراء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٨ هـ، ص ٢٨٨.

(٢) النوري، كشف الاستار دار الحكمة، بيروت ١٣١٨ هـ، ص ٤٣.

(٣) الجلالى، سيد أحمد، مزارات أهل النبي، دار الورّاق، بيروت ١٩٨٥، ص ١٢٣.

ثامناً: الروضة العسكرية الشريفة عبر التاريخ:

تشير المصادر التاريخية إلى أن المرقد المقدس مرّت عليه مراحل بناء وتطوير في عصور مختلفة وهذه المراحل هي:

في سنة (٢٨٩هـ / ٩٠٢م) وبعد موت المعتضد العباسي نصب شباك في جدار الدار يشرف منه المارة في الشارع على تلك القبور التي بداخلها، فكان بعض الناس من الشيعة المواليين يزورون الإمامين عليهما السلام من وراء الشباك، ونستطيع القول بأن هذا الشباك كان أول منفذ يطل منه الزائرون على القبور الشريفة في الدار.

بقيت الدار على حالها ما يقرب من خمس وأربعين سنة دون أن تمسها يد التعاهد والإصلاح، ونظراً لخلوّ المنطقة من ساكنيها قياساً بما كانت عليه أيام زهوها، فقد تعيّن على بعض الناس من أصحاب الشهامة والإخلاص والولاء في بغداد أن يقوموا بتعهد تلك الروضة المطهرة وسدانتها، والقيام بشؤون زوارها، فكان أولئك الأفراد ينظمون القوافل في المناسبات ويرافقون الزوار إلى سامراء، ثم يعودون بهم إلى بغداد.

في سنة (٣٣٢هـ / ٤٤ - ٩٤٥م) قام ناصر الدولة الحمداني الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي المتوفى سنة (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) الذي كان صاحب الموصل وما يليها، وهو الأخ الأكبر لسيف الدولة الحمداني، وكان بمنصب أمير الأمراء، قام بتشييد الدار من جديد، وكللها بالاستور، وبنى عليها قبة صغيرة، وأحاط سر من رأى بسور؛ ليأمن ساكنوها أو من يريد سكنها، كما بنى دوراً حول دار الإمام وأسكنها جماعة^(١).

في سنة (٣٣٧هـ / ٤٨ - ٩٤٩م) أشاد معز الدولة البويهبي أبو الحسن أحمد ابن بويه بن فناخسرو المتوفى سنة (٣٥٦هـ / ٩٦٧م) عند دخوله سامراء أول عمارة على شكل مزار بعد أن أكمل عمارة الحمداني، وغير في طرز البناء، فأسس الدعائم،

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٧٦هـ، ص ٤٠١.

البحث الرابع: الروضة العسكرية بين الماضي والحاضر ٣٠٩

وعمرّ القبة التي على الضريحين وسرداب الدار، وأقام على القبرين صندوقاً خشبياً، وملاً حوض الدار بالتراب بعد أن صارت كالبر؛ لكثرة ما أخذ الناس من ترابه للبركة، وذلك لأن الإمام العسكري عليه السلام كان يتوضأ به أحياناً، وجدّد بناء صحن الدار وسوره، وأنفق في ذلك أموالاً جزية، كما ربّب معز الدولة للروضة والقوام عليها والكتّاب مرتبات شهرية ليتعاهدوها وزوّارها بالخدمات اللازمة.

وفي سنة (٣٦٨هـ / ٧٨-٩٧٩م) قام عضد الدولة البويهبي أبو شجاع فناخسرو ابن الحسن بن بويه الديلمي المتوفى سنة (٣٧٢هـ / ٩٨٣م) ببغداد والمدفون في النجف الأشرف، بزيارة سامراء، فأمر بوضع سياج من الساج حول المرقدين، ووسع الصحن، وعمرّ أروقه وستر الضريحين بالدياج، كما أشاد سوراً للمرقد، علماً بأن عضد الدولة هذا هو أول من أظهر قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ظهر الكوفة بالنجف الأشرف.

في سنة (٤٠٧هـ / ١٠١٦-١٠١٧م) وقع حريق في بعض أطراف المرقد المطهر، ويبدو أن أضراره كانت طفيفة.

في سنة (٤٤٥هـ / ١٠٥٣م) ترك الأمير التركي أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري المتوفى سنة (٤٥١هـ / ١٠٦٠م) وهو من مماليك بني بويه، ترك بغداد، وحلّ بتكرت، فأمر بعمارة المرقد الشريف عمارة عالية تليق بالإمامين العسكريين عليه السلام، فعمرّ القبة والضريحين من جديد، وعمل صندوقين من الساج ووضعهما على القبرين، وجعل رماناتهما من الذهب، فكانت هذه أول قطع ذهبية تهدى إلى مرقد الإمامين عليه السلام.

في سنة (٤٩٥هـ / ١١٠٢م) كلّف الملك بركياروق ابن ملك شاه السلجوقي أبو المظفر ركن الدين، رابع سلاطين السلاجقة المتوفى في الثاني من ربيع الأول سنة (٤٩٨هـ / ١١٠٤م)، كلّف وزيره مجد الدولة بإجراء إصلاحات على مرقد الإمامين

٣١٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماد السّلم المُجمعي) / ج ٣

العسكريين عليه السلام، فقام الوزير بالإيعاز لإعادة بناء سور المرقد الشريف، وتجديد جميع أبواب الروضة العسكرية من أغلى وأجود أنواع الخشب، وترميم القبة والرواق والصحن.^(١)

في سنة (٦٠٦هـ / ٩ - ١٢١٠م) قام أبو العباس الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسي المتوفى سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) بتعمير القبة فوق الضريحين، وتزيين الروضة الشريفة من الداخل، وبناء مئذنتين، وتجديد بناء سرداب دار الإمام، وكتابة أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وأبنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام على باب خشبي من داخله في شباك وضعه على صفة (سقيفة) في آخر السرداب، ولا يزال هذا الباب موجوداً إلى يومنا هذا وبه آثار حريق، كما كتب عليه من الخارج آيات قرآنية واسم الناصر لدين الله، وكانت هذه الصفة في يوم ما موضع حوض ماء يتوضأ منه أو يستحم به.

في سنة (٦٣٩هـ / ١٢٤٢م) وعند استيلاء أبي الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري على بغداد، قام بتعمير وبناء مرقد الإمامين الهامين العسكريين عليه السلام ووضع صندوقين من الخشب على ضريحي الإمامين.

في سنة (٦٤٠هـ / ١٢٤٣م) شب حريق داخل روضة الإمامين عليه السلام، فأتى الحريق على الفرش، واحترق الصندوقان اللذان أهداهما البساسيري، فأمر المستنصر بالله العباسي منصور بن محمد الظاهر بن الناصر لدين الله، المتوفى سنة (٦٤٠هـ / ١٢٤٢م) وهو باني المدرسة المستنصرية ببغداد، باستبدال الصندوقين المحترقين بصندوقين من الساج، كما أوعز بعمارة المشهد الشريف والروضة المباركة وما يحيط بها من سياج ساجي، وإزالة ما أصابها من آثار الحريق، وكان المستنصر قد كلف السيد جمال الدين أحمد بن طاووس أن يتولّى الإشراف على أعمال البناء والصيانة.

(١) الهندي، حسين الموسوي، الكلم الطيب، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٨، ص ١١٩.

في سنة (٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) قام الأمير أبو أويس الشيخ حسن بزرك الجللائي المتوفى سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) بتزيين الضريح الساجي، وشيد القبة والدار من جديد، وعمل بهواً أمام المرقدين، ثم أمر بنقل المقابر التي في صحن المرقد والتي أخذت تتزايد يوماً بعد يوم، أمر بنقلها إلى الصحراء في مقبرة خاصة، كما قام بخدمات جليلة كثيرة^(١).

في سنة (١١٠٦هـ / ١٦٩٤م - ١٦٩٥م) وبعد وقوع حريق في داخل الروضة المشرفة نتيجة ترك الخدم لسراج موقد في مكان غير مناسب، مما أدى لسقوط نار منه على بعض الفرش فاحترق، فأخذت النيران تسري في الخشب حتى التهمت صندوقي المرقدين والأبواب، فوصل الخبر إلى الشاه حسين بن سليمان الصفوي المتوفى سنة (١١٤٢هـ / ٢٩ - ١٧٣٠م)، وهو آخر ملوك السلسلة الصفوية الرسميين، فأمر بصنع أربعة صناديق في غاية التزيين والترصيع، منها اثنان لضريحي الإمام العسكريين عليه السلام، والآخرا للسيدتين الكريمتين نرجس وحكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام، وعمل شبك فولاذي ليوضع فوق الصناديق، ودعم البناء، وزين الروضة من الداخل بخشب الساج، وفرش أرض المرقد بالرخام، وأمر السلطان جماعة من العلماء والأعيان الإيرانيين بمرافقة الصناديق والضريح والهدايا التي أرسلها معهم إلى سامراء والإشراف على عمليات النصب، وكان دخولهم يوماً مشهوداً، وقد كتب اسم الشاه حسين على واجهة باب الشباك الفولاذي.

دخلت سنة (١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م) فتصدى الملك المؤيد الشهيد أحمد خان الدنيلي أحد أمراء خوي في آذربايجان لعمارة المشهد المقدس للإمامين العسكريين عليه السلام، وتولى أحد علماء ذلك الوقت وأفاضلهم وهو الميرزا محمد رفيع السلماسي الإشراف على نفقات عمليات الصيانة والتعمير والبناء، وبعد رصد المبالغ اللازمة شرع بعمارة

(١) الحسنی، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط٧، المصدر السابق، ص ١١٩.

٣١٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

الروضة والسرداب بالحجر الصوان والرخام، وقد كان للسرداب باب من جهة القبلة يدخله الزائر بعد زيارة مرقد العسكريين عليه السلام بأن ينزل درجا ثم يسير في ممر ضيق جداً حتى يدخل السرداب، ففي سنة (١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م) ردم الباب من جهة القبلة وجعل للسرداب باب من الجهة الشمالية، واستبدلت الأبواب الخشبية، ثم شمل البناء الرواق والإيوان والصحن، وجدّد بناء السور، وروعي في ترتيب البناء أن يحاكي مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف في ذلك الوقت، وقد أضاف إلى البناء الجديد صحناً آخر، ورواقاً ينتهي إلى السرداب، وبنيت الروضة الشريفة على أجمل طراز، وأحدث فن هندسي، كما شمل الإعمار ضريح السيدتين نرجس وحكيمة رضي الله عنهما، وقد صرفت مبالغ طائلة على هذا المشروع التجديدي، لكن الأحداث والظروف لم تمهل الأمير أحمد خان، فقد قتل في نفس العام، ودفن في رواق الإمامين في سامراء.

تولّى حسين قلي خان ابن أحمد خان المتوفى سنة (١٢٠٧هـ / ٩٢ - ١٧٩٣م) مقاليد الأمور، وحل محل والده، فواصل ما كان أبوه قد ابتدأه فأكمل البهو والأبواب، وزين جامع السرداب بالنقوش، وكتب الآيات القرآنية على أركانه، كما زين القبة بالقاشاني الأزرق المعرق، وأخيراً أعدّ لنفسه قبراً حفره إلى جنب قبر أبيه في الرواق فدفن فيه بعد وفاته.

بقي الميرزا محمد رفيع بعد ذلك ينفق على مشاريع البناء والإعمار حتى تمامه عام (١٢٢٥هـ / ١٨١٠م)^(١).

في سنة (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م) وخلال حكم ناصر الدين شاه القاجاري المقتول سنة (١٣١٣هـ / ١٨٩٦م) أمر بتعمير وتجديد بناء الروضة المطهرة ففرشت أرضها بالرخام الأخضر الذي جلب من إيران، وجدد الشباك الفولاذي بآخر فضي مذهب

(١) الحلبي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ط ٢، المصدر السابق، ص ٣٤.

التاج، ورخّم أرضه، كما أعاد فرش أرض الرواق والبهو والصحن بالمرمر، وأبدل الأبواب، ورمّم السور الذي بناه الدنبلي، وأصلح بعض جوانب الصحن المتصدّعة والمنهارة، ولأول مرة كسيت القبة المنوّرة، وأطراف المنائر بالذهب، ونصبت ساعة على السور فوق الباب الرئيس للصحن وهي الساعة الموجودة حالياً، والظاهر أن هذه آخر عمارة أساسية لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، الذي كان في كل مرة يزداد اتساعاً ورونقاً وجمالاً، حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم من الأبهة والجلال والسعة.

في سنة (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) قام ناصر الدين شاه بزيارة العتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء وسامراء المقدستين وقد حمل معه من التحف والهدايا والأموال الشيء الكثير، ولم يعلم مقدار ونوع الهدايا التي قدّمها لحضرة الإمامين في سامراء، وقد أجريت بعد الزيارة بعض الإصلاحات والإنشاءات الخدمية، من قبيل تبديل الأبواب وتفضيض الشباك وتذهيبه، كما انجزت مشاريع توسعة حول الصحن الشريف بعد ذلك التاريخ.

في سنة (١٣٤١هـ / ٢٢ - ١٩٢٣م) في عهد ملك العراق السابق فيصل الأول تم توسيع الطرق حول الصحن وبين الدور التي تحيط به.^(١)

في سنة (١٣٤٣هـ / ٢٤ - ١٩٢٥م) تم إيصال الماء عبر الأنابيب إلى الصحن المطهر وأنشئت محلات الوضوء ودورات المياه الصحية، لتسهيل زيارة أفواج الزائرين المتدفقة باستمرار على المرقدين المطهرين.

في سنة (١٣٤٩هـ / ٣٠ - ١٩٣١م) جلب مولّد كهرباء يعمل بالديزل خاص بالمرقد، فتوّرت الروضة بالكهرباء لأول مرة ونشرت فيها المصابيح، وعُلّقت الثريات مما زاد المرقدين والروضة جمالاً وبهاءً إلى بهائها.

في سنة (١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) في عهد ملك العراق السابق غازي الأول

(١) الحسنّي، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط٧، المصدر السابق، ص ١١٩.

٣١٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

المولود في مكة والمتوفى في بغداد بحادث سيارة سنة (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) أجريت بعض التوسعات حول الصحن الشريف.

في عام ١٣٥٦ هـ سُرقت من المشهد لوحتان من الذهب وقطع من الفضة.

في سنة (١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م) وفي عهد الملك فيصل الثاني بن الملك غازي الأول بن الملك فيصل الأول المولود في بغداد عام ١٩٣٣ م والمتوفى سنة (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م) في انقلاب أطاح به وحول العراق إلى الحكم الجمهوري، أجريت أيضاً بعض الإصلاحات والترميمات الطفيفة وتوسعة الشوارع المحيطة بالحرم المطهر.

في سنة (١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م) نقل شباك الإمام الحسين عليه السلام الفضي من كربلاء إلى سامراء لنصبه على ضريح الإمامين العسكريين عليهما السلام بعد أن رمم وأصلح، وفي سنة (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) أصلح محمد صنيع خاتم الصندوقين الذي على الضريحين.

في سنة (١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) نصب شباك فضي مذهّب جديد، وهو الموجود قبل تفجيره مع الجزء الأكبر من حرم وأروقة العتبة المقدسة والقبة الشريفة في الحادث الأثيم يوم ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٦ م، وكان قد تبرّع به جماعة من الوجهاء العراقيين والإيرانيين بسعي الشيخ محمد حسين المؤيد والحاج علي الكهربائي وغيرهم، وتبلغ أبعاد هذا الشباك (٣) أمتار عرضاً، و (٦) أمتار طولاً، و (٥٠ / ٢) متراً ارتفاعاً.

في سنة (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) قدّمت إلى الحرم المطهر فرش الحرم بكامله عدا الرواقات بالسجاد الثمين، تبرّع به بعض المؤمنين من التجار العراقيين والإيرانيين، بسعي الحاج محمد رضا لطفي في طهران والشيخ محمد حسين مؤيد في الكاظمية المقدسة ببغداد^(١).

(١) الحلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ط ٢، المصدر السابق، ص ٣٥.

تاسعا: تفجير الروضة الشريفة:

لم يكد جسد الإسلام يستعيد عافيته من جرّاء الجرح الغائر الذي أحدثته الإساءة لصورة الرسول الأعظم ﷺ، وما أحدثه مسلسل التجديف المغرض ضد حرّيات ومقدسات وكرامة المسلمين، حتّى فقنا على خبر الجريمة النكراء والجبانة التي استهدفت حرم الإمام الهادي عليه السلام في سامراء في ٢٢/٢/٢٠٠٦^(١).

حدثٌ لم يكن من ثمراته المتوقعة حرف الموضوع عن الإساءة للرسول الأعظم وإشغال جزء كبير ومهم من الأمة عن حملة الإحتجاج على الإساءة المذكورة فحسب، بل إنها تنوي من خلال هذا التوقيت الملفت للنظر، إشعال فتنة طائفية، بالتأكيد هي أفيدُ ما تكون لمن صمّم على استهداف الأمة في حاضرها ومستقبلها. ومرة أخرى يتبين أن محترفي الإرهاب من الذين ما فتئوا يزدون في الطين بلة، ويراكمون من عوامل الفتنة ما يبرر تأييد المحتلّ في العراق. وهم يوماً بعد يوم يعمقون الجرح ويشيرون الوجود، غير مباليين بوحدة المسلمين ولا بواجب لمرّ الشعث. حيث من كان حريصاً على تفتيت الأمة إلى أكثر من فسطاط فهو على تفتيت العراق أحرص. إن ما حدث بلا شك ليس من براءة اختراع المحتل الذي يوماً بعد يوم يدرك أن المعضلة الطائفية ورقة رابحة تفيده في تمرير مخططاته، بل هي نزعة قديمة وحلم لطالما راود فاسدي الضمير من هذه الأمة، لما بلغ بهم الجنون يوماً أن فكروا في تدمير ضريح الرسول الأعظم ﷺ بعد أن أَرْضُوا رَغْبَتَهُمْ في تدمير مشاهد الصحابة بالبقيع^(٢).

لقد تحلّى شيعة العراق حتّى اليوم برباطة جأش لا مثيل لها رغم كل ما جرى من قبل حفنة دموية، هي أقليات صغيرة مهملة تختبئ داخل أقلية أخرى مغلوب

(١) عبد الرزاق، محمد، التطرف في الدين دراسة شرعية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ٢٠٠٦، ص ٥.

(٢) أبو غضة، زكي علي، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، مصر ٢٠٠٢، ص ٤٣.

٣١٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلم المجتمعي) / ج ٣

على أمرها (وإن كانت لغة الأقلية والأكثرية أمراً لا يليق بأمة مسلمة يجمعها رب واحد ونبي واحد وكتاب واحد وتاريخ واحد، وإن كان أيضاً هذا هو الواقع الذي فرضه الجهل والمكابرة والشروط المزرية لوجود الأمة). ولعل ثقافة الانقياد لقرار المرجعية والانضباط بفتاواها، هي صمام الأمان الوحيد الذي أنقذ العراق من فتنة طائفية هو جاء لا تبقي ولا تذر.

مرة أخرى تمتد يد فاسدي الضمير، وقوى الطائفية والإرهاب للتطاول على مقدسات الأمة، استفزازاً للطائفة كبيرة من المسلمين هم أغلبية أهل العراق بلا منازع. وهو قدر العراق وليس أمراً متخيلاً مطروحاً للمزايدة والمكابرة. في هذا الإطار، يتحمل علماء الطائفة السنية مسؤولية كبرى حتى وإن كانوا ضد هذه الاستفزازات اللامسؤولة. مسؤولية ليس تجاه إخوانهم الشيعة الذين يشاركونهم كل الكوارث التي حلت بفناء المسلمين وديارهم فحسب، بل تجاه الأمة ومصيرها المهدد بفتنة طائفية عمياء، تسعى إليها شرذمة لا زالت تجلب الويل على هذه الأمة، وتدخلها في مآزق، المرة تلو الأخرى بلا أدنى روية أو قليل تأمل^(١).

على علماء المدرسة السنية أن يوقفوا زحف فتن تتفاحش اليوم في ظلاميتها كقطع الليل، ليلها كنهارها. فهم مسؤولون أمام الله وأمام التاريخ، بأن لا يجعلوا الفتوى صنعة مستصاغة لم تنهل من موارد العلم ما تهذب به نفوسها المتعطشة لقتل النفس المحترمة ولا اكتسبت من تجارب الأمم ما تنمي به ملكاتها المتراخية في استبصار الأمور على النحو الأحكم. فلا زلنا نرى العلماء السنة عاجزين عاجزاً فاحشاً، عن قول رأيهم في حق هذا الإرهاب السافر وهذا الجهل العريض الذي صادر حقهم في القول الصريح وفي الفتيا المحكّمة. لم تعد المشكلة في أن تشكك هذه الشرذمة الدموية في عقائد أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام في التوحيد، حيث مجال ذلك

(١) الجهماني، ثامر إبراهيم، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دمشق ١٩٩٨، ص ٤٣.

مفتوح لمناظرات بناءة، تجعل تهمة الشرك في حق هذه المدرسة دونه خطر القتاد، بل إن المسألة اليوم تتجلى في إرادة ترتيب ثمرات تنفيذية على أحكام جاهلة، تجعل دماء أبناء هذه المدرسة مستباحة من جهة واحدة، بينما لا يزال الموقف الشيعي كما تعبر عنه مؤسساته ومرجعياته وأعلامه قاضياً بإسلام كل من ينتمي لهذه الأمة شيعة وسنة. التصدي للفكر الطائفي الاستتصالي واجب تمليه ضرورة التقريب والوحدة بين المسلمين؛ لأن الشرذمة التي تقتل الشيعة اليوم، مستعدة غداً للفتك (كما هو تاريخها) بأهل السنة أيضاً؛ فتاريخ إجهازها على الشوافع والمالكية ليس ببعيد^(١).

علينا أن نتذكر بأن فعلاً شنيعاً كهذا أمر حدث مثله في تاريخنا من قبل شرذمة أو أشخاص لا يمثلون ضمير الأمة ولا أغليتها.

فلقد سبق أن قصفوا الكعبة بالمنجنيق، واستباحوا المدينة، ودمروا البقيع، وهما بتدمير قبر الرسول الأعظم ﷺ واستباحوا كربلاء وعاثوا فيها فساداً. وهذا معناه أن النزعة نفسها تحين نفسها وتحاول إعادة تاريخها الأسود. علينا أن نتذكر أيضاً، بأن أهل السنة دائماً وفي الأعم الأغلب كانوا ولا زالوا ضد هذه الأفعال التخريبية التي تنبئ عن فساد الضمير. وبأن مواقف المسلمين ضدّ حدث تدمير البقيع والهضم بتدمير ضريح الرسول الأعظم ﷺ جاءت من عموم العالم الإسلامي وليس من الشيعة فحسب. من هنا تعيّن على علماء ومفكري السنة التصدي بلا هوادة لهذا الفكر التخريبي، وأن يتجاوز الإدانة الباردة المجردة، بتدابير فعّالة عبر أنشطة العمل التقريبي والتدبير المشترك لأزمة الأمة من منطلق الوعي الموحد تجاه مصير الأمة لا من زوايا طائفية ضيقة. وإذا كان الأمر كذلك، فإن المسؤولية عظمى على مراجع الشيعة وعلمائهم وفواعلهم، بأن يتحلّوا بأقصى الصبر فيما يحدث بين الفينة والأخرى من تدمير لمقدساتهم وسفك لدمائهم؛ ذلك باعتبار أن المطلوب من هذه

(١) خلف الله، أحمد طه، الإرهاب أسبابه، وأخطاره، وعلاجه، مطبعة السلام، القاهرة ١٩٩٥، ص ٦٧.

الأعمال التخريبية استفزاز الشيعة ودفعهم باتجاه التطرف والغلو، ومنح الشرذمة فاسدة الضمير مبرراً لوجود فكرها الاستتصالي الجهنمي. وهذا يعني السعي إلى تمتين العلاقة مع الكيان السني وبلورة مشاريع مشتركة لحماية الأمة من الفتنة، كمقدمة الواجب لاستمرار العمل من أجل مزيد من التقريب بين الفرقاء.^(١)

لا يجب على السنة أن يدفعوا ضريبة هذا الجهل والرعونة والفعل اللامشروع الذي تقوم به شرذمة صناعة الموت العبثي، ولا أن يكونوا ضحية ردود الفعل الشيعية المتوقعة. فهناك تحتبر شيعة الشيعة لأهل بيت النبوة بمزيد من الصبر والتسامح والانضباط بأحكام الشريعة القاضية بأن لا تزر وازرة وزر أخرى. فمقدسات السنة هي مقدسات الشيعة، هم أولى بالدفاع عنها؛ لأنها عنوان وحدة الأمة وكرامتها واستقرارها. على الشيعة أن لا يردوا بالمثل في هذا المقام، نظراً لما من شأنه أن يترتب على ذلك من أضرار تصيب الأمة في الصميم. على أن لا تكون حركتهم خارج الحكمة الروية والفقه المنضبط. فلا عصبية إلا ما يوجب دفع الضرر بالمقدار الذي توجبه الضرورة، بل على الشيعة أن يرفعوا عنوان التسامح والاحتجاج على كل ضروب الاستتصال والكراهية، ولا يستجيبوا لداعي العصبية والغلبة في مفهومهما الرجعيين، مهما كان الاستفزاز الطائفي، الذي يؤكد يوماً بعد يوم أنه يعيش ساعته الأخيرة، ويلفظ أنفاسه إلى الجحيم بلا رجعة. غير أن هذا لا يمنع شيعة العراق من أن يكونوا يقظين، وأن يتصدوا للإرهاب الذي يستهدف وجودهم، بفقه وأخلاق، دون تعد ولا التساهل في رفع أي شعار يشتم منه رائحة طائفية أو عصبية نكراء. إن جزءاً من استراتيجيا دحرهم للإرهاب الطائفي، هو أن يتحلوا بمزيد من التآزر وتعزيز الجبهة الداخلية من جهة والعمل على الوحدة والتعايش مع السنة من جهة ثانية.^(٢)

(١) سيد أحمد، نجاتي، الجريمة السياسية دراسة مقارنة، القاهرة ١٩٨٢، ص ٥.

(٢) ياسين، السيد، تشريح لطاهرة الفكر المتطرف للكاتب، دار الحكمة، بيروت ٢٠٠٧، ص ٤٣.

إن التذرّع بالاحتلال لتصفية الحسابات الطائفية واستدراج الأمة للفتن، لن يبرر لهذه الشرذمة التي باتت تفكر بالوكالة عن الأمة وخارج المشروعية التي تتقوم بقرار أهل الشأن والخبرة من العلماء. فلا يخفى أن الذي جاء بالمحتل وجلب العار على الأمة وشجع على الإساءة لصورة الرسول الأعظم ﷺ هم هؤلاء أنفسهم الذين سمحوا لأنفسهم اليوم بأن يعتدوا على مشهد مقدس لأحد أبرز أحفاد النبي ﷺ ألا وهو الإمام الهادي عليه السلام. وقد بدا أن تعطشهم للدماء البريئة بلغ حدّ العطاش. فمن تفجيراتهم لحرم الإمام الحسين، وجسر الأئمة، والتفجير شبه اليومي لفضاءات العموم للحارات والأسواق والمساجد، هاهم اليوم يتناولون بجبن وخسة لتدمير مشهد، بالتأكيد لن يستطيعوا تدمير مكائته في قلوب محبيه في هذا العالم العريض، على هذه الشرذمة أن تدرك بأن لها الحق في أن تتبنى أفكارها وتدافع عنها بعلم وأخلاق. وسيكون المسلمون قابلين بها مدرسة قائمة ما لم تحرّض على قتل النفس المحترمة. بل نتمنى أن ينبثق من داخل هذا الركाम، سلفية علمية ناضجة، تدين العنف والطائفية، وتقبل بالعيش المشترك، وتتحوّل إلى مدرسة أو مذهب كلامي، يساهم في النقاش الحر والحيوي للفكر الإسلامي المعاصر. وسيكتشف هؤلاء بأن المسلمين والشيعية في مقدمتهم، معنيون بالدفاع عن حقها في التعبير عن رأيها ووجودها. ما دام أننا نسلّم بأن هؤلاء مسلمون وجزء من هذه الأمة.^(١)

إن ليل الطائفية حتماً سينجلي، وإن للملحمة سفك الدماء المحترمة نهاية لا محالة. على أن المسيئين لحرم الإمام الهادي عليه السلام حفيد الرسول الأعظم ﷺ هم من سنخ المسيء لصورة لرسول ﷺ؛ فالإساءة ملة واحدة.

جريمة جديدة أضافها تنظيم القاعدة الوهابي إلى لائحة جرائمه عندما أقدم على تفجير ضريح الإمام الهادي والإمام العسكري عليه السلام في مدينة سامراء العراقية،

(١) يا زجي، أمل، الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢، ص ١١٣.

٣٢٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

حيث قامت تلك الجماعات يوم الأربعاء ٢٢/٢/٢٠٠٦ باقتحام حرم الإمامين العسكريين بعد أن قيّدوا حماية المرقد المكونة من خمسة أفراد ثم زرعوا عبوتين ناسفتين تحت القبة المباركة وقاموا بتفجيرها وقد وقع الهجوم عند الساعة ٧ صباحاً بالتوقيت المحلي للمدينة المقدسة حيث تضرر جزء كبير من ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليه السلام كما انهارت القبة المغطاة بالذهب جرّاء تفجير العبوتين بفارق ثلاث دقائق بينهما في حين لاذ المجرمون بالفرار.

وعلى الفور صدرت بيانات الإدانة والتنديد بنفس الصيغ والعبارات التقليدية التي تحمل المسؤولية للاحتلال الأمريكي والصهاينة وهي إدانة لا تبرئ المجرمين الأصليين بل تضيف إلى جريمتهم بعداً إضافياً هو بعدُ العمالة لهؤلاء وتنفيذ مخططاتهم المعادية للإسلام والمسلمين.^(١)

فالوهابية في جهدها الرامي لتدمير أضرحة ومزارات أهل بيت النبوة والصالحين من عباد الله كانت ولا زالت تهدف إلى (تنظيف) ذاكرة المسلمين من تاريخ أهل بيت نبيهم عليه السلام ويكفي أن ننقل ما ذكره المؤرّخ الروسي أليكسي باسيليف في كتابه عن تاريخ الجزيرة العربية عندما قال: (إن الإخوان أزالوا في مكة الشاهد المقام عند موضع ولادة النبي وهدموا منزلي خديجة وأبي بكر).^(٢)

وأشار فيلبي الذي حضر موسم الحج ١٩٣١م إلى هدم كل الأضرحة والقباب في الحجاز وذكر (إن ذلك سيجعل الأجيال القادمة تنسى الوقائع التاريخية المرتبطة بهذه الأماكن).

إنه الفكر التيموي الذي أفتى بأن (المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء

(١) أبو غضة، زكي علي، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) باسيليف، تاريخ الجزيرة العربية، دار الحكمة، بيروت ١٩٧٦، ص ٦٥.

المعروفين وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك ولأحاديث آخر وليس في هذه المسألة خلاف).

ثم جاء ابن عبد الوهاب ليضيف إلى مقولات ابن تيميه مقولة جديدة سبق بها الصليبي جون فيلبي وأكد بها على ذلك البغض والشنآن الذي ملأ قلوب الفريقين للنبي وأهل بيته عندما قال: (لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين مثل الزنا والسرقة بل هو عبادة للأصنام)^(١).

أما زعم ابن تيميه أن ما يدلي به من أراجيف ليس فيه خلاف في حين أنه أسُّ الخلاف والاختلاف فتلك قاصمة الدهر حيث يقول صاحب (تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي): (وأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح أو صلياً في مقبرة قاصداً به الاستظهار بروحه أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا التوجه نحوه والتعظيم له فلا حرج فيه ألا يرى أن مرقد إسماعيل في الحجر في المسجد الحرام والصلاة فيه أفضل)^(٢).

وقد توصل الباحثان إلى مجموعة من التوصيات منها :

١. ضرورة الإسراع من قبل الحكومة العراقية لبناء الروضة العسكرية المباركة والذي بحد ذاته يمثل أكبر رد على الارهاب الكافر المتمثل بالقاعدة وداعش.

٢. إقامة الندوات والمؤتمرات التي تظهر التراث الفكري والأخلاقي لأهل البيت عليه السلام للعالم.

٣. إقامة ندوات فكرية تختص بمحاربة الفكر الارهابي (الداعشي) في العراق وخصوصاً في المناطق الخاضعة الان لداعش بعد تحريرها.

(١) فيلبي، جون، رحلة إلى الديار المقدسة، دار الحكمة، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٣.

(٢) المباركفوري، أبي العلي محمد بن عبد الرحمان بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧، ص ١٢٣.

٣٢٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣

٤. إقامة الرحلات الدينية التثقيفية لمجموعة من الشرائح من المجتمع العراقي من قبل المسؤولين عن الروضات المقدسة في العراق إلى الأماكن المقدسة لغرض التعريف الفكري والعلمي بهذه الأماكن المقدسة وإظهار القداسة التي تتمتع بها هذه الأماكن المقدسة.

٥. إشاعة الخطاب الديني المعتدل من خلال المنابر الموجودة في العتبات المقدسة والتأكيد على نبذ الطائفية والمناطقية بين أفراد المجتمع العراقي.

المصادر

- (١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.
- (٢) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ط ٢، القاهرة ١٩٦٥م.
- (٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف ١٣٧٦هـ.
- (٤) أبو غضة، زكي علي، الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، مصر ٢٠٠٢م.
- (٥) اشرف، المسترجون، زيارة إلى الشرق، دار الكتب العلمية ١٩٧٥م.
- (٦) الاصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، دار التربية، بغداد ١٩٧٦م.
- (٧) آل كاشف الغطاء، محمد الحسين، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي عليه السلام دار الأعلمي، بيروت ١٩٩٩م.
- (٨) باسيليف، تاريخ الجزيرة العربية، دار الحكمة، بيروت ١٩٧٦م.
- (٩) بيج، السير والس، رحلة إلى بلاد الرافدين، بيروت ١٩٦٧م.
- (١٠) البغدادي، السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني المنشئ، رحلة المنشئ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- (١١) الجاحظ، أبو عمر، آثار الجاحظ، دار العلمية، بيروت ١٩٦٧م.
- (١٢) الجلال، سيد أحمد، مزارات أهل النبي، دار الوراق، بيروت ١٩٨٥م.
- (١٣) جمال الدين، د. محسن، المستشرقون والأماكن المقدسة، دار الثقافة الإسلامية، بغداد ١٩٦٢م.
- (١٤) الجهماني، ثامر إبراهيم، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دمشق ١٩٩٨م.

- ٣٢٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣
- (١٥) جواد، مصطفى، سياسة الدولة العباسية في أواخر عصورها، بيروت ١٩٦٧م.
- (١٦) جونر، فليكس، رحلتي إلى الأماكن المقدسة في العراق، دار الحكمة ١٩٨٥م.
- (١٧) الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، ط ٧، بغداد ١٩٨٢م.
- (١٨) خلف الله، أحمد طه، الإرهاب أسبابه، وأخطاره، وعلاجه، مطبعة السلام، القاهرة ١٩٩٥م.
- (١٩) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، ج ١٢، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- (٢٠) داود، نبيلة عبد المنعم، نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي، بيروت ١٩٩٤م.
- (٢١) دونالدسون، دوايت، عقائد الشيعة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
- (٢٢) ريج، المستر كلوديوس، رحلة إلى بلاد الرافدين، دار الكتي العلمية، بغداد ١٩٦٢م.
- (٢٣) السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم، تاريخ مدينة سامراء، ج ٢، بغداد ١٩٧١م.
- (٢٤) سوسة، أحمد نسيم، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، ج ١، بيروت ١٩٤٨م.
- (٢٥) سيد احمد، نجاتي، الجريمة السياسية دراسة مقارنة، القاهرة، ١٩٨٢م.
- (٢٦) الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبصار في مناقب ال بيت النبي المختار، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م.
- (٢٧) الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الأمالي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٠هـ.
- (٢٨) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت ١٩٨٧م.

البحث الرابع: الروضة العسكرية بين الماضي والحاضر ٣٢٥

(٢٩) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، مكتبة الداوري، قم المقدسة ١٩٩٦م.

(٣٠) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، الغيبة، مكتبة الداوري، قم المقدسة ١٩٩٦م.

(٣١) العاملي، الحر، الرجعة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.

(٣٢) العاملي، جعفر مرتضى، الحياة الساسية للإمام الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٢م.

(٣٣) العاملي، محمد بن الحسن الحر، إثبات الهداة، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٤م.

(٣٤) عبد الرزاق، محمد، التطرف في الدين دراسة شرعية، بحث مقدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب ٢٠٠٦م.

(٣٥) عزام، عبد الوهاب، رحلة إلى سامراء، بيروت ١٩٨٧م.

(٣٦) العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، ج ٣، مصر ١٩٦٥م.

(٣٧) عكبري، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، المفيد، النجف ١٣٩٢هـ.

(٣٨) العميد، د. طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء، ط ١، بغداد ١٩٧٦م.

(٣٩) فيلبي، جون، رحلة إلى الديار المقدسة، دار الحكمة، بيروت ١٩٦٥م.

(٤٠) الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٥هـ.

(٤١) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.

(٤٢) لويد، المستر سيتون، مدن العراق الأثرية، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٧م.

(٤٣) ماكدونالد كينير، الكابتن جون، مذكراتي في الشرق، دار المعارف، بيروت

٣٢٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعهد السلام المجتمعي) / ج ٣

١٩٦٥ م.

(٤٤) المباركفوري، أبي العلي محمد بن عبد الرحمان بن عبد الرحيم، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧.

(٤٥) المحلّاتى، الشيخ ذبيح، مآثر الكبراء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٨٨ هـ.

(٤٦) مغنية، محمد جواد، الشيعة والتشيع، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٧ م.

(٤٧) المقرئى، تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٧.

(٤٨) النورى، سيد أحمد، كشف الأستار، دار الحكمة، بيروت ١٣١٨ هـ.

(٤٩) نىجهولت، رحلة نحو الشرق، مطبعة الخيام، قم المقدسة ١٩٧٥ م.

(٥٠) الهندي، حسين الموسوي، الكلم الطيب، دار الحكمة، بيروت ١٩٨٨ م.

(٥١) هوليستر، شيعة الهند، دار العلوم، بيروت ١٩٧١ م.

(٥٢) يازجى، أمل، الإرهاب الدولى والنظام العالمى الراهن، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢ م.

(٥٣) ياسين، السيد، تشريح لظاهرة الفكر المتطرف للكاتب، دار الحكمة، بيروت ٢٠٠٧ م.



البحث الخامس
التنمية البشرية
في فكر الإمامين العسكريين عليهما السلام

الباحث: أ.م. حيدر محمد / هناء حميد الشلاه

جامعة بابل

كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، وصلى الله على أشرف الرسل والأنبياء محمد المبعوث رحمة لأهل الأرض والسماء، وعلى آله الطيبين الطاهرين النجباء.

يعدُّ الفكر المنبثق من سيرة النبي محمد وآله الطاهرين منهلاً عذباً نقياً وهبه الله تعالى للبشرية ليرتشفوا منه، وينهلوا من عطائه الفيّاض، وبذلك تسعد نفوسهم وتتكامل شخصياتهم وتنمو قدراتهم وقابلياتهم وتصلح شؤون دنياهم وآخرتهم.

وفي الوقت ذاته يشهد العالم تطوراً واهتماماً ملحوظاً في علم (التنمية البشرية) ولا يخفى أن موضوعات التنمية عموماً والتنمية البشرية على وجه الخصوص كانت ولا تزال محط اهتمام الخاصة والعامة لما لها من أثر كبير في تطوير حياة الفرد والمجتمع، وهي ما تنفك بين مرة وأخرى تستقطب الاهتمام من قبل الشعوب والأمم، فالأمم التي تروم النهوض بواقعها لا بدّ لها أن تتبنى منهجاً تنموياً واضحاً من أجل تنمية الإنسان والوصول به لأرقى درجات إنسانيته.

وبحثي هذا يحاول الكشف عن المبادئ والأسس التي يمكن الوصول إليها واستخلاصها من سيرة الإمامين العسكريين عليه السلام بوصفهما رافداً من روافد منبع العطاء الإلهي.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتضمّن تمهيداً بيّن فيه معنى التنمية البشرية،

٣٣٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

والتعريف بالإمامين العسكريين عليه السلام تليه مادة البحث مقسمة على ثلاثة مطالب:
المطلب الأول بيّن في الآثار الإيمانية ودورها في التنمية البشرية ودورها في التنمية البشرية في فكر الإمامين العسكريين عليه السلام، والمطلب الثاني الآثار العبادية ودورها في التنمية البشرية ودورها في التنمية البشرية في فكر الإمامين العسكريين عليه السلام، والمطلب الثالث الآثار الأخلاقية والتربوية ودورها في التنمية البشرية في فكر الإمامين العسكريين عليه السلام، وتلتها خاتمة دوّنت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج البحث، تليها قائمة بالمصادر والمراجع الأساسية للبحث.

تمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمامين العسكريين:

يطلق مصطلح الإمامين العسكريين على كل من الإمام علي بن محمد الهادي، والإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام، وفيما يأتي سأذكر تعريفاً موجزاً عن كل من هذين الإمامين المهمين عليهما السلام.

والعسكري هو لقب للإمام الحسن بن علي الهادي عليه السلام، ويطلق على الإمامين علي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري عليهما السلام، من باب التغليب، أمّا سبب تلقيب الإمام الحسن عليه السلام، بالعسكري ففيه ثلاثة آراء:

الأول: نسبةً لسكناه في محلة في سامراء إذ كانت تسمّى بالعسكر؛ لأنها كانت حاشية الجيش ولذلك سمي الإمام عليه السلام، بـ (العسكري) ^(١).

الثاني: وقيل: إن كل سامراء تسمّى بالعسكرية؛ لأن المعتصم انتقل إليها بعسكره.

الثالث: أنّه لُقّب بالعسكري لما رآه الخليفة العباسي من عظمة عسكر الإمام المعجز؛ إذ روي أن المتوكل أو الواثق أو غيرهما أمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسرّ من رأى أن يملأ كل واحد مخلاة فرسه من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط تربة واسعة هناك، ففعلوا، فلما صار مثل جبل عظيم واسمه تل المخالي صعد فوقه، واستدعى أبا الحسن عليه السلام واستصعده، وقال: استحضرتك لنظارة خيولي وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجانيف ويحملوا الأسلحة وقد عرضوا بأحسن زينة، وأتم عدة، وأعظم هيبة وكان غرضه أن يكسر قلب كل

(١) ينظر: الصدوق، علل الشرائع ج ١ ص ٢٤١.

٣٣٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجمعين) / ج ٣

من يخرج عليه وكان خوفه من أبي الحسن عليه السلام، أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج على الخليفة . فقال له أبو الحسن عليه السلام: وهل أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق والمغرب ملائكة مدججون، فغشي على الخليفة، فلما أفاق قال أبو الحسن عليه السلام: نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشغولون بأمر الآخرة فلا عليك شيء مما تظن^(١).

أولاً: الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام:

هو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أول أبناء الإمام الجواد عليه السلام، ولد في الثاني من رجب من عام ٢١٢ هـ، إذ استقبلت المدينة المنورة هذا النور المحمدي المتألق وعم البيت الهاشمي فرح عظيم، فسماه والده علياً باسم جدّه الرضا وجدّه الأكبر أمير المؤمنين، وكنّاه بأبي الحسن ومشت ألقابه الكريمة تعبّر عن محبّاه الكريم وسيرته الزكيّة، فكان النجيب والمرضى والهادي والنقي والعالم والفقير والأمين والمؤمن والطيب والمتوكل^(٢).

ثانياً: الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

هو الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد في اليوم العاشر من الربيع الثاني من عام ٢٣٢ هـ وفي مدينة الرسول؛ إذ استقبل بيت الإمام الهادي عليه السلام ثاني أبنائه من امرأة فاضلة، صالحة كانت تسمّى حديث أو سلسل^(٣). لُقّب بالعسكري وكان يلقب أيضاً بـ: الصامت، الهادي، الرفيق، الزكي، النقي، وكانت تعكس هذه الألقاب الخصال

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠ - ص ١٥٥.

(٢) ينظر: الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تهذيب الأحكام، ج ٦، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ ش. ص ٩٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٣٦.

الحميدة التي تجلّت في حياته للناس وكانت كنيته أبا محمد، والعامّة من الناس، كانوا يلقبونه هو وأباه وجدّه بابن الرضا عليه السلام^(١).

وكان للإمام أخ أكبر سنّاً يُسمّى به (محمد) عظيم الشأن جليل المنزلة وكانت أنظار أبناء الطائفة ترمقه بصفته الإمام بعد والده، باعتباره أكبر أولاده، إلّا إن الإمام الهادي عليه السلام، كان يشير لخواص أصحابه أن صاحب العهد من بعده إنما هو أبو محمد الحسن، وفعلاً قبض محمد في سن مبكر ودفن حيث مرّقه اليوم بين بغداد وسامراء إذ يتوافد عليه الزوّار ويدعون الله هناك فيستجيب لهم كرامة له ولآبائه الطاهرين، وبوفاة السيد محمد عرف الجميع أنّ الإمام الحادي عشر سيكون أبا محمد الحسن عليه السلام. ولمزيد من التوضيح قال له الإمام الهادي عليه السلام عند جنازة محمد كلمته المشهورة: «يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً»^(٢).

المطلب الثاني: التعريف بمفهوم التنمية البشرية:

التنمية البشرية هي أحد جوانب التنمية الواسعة ومفهوم بدأ وتطوّر من عقد إلى آخر، وفي كل فترة كان يستخدم أكثر من تعبير للدلالة على هذا المفهوم، فلقد استخدم - مثلاً - في البداية تعبير (تنمية العنصر البشري) أو (تنمية الرأس مال البشري) أو (تنمية الموارد البشرية) أو (التنمية الاجتماعية)... إلخ إلى أن استقرّ الرأي حالياً، أقله على المستوى الفكري عند استخدام هذا المفهوم بالشكل الذي حدده برنامج الأمم المتحدة الانمائي عبر عمله الرائد الذي برز مع بداية التسعينات عبر اصدار تقرير التنمية البشرية^(٣).

(١) ينظر: الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام، ج ٦، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ ش. ص ٩٢.

(٢) الشيخ الكليني (٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ، ص ٣٢٦.

(٣) ينظر: جورج القصيفي، التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، التنمية البشرية في الوطن

٣٣٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمعي) / ج ٣

أمّا في تقرير الأمم المتحدة الخاص بالتنمية البشرية عام ١٩٩٣ فقد عرّف التنمية البشرية بأنّها: تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس، وتنمية الناس معناها، الاستثمار في قدرات البشر، سواء في التعليم، أو الصحة، أو المهارات، حتى يمكنهم العمل على نحو منتج، وخلاق، والتنمية من أجل الناس معناها كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعاً واسع النطاق، وعادلاً، والتنمية بواسطة الناس أي إعطاء كل امرئ فرصة المشاركة فيها.^(١)

ويرى حامد عمار أنّ التنمية البشرية هي: (توفير وإتاحة الفرص المجتمعية، والبيئية لنمو الطاقات الجسدية، والعقلية، والروحية، والإبداعية، والاجتماعية إلى أقصى ما تستطيعه طاقات الفرد والجماعة)^(٢).

مما تقدّم يمكن القول أنّ مفهوم التنمية البشرية مفهوم واسع وحيوي ويستهدف الإنسان من أجل تطويره والاستفادة من إمكانياته وقدراته وطاقاته وتوظيفها في الاتجاه الصحيح خدمة لنفسه وأهله ومجتمعه.

إنّ المتأمل في علم التنمية البشرية بمفهومه المتعارف عليه في الأوساط العلمية والأكاديمية؛ والتي استعرضنا قبل قليل بعضاً منها؛ يجد المتأمل في هذا المفهوم وما فيه من مبادئ ومرتكزات أنّ هذا العلم قد عاجله القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام بأوسع مجالاته، فقد ركزت رسالة الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم والعترّة الطاهرة على بناء الإنسان بناءً سليماً وتنميته معتمدة مختلف الأساليب التربوية وأروعها.

وفي بحثي هذا سأستقي مفاهيم التنمية البشرية ومواردها من رافدين من

العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٩٥، ص ٨١.

(١) ينظر: تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ١٩٩٣ ص ٣.

(٢) حامد عمار، التنمية البشرية في الوطن العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٤٣.

روافد أهل بيت النبوة والرسالة؛ وهما الإمامان العسكريان علي بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكري عليهما السلام مستفيداً من كلامهما النير في تحديد مجموعة من الأسس التي تسهم في بناء شخصية الإنسان وتنميتها تنمية مستقيمة ونافعة.

التنمية البشرية في ضوء علاقة الإنسان مع الخالق والمخلوق:

يمكننا بيان أثر التنمية البشرية في بناء شخصية الفرد في ضوء علاقته مع ربه من جهة، ومع الناس من جهة أخرى؛ وذلك في مطلب ثلاثة: المطلب الأول يتضمن الآثار الإيمانية، والمطلب الثاني، يتضمن الآثار العبادية، والمطلب الثالث يتضمن الآثار الأخلاقية والتربوية، وفيما يأتي بيان ذلك.

المطلب الأول: الآثار الإيمانية:

(كلمة الإيمان مشتقة من «أمن» الذي ضدّ الخوف).^(١) ولا نبالغ إذا قلنا: إنَّ الإيمان يُعدُّ من أسمى المعاني والمفاهيم التي تعنى بشخصية الفرد وتكوّن ذاته، لذا نعتها علماء الأخلاق والتربويون بأروع الصفات، إذ يرى الشيخ الكليني بأنّ المؤمن الذي يعيش بإيمانه قلماً تزعزعه عوادي الدهر، وهو أشبه ما يكون بالجبل الراسخ الذي لا تزعزعه العواصف، ولا تتسرب إلى قلبه مخاوف ذهاب النفس والمال والولد والجاه والمكانة الاجتماعية، ولا تزلزله أمثال هذه الهزاهز المريعة، وإنّما يسلم قياده إلى ربه في مجابتهها، ومن هنا ورد الحديث الشريف في وصف الإيمان بأنّه التسليم المطلق لله^(٢).

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) ينظر: الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٢-٥٣، الحديث ١.

٣٣٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

رَاجِعُونَ^(١) ويرى الخوانساري أنَّ: (الإيمان يبعث في الروح الطمأنينة وينتشلها من خلجات الشكِّ والرَّيب، ويبلغ بها ساحل الأمن الفكري واليقين)^(٢) في حين يصفه الأشكوري بأنَّه: (عبارة عن شغف قلبي يأتي كحصىلة لنوع من المعرفة التي يمازجها حب واندفاع، ويعقبها حصول الفراغ والراحة للقلب، ولا بدَّ من التنبيه إلى أنَّ مجرد الرغبة في الشيء أو الوعي له ليس إيماناً؛ فنحن نحبُّ الكثير من الأشياء كالبلدان والأشخاص والأطعمة والثياب)^(٣). وقد وردت في كلمات الإمامين العسكريين عليه السلام عباراتٌ عديدة تؤكد على أهمية الإيمان في جوانبه المتعددة وأثرها في تنمية شخصية الفرد، وفيما يأتي نذكر الأحاديث الشريفة للإمامين العسكريين عليه السلام مع بيان موجز.

١. الإيمان بتوحيد الله تعالى:

والمراد بالتوحيد (تفرد الله (عزَّ وجلَّ) بالألوهية والخلق والتدبير، وعليه يتفرَّع استحقاقه تعالى للعبادة، وتفردَه بذلك. وهو أمر قد فُطر الإنسان عليه مهما كابر وغالط، وقد تركَّز في أعماق نفسه وانطوى عليه ضميره من دون تكلف)^(٤). وقد تعرَّض الإمامان العسكريَّان عليه السلام لمباحث متعددة ترتبط بالتوحيد أهمُّها:

أ. معرفة الله وصفاته:

من أهم عوامل تنمية الذات البشرية هي معرفة خالقها، وهذا ليس بالأمر اليسير، لذا علينا أن نرجع إلى أهل الذكر الذين أمرنا الله بالرجوع إليهم ليرشدونا إلى السبيل الصحيح لذلك، وقد جاء عن الإمام الهادي عليه السلام في حديثه عن مستوى معرفة الصفات الإلهية بقوله: «إنَّ الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنِّي يوصف

(١) سورة البقرة / ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) الخوانساري، جمال الدين، شرح غرر الحكم، ج ٥، ص ٢٣١٤، الحديث ٧٦٣٩.

(٣) الأشكوري، علي الحسيني، منهاج الحياة، ص ٥٣.

(٤) الحكيم، محمد سعيد، أصول العقيدة، ص ٥٥.

الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه والأبصار عن الإحاطة به، نثى في قربه وقرب في نأيه، كيف وكيف بغير أن يقال: كيف؟ وأين الأين بلا أن يقال: أين؟ هو منقطع الكيفية والأينية، الواحد الأحد جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه»^(٥).

ومعنى ذلك أنّ الإنسان لا يستطيع بمحض قدرته وقابليته أن يصف الله جلّ وعلا، ولذا على الإنسان السّوي أن يتوقف في معرفة صفات الله تعالى بها ذكرها هو تبارك وتعالى، فقد وصف الله نفسه بأنّه: (ربّ العالمين، والرحمن، والرحيم، ومالك يوم الدين، وغير ذلك...) وهذه كلها صفات معنوية، أمّا غير ذلك من صفات الزمان والمكان والكيف فإنّه أمر لا يستطيع الإنسان بقدراته الحسية والإدراكية والوهمية معرفتها فضلاً عن الإحاطة بها؛ لأنّه تعالى هو الذي خلق كلّ شيء بها في ذلك الزمان والمكان والكيف. بما عرّف نفسه، وهذا أمر عندما يكون هناك شعور باطني لدى الإنسان بالميل إلى الله تعالى، فلا بدّ أن تكون لديه معرفة به، وإلا فلا يمكن أن يكون هناك ميل إلى مجهول مطلق، ولا يمكن أن يميل الإنسان إلى شيء ليس لديه أيّ علم به. ويتجلّى هذا الشعور لدى الإنسان بشكل أوضح في الشدائد والظروف العصيبة، وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٦). ومن المباحث الأساسية في معرفة الله عزّ وجلّ معرفة الصفات، إذ إنّ لله صفات وأفعالاً يمكن للبشر معرفتها، وإن كانت هذه المعرفة محدودة. وذات الله لا يمكن معرفتها، ولكن صفاته وأفعاله المتجسدة في هذا العالم يمكن فهمها ومعرفتها^(٧).

(٥) الحرّاني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٥٤.

(٦) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٧) الأشكوري، منهاج الحياة، ص ٨١.

ب. الإيمان بالله:

بعد أن يعرف الإنسان ربه يرتقي إلى مرتبة أعلى وهي مرتبة الإيمان به، فإذا نال هذه المرتبة يكون قد حظي بعناية إلهية كبيرة وتوفيق ليس بعده توفيق، إذ يقول الإمام العسكري عليه السلام: «خصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله ونفع الأخوان»^(١).

إن وجود سمة الإيمان في شخصية الفرد تنشأ منها آثار عظيمة ليس على المؤمن فحسب بل حتى على الكافر، فقد ورد في حديث للإمام العسكري عليه السلام: «المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر»^(٢).

ولا يفوتنا أن نتأمل في الرواية الشريفة السابقة لنستنتج منها أهمية نفع الإخوان إذ قرنها الإمام عليه السلام بالإيمان بالله تعالى، ولذلك أبلغ الأثر في تقوية النسيج الاجتماعي وخلق حالة من الاستقرار والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وهذا هو الإيمان التطبيقي والواقعي والحركي.

ج. التفكير في أمر الله:

إن المتبع للتشريع الإسلامي بمصادره المتعددة يجده قد أولى عناية كبيرة بالتفكير والتدبر، فدعا إلى انطلاقه وتفتح آفاقه، وألزم باستخدامه واللجوء إلى حكمه، وقد تضافرت الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنه الحجة الباطنية، وأنه مما يعبد به الرحمن، ويكسب به الجنان، ويعد حكمه من الأدلة الأربعة التي يستنبط منها الفقيه الحكم الشرعي عند الشيعة الإمامية^(٣)، وقد امتدح الله تعالى في كتابه العزيز عباده الذين يتفكرون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الأشكوري، منهاج الحياة، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

(٣) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٣٢.

مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ كما ذم أولئك الذين عطّلوا عقولهم فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢).

وقد يتوهم البعض بأنّ العبادة الحقيقية لله عزّ وجلّ تتحقق بالصلاة والصيام وباقي الفرائض، إلا أنّ الإمام العسكري عليه السلام يلفت أنظارنا إلى بُعدٍ آخر يمثل روح العبادة الذي لولاه لأصبحت كل عبادتنا جامدة جوفاء لا حيوية فيها وهذا البُعد هو التفكّر في أمر الله ويظهر ذلك من قوله عليه السلام: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله» (٣).

ث. الإيمان بأنّ الله تعالى هو الواهب الحقيقي للنعم جميعاً:

قد يشعر الإنسان في لحظة من لحظات النجاح والتقدّم والانتصار بأنّه قوي ومستقل بقدراته، ولا حاجة له بالله عزّ وجلّ وهذا شعور خاطئ وخطير، لأنّه سرعان ما يتنامى في شخصية الإنسان حتى يصل به إلى مرحلة الطغيان والتمرد، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبَّارٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (٤).

أول النعم (العقل والنطق):

ومن أهم النعم التي وهبها الله عزّ وجلّ للإنسان هما نعمتا العقل والنطق، وبهما ميّزه عن سواه من المخلوقات وهذا ما صرّح به الإمام الهادي عليه السلام بقوله: «فأول نعمة الله على الإنسان صحة عقله وتفضيله على كثير من خلقه بكمال العقل وتمييز البيان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

(١) سورة آل عمران: ١٢١.

(٢) سورة الأنفال: ٢٢.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ٣٦١.

(٤) سورة العلق: ٣-٨.

٣٤٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

فَعَدَلَكْ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿١﴾ ثُمَّ أَكْمَلَ نِعْمَهُ عَلَيْهِ بِالْحَوَاسِ فَهُوَ قَائِمٌ
بِنَفْسِهِ بِحَوَاسِهِ مُسْتَكْمِلٌ فِي ذَاتِهِ، فَفَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالنُّطْقِ الَّذِي لَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ
الْمَدْرُكِ بِالْحَوَاسِ، فَمَنْ أَجَلَ النُّطْقِ مَلَكُ اللَّهِ ابْنُ آدَمَ غَيْرُهُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى صَارَ أَمْرًا
نَاهِيًا وَغَيْرُهُ مُسَخَّرٌ لَهُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ النِّعَمِ الَّتِي مَلَكَهَا الْإِنْسَانُ أَنْ
يَدْعُوهُ إِلَى اتِّبَاعِ أَمْرِهِ وَإِلَى طَاعَتِهِ بِتَفْضِيلِهِ إِيَّاهُ بِاسْتَوَاءِ الْخَلْقِ وَكَمَالِ النُّطْقِ وَالْمَعْرِفَةِ بَعْدَ
أَنْ مَلَكَهُمْ اسْتَطَاعَةَ مَا كَانَ تَعَبَّدُ بِهِمْ بِهِ» (٢).

إِنَّ الْإِعْتِقَادَ بِهَذَا الْأَمْرِ يَنْعَكُسُ بِشَكْلٍ وَاضِحٍ عَلَى شَخْصِيَةِ الْإِنْسَانِ وَيَقُومُ
ذَاتُهُ نَحْوَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لِأَنَّهُ يُجْعَلُهُ مَقْرَأً بِنِعَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ دَائِمٌ
الشُّكْرَ وَالْإِمْتِنَانَ لِخَالِقِهِ، وَبِالتَّالِي يَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى دَائِمَ الْخَيْرِ وَالْعِطَاءِ لَهُ، وَالْعَكْسُ
بِالْعَكْسِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ﴾ (٣).

ج. شكر المنعم:

الشُّكْرُ هُوَ عِرْفَانُ النِّعْمَةِ وَإِظْهَارُهَا وَالثَّنَاءُ عَلَيْهَا، وَهُوَ عَلَى قَسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ
يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالشُّكْرِ الْقَلْبِيِّ، وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ الْإِنْسَانُ أَنَّ النِّعْمَ كُلَّهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ
هُوَ الْمُسَبَّبُ وَالْوَاهِبُ لَهَا. وَالثَّانِي شُكْرُ الْجَوَارِحِ وَيَتَحَقَّقُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ لِهَذَا
الْمُنْعَمِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا وَقَسَّمَ أَرْزَاقَهَا وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ
سِرَّ إِدَامَةِ النِّعَمِ بَلْ وَنَمَائِهَا هُوَ شُكْرُ الْمُنْعَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٤) وَنَرَى بَيَانَ ذَلِكَ فِي رِوَايَةِ بَلِيغَةٍ لِلْإِمَامِ
الْهَادِي عليه السلام يَقُولُ فِيهَا: «الشَّاكِرُ أَسْعَدُ بِالشُّكْرِ مِنْهُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أَوْجِبَتْ الشُّكْرَ، لِأَنَّ

(١) سورة الانفطار: ٦ - ٨.

(٢) الحُرَّانِي، تحف العقول، ص ٣٥٤.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) سورة إبراهيم، ٧.

النعم متاع والشكر نعم عقبى»^(١). وفي هذه الرواية إشارة واضحة على أن وجود سمة الشكر في شخصية الفرد تُسهم بشكل كبير في ترقّيها وبلوغها أعلى المراتب.

و. تقوى الله:

تُعَدُّ التقوى صفة مهمة جداً في استقرار شخصية الأفراد والمجتمعات وسعادتها في الدنيا والآخرة، وإن السير بخلاف ذلك لا يعود على أهله إلا بالخسران، ودليل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) ومن أهم ما يميّز هذه الصفة لدى الإنسان أن الله عزّ وجلّ جعلها ميزاناً ومعياراً لأفضلية الإنسان وعلو مكانته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣).

وقد وردت في فضل التقوى وبيان مكانة المتقي آيات قرآنية كثيرة وروايات أكثر يتّضح من خلالها أن الله تعالى منح المتقين من عباده منزلة كريمة في الدنيا، كما منّ عليهم فجعل ذكرهم خالداً وحياتهم قدوة، وفي الآخرة بوأهم الفردوس والنّعيم الدائم.^(٤) ومن هذه الخصائص ما ورد في حديث الإمام الهادي عليه السلام: «من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين ومن أسخط الخالق فليقن أن يحلّ به سخط المخلوقين»^(٥) فهو يبيّن أن صفة التقوى تُعطي للإنسان حصانة عالية تجعله مهابةً ومطاعاً من قبل الناس مهما علّت مراتبهم، على العكس من ذلك الذي لا يتقي الله فإنّه يكون ضعيفاً هيناً عند المخلوقين مهما دنت مراتبهم.

(١) الحَرَاني، تحف العقول، ص ٣٥٧.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(٤) ينظر، القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٤١.

(٥) الحَرَاني، تحف العقول، ص ٣٥٦.

خ. الورع في الدين والإخلاص لله :

الورع والإخلاص سمتان ضروريتان ينبغي للفرد أن يتحلّى بهما بعد أن يتحلّى بِسِمَةِ التقوى. والورع هو الاجتناب عن الحرام والتنزّه عنه، وعن مال الحرام أكلاً وطلباً وأخذاً واستعمالاً، وقد يفسّر بمنع النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عمّا لا ينبغي^(١). أمّا الإخلاص فهو تطهير النية والعمل عن أية شائبة مناقضة للتوحيد، والإخلاص سرٌّ من الأسرار الإلهية توجب للمحبوبين من العباد، وهي حالة يجب أن تعمّ جميع الشؤون الفردية والاجتماعية، ولكن بما أنّ مقرّها ذات الإنسان، فهي حالة فردية تماماً^(٢). ونظراً لأهمية هاتين فقد أكّد عليهما الإمام العسكري عليه السلام في وصيته لشيعته بعد أن ذكر التقوى إذ قال: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله»^(٣) وذكر عليه السلام أعظم حالات الورع بقوله: «أورع الناس من وقف عند الشبهة»^(٤) وهذا التعظيم لهذا المردّ تحديداً - أعني الشبهة - لم يرد عبثاً على لسان الإمام عليه السلام بل لأهمية الشبهة وأثرها البالغ في تفكيك عرى الإيمان عند عامّة الناس، بل وحتى المؤمنين، لأنّ الشبهة سمّيت شبهة لأنّها تشبه الحقّ، ولذا يصف الإمام عليه السلام من يقف عند الشبهات ولا يتأثر بها بـ «أورع الناس».

إنّ حثّ القرآن الكريم والروايات الشريفة، وتأكيد أحاديث الإمامين العسكريين على سمتي الورع والإخلاص يبيّن بشكل واضح أهمية هاتين السمتين وأثرهما الكبير في بناء شخصية الفرد بناءً سليماً خالياً من الشوائب.

(١) الهاشمي، عبد الله، الآداب والأخلاق الإسلامية، ص ٥١٤.

(٢) الأشكوري، منهاج الحياة، ص ٢٥٥.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٤) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

٢. الإيثار بالعدل:

يعرّف العدل بأنّه وضع الشيء في موضعه المناسب. وفي ضوء ذلك يوصف الله عزّ وجلّ بالعدل، فهو الذي خلق الإنسان حرّاً وأودع فيه حرية الاختيار، لكي يختار بإرادته الحقّ أو الباطل. وعلى هذا فإنّ اقتراف القبائح إنّما هو من فعل الناس أنفسهم، ويقومون بإرادتهم وهم مسؤولون عن عملهم. وطالما كان الأمر كذلك، يتّضح أنّ ثواب المحسنين وعقاب المسيئين أمر منطقي وموجّه. وهذا أقل ما يرتجى من إله حكيم وعادل. فالله لا يجبر أحداً على فعل من أفعاله.^(١)

لا جبر ولا تفويض وإنّما أمر بين أمرين:

يُعدّ مفهوم الجبر والتفويض من أهم المفاهيم الداخلة في أصل العدل، والتي لها أثرها الكبير جداً في تحديد مسارات شخصية الإنسان وعلاقته بالخالق العظيم بالنسبة لأفعاله التي يقوم بها، ونظراته إلى المواقف والأحداث التي تواجهه، ويرتبط مفهوم الجبر والتفويض بمسألة القضاء والقدر، وقد شغلت هذه المسألة أذهان النّاس منذ القدم، وحقيقة الأمر أنّ النّاس اختلفوا في تفسير المسبب لفعل الإنسان، فذهب بعضهم إلى أنّ الله وحده هو الذي يسبب أفعال الإنسان ويجبرهم عليها، ويُطلق عليهم الجبرية، وقال آخرون: إنّ الله فوّض الإنسان وأعطاه القدرة المطلقة في اختيار أفعاله ويُطلق عليهم المفوّضة، إنّ هذا الاختلاف في مسألة مهمة كهذه المسألة سببه أنّ بعض النّاس لم يرجعوا إلى ولاية الأمر الذين نصبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرنا باتباعهم.

لقد بيّن الأئمة المعصومون عليهم السلام حقيقة هذه المسألة مراراً وتكراراً، بدءاً من الإمام علي عليه السلام وحتى الإمام الهادي عليه السلام، فعندما سئل عنها أجاب عليه السلام مستشهداً بقول جدّه الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين»^(٢).

(١) الأشكوري، منهاج الحياة، ص ٨٩.

(٢) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

وقد استدلل عليه على بطلان الجبر بقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(١) فهو يستلزم ظلم الله تعالى لعباده مع أي كثرة في بيان هذا المعنى. وبعد أن ذكر الإمام الهادي عليه السلام هذه الأدلة القرآنية قال: «فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلمه في عقوبته، ومن ظلم الله فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة»^(٢).

وكما أبطل الإمام الهادي عليه السلام اعتقاد الجبرية أبطل اعتقاد المفوضة بقوله: «وأما من قال بالتفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام ومقاتله عليه السلام في ذلك: إن الله عز وجل خلق الخلق بقدرته وملكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليها والله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به وينهى عما يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه... فأبطل اختيارهم ولم يجز لهم آراءهم إذ قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبُّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٣) ولذلك اختاروا من الأمور ما أحب ونهى عما كره، فمن أطاعه أثابه. ومن عصاه عاقبه»^(٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أننا ذكرنا هذه المسألة في بحثنا لما لها من أثر كبير في بناء شخصية الإنسان، فالإنسان الذي يعتقد بأنه مجبر على أفعاله الحسنة لا يشعر بقيمة

(١) سورة الكهف: ٤٩.

(٢) الحُراني، تحف العقول، ص ٣٤٠.

(٣) سورة الزخرف: ٣٢.

(٤) الحُراني، تحف العقول، ص ٣٤٤.

عمله وإحسانه لأنّه خارج عن إرادته، وأمّا ذلك الذي يعتقد بأنّه مجبر على أفعاله السيئة فإنّه يتنصل ويتذرع بأنّ فعله خارج عن إرادته، أمّا الذي يكون معتقده نابعاً من مدرسة أهل البيت عليهم السلام فإنّه يؤمن بأنّ الله تعالى له القدرة المطلقة على الكون بأسره، وأنّه يصّر الإنسان بطريق الخير وطريق الشر وهده إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) مع إعطائه الإرادة في اختيار الفعل الذي يرغب فيه.

٣. التمسك بالقرآن والعترّة:

بعد بيان النصوص الواردة عن الإمام الهادي عليه السلام والتي حدّد فيها عقيدة الإنسان بخالفه، وذكر أدلة عدله وحكمته، تنتقل إلى قضية أخرى في غاية الأهمية، ولها مدخلة كبيرة في تحديد هوية الفرد ومن ثمّ رسم معالم شخصيته، ذكر عليه السلام الجانبين اللذين يجب على الأمة التمسك بهما لتنجو من الهلاك، فنقل عن جده المصطفى صلّى الله عليه وآله قائلاً: «ولذا أكد على الجانبين اللذين لا نجاة للأمة إلا بالتمسك بهما»، واستدل عليه السلام بحديث الثقلين: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي - أهل بيتي - لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما وإنيما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»^(٢)، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

إنّ الأثر الذي يتجلّى من تحديد المنهجية التي ينبغي للإنسان اتباعها بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي التمسك بالقرآن والعترّة، عميق جداً، ويمكن للباحث أن يلحظه من

(١) سورة الإنسان: ٣.

(٢) الشريف المرتضى (٤٣٦هـ)، الانتصار، تحقيق: مؤسسة النصر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٥هـ. ص ٨٠.

(٣) سورة المائدة: ٥٥ - ٥٦.

٣٤٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

خلال التأمل والتدبر في القرآن الكريم والروايات الشريفة، التي تناولت كل مفاصل الحياة، وأن يعتمد في سلوكياته كلها على هذين المصدرين، والرجوع إلى أهل العلم والفضل لمعرفة ما خفي من أسرارهما، ويمكننا أن نلاحظ جانباً آخر اعتمده الإمام عليه السلام في بيانه، وهو الاستدلال من القرآن والسنة بأدلة لا تقبل التأويل والتغيير، وقد تسلم عليها المسلمون جميعاً، وهذا أساس مهم ينبغي للإنسان اعتماده في مناظراته.

٤. الإيمان بالمعاد.

إنّ العامل الرئيس في تحديد طريقة الحياة ومسيرتها يكمن في نوع نظرة الإنسان ورؤيته ومعرفته بحقيقته وكماله وسعادته، فمن يعتقد أن حقيقته ليست إلا مجموعة من العناصر المادية، والتفاعلات المعقدة فيما بينها فإنّه سوف ينظّم أعماله وسلوكه بما يشبع حاجاته الدنيوية ومتطلبات هذا العالم، أمّا ذلك الذي يؤمن بأن حقيقته أوسع وأبعد من الظواهر المادية، ولا يرى في الموت نهاية للحياة بل يراه منعطفاً ينتقل منه من هذا العالم المؤقت العابر إلى عالم خالد باقٍ يلقي فيه عاقبة أعماله فيثاب المحسن، ويعاقب المسيء؛ فإنّه سوف يخطط وينظّم حياته بطريقة تكون معها أكثر عطاءً وأفضل تأثيراً على حياته المؤبدة؛ وهذا هو الإيمان بحقيقة المعاد^(١).

٥. الإكثار من ذكر الموت:

ذكر الموت له أثر مهم في ضبط النفس والردع عن كل عمل القبيح، فإن ذكره الدائم باللسان بعد استشعاره بالوجدان يوجّه الأنظار إلى تلك الحقيقة التي تنهدم فيها الشهوات واللذات، ويصبح الإنسان من خلالها رهين القبر بانتظار الثواب والعقاب، فيتوجه بجميع جوارحه نحو المثل والقيم العليا ليجسدها في واقعه السلوكي والخلقي^(٢) وقد أكد الإمام العسكري عليه السلام على هذا الجانب بقوله: «أكثرُوا

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٣٧.

(٢) ينظر: اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الإسلامية، ج ٣، ص ٣٧٦.

ذكر الله وذكر الموت»^(١) فالإنسان كلما كان ذاكراً للموت كان محاسباً لذاته مقوماً لشخصيته، رافضاً لكل ما يهونها ويضعفها، على العكس من ذلك الذي يغفل عن ذكر الموت، فإنه يكون ضعيف الشخصية منهزم الذات.

المطلب الثاني: السمات العبادية:

حقيقة العبادة في الإسلام:

(معنى العبادة شرعاً: هي إذعان العبد وخضوعه وتذللته لخالقه عزَّ وجلَّ بغاية المحبة. وهي لا تقتصر على أتمها التكليف الشرعية فحسب كما يفهمها بعض الناس، وإنما العبادة تشمل جميع مناحي الحياة، فهي ليست طقوساً ورسوماً تؤدي داخل المعابد والصوامع فقط، بل تشمل كل عمل وقول يرتفع عليه شعار الاستسلام لله)^(٢).

١. الصبر على بلاء الدنيا لنيل ثواب الآخرة:

قال الإمام الهادي عليه السلام: «إنَّ الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً»^(٣). وقال عليه السلام: «الدنيا سوق ربح بها قوم وخسر آخرون»^(٤).

من هاتين الروايتين الشريفتين يمكننا فهم حقيقة أساسية ومهمة جداً في شخصية الإنسان، ولها آثارها في حياته الأخروية، وهذه الحقيقة هي الصبر على نوائب الدنيا، (وهذا الأمر يدعو إلى تماسك الشخصية وتوازنها، وعدم انهيارها أمام محن الأيام وخطوبها، وقد أكد الإسلام على هذه الظاهرة بصورة خاصة، وحثَّ

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٢) أبو عجوة، محمد نجيب أحمد، المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص ٣٧٩.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

٣٤٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعبّاد السّلم المُجمعي) / ج ٣

المسلمين على التحلّي بها، ومن يتخلّق بها فإنّ الله يمنحه الأجر بغير حساب^(١).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

وقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: «ومن صبر أعطي التأييد من الله»^(٣).

(إنّ الصبر نفحة من نفحات الله تعالى يعصم بها المؤمن، فيتلقّى المكاره والمصاعب بحزم ثابت ونفس مطمئنة ولولاه لانهارت نفسه، وتحطّمت قواه وأصبح عاجزاً عن السّير في ركب الحياة، فالدنيا محفوفة بالمكاره ولا سبيل للخلاص منها وقد دعا الإسلام إلى الاعتصام به لأنّه من أهمّ الفضائل الخلقية، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم (٧٠) مرة ولم يذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار، وما سبب ذلك إلا لعظم أمره، ولأنّه من مصادر النهوض الاجتماعي)^(٤).

أمّا الإمام العسكري عليه السلام فقد ذكر بعداً آخر لهذه السمة، وهو البعد الدنيوي، إذ يقول عليه السلام: «ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط بها»^(٥) وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ البلايا التي تحلّ بالإنسان ويعودّ نفسه على تحملها والصبر عليها تكون محفوفة بالنعم وإن لم يدرك الإنسان حقيقتها في وقتها.

جاء في كتاب الإمام الهادي عليه السلام إلى إسحاق النيسابوري: «إنّ الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمته - لا إله إلا هو - عليكم ليميز الخبيث من الطيّب وليبتلي ما في صدوركم وليمحّص ما في

(١) ينظر، القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٦٤.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٠.

(٤) القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٦٥.

(٥) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٣.

قلوبكم، لتسابقوا إلى رحمة الله ولتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية»^(١).

إن تأكيد الإمام الهادي عليه السلام على العبادات المتمثلة بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج والعمرة، والولاية، نابع من أهميتها وما لها من آثار تربوية عميقة في بناء شخصية الإنسان، أمّا الولاية فقد تقدّم الحديث عن أهميتها في مطلب (التمسك بالقرآن والعترة)، والموارد الأخرى بيّنها فيما يأتي:

٢. إقامة الصلاة:

لكي تكون الصلاة مقبولة وضعت الشريعة المقدسة جملة من الآداب، أهمها:

أ. الإقبال على الصلاة برغبة ومحبة، وهمة ونشاط، ويتشوق لمناجاة الله عزّ وجلّ، وقبل الدخول في الصلاة على المصلي أن يكون على هيئة حسنة، فيختار للصلاة الملابس النظيفة ويتعطر ويتسوّك لأنّه ذاهب لمناجاة رب العالمين.

ب. الخشوع في الصلاة: فقد ذكر السيد قطب في ظلاله عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾^(٢) (تستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله فتسكن وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات، ويغشي أرواحهم جلال الله في حضرته فتختفي في أذهانهم جميع الشواغل، ولا تشتغل بسواه وهم مستغرقون في الشعور به)^(٣).

ج. توظيف المعاني الروحية المتألفة في سلوكيات الفرد في حياته العملية، أي تنهاه عن المنكر وتأمّره بالمعروف، قال تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

(١) الحُرّاني، تحف العقول، ص ٣٥٩.

(٢) سورة المؤمنون: ٢.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٩-١٠.

٣٥٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١﴾ كل هذه العوامل تجعل شخصية الإنسان ترتقي إلى أرقى مراتب سلم الكمال.

٣. إيتاء الزكاة:

تُعَدُّ الزكاة من أهم موارد التكافل الاجتماعي لما فيها من ترابط بين المسلمين، ولما فيها من تعاطفهم مع بعضهم البعض، وسد حاجات بعضهم البعض، ولذا فقد أكد عليها الإسلام كثيراً وجعلها فرضاً في حال توافر النصاب حتى تتحقق الأخوة بين المسلمين، وتندمج شخصياتهم كالأسرة الواحدة^(٢).

٤. الصوم:

للصيام فائدة روحية ونفسية وبدنية، ولما فيه من أهمية للفرد والمجتمع، ففيه ترقيق للقلوب، وتهذيب للنفوس، والشعور بالفقراء والمحتاجين، والصائم إذا ما حسّ بالجوع والعطش يذكر أنّ له أخوة لا يجدون الماء والطعام، فيدفعه ذلك إلى العطف والإحسان إليهم، ومن أهم ثمار الصوم أنّ الإنسان يملك فيه زمام نفسه بكفها عن رغباتها، وشهواتها، وتهذيب سلوكيها، وبهذا يُعَدُّ نفسه إعداداً^(٣).

٥. أداء فرض الحج والعمرة:

تحقق فريضة الحج والعمرة أهدافاً عظيمة تهذب روح الإنسان، وتنمي شخصيته وذاته، إذ يحضر المسلمون من كل فج عميق إلى بيت الله، ويشعرون أنّهم ضيوف الرحمن، ويشعرون بوحدة الجنس، لا فرق بين غني وفقير، وبين قوي وضعيف. فالحج فضلاً عن أنّه عبادة روحية، يعيد الإنسان كما خلقه الله تعالى من

(١) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٢) ينظر، أبو عجرة، المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ص ٢٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٩.

دون أخطاء.^(١)

٦. طول السجود:

وردت نصوص قرآنية، وأخرى روائية كثيرة تؤكد على أهمية السجود منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾^(٢) قال الإمام العسكري عليه السلام في ضمن وصاياه لشييعته: «...وطول السجود...»^(٣) من كان يريد العزة فليعلم أنّ العزة لله جميعاً، ولا ينال شيئاً منها إلا بنفيها عنه وعن غيره، أي عما سوى الله، وذلك إنما يتجلى بالسجود المشفوع بما يمثل الذلة، حتى يقترن الفعل بالقول^(٤).

٧. تلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله:

القرآن الكريم أحد وسائل الارتباط بالله تعالى، وهو نور يستضيء به الإنسان، ففيه منهاج شامل للبشرية جمعاء يعين الإنسان على الاستقامة والتقيد بالموازين الصالحة والضوابط السلوكية السليمة. أمّا من الناحية النفسية وأثره على شخصية الفرد فإنه شفاء من جميع الأمراض والعلل النفسية التي تؤدي غالباً إلى الانحراف كالوسوسة والقلق والحيرة؛ لأنّه يوصل القلب بمنعم الرحمة فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن^(٥)، ولذا أكد الإمام العسكري عليه السلام على تلاوته في وصيته لشييعته قائلاً: «أكثرُوا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله».

(١) ينظر، عاشور، عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، ص ٧٢٢.

(٢) سورة الفرقان: ٦٤.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٤) العذاري، المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، ص ١٨٤.

(٥) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

المطلب الثالث: السمات التربوية والأخلاقية:

١. حسن الخلق:

يُعدُّ حسن الخلق الأساس المتين الذي تبنى منه الشخصية، فهو يمثل (الدعامة الحقيقية لمجد الإنسان وعلى قدر ما يتمتع بالأخلاق الحسنة تكون قيمته الذاتية، ومركزه الاجتماعي)^(١) (ولا تقلُّ السجايا الخلقية والملكات الفاضلة عن العلم في ضمان سعادة الإنسان واستقرار شخصيته)^(٢) ولذا جاء التأكيد عليها في الآيات القرآنية والروايات الشريفة الواردة عن النبي وآله الطاهرين منها ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام لشييعته: «فإنَّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسّن خلقه مع النَّاس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك..»^(٣)

٢. تعظيم الأبرار:

قال الإمام العسكري عليه السلام: «حب الأبرار للأبرار ثواب، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار»^(٤) إنّ وجود الأبرار في المجتمع له انعكاساته الكبيرة على ذلك المجتمع، فتعمّه البركة والخير أينما وجد هؤلاء الأبرار، ونكتفي لبيان ذلك في ما ذكره الشهيد المطهري: (إنَّ الحب مثل المغناطيس يجذب الإنسان، فذرات الحديد المختلطة مع التراب إذا أردنا فصلها، تارة فصلها بأيدينا شيئاً فشيئاً؛ وتارة فصلها بأسلوب آخر وهو بواسطة المغناطيس؛ فنلقيه في ذلك التراب المختلط بذرات الحديد فيجذبها إليه بأجمعها، فإذا أراد الإنسان بالاعتماد على فكره ومحاسبة نفسه أن يصلح أخلاقه

(١) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، ص ٤٠٤.

(٢) فلسفي، محمد تقى، الطفل بين الوراثة والبيئة، ج ٢، ص ١١٣.

(٣) الحزاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦١.

السيئة واحدة بعد الأخرى فهذا اسلوب من الأساليب، لكنه شبيه بمن يفصل ذرات الحديد عن التراب بيده، أمّا إذا حالفه التوفيق ووجد الإنسان الكامل واتّخذ صديقاً ورفيقاً له وأحبه فيرى أنّ العمل الذي يستغرق سنوات عديدة سوف ينجز في يوم واحد^(١).

٣. الحلم وعدم السفاهة:

(وهو ضبط النفس عند هيجان الغضب فيكسر شوكة الغضب من غير ذل وهو صفة تحمل صاحبها على ترك الانتقام من أغضبه مع قدرته على ذلك، وهو يُعدّ من أبرز الفضائل النفسية، وأكثرها دلالة على سعة الصدر وعلو الهمة، والتمسك بمكارم الأخلاق، وقد وصف الله بها أنبياءه)^(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(٣) وقد وردت هذه السمة في الرواية الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام بقوله: «إِنَّ الظَّالِمَ الْحَالِمَ يَكَادُ أَنْ يَعْفَى عَنْ ظَلَمِهِ بِحِلْمِهِ، وَإِنَّ الْمَحِقَّ السَّفِيهَ يَكَادُ أَنْ يَطْفَأَ نَوْرَ حَقِّهِ بِسَفْهِهِ»^(٤). وفيها تعظيم كبير للحلم، فالإمام عليه السلام يوجه صاحب الحق بأن لا يكون سفيفاً وعجولاً ومنفعلاً ممّا يعرض حقه للضياع، ويجعل الآخرين يستأثرون منه، في الوقت الذي يكون فيه الظالم الحالم قد كسب ود الآخرين بحلمه وأناته.

٤. التودّد للآخرين:

قال الإمام العسكري عليه السلام: «من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك»^(٥) إنّ من سمات الشخصية المبدعة احترام الآخرين وزرع الاحترام في نفوسهم، ولذا كثيراً

(١) مطهري، مرتضى، التربية والتعليم في الإسلام، ص ٣٣٣ — ٣٣٤.

(٢) الهاشمي، عبد الله، دار الأمين، الكويت، ٢٠٠٩م، ص ١٣٩.

(٣) سورة هود: ٧٥.

(٤) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦٠.

٣٥٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

ما نلاحظ أولئك الذين يمتلكون الزعامة الشخصية والإبداع الشخصي الحقيقي يسيطرون دائماً على ميولهم، فهم يعملون جاهدين على أن يرفعوا في الناس احترامهم لأنفسهم، ويحرصون على أن لا يعطلوا ظنهم الحسن فيها، فهم يصغون لمقترحات مقدمة إليهم سبق لهم التفكير بها أو سماعها، من دون أن يبينوا أنهم سمعوها أو عرفوها^(١).

٥. التواضع وعدم التكلف:

قال الإمام العسكري عليه السلام «التواضع نعمة لا يحسد عليها»^(٢) يُعدُّ التواضع من المزايا الكريمة التي تعني التربية الإسلامية بغرسها في آفاق النفس، وهو من أهم الأسباب المزيلة للتكبر والمبيدة لدائه، وهو يرفع الإنسان في الدنيا، ويقربه من الله عز وجل^(٣). من هذا المنطلق يمكننا القول أن سمة التواضع سمة أساسية في استقرار شخصية الإنسان واطمئنانه، فهو ينأى به عن التكلف، وفي الرواية الواردة عن الإمام العسكري عليه السلام إشارة خفية لعل المراد منها أن التواضع نعمة يمكن لكل إنسان أن يحصل عليها وينالها، ولا معنى أن يحسد عليها من يتصف بها، لأن بإمكانها ترويض نفسه للاتصاف بها إذا ما شعر بأهميتها.

ومن موارد التواضع التي ورد ذكرها في روايات الإمام العسكري عليه السلام، والجلوس في أي مكان في المجلس من دون التأكيد على موضع خاص بحسب المرتبة والمكانة وقد جاء التأكيد على هذين الأمرين لما فيهما من أهمية كبيرة في إشاعة روح المحبة والإخاء بين الناس على اختلاف مستوياتهم وانتماءاتهم، إذ يقول: «من التواضع السلام على كل من تمر به والجلوس دون شرف المجلس»^(٤).

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٥٧.

(٢) السليمان، هاني، الشخصية المبدعة، ص ١٩.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٢.

(٤) القرشي، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٦٨.

٦. صدق الحديث:

قال الإمام العسكري عليه السلام في وصيته لشيخته: «أوصيكم بتقوى الله و... وصدق الحديث»^(١) (الصدق في مقابل الكذب، وهو أن لا يتحدث إنسان إلا بما يعتقد مطابقاً للواقع)^(٢) والصدق من السمات الحميدة التي تنسجم والطبيعة الإنسانية. فكل إنسان يميل بفطرته إلى الصدق، ويعد الكلام الذي يسمعه من الآخرين صادقاً، فالكذب انحراف على صراط الفطرة المستقيم، ولذا يرى التربويون أن من أهم واجبات الأبوين في تربية الطفل تنمية فطرة الصدق المودعة عنده، وذلك من خلال اعتمادهم سلوكاً قائماً على الصدق والاستقامة مما يعزز هذا الفطرة السليمة لديه^(٣).

٧. أداء الأمانة:

قال الإمام في وصيته لشيخته: «أوصيكم بتقوى الله و...، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر...»^(٤) الأمانة من أقوى الدعائم الوثيقة التي يقوم عليها المجتمع السليم، وهي عنوان لجميع الفضائل والمكارم، وتشمل رعاية حقوق الله التي أوتمن عليها الإنسان من الفرائض والواجبات، وترك المحرمات، كما تشمل رعاية حقوق الناس، فلا يطمع الإنسان في مال أو تمّن عليه، ولا يستعمل الغش ولا التطفيف في الوزن والكيل، ولا يتتبع عورات الناس، ويرشد إذا كان عالماً، ويقول الحق إذا كان شاهداً^(٥). والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام لم يخصص أداء الأمانة للبر، وإنما حتى للفاجر مما يوضح حفظ الإسلام لحقوق الآخرين بغض النظر عن

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦١.

(٣) الحائري، كاظم الحسيني، تزكية النفس، ص ٤٤٥.

(٤) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٥) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام، ص ٢٨٥.

انتماؤاتهم الفكرية والعقائدية.

٨. اختيار الصديق:

قال الإمام العسكري عليه السلام: «خيرٌ من الحياة مَنْ إذا فقدته أبغضت الحياة، وشرٌّ من الموت ما إذا نزل بك أحبيت الموت»^(١) يتأثر الإنسان وخصوصاً في مراحل حياته الأولى بأصدقائه وأصحابه؛ إذ تنعكس آراؤهم ومشاعرهم وممارساتهم على مقومات شخصيته عن طريق الاحتكاك والتلقين والاستهواء^(٢)، ولذا نجد أن الإمام العسكري عليه السلام من خلال هذه الرواية الشريفة يبيّن لنا كيف ينبغي أن يكون الصديق، إذ يعدله بالحياة، ومما تجدر الإشارة إليه أن ليس فقط من يصاحبه الإنسان في المدرسة أو المنطقة وغير ذلك، فقد يكون الأب أفضل صديق، أو الأخ، أو الأم، أو الأخت، وباقي الأقارب، فإذا تحقق ذلك يكون التأثير بلا شك أقوى وأعمق.

٩. الاعتدال في الكرم:

قال الإمام العسكري عليه السلام «لا تُكرم الرجل بما يشقّ عليه»^(٣). يشير الإمام عليه السلام إلى سمة مهمة من سمات الشخصية السوية، وهي أن يتعامل الإنسان مع الآخرين من مبدأ الوسطية في إكرام الضيف، إذ يعتقد البعض بأن الكرم يقتضي أن يعطي الإنسان كل ما لديه، أو أن يباليغ في إكرام الضيف، إن هذه الحالة توصف بالإيجابية بنحو عام، ولكن لا ننسى أن كثيراً من الأشخاص يحرص على مقابلة الإحسان بمثله، فإذا بالغنا بإكرام من كان ضعيف الحال، سنضعه في حرج من أمره لذا لا بدّ من مراعاة أحوال الآخرين، وإكرامهم بنحو معتدل.

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٢.

(٢) العذاري، سعيد كاظم، المنهج التربوي عند أهل البيت عليه السلام، ص ٦٢.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٢.

١٠. الموعظة الحسنة:

يتخذ أهل البيت عليهم السلام من الموعظة وسيلة تربوية لتنوير العقل والقلب، والارتقاء بشخصية الإنسان إلى أعلى مراتبها، واستخلاص القيم والمفاهيم الكامنة وراء المواقف والأحداث، فبالعبرة والموعظة يعي الإنسان حركة الحياة من حيث الشدة والرخاء، وأسباب التقدم والتأخر للحضارات والمجتمعات، وبها يقلع الإنسان عن الممارسات المنحرفة، ثم يتوجه لإصلاح نفسه لتسمو وتتكامل^(١).

إنّ الأثر الكبير الذي يتجلّى من خلال الموعظة ينعكس تماماً إذا قام به الإنسان الواعظ والناصح أمام الآخرين، أي تمّ توجيه المخطيء أمام زملائه فإنه سيؤذيه ويقلل من مكانته، ويضعف من شخصيته، وهذا أمر يأباه الدين وترفضه الشريعة الإلهية المقدسة التي تؤكد على تقديم النصح والإرشاد بشكل سري بعيداً عن أنظار الناس وأسماعهم ليحفظ شخصية المخطيء ويشجعه على تدارك أمره وإصلاحه، أمّا إذا كان النصح علناً فإنه قد يؤدي إلى إصرار ذلك المخطيء على خطئه، وهذه الحقيقة تظهر واضحة في رواية الإمام العسكري عليه السلام التي يقول فيها: «من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه»^(٢).

١١. التواصل الاجتماعي:

عندما أراد القرآن الكريم أن يبني المجتمع جنب الإنسانية التمزق والتشرد، فحرّر الإنسان من كل هذا العصبية، وربطهم بعقيدة التوحيد القائمة على الفكر الواحد والشعور الواحد، فكانت الأخوة الإيمانية القائمة على هذه الفكرة التي يحضنها مجتمع الإسلام ومن هنا نبع التكافل الاجتماعي من عدة مصادر أهمها مصدر الأخوة الإيمانية النابعة من العقيدة السلمية، التي لا تعرف اللون أو الجنس أو

(١) العذاري، المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، ص ٢٤٣.

(٢) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦٣.

٣٥٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وِعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

الوطن أو اللغة رابطاً فقط، وإنَّما المسلمون جميعاً أخوة في الدين، فتعطي هذه الأخوة مقومات الشخصية الاجتماعية المستقلة، التي تجعله رائد البشر إلى طريقة الله بعيداً عن أمراض النفوس وأهوائها، وقد أشار الإمام العسكري إلى هذا المعنى في وصيته لشييعته قائلاً: «... صلّوا في عشائهم...»^(١) مؤكداً على ضرورة تواصل المسلمين فيما بينهم.

١٢. عيادة المرضى:

وهذا الجانب له أهمية كبيرة في إرساء روح الألفة والمحبة بين الناس فهي من جهة تعزز الإيمان والود في نفس العائد، كما أنَّها ترضي عواطف المريض^(٢)، وتنسيه معاناته، وتنمي لديه الشعور بالأخوة، لذا نجد بأنَّ الروايات الشريفة الواردة عن النبي ﷺ وآله الطاهرين عليهم السلام أكدت بشكل كبير على هذا الجانب، فقد ورد عن الإمام العسكري عليه السلام في وصيته لشييعته: «... عودوا مرضاهم...»^(٣).

(١) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

(٢) فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والبيئة، ج ٢، ص ١١٣.

(٣) الحرّاني، تحف العقول، ص ٣٦١.

الخاتمة

بعد هذه الجولة الممتعة في الكلام الربّاني للإمامين العسكريين عليهما السلام، وما تجلّى من آثار أساسية لها دور كبير في تنمية الشخصية البشرية، لنا أن نبين ذلك في النقاط الآتية:

١. إنّ الإيمان بالله تعالى هو الأساس الذي لا مناص منه لكل إنسان لكي يسمو ويرقى بإنسانيته.

٢. يحتاج الإنسان في طريق التكامل والترقي أن يتفكّر ويتدبّر في آيات الله وأنعمه.

٣. من لوازم بناء الشخصية المتكاملة شكر النعم الإلهية.

٤. كذلك يحتاج الإنسان أن يكون ملتزماً بعباداته من صلاة وصوم وحج وزكاة وغير ذلك فإن ذلك يسهم بنحو كبير في تكامل شخصيته وكيانه البشري.

٥. فضلاً عن احتياج الإنسان للمضامين العقائدية والعبادية في تكامل شخصيته ونموها، فإنّه يحتاج إلى المضامين التربوية والأخلاقية لبلوغ الدرجات العلى في سلّم الارتقاء البشري، فهو يحتاج إلى أن يتصف بـ (حسن الخلق، وتعظيم الأبرار، والحلم وعدم السفاهة، والتودد إلى الآخرين، والتواضع، وأداء الأمانة، والاعتدال في الكرم... إلخ).

ولنا أن نقول: إنّ ما توصلنا إليه كان حسب إدراكنا، وليس وفق الباطن لقول المعصوم، فنعتذر للإمامين، وللقاريء الكريم عن كل تقصير والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

١. أبو عجوة، محمد نجيب أحمد، المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، ط ١، مطبعة مدبولي، مصر - القاهرة، ١٩٩٩م.
٢. الأشكوري، علي الحسيني. منهاج الحياة، مطبعة انتشارات تهذيب، إيران - قم، ٢٠١١م.
٣. الحائري، كاظم الحسيني، تزكية النفس، ط ١، دار الحوار للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥م.
٤. برنامج الأمم المتحدة الانمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان ١٩٩٣م.
٥. الحرّاني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول، ط ٣، منشورات دار المجتبى، ٢٠٠٨م.
٦. الحكيم، محمد سعيد. أصول العقيدة، ط ٢، دار الهلال، العراق - النجف الأشرف، ٢٠٠٦م.
٧. الخوانساري، جمال الدين محمد، شرح غرر الحكم ودرر الكلم، ج ٥، تحقيق: المحدث الأرموي، منشورات جامعة طهران، ١٣٧٣ هـ ش.
٨. السليمان، هاني، الشخصية المبدعة، ط ١، دار الإسراء للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، ٢٠٠٣م.
٩. الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة، انتشارات إسماعيليان، ٢٠٠٦م.
١٠. الصدوق (٣٨١هـ)، ج ١، علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر

البحث الخامس: التنمية البشرية في فكر الإمامين العسكريين عليه السلام ٣٦١

العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، العراق - النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

١١. الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام، ج ٦، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراساني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ ش.

١٢. عاشور، عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة الأزهر، ط ١، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٧٩م.

١٣. العذاري، سعيد كاظم. المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، مطبعة ليل، المركز العالمي لأهل البيت عليهم السلام، إيران - قم، ٢٠٠٦م.

١٤. عمار، حامد، التنمية البشرية في الوطن العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٥. العيساوي، سيف طارق وآخرون. الصحة النفسية في المرحلة الأساسية، ط ١، دار الصادق للنشر والتوزيع، بابل، العراق، ٢٠١١م.

١٦. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، مكتبة عبد الوكيل الدروبي، سورية - دمشق، د.ت.

١٧. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، ج ١، تحقيق: دمهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

١٨. فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والبيئة، ج ٢، مكتبة اليقين، العراق - النجف الأشرف، د.ت.

١٩. القرشي، باقر شريف. النظام التربوي في الإسلام، ط ١، مطبعة شريعت، إصدار مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العراق - النجف الأشرف، ٢٠٠٦م.

٢٠. القصيفي، جورج. التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م، ص ٨١.

٣٦٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماد السلم المُجتمعي) / ج ٣

٢١. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط ٥، لبنان - بيروت، ١٩٦٧م.

٢٢. الكليني، محمد بن يعقوب (٣٢٩هـ)، الكافي، ج ٢، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ.

٢٣. المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، تحقيق: محمد باقر البهبودي، ج ٤٣، ط ٢، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، ١٩٨٣م.

٢٤. المرتضى، علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)، الانتصار، تحقيق: مؤسسة النصر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤١٥هـ.

٢٥. مطهري، مرتضى، التعليم والتربية في الإسلام، ترجمة: أحمد القبانجي، ط ١، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام، إيران - قم، ١٣٨٥هـ ش.

٢٦. الهاشمي، عبد الله، الأخلاق والآداب الإسلامية، ط ٢، دار الأثر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ٢٠٠٩م.

٢٧. اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الإسلامية، إيران - قم، ١٩٨٦م.



البحث السادس

الإمام الهادي عليه السلام

ووحدة الأمة الإسلامية

أستاذ مساعد حميد رضا مطهري

المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية

إيران



بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

وحدة الأمة الإسلامية من أهم هموم زعماء الأمة، خصوصاً زعماء الشيعة، ومن مؤكدات المعصومين عليه السلام الذين قدّموا آليات في تنفيذها. في هذا الصدد، كان عصر الهادي عليه السلام لتحقيق الوحدة عصراً بارزاً. كان وجود الفرق والنحل المختلفة والعديدة يثير الخلافات في المجتمع الإسلامي، والهادي عليه السلام مع ابتناؤه على الأصول الإسلامية وواقعيات الأمة قدّم الآليات الجديدة بتحقيق الوحدة المقصودة. السؤال عن ماهية ونوع آليات الهادي عليه السلام لتحقيق الوحدة والحيلولة دون تفاقم الخلافات في الأمة، هي ما نحن بصددّه في هذه المقالة. التجنب عن المسائل الهامشية والإستناد إلى القرآن والسيرة النبوية ﷺ واحترام معتقدات الجمهور من أهم آلياته عليه السلام لتحقيق الوحدة. نحن في هذه المقالة نشير بصورة ضمنية إلى ملامح عصر الإمام الهادي عليه السلام الثقافية ونشرح ونبين طريقته ونهجه لنيل إلى هذا المقصود.

الكلمات الرئيسية:

الإمام الهادي عليه السلام، الوحدة الإسلامية، آليات، السيرة.

المقدمة:

إحدى نتائج رسالة النبي ﷺ المهمة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)، وقال في آية أخرى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾^(٢)، هي توحيد الكلمة و اتفاق الرأي سيّما بين المسلمين.

كان النبي ﷺ يؤكد دوماً على وحدة و انسجام المسلمين. فمن جهوده في هذا المجال يمكن الإشارة إلى تشريعه عقد الأخوة^(٣) وإقدامه أيضاً على تنفيذ كيد المفرقين لوحدة المسلمين^(٤)، عرّف صلوات الله عليه في موارد عديدة أن مفارقة الجماعة يوجب الخروج من الإسلام و الموت على الجاهلية. حيث قال: «من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه»^(٥). وقال أيضاً: «من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية»^(٦). فعلى هذا كانت وحدة الأمة من اهتمامات المعصومين عليهم السلام يؤكدون عليها بأساليب شتى. قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال: «الزموا الجماعة واجتنبوا الفرقة»^(٧)؛ فإنه دعا أعداءه إلى ترك العناد و العداوة، حيث أرسل جماعة إلى أصحاب الجمل يدعوهم إلى رفع الخلاف و الالتزام ببيعتهم و

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

(٢) سورة انفال، الآية ٤٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٠٥.

(٤) على سبيل المثال يمكن الإشارة إلى سيرة النبي محمد ﷺ في قضية اختلاف المسلمين حين رجوعهم من غزوة بني المصطلق حيث كادت يتحول نزاع و مشاجرة بعض الأفراد إلى أزمة لكنها فشلت ببركة سياسة النبي ﷺ من دون أثر سلبي. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٠٦ و ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٤٩ - ٥٠.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦٧-٧٣.

(٦) نفس المصدر، ج ٢٩، ص ٣٣١.

(٧) عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، غرر الحكم و درر الكلم، تصحيح السيد مهدي رجائي، الطبعة الثانية، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠هـ، ح ٢٤٨٨.

سعى ليمنع وقوع حرب داخلية^(١). و عند مواجهة الخوارج أيضاً ضمن دعوته لهم إلى ترك المخاصمة و وضع أسلحتهم و التحاقهم بالأمة. عدّ المفارقين للجماعة فريسة الشيطان. يذكرهم: «وإياكم و الفرقة فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب»^(٢)

لقد أكد الإمام الصادق عليه السلام أيضاً على نفس المهمة. حيث يقول: «و تواصلوا و تباروا و تراحموا و كونوا إخوة أبراراً كما أمركم الله عزّ و جلّ»^(٣).

و كذلك الإمام الهادي عليه السلام كان ملتفتاً للموضوع مثل أجداده العظماء فأكد عليه، فإنه في رسالته إلى أهل الأهواز عن القضاء و القدر و الجبر و التفويض. بدأ بعد السلام بقوله: «فإنه ورد عليّ كتابكم و فهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم و خوضكم في القدر و مقالة من يقول منكم بالجبر و من يقول بالتفويض و تفرقكم في ذلك و تقاطعكم و ما ظهر من العداوة بينكم ثم سألتموني عنه و بيانه لكم و فهمت ذلك كله»^(٤).

كما يلاحظ أن الإمام الهادي عليه السلام فور تلقيه الرسالة أشار إلى المهم أي الخلاف و العداوة و لزوم رفعها. انتهج الإمام الهادي عليه السلام سبلاً لتوحيد الأمة مثل الاستناد إلى الأصول المشتركة، مواجهة و قمع الانحراف، و استعمال الدعاء إطاراً لإيصال المفاهيم الدينية. حيث سنين لاحقاً منهجية الإمام عليه السلام من خلال الإشارة إلى الأوضاع السياسية و الثقافية آنذاك.

(١) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الجمل، الطبعة الأولى، قم، مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣، ص ٣١٣ - ٣١٩.

(٢) نهج البلاغة (صباحي صالح)، الخطبة ١٢٧، ص ١٨٤.

(٣) الكليني، الكافي، ج ٢، ح ٢، ص ١٧٥.

(٤) ابن شعبه الحرّاني، تحف العقول، ص ٤٥٨.

الوضعية السياسية والثقافية في عصر الإمام الهادي عليه السلام.

كان عصر الإمام الهادي عليه السلام من جهة قد انقضى عنه عصر القدرة الذهبية الأولى للحكم العباسي مقارناً لاقتدار الأتراك في عصر المتوكل. ومن جهة أخرى رسوخ العقائد المزيفة المتسربة في المجتمع الإسلامي ونشوء الفرق الضالة قد عرّض الأمة الإسلامية للتفرق. كانت فرق كالمجسّمة، والمفوّضة، وأهل الحديث، والمعتزلة والغلاة متواجدة تطرح شبهاً حول بعض العقائد الكلامية تورث الشك والريب بين المسلمين.

فرقة المعتزلة حركة فكرية نشأت عقائدها العقلية بين بعض علماء المسلمين في نهايات القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة. وكان المؤسس لهذه النحلة الكلامية هو واصل بن عطاء (٨٠-١٣١ ق). تشبّثت المعتزلة بالنقاش العقلي والمنطقي لإثبات عقائدهم. وأصرّوا على التفسير العقلي للآيات والأحاديث^(١)، فإنهم عبر إدخالهم العقائد الكلامية غير الإسلامية في الفكر الديني، أثّروا في تغيير الأنظار و ماهيّة بعض المواضيع. من تأثيرات المعتزلة الأخرى على الثقافة الإسلامية. هي تمهيد أرضية الانحراف لبعض علماء الإسلام إثر الإفراط في العقلانية و تكذيب أصول الدين المستنبطة من القرآن و السنة أحياناً.

امتزجت فكرة الاعتزال بالسياسة أيضاً خلال القرنين الثاني والثالث. وسببت حدوث أزمات فكرية وثقافية؛ فإن المعتزلة مع اعتقادهم لحرية الفكر، بعد ما حصلوا على المنزلة السياسية وادّعوا الإنصاف العلمي والسياسي، وأقبلوا على تفتيش عقائد العامة، بحيث اشتهر هذا العصر بعصر المحنة؛ فإنهم وتبعاً لإفراطهم وإجراءاتهم الخاطئة، ومواجهتهم مخالفينهم بأمور مثيرة للخشونة، ضيّعوا موقعيتهم تدريجاً. وواجهتهم الحكومة أيضاً باستياء بعد المأمون بفترة يسيرة. وقام المتوكل بقمعهم مع

(١) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢١٥.

حمايته لأهل الحديث^(١).

إضافة إلى المعتزلة كان المحدثون أيضاً متواجدين نشطين بين المجتمع سيما عند اقتدار المتوكل و دعمه لهم، فتقووا في مجالات سياسية و ثقافية مختلفة و قاموا بنشر عقائدهم. انتبه المعتزلة إلى توجيه و تحليل المسائل العقائدية أمثال التوحيد. و أفرطوا في هذا المجال. ففي باب التوحيد طوراً ينسبون إلى الباري أوصافاً متضادة. و طوراً يسلبونه صفاته التي صرح بها القرآن. كهذا التوصيف المركز على العقلانية البحتة و المفرطة. مما اجتلب أسئلة كثيرة في حوزة التوحيد. و أتبع الاختلاف في المجتمع الإسلامي^(٢)، و أيضاً مع طرحهم شبهات حول القرآن و الإمامة خطوا خلافاً بين المجتمع.

كان ثمة فرق من أهل الحديث في قبال المعتزلة. حيث تورطوا في الأحاديث الموضوعة و جهدوا في خلق صفات إنسانية مادية للباري^(٣)، مستندين إلى ظواهر القرآن و السنة. على أية حال كانت مسألة التوحيد و صفات الباري و القرآن من الموضوعات المهمة و الخلافية بين مجتمع ذاك العصر.

في قبال هؤلاء أحدث الغلاة أيضاً مشاكل في المجتمع، فإن تيار الغلو كان من التيارات الخطيرة جداً ذا آثار سلبية و مضرّة. حيث استمر دوماً طوال حياة الأئمة عليهم السلام شدة و ضعفاً، استمر هذا التيار الفكري في عصر الإمام الهادي عليه السلام، متمثلاً بغلاة مشهورين أمثال فارس بن حاتم القزويني، و علي بن حسكة، و القاسم اليفطيني، و ابن بابا القمي، و ابن نصير النميري.

الإمام الهادي عليه السلام و دفاعاً عن الإسلام و وصوناً من التفرقة انتهج أساليب

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢١٤

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٤٩.

(٣) الشيخ الصدوق، التوحيد، صص ٩٧ - ٩٩.

٣٧٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

وخططاً متنوعة لمواجهة هذه التيارات، فقام بوجههم يستدل بالبراهين العقلية والشرعية. ومن خلال إجابته على الشبهات كافح حدوث الخلاف بين المجتمع. وكان من أساليبه ما يلي:

١. الاستناد إلى الأصول المشتركة

كان إحدى أهم الخطط التنفيذية للوصول إلى المجتمع المثالي والوحدة الإسلامية، بل وحدة جميع الأمم هي التوجه هو التأكيد على الأصول المشتركة والاستناد إليها، وهي النقطة المشهودة في سيرة المعصومين عليهم السلام، وكانوا مهتمين بتنفيذها من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عصر الغيبة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أهل الكتاب إلى الوحدة ودعاهم بأمر الله إلى الاتحاد حول الأمور المشتركة كالتوحيد^(١). وأكد الأئمة عليهم السلام بعده على هذه النقطة ومن جملتهم الإمام الهادي عليه السلام، ركز الإمام الهادي عليه السلام على القرآن وسيرة النبي صلى الله عليه وآله بوصفها أصليين مشتركين في حياة الأمة، وعوّل عليهما في أمور كثيرة. كما أنه أجاب بعض من سألته عن شبهة الجبر والتفويض مستنداً إلى القرآن وقول النبي صلى الله عليه وآله وقال: «وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ قَاطِبَةً لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفِرْقِ وَفِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ...». ثم أوصل كلامه إلى قول الإمام الصادق عليه السلام بذكر مقدمة تناسبه. ثم أسنده أيضاً إلى كلام الله ورفض الجبر والتفويض، فإنه أشار إلى إجماع الأمة على حقانية القرآن. وصحة إجماعهم هذا لكونه هادياً إلى الصراط المستقيم؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «لا تجتمع أمتي على ضلال». وكل ما أجمع عليه الأمة فهو حق. وفي طي الكلام ذكر قول الإمام الصادق عليه السلام حول الجبر والتفويض ورفضه لهما بتقديم مقدمة تناسبه. ثم يستدل ثانية لإبطالهما مشيراً إلى آيات من القرآن^(٢). لكن النقطة المهمة التي تلفت النظر في كلامه عليه السلام

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٨ - ٤٦٥.

مضافاً إلى استناده إلى القرآن والسيرة النبوية. هي التفاته وتأكيد على المجمع عليه عند الأمة. وأن طريق الهداية والأمن من الضلال معقودة بالوحدة والوفاق بصورة ما. وقال: «وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ قَاطِبَةً لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْفِرْقِ وَفِي حَالِ اجْتِمَاعِهِمْ...». ثم تابع الكلام وأسندته إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: «ذَلِكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ فَأَخْبَرَ أَنَّ جَمِيعَ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا حَقٌّ هَذَا إِذَا لَمْ يَخْلَفْ بَعْضُهَا بَعْضاً...». فبين الإمام عليه السلام بهذه المقدمة أنه لا يرتاب أحد من المسلمين في وجوب قبول الأمة للخبر الذي صدّقه القرآن لقبولهم أصله أولاً^(١). تقارن الاستناد إلى القرآن والسنة في كلام الإمام هذا. النكتة الحساسة في كلامه عليه السلام هي أن المسلمين يكونون على الحق حال اجتماعهم وأسند دعواه إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: «لن تجتمع أمتي على الضلال». فتفسيره عليه السلام هذا لكلام النبي صلى الله عليه وآله دليل اهتمامه الخاص بوحدة و وفاق المسلمين.

كان الإمام الهادي عليه السلام يلحظ المعايير الموجبة لوحدة الأمة مثل سيرة النبي صلى الله عليه وآله في بعض أمور المذهب خاصة الشيعة. في هذا المجال يمكن الإشارة إلى سيرته في زيارة الإمام الحسين عليه السلام. في الوقت الذي منع زيارة الإمام الحسين عليه السلام بأمر المتوكل. طلب الإمام من أبي هاشم الجعفري أن يبعث واحداً من شيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء ليدعو لشفائه في الحائر الحسيني. فبعث أبو هاشم أحد أصحاب الإمام اسمه علي بن بلال لهذه المهمة. وهو مع قبوله المسؤولية طرح سؤالاً أن الإمام هو بمنزلة المدفون في الحائر (يكنى عن ماثلة الإمام للإمام الحسين عليه السلام) ودعاؤه لنفسه أفضل وأقرب للإجابة من دعائي؟ ولما أخبر أبو هاشم الإمام عليه السلام بمقاله. أجابه الإمام: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْضَلَ مِنَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ وَكَانَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَسْتَلِمُ الْحَجَرَ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِقَاعاً يُحِبُّ أَنْ يُدْعَى فِيهَا فَيَسْتَجِيبَ لِمَنْ دَعَاهُ وَالْحَائِزُ مِنْهَا»^(٢)

(١) نفس المصدر، ص ٤٥٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تصحيح عبدالحسين الأميني، الطبعة الأولى، النجف

٣٧٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلام المجتمعي) / ج ٣

يستدل الإمام في هذا الكلام بالسيرة النبوية المقبولة عند المسلمين. فالنبي محمد ﷺ مع أفضليته من البيت والحجر لكنه يطوف بهما ويستلم الحجر.

يشاهد أيضاً في كلام الإمام الهادي عليه السلام التوجه إلى الوفاق الإسلامي في سلوك المجتمع. كما أنه عندما حضره متكلم قد انتصر على خصمه الناصبي. استقبله الإمام وأجلسه بجواره. اعترض بعض الجالسين على هذا الفعل. فأفحمه الإمام مستدلاً بآي من القرآن الكريم. فإنه بدأهم بالدعوة إلى القرآن الكريم وسألهم هل ترضون حكم الله في هذا الباب؟ ثم بعد إقرارهم بالرضا تلا عليهم هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١).

مستدلاً بالآية المباركة خاطب الإمام عليه السلام جلساءه الذين كانوا من بني هاشم ويفضلون أنفسهم على الآخرين. فقال: «إن الله قد فضل المؤمن على غير المؤمن و علماء المؤمنين على غيرهم من المؤمنين بقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. واستدل أيضاً بآية أخرى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢). ثم سأهم كيف تردون عليّ حيث فضّلت من فضله الله؟^(٣).

٢. الاستدلال على قدر الأفهام

إحدى أهم طرق إحداث الوحدة والوفاق هي توجيه الخطاب بمستوى عقل المخاطب وعقيدته. يجب أن يكون الكلام على مستوى فهم المخاطب موافقاً لأرائه

الأشرف، دارالمرتضوية، ١٣٥٦ ش.، ص ٢٧٤.

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٥.

ومعتقداته. وكان الإمام الهادي عليه السلام ملتفتاً إلى هذه المهمة حيث في نفس مجلس تكريم العالم ورداً على أحد العباسيين الذي انتقص فعل الإمام قائلاً: لقد فضّلت علينا من لا يلحقنا شرفاً ونسباً. مع تقدم ذوي الأنساب الشريفة على غيرهم من الصدر الأول؛ فاحتج الإمام عليه السلام بسيرة جدّهم العباس وابنه عبد الله تجاه الخليفتين. ألم يبايع العباس وهو هاشمي أبا بكر وهو تيمي؟ ألم يكن عبد الله بن عباس جدّ العباسيين والياً للثاني وهو عدوي؟ لماذا أدخل عمر غير القرشيين في شوره دون عبد الله بن عباس؟ فإن كان فعله صواباً فلماذا تخطئون عملي؟^(١) فكما نشاهد أن الإمام وإن كان مكتفياً أيضاً بالجواب الأول في مواجهة أمثال هؤلاء. لكن توجهها إلى عقلية المخاطب استدلل بوقائع تاريخية مقبولة عنده.

٣. استخدام الدعاء (بث المفاهيم في إطار الأدعية)

الدعاء أحد المواضيع المستخدمة عند المسلمين، بل جميع الناس. وقد عبّر عنها في النصوص الإسلامية بسلاح المؤمن وعمود الدين. كما قال رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعَمُودُ الدِّينِ...»^(٢).

ومن حيث إن الدعاء وسيلة لإرتباط الإنسان بالله فلا يثير حساسية خاصة. فهذا السبب كان يُعدُّ وسيلة مفيدة و موصلة لانتقال المفاهيم والشعائر الدينية. وكان يستعمله زعماء الدين في العصور المختلفة. من جملتهم المعصومون عليهم السلام في زمن التقية. كان لهذا الإبداع ظهور أكثر في الفترات التي يشتدُّ الضيق على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم. كما أن الإمام السجاد عليه السلام اعتمد هذا الأسلوب في نقل التعاليم والثقافة الإسلامية، واستخدم الأئمة بعده نفس الأسلوب بمستويات متفاوتة. كذلك الإمام الهادي عليه السلام كان معتمداً ميزة الدعاء هذه وكان أحد أساليبه في نقل المفاهيم الدينية.

(١) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٥٥٤.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٦٨.

٣٧٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عقب النبوة وعمار السليم المجتمعي) / ج ٣

إذ كان الدعاء و التضرع إلى الله لا يستتبع أية حساسية طائفية، ومن هذه الجهة قاموا بتبيين كثير من مسائل الدين كتكريم أهل البيت عليهم السلام والتعريف بفضائلهم في إطار الدعاء.

يُعدُّ عصر الإمام الهادي عليه السلام من الأدوار المهمة في تأريخ الشيعة؛ بسبب عداء بعض حكام بني العباس كالمتوكل لعتره النبي صلى الله عليه وآله وسعيهم في عزل أهل البيت عليهم السلام؛ ومن المسائل التي تعد من الحوائج الضرورية للأمة الإسلامية سيما الشيعة في هذه الفترة هي تعريف عتره النبي صلى الله عليه وآله للعامة. بصورة لا تثير حساسية خاصة. فلذلك أقبل الإمام الهادي عليه السلام على استخدام الدعاء لتبيين منزلة أهل البيت عليهم السلام والتعريف بهم شبيهاً بكلام النبي صلى الله عليه وآله، ذكر الصلوات على النبي وآله صلى الله عليه وآله وإلحاق عترته به و بيان شفاعتهم عند الله، إشاعة أدب الزيارة والاهتمام بارتباط الناس بأهل البيت عليهم السلام من النقاط المشهودة في كلام الإمام الهادي عليه السلام و سيرته.

قام الإمام الهادي عليه السلام في بعض أدعيته وبعد الحمد والثناء على الله بطلب الصلوات على النبي وعترته الطاهرة صلى الله عليه وآله ويسأل الله بقوله: «اللهم وَإِنَّ أَوَّلَ مَا أَسْأَلُكَ مِنْ حَاجَتِي وَ أَطْلُبُ إِلَيْكَ مِنْ رَغْبَتِي وَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِهِ بَيْنَ يَدَيَّ مَسْأَلَتِي وَ أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ طَلِبَتِي الصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ وَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ...»^(١). النقطة الأساسية في توسل الإمام الهادي عليه السلام بأهل البيت عليهم السلام هي نسيان هذه المسألة بسبب سياسة العباسيين القمعية ضد العلويين سيما المتوكل؛ وتأكيد الإمام الهادي عليه السلام على إلحاق العتره بالنبي صلى الله عليه وآله في الصلوات والأدعية من غير إثارة حساسية خاصة لتبيين منزلتهم وقرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله.

ففي هذا الخصوص قام الإمام بإلحاق طلبه بالصلوات سائلاً الله أن لا يفرق بينه وبين أهل البيت عليهم السلام وأن يتقبل عمله بهم حيث قال: «اللهم فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

(١) الطوسي، مصباح المتعبد و سلاح المتعبد، ج ١، ص: ٣٤٥

وَالِهَ وَلَا تَقْطَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاجْعَلْ عَمَلِي بِهِمْ مُتَقَبَّلًا»^(١)؛ هذا النوع من الدعاء إلى الله سيما طلب قبول الأعمال بواسطة أهل البيت عليه السلام. في أجواء ذلك الزمان الخاضعة لسياسة المتوكل المضادة للعلويين كان في الواقع نوع مواجهة للسياسة الرسمية للحكومة و منهجاً مناسباً لتبيين منزلة أهل البيت عليه السلام.

٤. إدارة الأزمات الثقافية

إحدى الأساليب المهمة لإقامة الوفاق الإسلامي هي إدارة الأزمات الثقافية التي عمت المجتمع في عصر الإمام الهادي عليه السلام بسبب تسرب أفكار وآراء متشعبة بين المسلمين و أيضاً تكون فرق ونحل عديدة تهدد كيان المجتمع الإسلامي. من جملة هذه المشاكل التي يمكن الإشارة إليها هي الأحداث المعروفة بـ«محنة القرآن» أو «فتنة خلق القرآن». التي نشأت من اختلاف الآراء حول القرآن. و المسألة التي نشبت الصراع بين أهل الحديث والمعتزلة، وورطت الخلافة العباسية من المأمون إلى المتوكل؛ و أحدثت خلافاً شديداً بين المجتمع. الخلاف الذي أحاط بأهل الحديث باديء الأمر ثم المعتزلة. هذه الواقعة و إن كانت تصل جذورها إلى أعوام سابقة حتى العصر الأموي^(٢). لكن بلغت ذروتها في عصر المأمون. نعم كان مواقف الحكام متفاوتة تجاه هذه المسألة فبعضهم مثل هارون خالفها و آخر كالمأمون كان مؤيداً صلباً لفكرة خلق القرآن؛ و في الاستدامة أيضاً تابع المعتصم والواثق للمأمون و خالفه المتوكل بشدة رأياً وسلوكاً ونفس هذا أورث سلوكاً ازدواجياً بين المجتمع و بين المسلمين بحيث شخصية كأحمد بن حنبل (د. ٢٤١) ابتلي بالتعذيب و الحبس^(٣) في عصر المعتصم و قوبل بالإكرام و الاحترام في عصر المتوكل^(٤). حتى وصل الأمر

(١) نفس المصدر

(٢) ابن نديم، الفهرست، ص ٦٠١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٧٢. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج

إلى أن بعضهم مثل الواثق شرط تحرير الأسرى المسلمين وأداءهم للفداء بالاعتقاد بخلق القرآن^(١). في هذه الظروف التي أحدث هذا النقاش شقاقاً وخلافاً شديداً بين المسلمين. نهى الأئمة شيعتهم عن الخوض فيها وحسبوا ضلالاً^(٢). قام الإمام الهادي عليه السلام مع اطلاعه الصائب بالأوضاع وفي حالة ارتفاع هذا النقاش في عصره منع انتشار الخلاف بين المجتمع بإدارة حكيمة وحذر الشيعة من اقتحام هذه الواقعة. وسدّ طريق إيجاد الشقاق والخلاف بتدبير حازم. وفي جوابه لسؤال بعض الشيعة حول خلق القرآن وصفها بالفتنة وفي ضمن دعائه لأمنهم من الفتن حذرهم من اقتحام البحث مؤكداً على أن الجدل في القرآن بدعة. يشترك فيها السائل والمجيب وأن اقتحامها ضلال وكتب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ فَإِنْ يَفْعَلْ فَقَدْ أَعْظَمَ بِهَا نِعْمَةً وَإِنْ لَا يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلَكَةُ نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ بَدْعَةٌ اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ فَيَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ وَيَتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ الْخَالِقُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَا تَجْعَلْ لَهُ اسْماً مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ»^(٣). الإدارة الصائبة للأئمة عليهم السلام سيما الإمام الهادي عليه السلام سبب انسجام المجتمع الشيعي مع جموع الأمة الإسلامية وصيانتهم من البلاء الذي ابتلي به سائر الفرق. اختار الإمام الهادي عليه السلام السبيل المناسب لمواجهة هؤلاء وأنقذ المجتمع من اقتحام الخلاف.

نص الإمام الهادي عليه السلام أيضاً في نقاش التوحيد الذي كان من المسائل الخلافية

٣، ٩٢.

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٨٢

(٢) «عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ: قُلْتُ لِلرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ كَلَامُ اللَّهِ لَا تَتَجَاوَزُوهُ وَلَا تَطْلُبُوا الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فَتَضِلُّوا» الصدوق، الأمالي، ص ٥٤٦ و التوحيد، ص ٢٢٤.

(٣) الصدوق، التوحيد، ص ٢٢٤.

بين المعتزلة وغيرهم وفي جواب الذين سألوه عن أدنى مراتب معرفة الله؟

إن الإقرار بالوحدانية ونفي الشبيه والنظير له أقلُّ مرتبة المعرفة و معرفة الله ووصف سبحانه بالقديم، الثابت، الموجود، الدائم^(١). وفي كلام آخر عدَّ المعرفة هذه خارجة عن نطاق العقول وأن عقول الحكماء حائرة في معرفته الحقيقية واستحالة بلوغ مرتبته الوجودية وعلو منزلته. عدَّ الإمام عليه السلام العيون والألسن عاجزة وقاصرة عن إدراكه ووصفه حقيقة. وأشار في التعليل إلى عدم تناهيه سبحانه وأنه خارج عن الحد^(٢).

٥. مواجهة التيارات المنحرفة

إحدى الأخطار المحتملة التي توجب الانفصال والشقاق بين الفرق المختلفة وبين المسلمين أيضاً، هي التيارات والفرق المنحرفة التي ظهرت بين المسلمين، وقد انتسب بعضها إلى الشيعة وبهذا الطريق مضافاً إلى تشويه سمعة الشيعة تسبب المواجهة معهم والتفرقة والتقهقر. فلذلك كان اهتمام الأئمة عليهم السلام دوماً بإزاحة هذه الخرافات والأباطيل عن المجتمع الشيعي. ويعتقدون ضرورة مواجهة الغلاة وغيرهم من الآراء المنحرفة في المجتمع الإسلامي؛ لإيجاد الوفاق الإسلامي، وكان الغلو إحدى هذه الانحرافات.

كان تيار الغلو من الانحرافات الأساسية الشائعة بين المسلمين وذا سابقة قديمة في الإسلام وفي غيره من الأديان. لكن ظهور هذا التيار بين زمرة من الشيعة أصبح حجة لشن الهجوم عليهم و قاموا بتدمير وجهتهم بانتساب الغلو إليهم من دون تسمية الفرقة الغالية. كما أن بعض الكتاب عند تعريفهم للشيعة قاموا بسر د ألفاظ مثل الرافضي، الإمامية، الغلاة و الزيدية في سطر ويقولون: يُسمون بالغلاة

(١) الصدوق، التوحيد، ص ٢٨٣.

(٢) نفس المصدر، ص ٦٦

٣٧٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلم المُجتمعي) / ج ٣

لغلوهم في شأن أمير المؤمنين علي عليه السلام فطوراً يزعمون أنه الله، وطوراً يزعمونه النبي، وأخرى أنه شريكه في النبوة^(١). وبعضهم عدّ التشيع حيال الزندقة، وطوراً ذكروه دليلاً للزندقة. كما يقول عبد الرحمن بدوي: تهمة الزندقة ملازمة ومقارنة للانتساب إلى الرفض^(٢). على أية حال أصبحت التهمة هذه وسيلة للهجوم على الشيعة. وكان من الضروري مواجهتها بصورة جدية ومبرجة.

من حيث إن الغلاة ينتسبون إلى الأئمة عليهم السلام يقوى احتمال تسيبهم الخلاف والشقاق؛ لهذه الجهة كانت مواجهة آرائهم الخرافية وتنوير أفكار العامة ضرورياً. ويتطلب برنامجاً مناسباً. قام الأئمة عليهم السلام بتبيين العقائد الحقّة في بعض الموارد ومن خلال تفنيد عقائدهم. ففي بعض الأحيان أمروا شيعتهم وأصحابهم باتقاء معاشرّة الغلاة، وتبرؤاً أيضاً منهم في حين آخر مع اللعن والدعاء عليهم، بل أفتوا بقتلهم^(٣). كان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وخلال تبرّيه من الغلاة يؤكد دوماً على شيعة أن لا يجاوزوا به حدّ العبودية. فلم يقتصر على إيجاب معاداته للهلكة بل عد الإفراط في محبته موجباً للهلكة حيث قال: «هلك فيّ رجلان محبّ غال و مبغض قال»^(٤).

قال الإمام الصادق عليه السلام لمصادف من أصحابه عند ردّه عقائد الغلاة: «يَا مُصَادِفُ إِنَّ عِيسَى لَوْ سَكَتَ عَمَّا قَالَتِ النَّصَارَى فِيهِ لَكَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَنْ يُصَمَّ سَمْعُهُ وَيُعْمِيَ بَصَرُهُ وَلَوْ سَكَتُ عَمَّا قَالَ أَبُو الْخَطَّابِ لَكَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَنْ يُصَمَّ سَمْعِي وَيُعْمِيَ بَصْرِي»^(٥). وصرح أيضاً على عبوديته مخاطباً صالح بن سهل الذي كان يزعم ربوبية

(١) العراقي، الفرق المفرقة بين أهل الزيغ و الزندقة، ص ٣٠.

(٢) عبد الرحمن بدوي، دراسات إسلامية من تاريخ الاحاد في الإسلام، ص ٤٩.

(٣) لمزيد الاطلاع على مواجهة الأئمة عليهم السلام مع الغلاة: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٥٠ - ٢٦١.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ١١٣.

(٥) الكشي، رجال الكشي: ١٩٢ و ١٩٣.

٣٨٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وِعِمَادُ السَّلمِ المُجْتَمَعِي) / ج ٣

آرائهم المنحرفة و في الاستدامة أوضح الدرب الصحيح ضمن التأكيد على عبودية النبي و أوصيائه عليه السلام لله الواحد. أقواله عليه السلام في طي رسالته حول ابن حسكة يخطط المسير الصواب و المثبت للوفاق الإسلامي. و لغرض حفظ موقعية الشيعة. حذرهم من مراودة أمثال هؤلاء مؤكداً على مجانبتهم. كما أنه في شأن ابن حسكة وأتباعه ومن ضمن اللعن والرد أمر بالتضييق عليهم وهجرهم^(١) وأيضاً قال مخاطباً لعبيدي أحد أصحابه حول محمد بن بابا القمي، فارس بن حاتم ومحمد بن نصير النميري: «فإني مُحذِرُكَ وَ جَمِيعَ مَوَالِيَّ وَ إِنِّي أَلْعَنُهُمَا عَلَيْهِمَا لَعْنَةُ اللَّهِ»^(٢).

وفي جواب رسالة إبراهيم بن محمد الذي سأل الإمام عليه السلام عن أقوال فارس بن حاتم المثيرة للخلاف و نزاعه مع علي بن جعفر اليماني كتب: «لَيْسَ عَنْ مِثْلِ هَذَا يُسَأَلُ وَ لَا فِي مِثْلِهِ يُشَكُّ قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ قَدْرَ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، مَنَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ يُقَاسَ إِلَيْهِ، فَاقْصِدْ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ بِحَوَائِجِكَ، وَ اجْتَنِبُوا فَارِساً وَ امْتَنِعُوا مِنْ إِدْخَالِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِكُمْ أَوْ حَوَائِجِكُمْ، تَفْعَلْ ذَلِكَ أَنْتَ وَ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ أَهْلِ بِلَادِكَ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي مَا تُمَوُّهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ فَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) الطوسي، نفس المصدر، ص ٨٠٥.

(٣) الكشي، نفس المصدر، ص ٥٢٣.

النتيجة:

اهتم الإمام الهادي عليه السلام تبعاً للقرآن والسيرة النبوية وسائر الأئمة عليهم السلام اهتماماً خاصاً بوحدة المسلمين. فإنه إضافة إلى إيصائه وتأكيدِه على ذلك سلك طرق حلّ عديدة لتنفيذها بين المجتمع ويحْتَنَب أي إساءة أو تعامل مثير للفتنة حين التقائه بالآخرين وينظر إلى مخالفه باحترام.

كان الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة التيارات الانحرافية من دون أن يزلزل موقف أصحابه تجاه معتقداتهم مع الاستناد والاستدلال بالأصول المشتركة كالقرآن والسيرة النبوية وتبيين المعتقدات الدينية في إطار الدعاء ومعارضة التيارات الانحرافية كالغلو، اجتهد لاتحاد واتفاق رأي المسلمين وواجه الأزمات الثقافية بالتفسير الصائب للعقائد.

قائمة المصادر والمراجع

نهج البلاغة (صباحي الصالح)

الأمدي: عبد الواحد بن محمد بن التميمي (ت ٥٥٠ ق)، غرر الحكم و درر الكلم، تصحيح السيد مهدي رجائي، ط ٢، قم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠ هـ.
ابن سعد: محمد (ت ٢٣٠ ق)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٠ ق.

ابن شعبة الحراني: حسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، قم، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، ١٣٦٣ ش / ١٤٠٤ ق.

ابن عماد الحنبلي: عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩ ق)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٣٠ هـ.

ابن قولويه: جعفر بن محمد (ت ٣٦٧ ق)، كامل الزيارات، تصحيح عبد الحسين الأميني، النجف الأشرف، دار المرتضوية، ١٣٥٦ ش.

ابن النديم: محمد بن اسحاق (٣٨٥ ق) الفهرست، بيروت، دار المعرفة.

ابن هشام: عبد الملك (ت ٢١٨ ق)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي، بيروت، دار المعرفة.

أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١ م.

بدوي: عبد الرحمن، دراسات إسلامية من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط ٢، القاهرة، سينا نشر، ١٩٩٣ م.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)،

الأُمالي، تهران، كتابچی، ١٣٧٦ ش.

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)،
التوحيد، ط ٨، قم المقدسة، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٣هـ.

الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨ق)، الاحتجاج،
تحقيق: إبراهيم البهادري، ط ٣، دار الأسرة، إيران، ١٤٢٤.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك
(المعروف بتاريخ الطبري) ط ١، بيروت، الأميرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

العراقي: عثمان بن عبدالله حنفي، الفرق المفرقة بين أهل الزيغ و الزندقة،
تحقيق بشار قوتلوآي، أنكارا ١٩٦١م.

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، مصباح
المجتهد و سلاح المتعبد، ط ١، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الكشي: محمد بن عمر (ت ٣٥٠ق)، اختيار معرفة الرجال المعروف برجال
الكشي، تحقيق مهدي رجائي، قم، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ١٤٣٠.

الكليني: محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ق) الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط ٤،
تهران، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧ق.

المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١ق)، بحار الأنوار، تحقيق السيد إبراهيم
الميانجي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣

المسعودي (ت ٣٤٦هـ): أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن
الجوهر، ط ١، دار القارئ، ١٤٢٦هـ.

المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ق)، الجمل، الطبعة الأولى، قم،
مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣.

٣٨٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي علّق عليه خليل منصور، دار الزهراء، إيران، ١٤٢٩هـ.



البحث السابع

نهج الإمام علي الهادي عليه السلام

وأثره في التنشئة الاجتماعية

م. حيدر الموسوي م. عتاب السوداني

الجامعة الإسلامية جامعة الكوفة

النجف الأشرف كلية التربية الإسلامية



لا أحسب أن هناك فذاً من أفذاذ العقل الإنساني يضارع أهل البيت عليه السلام في مواهبهم وعبقرياتهم التي امتدّت مع الزمن وسرت موجاتها لتطوير الفكر الإنساني وتنمية الوعي الديني والاجتماعي والسياسي لجميع شعوب الأرض. لقد فجّروا ينابيع العلم والحكمة في الشرق، وأسسوا في دنيا العرب من العلوم ما يزيد على ثلاثين علماً، مضافاً إلى آرائهم المشرقة في مختلف مجالات الحياة. إن الطاقات العلمية الهائلة التي بثّها أهل البيت عليه السلام ونخص بالذكر منهم موضوع بحثنا الإمام علي الهادي عليه السلام قد ساهمت مساهمة إيجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ستبقى أعظم رصيد يملكه المسلمون ويفخرون به على أumm العالم وشعوب الأرض. والمرء منذ وجوده يسعى إلى أن لا يترك أبناءه دون وعظ ونصح وإرشاد وتنشئة صالحة، وكان الإمام علي الهادي عليه السلام تَوَاقاً إلى ذلك فيما نقل من العلوم، إذ حظيت هذه العلوم التي نبّه لها في أقواله وما أقرّه في أفعاله بكثير من الاهتمام من لدن العلماء والباحثين المعاصرين، ولعل بعضها قد توافقت مع ما أقرّه علماء النفس فيما اختص منها بالعلوم التربوية لاسيما التنشئة الاجتماعية والتي تعتبر من أدق العمليات وأخطرها شأنًا في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي تركز عليها مقومات الشخصية، إذ تؤدي البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد دوراً بالغ الأهمية في تشكيل شخصيته وتحديد أنماط سلوكه، وفي تزويده بالمعارف والمهارات والخبرات الاجتماعية اللازمة من أجل استمراره، وتمكنه من مجابهة مواقف الحياة الخارجية المختلفة. ومن هنا جاءت فكرة بحثنا هذا والمتضمن مبحثين تناولنا في المبحث الأول مفهوم التنشئة الاجتماعية وأهدافها ودور المجتمع والأسرة والمدرسة فيها وأساليب

٣٨٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣

تطبيقها وآثارها، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أشكال التنشئة الاجتماعية في نهج الإمام علي الهادي عليه السلام وهي اكتساب السلوك المرغوب فيه والقيم الاجتماعية المقبولة.

المبحث الأول

مفهوم التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية: عملية تعليمية تبدأ من الأسرة وتنتهي بالمجتمع الكبير وتراعي عدة أمور: كيف يكون سلوك الطفل؟ كيف يواجه الأزمات وكيف يتكيف تكيفاً سليماً مع مجتمعه؟ وهي تدور حول أنواع السلوك وقيم التنشئة الاجتماعية^(١).

أهداف التنشئة الاجتماعية:

إن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة ومتشعبة الأهداف تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبو إليه ويبقى محتوى ومضمون عملية التنشئة الاجتماعية يختلف من مجتمع إلى آخر وتكون الشخصية الفردية كمعطى من المعطيات ذات أنماط مختلفة باختلاف تلك الثقافات والتي تحدد مضمون التنشئة الاجتماعية منها ما يأتي:

* اكتساب الصفة الاجتماعية، والحفاظ على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته.

* غرس ثقافة المجتمع في شخصية الفرد.

* تنشئة الفرد على ضبط سلوكه، وإشباع حاجاته بطريقة تسير القيم الدينية والأعراف الاجتماعية حيث تعلمه كيفية كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها.

* تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع وقيمه بصفة عامة، وذلك حتى يستطيع الفرد اختيار استجاباته للمثيرات في المواقف المختلفة التي يتعرض لها يومياً.

(١) التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة، سهير عبد العزيز محمد، ٥.

٣٩٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

* تعليم الفرد أدواره الاجتماعية والتي يشغلها الأفراد باختلاف الجنس والسن، فدور المرأة مختلف عن دور الرجل ودور الطفل عن دور الرجل الناضج.

* غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتلك التي يحتويها الضمير وتصبح جزءاً أساسياً، لذا فإن مكونات الضمير إذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضمير يوصف بأنه حي، وأفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذلك الطفل أن يكون الأبوان قدوة لأبنائهما حيث ينبغي ألا يأتي أحدهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية^(١).

دور المجتمع، الأسرة، المدرسة في التنشئة الاجتماعية :

دور المجتمع :

يتحدد دور المجتمع في بناء سلطته، وطريقة تعاملها مع الأفراد وكيف تنسق لتربية الأجيال الجديدة في إطار هذه السلطات، لكي تكون مستجيبة لأوامرها، منتهية بنواهيها، ولكن الفرد ليس الوحيد الذي يتكيف، فالمجتمعات تتكيف أيضاً، فهي تتغير وتتبدل بمفاهيمها وقيمها ومثلها العليا ومعتقداتها ومواقفها وطرائق معاملتها، ثم طرائق حياتها، ومع تبدل المجتمعات تتغير التربية وطرائقها وأهدافها^(٢).

دور الأسرة:

لسيطرة أحد الوالدين أثر مباشر على نوع الدور الذي يملكه الطفل في حياته الراهنة والمقبلة، فإذا كان الأب مسيطراً فإن ذلك ينحو بالذكور من الأطفال إلى تقمص دور الأب، وبذلك يميلون في سلوكهم إلى النمط الذكري الرجولي، وإذا كانت الأم هي المسيطرة فإن ذلك يؤدي بالأطفال الذكور في الأغلب والأعم إلى

(١) المصدر نفسه، ٥.

(٢) تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، عبد الواحد علواني، ١٥.

السلوك العصابي بل والذهاني أحياناً، وعلى عكس ذلك وإلى حدٍّ ما بالنسبة لسلوك الإناث من الأطفال، والولد يقلّد الأب؛ لأن الأب هو النموذج الصالح كما يرتضيه له المجتمع، وال بنت تقلّد الأم؛ لأن الأم هي النموذج الصالح كما يرتضي لها المجتمع، وعندما تتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم، يواجه الطفل صراعاً في اختيار الدور الذي يقلده، وقد ينحرف سلوكه على مسالك لا سوية، وخير نموذج للعلاقات الوالدية الصالحة للتنشئة الاجتماعية السوية هو الذي يشيع في جو الأسرة نوعاً من التكامل بين سلوك الأب وسلوك الأم بحيث ينتهي إلى تدعيم المناخ الديمقراطي المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل^(١).

دور المدرسة :

تُعَدُّ المدرسة الوكالة الاجتماعية الثانية، بعد الأسرة للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال والأجيال الشابة، حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحياً ومعرفياً وسلوكياً وبدنياً وأخلاقياً ومهنياً، وذلك من أجل أن تحقق للأفراد اكتساب عضوية الجماعة والمساهمة في نشاطات الحياة الاجتماعية المختلفة، وتعمل المدرسة اليوم على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية، ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن نذكر على سبيل المثال وليس الحصر، جملة من الوظائف أبرزها: التربية الفنية والتربية البدنية^(٢).

أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها السلبية والايجابية على الأطفال:

تعدد أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة من قبل الآباء والأمهات تجاه أطفالهم ومن المعروف أن هذه الأساليب لها تأثيراتها السلبية والايجابية على الجوانب

(١) علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري، أبو ذراع أحمد، ٧.

(٢) نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، سلوى عبد المجيد، ٣.

٣٩٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

الانفعالية والاجتماعية للأطفال وفيما يأتي أهم هذه الأساليب:

* المساندة العاطفية :

العلاقة الأسرية التي تمتاز بإقامة علاقات عاطفية تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل ولكن التهديد بالحرمان من قبل الوالدين نحو أبنائهم يساعد على تنشئتهم تنشئة غير سليمة.

* أسلوب الضبط الوالدي:

ويقصد به قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة التسبب، ويكون ذلك بالعقاب البسيط.

نمط العداء لدى الوالدين :

إن الطريقة التي يترتب بها الطفل في سنواته الأولى والقائمة على المخاوف وانعدام الأمن تؤدي إلى تعرض الأطفال إلى الاضطرابات النفسية والتأخر في نواحي النمو المختلفة.

* الحماية الزائدة لدى الوالدين:

إن رعاية الطفل والاهتمام به من الأمور الضرورية التي يجب على الوالدين القيام بها ولكن لا أن يصل بها إلى درجة الحماية المفرطة، وتأخذ تلك الحماية الأبعاد الآتية: التعلق المكثف بالطفل، عدم إعطاء الطفل الحرية في استقلالية السلوك.

* تسلط الوالدين :

والمقصود من ذلك الأسلوب الذي يتبعه الوالدان في فرض الآداب والقواعد التي تتماشى مع مراحل عمر الطفل وذلك بالنهي والتوبيخ، ومن هذه الأسباب لجوء الآباء إلى التسلط: امتصاص الأب لمجموعة من القيم والمعايير الصارمة في طفولته مما يضطر إلى تطبيقها على أطفاله^(١).

(١) أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها، سهير عبد العزيز، ٥.

المبحث الثاني

اكتساب السلوك والقيم المرغوب فيها

من السلوكيات التي يجب تنشئة الطفل عليها وترسيخها في نفوسهم لتصبح منهاجاً ونبراساً لحياتهم والتي سوف نتناول الجزء اليسير منها، وهي:

الإيمان بالله:

إن الأساس الذي يجب تعليمه للطفل في سبيل التربية الصحيحة إشعاره بوجود الله والإيمان به بلسان ساذج متيسر الفهم، وإن الحاجة للإيمان بالله موجودة في باطن كل إنسان بفطرته الطبيعية. فعندما يبدأ جهاز الإدراك عند الطفل بالنشاط والعمل، ويستيقظ حسُّ التبع فيه، ويأخذ في السؤال عن علل الأشياء ومنشأ كل منها فإن نفسه الطاهرة وغير المشوبة تكون مستعدة تماماً لتلقي الإيمان بخالق العالم، وهذه الحالة هي أشد الحالات طبيعة في بناء الطفل. وللإيمان بالله أثران مهمان: الأول: إنه يعمل على إحياء أعظم واقعية روحانية أي الفطرة العقيدية، ويصب ركائز السعادة الواقعية للإنسان. الثاني: إن جميع الفطريات الروحية والفضائل الخلقية تستيقظ في ظل القوة التنفيذية للإيمان. ولا نقرأ سيرة أئمة أهل البيت عليه السلام إلا نجد في سيرتهم الإقبال على الله والإنابة إليه، وإحياء الليالي بالعبادة ومناجاة الله وتلاوة كتابه، فالإمام الهادي عليه السلام لم ير الناس في عصره مثله في عبادته وتقواه وشدة تحرّجه في الدين، فلم يترك نافلة من النوافل إلا أتى بها، وكان يقرأ في الركعة الثالثة من نافلة المغرب سورة الحمد وأول سورة الحديد إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١) وفي الركعة الرابعة سورة الحمد وآخر سورة الحجرات^(٢).

(١) سورة الحديد: ٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٧٥٠.

العلم:

عننى الإسلام بهذه القيمة وأكد أهميتها في حياة المسلمين في كثير من آيات القرآن الكريم قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) فالعلم كلمة لها قدسيته في الإسلام وهي تحمل في طياتها كل ما فيه صلاح البشر جميعاً، بل إن البشر فضّلوا على الملائكة بالعلم، وبه استحقوا خلافة الله في الأرض^(٢).

وكان الإمام الهادي عليه السلام في سن لا يتجاوز السبع سنين وتوفي والده الإمام الجواد عليه السلام وقد ظهر منه من العلوم والمعارف - وهو بهذا السن - ما يذهل الأفكار فقد امتحنه كبار العلماء بأدق المسائل الفقهية والفلسفية والكلامية، فأجاب عنها جواب العالم الخبير المتخصص، فدان العلماء بإمامته، وفي ذلك دليل واضح على أن الله تعالى منح أئمة أهل البيت العلم والحكمة وآتاهم من الفضل ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقد روي عن الإمام قوله: «خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله»^(٣). فالعالم بعلمه هو أرجح من العلم، فإن العلم يطلب وسيلة للعمل والتهذيب، فإذا عمل بذلك فقد أدى رسالته، وصان العلم ورفع منزلته وبذلك كان خيراً من العلم.

العمل:

لقد كان العمل شعار الأنبياء، فلم يبعث الله نبياً إلا كان عاملاً، وإنما يدل ذلك على أهمية العمل وشرفه، وأنه من سيرة الأنبياء والأئمة الصالحين. ونرى ذلك بصورة جلية عند الإمام الهادي عليه السلام، فقد تجرّد هذا الإمام العظيم من كل نزعة مادية،

(١) سورة العلق: ١ - ٥.

(٢) المعجم العربي الأساسي، أحمد عيد، ٨٦١.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني، ١٤٢.

فلم يعرف الأنانية ولم يخضع لأية رغبة من رغائب الهوى، ويقول الرواة: (إنه كان يعمل بيده في أرض له لإعاشة عياله) فقد روى علي بن أبي حمزة، قال: «رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض وقد استنقعت قدماء من العرق، فقلت له: جعلت فداك، أين الرجال؟ فقال الإمام: يا علي، قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه. من هو؟ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، وآبائي كلهم عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»^(١).

النظافة:

تُعَدُّ النظافة من الأمور المهمة التي يجب أن ينشأ الطفل عليها، وقد ورد في الأثر إن النظافة من الأيمان. وأن تأديب الأطفال على شروط النظافة في أجسامهم وملابسهم ينبغي أن يتم مبكراً منذ الطفولة والصغر، فلو اتسمت حياة الطفل بالكرة بالإهمال في شروط النظافة فإن هذا الإهمال سيرافقه إلى مراحل العمر الأخرى ويكون من الصعوبة عليه أن يتخلص منها فإذا لم يتعود الطفل منذ صغره على النفور من الملابس الوسخة فإنه سيألفها عند كبره ولا يبالي وهو رجل إذا إتسخت ملابسه من الخروج بها أمام الناس. إن الإسلام لا ينظر في مسألة الثياب واللباس إلى نوعها وقيمتها بل يفضل ما قلَّت قيمته، ولكن يؤكد على نظافتها أما من يهمل شروط النظافة في ملبسه ففي إسلامه وإيمانه نقص، لإرتباط النظافة - مطلق النظافة - بالإيمان. وهذا ما دعا إليه إمامنا الهادي عليه السلام حيث دعا إلى النظافة والتجمل. قال عليه السلام: «إن الله يحب الجمال والتجمل ويكره البؤس والتبؤس، فإن الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثرها. فقل له: كيف ذلك؟ قال: ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويكنس أفنيته، حتى أن السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر، ويزيد من الرزق»^(٢).

(١) الكافي، الكليني، ٥ / ٧٥-٧٦.

(٢) أمالي الطوسي، الطوسي، ٢٧٥.

الكرم :

للتعاطف صور زاهرة، تشعُّ بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأنًا، وأكثرها جمالاً وجلالاً، وأخلدها ذكراً هي: عطف الموسرين، وجودهم على البؤساء والمعوزين، بما يخفف عنهم آلام الفاقة ولوعة الحرمان. وتحقيق هذا المبدأ الإنساني النبيل (مبدأ التعاطف والتراحم) يستشعر المعوزون إزاء ذوي العطف عليهم، والمحسنين إليهم، مشاعر الصفاء والثواب والود، مما يسعد المجتمع، ويشيع فيه التجاوب، والتلاحم والرخاء. ويأغفاله يشقى المجتمع، وتسوده نوازع الحسد، والحقد، والبغضاء، والكيد. فينفجر عن ثورة عارمة ماحقة، تزهق النفوس، وتمحق الأموال، وتهدد الكرامات. من أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سغباً وحرماناً، دون أن يتحسس بمشاعرهم، وينبيري لنجدتهم وإغااثتهم. واعتبرت الموسرين القادرين والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، وإنما حرّض الإسلام أتباعه على الأريحية والسخاء، ليكونوا مثلاً عالياً في تعاطفهم ومواساتهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي، ولأن الكرم حمام أمن المجتمع، وضمان صفائه وازدهاره^(١). وكان الإمام الهادي عليه السلام أبسط الناس كفاً، وأنداهم يداً، وكان على غرار آبائه الذين يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وكانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام ويكسوهم حتى لا يبقى لهم كسوة^(٢). وقد روى المؤرخون بوادٍ كثيرة من برِّ الإمام الهادي عليه السلام وإحسانه إلى الفقراء والبائسين منها: أنه كان قد خرج من سامراء إلى قرية له فقصده رجل من الأعراب، فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب إلى ضيعة له فقصده، ولما مثل عنده سأل الإمام عن حاجته فقال بنبرات خافتة: يا بن رسول الله، أنا من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية

(١) أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر، ٨١.

(٢) صفوة الصفوة، الجوزي، ٩٨/٢.

جداك علي بن أبي طالب وقد ركبني فادح - أي دين - أثقلني حملة، ولم أر من أقصده سواك. فرق الإمام لحاله، وأكبر ما توسل به، وكان عليه السلام في ضائقة لا يجد ما يسعفه به، فكتب عليه السلام ورقة بخطه جاء فيها: إن للأعرابي ديناً عليه، وعين مقدراه وقال له: « خذ هذه الورقة فإذا وصلت إلى سرّ من رأى، وحضر عندي جماعة فطالبي بالدين الذي في الورقة، وأغلظ عليّ في ترك إيفائك ولا تخالفني فيما أقول. فأخذ الأعرابي الورقة ولما قفل إلى سرّ من رأى حضر عنده جماعة كان فيها من عيون السلطة ومباحث الأمن فجاء الأعرابي فأبرز الورقة وطالب الإمام بتسديد دينه الذي في الورقة، فجعل الإمام عليه السلام يعتذر منه، والأعرابي قد أغلظ له في القول، ولما تفرّق المجلس بادر رجال الأمن إلى المتوكل فأخبروه بالأمر، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم إلى الإمام، فحملت له، ولما جاء الأعرابي قال له الإمام: خذ هذا المال فأوف به دينك، وأنفق الباقي على عيالك. وأكبر الأعرابي ذلك وقال للإمام: إن ديني يقصر عن ثلث هذا المبلغ ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن يشاء»^(١).

التوبة :

هي الإنابة الصادقة إلى الله تعالى، ومجافاة عصيانه بعزم وتصميم قوين لا تتحقق التوبة الصادقة النصوح إلا بعد تبلورها، واجتيازها أطواراً ثلاثة :

فالطور الأول: هو: طور يقظة الضمير، وشعور المذنب بالأسى والندم على معصية الله تعالى وتعرضه لسخطه وعقابه، فإذا امتلأت نفس المذنب بهذا الشعور الواعي انتقل إلى: الطور الثاني، وهو: طور الإنابة إلى الله عزّ وجلّ، والعزم الصادق على طاعته، ونبد عصيانه، فإذا ما أنس بذلك تحوّل إلى: الطور الثالث، وهو: طور تصفية النفس من رواسب الذنوب، وتلافي سيئاتها بالأعمال الصالحة الباعثة على توفير رصيد الحسنات، وتلاشي السيئات، وبذلك تتحقق التوبة الصادقة النصوح.

(١) الاتحاف بحب الأشراف، الشبراوي، ٦٧-٦٨.

٣٩٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

للتوبة فضائل جمّة، ومآثر جليلة، صوّرها القرآن الكريم، وأعربت عنها آثار أهل البيت عليه السلام وناهيك في فضلها أنّها بلسم الذنوب، وسفينة النجاة، وصمّام الأمن من سخط الله تعالى وعقابه^(١). وقد سأل أحمد بن هلال الإمام أبا الحسن الهادي عليه السلام عن التوبة النصوح، فأجابه أن يكون الباطن كالظاهر، وأفضل من ذلك^(٢). إن حقيقة التوبة هي الإقلاع عن الذنوب والعمل على طهارة النفس وصفاتها، وأن يكون الباطن كالظاهر أو أفضل منه.

الحلم :

قد يحسب السفهاء أن الحلم وكظم الغيظ من دلائل الضعف، ودواعي الهوان، ولكنّ العقلاء يرونها من سمات النبيل، وسمو الخلق، ودواعي العزة والكرامة. فكلّمًا عظم الإنسان قدرًا، كرمّت أخلاقه، وسمت نفسه، عن مجارة السفهاء في جهالتهم وطيشهم، معتصمًا بالحلم وكرم الإغضاء، وحسن العفو، ما يجعله مثار الإعبار والثناء.

قال الإمام علي الهادي عليه السلام: «الحلم هو أن تملك نفسك، وتكظم غيظك، ولا يكون ذلك إلا مع القدرة»^(٣).

إن حقيقة الحلم أن يسيطر الإنسان على نفسه وأعصابه، ولا يخضع لعوامل الغضب وأسبابه.

الصبر :

هو استطاعة الفرد على ضبط أعصابه في أخرج المواقف، ومّا يدعو إلى تماسك

(١) أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر، ٢٧٧.

(٢) معاني الأخبار، الصدوق، ١٧٤.

(٣) نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحلواني، ١٣٨.

الشخصية وتوازنها الصبر على الأحداث وعدم الانهيار أمام محن الأيام وخطوبها^(١) ولقد أكد الإسلام أهمية التحلي بهذه القيمة وحث المسلمين عليها، إذ من يتحلّى بها فإن الله يثيبه بغير حساب قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤) وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه أيوب عليه السلام لصبره بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٥)، وتحدث الإمام الهادي عليه السلام عن فضل الصبر، وما للصابرين من الأجر عند الله تعالى، فقد روى الحسن بن علي، قال: «سمعت أبا الحسن يقول: وإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصابرون؟ فيقوم عنق من الناس، فينادي مناد أين المتصبرون؟ فيقوم عنق من الناس. فقلت: جعلت فداك، ومن الصابرون والمتصبرون؟ قال عليه السلام: الصابرون على أداء الفرائض، والمتصبرون على ترك المعاصي»^(٦). إن الصبر على أداء فرائض الله والتصبر في ترك المعاصي من أفضل ألوان الطاعات والعبادات، كما أن ذلك يوجب ضبط النفس، والسيطرة عليها من الانقياد للنزعات الشريرة والرغبات الشاذة. وقال عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»^(٧). إن الإنسان إذا دهمته كارثة وكان صابراً، فإنه يصاب بمصيبة واحدة، أما إذا كان جازعاً، فإنه يصاب بمصيتين، بمصيبته الأولى ومصيبة الجزع الثانية.

(١) المعجم العربي الأساسي، أحمد عيد، ٧١٧.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

(٣) سورة الأنسان: ١٢.

(٤) سورة السجدة: ٢٤.

(٥) سورة ص: ٤٤.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي، ١٨١ / ٧.

(٧) نزهة الناظر، الحلواني، ١٤٠.

الخاتمة

وفي نهاية بحثنا المتواضع هذا توصلنا إلى النتائج الآتية:

- * تنمية الطفل تنمية تربوية ونفسية سليمة، تشعره بالثقة والطمأنينة وتكوين قيم وعادات اجتماعية سليمة، من خلال الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.
- * الابتعاد عن القيم والسلوكيات الغير مرغوب فيها التي تؤدي إلى مسارات الجنوح والشذوذ.
- * تأكيد الدور التربوي لدور العبادة والمراقد الدينية المقدسة لتثقيفهم الآباء وتوعيتهم بأفضل الأساليب التربوية لتنشئة الأطفال.
- * إن المصدر الذي استقى منه الإمام علي الهادي عليه السلام قيمه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، التي قام عليها النظام التربوي الإسلامي.

المصادر:

القرآن الكريم

أحمد، أبو ذراع، علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠٠٤م، ٢٠٠٥م.

الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، صفوة الصفوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبية الخاطر، مشهد المقدسة، ١٣٦٢هـ.

الشبراوي، عبد الله بن محمد بن عامر، الاتحاف بحب الأشراف، تحقيق: سامي الغريبي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط ١، قم المقدسة، ٢٠٠٢م.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، معاني الأخبار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان ١٩٩٠م.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الأمالي، تح: مؤسسة البعثة، دار الثقافة، ط ١، قم المقدسة، ١٩٩٣م.

العاملي، محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة أهل البيت، ط ٢، قم المقدسة، ١٩٩٥م.

عبد العزيز، سهر محمد، التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠٠١م.

عبد المجيد، سلوى، نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، مطبعة النيل، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤٠٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

علواني، عبد الواحد تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، دار الفكر المعاصر، سوريا
١٩٩٧م.

العبد، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، تقديم الأستاذ الدكتور محي الدين صابر، جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توزيع لاروسي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت عليه السلام، ط ٤، دار المتقين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، الكافي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

المجلسي، محمد بن باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.



البحث الثامن
الخدمات السياحية
وأثرها على السياحة الدينية
لمرقد الإمام علي الهادي عليه السلام

زينة محمد العسكري



المقدمة:

أصبحت السياحة أبرز ظاهرة عصرية لا تضاهيها ظاهرة في مفاهيمها وأبعادها الاقتصادية والسياحية والاجتماعية من خلال تنوع الأنشطة والخدمات السياحية والترفيهية وحجم التدفق السياحي العالمي المتزايد وحجم الأموال التي أنفقها أولئك السياح وبنسبة العاملين في القطاع السياحي الذي وصل إلى ١١٪ وهو يعتبر أعلى نسبة من نسب العاملين في القطاعات العالمية الأخرى وخاصة في القطاع النفطي. لذلك تسعى الدول إلى تهيئة قاعدة الخدمات السياحية وصولاً إلى إحداث تنمية سياحية شاملة لكي يساهم القطاع السياحي بنسب معينة في الدخل القومي من خلال تنشيط حركة السياحة سواء الدينية أو الدينية، حيث إن لتطوير الخدمات السياحية أثراً هاماً في الجذب السياحي؛ وذلك لأنه يساعد في نمو الطلب السياحي على تلك الخدمات مما يؤدي بالتنمية لتنشيط الاقتصاد للعديد من القطاعات المختلفة جرّاء هذه الخدمات المقدمة وقطاع السياحة يلعب دوراً حيوياً في النشاط الاقتصادي للعديد من البلدان فهناك اقتصاديات دول عديدة تعتمد اعتماداً كبيراً عليها كمصدر من مصادر الدخل القومي.

ولغرض الامام بجوانب الموضوع المختلفة، تمّ تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول، تناول الفصل الأول منهجية البحث ودراسات سابقة، أما الفصل الثاني فتطرّق إلى الاطار العام أثر الخدمات السياحية في الجذب السياحي، وتناول في مباحثه الاثنين الخدمة ونشاتها والتطور والمفهوم والأهمية والخصائص ومقومات الجذب السياحي، أما الفصل الثالث فقد عني بالجانب العملي وتضمن نبذة تعريفية عن

٤٠٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) / ج ٣

الإمام علي الهادي عليه السلام وعرض تحليل البيانات والاحصائيات وتحليلها ثم خرجت الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول

منهجية البحث

تمهيد:

تم في هذا المبحث إعداد المنهجية استناداً إلى إطار البحث العلمي والمتضمن مشكلة البحث وأهميته وهدفه وفرضيته، وكما يأتي:

أولاً: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن الموقع السياحي الديني من المواقع السياحية المهمة؛ لذا ضرورة الاهتمام بتطوير الخدمات السياحية للمزار الشريف إضافة إلى عدم وجود الخدمات والأنشطة السياحية التي تلبي حاجة السائح المحلي والدولي؛ لذا ضرورة إظهار مقومات الجذب السياحي لمنطقة مركز الإمام الهادي عليه السلام بشكل يساعد على الاستفادة من التدفق السياحي الديني.

ثانياً: أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على منطقة مركز الإمام الهادي عليه السلام في المحافظة بصورة عامة وفي مدينة (سامراء) بصورة خاصة بالإضافة إلى أهمية السياحة الدينية التي تمثل نشاطاً ترويجياً لدى أعداد كبيرة من الناس ومركزاً أساسياً لتنشيط وجذب حركة السياحة الوافدة الداخلية منها والخارجية. وإذا ما استغلّت فإنها سوف تلبي احتياجات السياح من مختلف الخدمات السياحية والاحتفاظ بالعملاء الصعبة.

ثالثاً: فرضية البحث:

١ - لتطوير الخدمات السياحية أثر في الجذب السياحي

٢ - إن تحسين مستوى خدمات الطعام والشراب إضافة إلى تهيئة وسائل التسلية

٤٠٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣

وكذلك خدمات الإيواء (السكن) السياحي دور في زيادة الجذب السياحي الديني

رابعاً: هدف البحث:

يسعى البحث إلى:

- ١ - استغلال منطقة الدراسة لتوفير الخدمات السياحية.
- ٢ - السعي لكي تكون منطقة الدراسة نموذجاً لتطوير المواقع السياحية الدينية.
- ٣ - التركيز على مختلف الأنشطة السياحية ضمن منطقة الدراسة لتلبي حاجات ورغبات من خلال الجذب السياحي الديني.
- ٤ - التوجه لجعلها رافداً جيداً من روافد الدخل القومي.

المبحث الثاني

المطلب الأول

الخدمة، النشأة والتطور، المفهوم، الأهمية، الخصائص

أولاً: نبذة مختصرة عن نشأة وتطور الخدمة :

تعددت المحاولات لوصف وتحديد تطور الخدمة على مدى أكثر من قرنين من الزمن، إذ برزت أهمية الخدمة بوصفها ظاهرة عامة في مختلف المجتمعات^(١)، إذ إن الحاجات المتعددة والمتزايدة للإنسان ورغبته في إشباعها يُعدُّ محفزاً يسهم في تطورها ونموها، وفي غضون الـ (٥٠) سنة الماضية تقريباً كان هناك نمو كبير بالخدمات في البلدان الصناعية إذ شكلت المدة بعد الحرب العالمية الثانية نمو القطاع الخدمي وتحول الكثير من اقتصاديات الدول من اقتصاد التصنيع إلى الاقتصاد الخدمي نتيجة للتطور في مجال الاتصالات فضلاً عن التطورات في مجال تكنولوجيا المعلومات وبما سهل على المنظمات تقديم خدمات جديدة أفضل للمستهلكين (الضيوف) من خلال وجود أنظمة معلومات وشبكات إلكترونية^(٢)، مما جعل الخدمات تحتل دوراً مهماً في حياة المجتمع وتسهم في رفاهيتها واستقرارها والذي أنعكس بشكل واضح في السنوات الأخيرة وما شهدته من تطور في مجال تقديم الخدمات فضلاً عن اهتمام الحكومات بالإشراف والرقابة على هذه الخدمات لما لها من أثر في رفاهية الفرد والمجتمع.

(١) أحمد، علي توفيق الحاج عودة، سمير حسين محمود، تسويق الخدمات، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ط١، ٢٠١١ ص ٤٢.

(٢) البرواري، نزار عبد المجيد وباشيوة الحسن عبد الله، دار جرير للنشر والتوزيع ط١، الأردن ٢٠١١ ص ٥٣٥.

ثانياً: مفهوم الخدمة والخدمة السياحية :

يُعدُّ مفهوم الخدمة من المفاهيم التي حظيت باهتمام الكتاب والباحثين في مجالات علمية مختلفة، قعدت مفاهيم الخدمة بناءً على توجهاتهم الفكرية والفلسفية، وقبل البدء بتعريف تلك المفاهيم المعرفة ماهيتها لا بدّ من توضيح مفهومها لغوياً على وفق ما جاءت به المعاجم اللغوية، إذ جاءت الخدمة من الفعل حَدمَ - يَخدم ويَخدم: خَدَمَهُ وَخَدِمَهُ أي عمل له، ساعده في العمل، قام بحاجته^(١)، وَخَدَمَهُ. خِدْمَةٌ. قام بحاجته فهو خادم، وَأَخْدَمَهُ: جعل له خادماً^(٢).

والخِدْمَةُ: الساعة من ليل أو نهار^(٣). أما رسم الخدمة في المطاعم والفنادق فهو أجره إضافية للخدمة تضاف للأجرة الرئيسة، أو مبلغ محدد يضاف إلى الفاتورة.

أما مفهوم الخدمة اصطلاحاً فقد تعددت آراء الكتاب والباحثين حول وضع مفهوم شامل ومحدد له، لذا أرتأى الباحث تصنيفه إلى ثلاثة أصناف، إذ أكد باحثو التصنيف الأول على المفاهيم التي تركز على طبيعة نشاطات الخدمة دون التعرّف على خصائصها، إذ عرفت الخدمة بأنها: نشاطات اقتصادية تعمل على خلق قيمة، وفي الوقت نفسه تقدم منفعة للمستهلكين وذلك في الوقت والمكان اللذين يحددهما ويرغب فيهما طالب الخدمة»، وعرّفها الجمعية الأمريكية للتسويق بأنها: النشاطات أو المنافع التي تعرض للبيع أو التي تعرض لأرتباطها بسلعة معينة^(٤)، فيما رأى Stanton بأنها: النشاطات غير الملموسة والتي يمكن تحقيق منفعة للمستفيد وغير مرتبطة ببيع سلعة أو خدمة، لذا فإن انتاج خدمة معينة أو تقديمها لا يتطلب استخدام

(١) مسعود، جبران، المعجم الرائد، دار العلم للملايين ط٧، لبنان ١٩٩٢ ص ١٣٣.

(٢) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ط٤، مصر ٢٠٠٤، ص ٢٢١.

(٣) معلوف، لويس (بدون سنة طبع) المنجد في اللغة والأدب المطبعة الكاثوليكية ط١٩ لبنان ص ١٧١.

(٤) العَلّاق، بشير، ثقافة الخدمة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع الطبعة العربية، الأردن ٢٠٠٩

سلعة مادية، كما وأشار إليها الصميدعي بأنها: سلسلة من الفعاليات والأنشطة المصممة والتي تعزز مستوى الرضا للمستفيد، وأن هذه الخدمات تقدم من قبل المجهز والذي يتمثل بالأفراد أو الأجهزة التي يحصل من خلالها المستهلك على الخدمة مثل خدمات الأنترنت، فيما ركز الصنف الثاني من الباحثين على خصائص الخدمة التي تميزها عن السلع المادية إذ عرفت الخدمة بأنها: (أي نشاط أو أنجاز أو منفعة يقدمها طرف ما لطرف آخر وتكون في الأساس غير ملموسة ولا ينتج عنها أي ملكية، وأن إنتاجها أو تقديمها قد يكون مرتبطاً بمنتج مادي ملموس أو لا يكون، وعرفها أحمد^(١) بأنها: منتجات غير ملموسة يتم التعامل بها في أسواق معينة تهدف أساساً إلى إشباع حاجات ورغبات المستهلك وتسهم في توافر جانب كبير من الراحة والاطمئنان كما تحقق نوعاً من الاستقرار الاقتصادي سواء على مستوى الفرد أم المجتمع، وفي السياق نفسه عرفت بأنها: النشاط غير ملموس يحدث من خلال عملية تفاعل هادفة إلى تلبية حاجات وتوقعات العملاء وإرضاءهم وقد تكون هذه العملية مقترنة بمنتج مادي ملموس لكن إنتاجها هو أساساً غير ملموس وعند عملية الاستفادة منها ليس بالضرورة أن ينتج عنها نقل للملكية، وهي بأنها (منتجات غير ملموسة تهدف أساساً إلى إشباع حاجات ورغبات المستهلك وتحقيق له المنفعة) وعرفها بأنها: (المهام أو الفروض غير الملموسة والتي تلبي المستهلك والمستخدم الصناعي يحتاج إليها عند تطوير كفاءة وتوزيعها على قطاعات السوق المختار)، وعرفت كذلك بأنها: (مجموعة من الخصائص غير الملموسة بصفة أساسية والتي تقدم في شكل نشاط أو فائدة أو منفعة بوساطة طرف معين إلى طرف آخر وليس بالضرورة أن يرتبط إنتاجها أو تقديمها بمنتج ملموس)، وهناك من رأى بأنها: (منفعة مدركة بالحواس قائمة بحد ذاتها أو متأصلة بشيء مادي، وتكون قابلة للتبادل ولا يترتب عليها ملكية وهي

(١) أحمد، علي توفيق والحاج عودة، سمير حسين محمود، تسويق الخدمات، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ط ١، الأردن ٢٠١١ ص ٤٢.

في الغالب غير محسوسة)، وعرفها Evans بأنها: (نشاط رئيس أو تكميلي لا ينتج عنه مباشرة منتج مادي) وقام الصنف الثالث من الباحثين بتعريفها من خلال تحديد قائمة بالأنشطة الخدمية إذ عرفت بأنها: (أشياء مدركة بالحواس وقابلة للتبادل تقدمها شركات أو مؤسسات معينة بشكل عام بتقديم الخدمات أو تعتبر نفسها مؤسسات خدمية)^(١)، ورأى آخرون بأنها: (الأنشطة الاقتصادية التي تنتج عادة منتجات غير ملموسة مثل: التعليم، الترفيه، الخدمات المالية والصحية).

ويرى الباحثون أن الخدمة هي: (مجموعة النشاطات أو المنافع غير الملموسة التي يحصل عليها الفرد عند توليدها ولا ينتج عنها أي ملكية) ومن خلال مفهوم الخدمة يمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

(١) أهمية العنصر البشري في تقديم الخدمات السياحية.

(٢) ركزت مفاهيم الخدمة على أن الخدمة هي منافع يحصل عليها الفرد وفقاً لطلبه.

(٣) لا ينتج عن عملية الحصول على الخدمة تحويل ملكيتها من شخص لآخر. أما الخدمة السياحية فقد اختلفت وجهات نظر الكتاب والباحثين حول وضع مفهوم محدد لها؛ وذلك لتعدد وترابط الخدمات المقدمة وكيفية تحقيقها وإشباعها لحاجات ورغبات الضيف، لذلك لا بد من توضيح بعض مفاهيم الخدمة السياحية على وفق النحو الآتي:

إذ عرفت الخدمة السياحية بأنها: (مجموعة من الأعمال والنشاطات التي توفر للسائح الراحة والتسهيلات عند شراء واستهلاك المنتجات السياحية خلال وقت سفرهم أو إقامتهم في المرافق السياحية بعيداً عن مكان سكنهم الأصلي). وهناك من

(١) البرواري، نزار عبد المجيد وباشيوة الحسن عبدالله، ٢٠١١ ص ٥٣٧.

رأى بأنها: (منتجات غير ملموسة يتم التعامل بها في أسواق سياحية تهدف أساساً إلى إشباع حاجات ورغبات الضيف وتسهم في توافر الراحة والاطمئنان والرعاية كما تحقق نوعاً من الاستقرار الاقتصادي سواء كان على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع)، وعُرفت كذلك بأنها: (نشاطات وفعاليات غير ملموسة تقدمها المنظمات السياحية لضيوفها بالشكل الذي يحقق لهم الرضا والقبول والانتفاع والتأثير فيهم لتكرار الزيارة)^(١). فيما عرفها علوان بأنها: (نشاطات غير مادية أو غير ملموسة والتي يمكن تقديمها بشكل مستقل لإشباع حاجات ورغبات الضيف عند قدومه إلى أي مرفق سياحي لقاء أجر معين). من خلال المفاهيم المختلفة للخدمة السياحية تبرز مجموعة عناصر يتطلبها إنجاز الخدمة السياحية وهي مجهر الخدمة والمستهلك (الضيف) فضلاً عن وجود عناصر أخرى مثل الموقع، والمعدات، وغيرها، ولكي تعمل هذه العناصر يجب أن تكون هناك رؤية واضحة في كيفية إدارة هذه العناصر المكونة للخدمة السياحية وما هي طبيعة الإجراءات التي يتم إتباعها بغية تقديم الخدمة للضيف، وبتفاعل هذه العناصر المكونة يتكوّن مصطلح الخدمة السياحية، وقد جسّد هذه الفكرة الباحث، ضمن مفهوم أطلق عليه مثلث الخدمة ويتكون من أربعة عناصر هي وكما هو مبين في شكل.

أ- الإستراتيجية: وهي الرؤية أو الفلسفة التي تكون مرشداً لإدارة المنظمة لكل جوانب تسليم الخدمة للزبون.

ب. الضيف: وهو يمثل مركز المثلث التي يجب أن تركز الخدمة نحو الضيف وحاجاته.

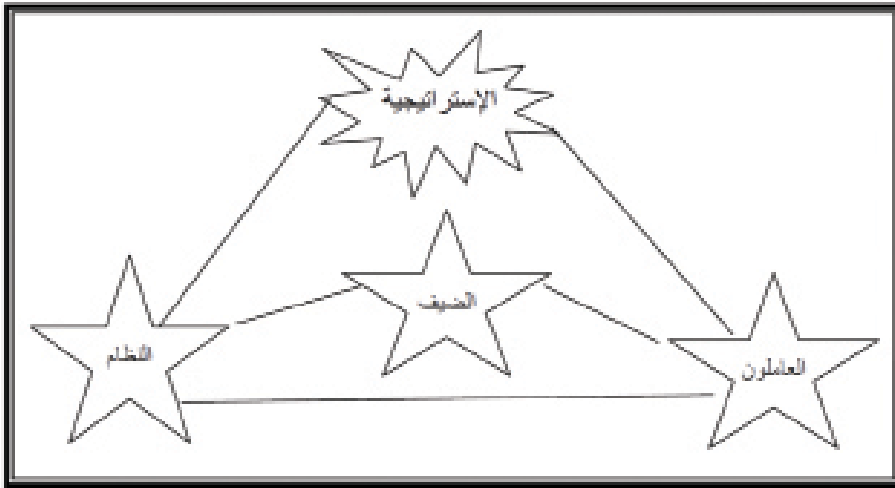
ج. النظام: وهو النظام المادي والإجراءات التي تستخدمها المنظمة في إنتاج

(١) أوسو، خيرى علي اثر المزيج التسويقي في تحقيق جودة الخدمة الفندقية، دار الشروق للنشر والتوزيع ط ١ الأردن ٢٠٠٧، ص ٤٩.

الخدمة.

د. العاملون: وهم الأفراد العاملون في إنتاج الخدمة

إنّ المفاهيم (العناصر) التي جاء بها مثلث الخدمة تزود الإدارة العليا للمنظمة بطريقة تفكير واضحة حول كل ما يتعلّق بعمليات صناعة الخدمة، وعند التفكير في تصميم أنظمة الخدمة، وتجنب الإدارة من الوقوع في المشاكل التي تواجه إنتاج الخدمة، فضلاً عن استخدامه في تشخيص المشكلات التي تواجه الإدارة ثم تحديد أسباب تقديم خدمات غير جيدة للضيف.



شكل (١) مثلث الخدمة

لذا يرى الباحثون أن الخدمة السياحية (حزمة من النشاطات والفعاليات غير الملموسة التي تقدمها المنظمات السياحية والفندقية بهدف إشباع حاجات ورغبات الضيف وتحقيق رضاه).

ثالثاً: أهمية الخدمة السياحية:

إن التطورات المهمة في منظمات الأعمال ولاسيما المنظمات السياحية في العصر

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقر الإمام علي الهادي عليه السلام ٤١٥

الحالي أدت إلى زيادة الاهتمام بقطاع الخدمات، إذ كان الاهتمام منصباً على القطاع الصناعي ودوره في تحقيق خطط التنمية على مستوى الدول ومن ثم على مستوى المنظمات، أما في العصر الحالي شهد انخفاض دور القطاع الصناعي وزاد الاهتمام بقطاع الخدمات كمحور أساسي في تشكيل القطاعات الاقتصادية وكمورد هام في دخل الدولة.

لذا فقد شهد قطاع الخدمات أهمية كبيرة في عصرنا الحالي نتيجة للتطورات التكنولوجية التي شهدتها العالم مما أدى إلى اهتمام دول العالم بالخدمات نتيجة تطور المجتمع وزيادة قوته الشرائية فضلاً عن ازدياد عدد العاملين في هذا القطاع^(١) وأزادت أهمية الخدمات في الآونة الأخيرة لأسباب عديدة منها^(٢):

(١) ارتفاع مستويات الدخل في كثير من دول العالم إذ جعلت هذه الدخل الإضافية الإنفاق على الكثير من الخدمات ومنها الخدمات السياحية أمراً ممكناً وميسوراً.

(٢) ارتفاع نسبة العاملين في قطاع الخدمات إذ تشير الدراسات إلى أن أكثر من ثلثي مجموع القوى العاملة في العالم تعمل في قطاع الخدمات وبضمنها الخدمات السياحية والفندقية.

(٣) التغيرات في بيئة منظمات الأعمال واستخدام التكنولوجيا أدى إلى زيادة الحاجة إلى الخدمات المدعمة لهذه الأنشطة.

(٤) تستقطب صناعة الخدمات وبضمنها الخدمات السياحية أعداداً كبيرة من العاملين وهذا من شأنه أن يزيد من فرص العمل والتشغيل.

(١) أوسو، خيرى علي، اثر المزيج التسويقي في جودة الخدمة الفندقية، مصدر سابق، ص ٢١.

(٢) المحياوي، قاسم نايف علوان، إدارة الجودة في الخدمات مفاهيم وعمليات وتطبيقات، دار الشروق للنشر والتوزيع ط١، الأردن ٢٠٠٦ ص ٥٥.

٥) النمو السريع للخدمات على نطاق دولي والذي بدوره انعكس على إزالة الحواجز الكمركية بين الدول المختلفة، وظهور الخدمات ظهوراً تخصصياً بعيداً عن العمومية وبخاصة في مجال السياحة.

رابعاً: خصائص الخدمة السياحية:

لقد تناولت العديد من الدراسات والأبحاث مجموعة من الخصائص المميزة للخدمات السياحية تمثلت بالآتي:

(١) اللاملموسية:

تُعدُّ اللاملموسية الخاصية الأساسية والرئيسية التي تميّز وتفرّق الخدمات السياحية عن السلع^(١)، إذ إن الخدمات السياحية لا يمكن لمسها، وتذوقها وشمها أو رؤيتها قبل شرائها، وهذه الخاصية أو السمة تجعل عامل المخاطرة ملازم للخدمات السياحية، إذ قد لا يحصل الضيف على الخدمة المطلوبة وفقاً للوعد بتوافرها حسب خصائص محددة، ومن أجل التقليل من المخاطرة وعدم التأكد يبحث الضيف عن أدلة أو علامات عن جودة الخدمة والتي تركز على المكان، التقديم، الكادر المدرب، فكلما تمكن مقدم الخدمة من إضافة أشياء ملموسة للخدمة السياحية التي يقدمها مثل: مكان تقديم الخدمة، الأشخاص الذين يقدمونها والمعدات التي تستخدم في التقديم، كلما ساعد ذلك في التقليل من صعوبات تقديم الخدمة^(٢)، وتشمل اللاملموسية كلاً من الملموسية الواضحة أي التي يمكن لمسها من قبل الضيف والملموسية الذهنية ويكون من الصعب إدراكها ذهنياً^(٣)، إذ إن معظم الخدمات السياحية هي خليط من

(١) أحمد، علي توفيق والحاج عودة، تسويق الخدمات، مصدر سابق، ص ٤١.

(٢) أبو جمعة، نعيم حافظ، أساسيات وإدارة التسويق، دار القلم للنشر والتوزيع ط ١، الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٩، ص ٤٣٧.

(٣) الضمور، هاني حامد، تسويق الخدمات، دار وائل للنشر والتوزيع ط ٤، الأردن ٢٠٠٨، ص ٢٣.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقر الإمام علي الهادي عليه السلام ٤١٧

العناصر الملموسة وغير الملموسة ومثل على ذلك الخطوط الجوية عناصر غير ملموسة في صورة نقل وعناصر ملموسة في صورة الطائرة أو الطعام، أو يقدم الفندق عناصر غير ملموسة مثل الإضاءة الجيدة في ممرات الفندق وعناصر ملموسة مثل تصميم الفندق والديكورات الحديثة.

(٢) القابلية للتلف:

للطبيعة غير المادية للخدمات السياحية فإنها لا يمكن تخزينها أو إعادة استخدامها، نتيجة لذلك فإن المنظمات السياحية تتعرض أو تواجه خسائر كبيرة في حالة عدم الاستفادة من الخدمة^(١) مثلاً لا يمكن تخزين غرفة الفندق غير المستخدمة واستخدامها في ليلة لاحقة أو الاحتفاظ بمقاعد فارغة في الطائرة واستخدامها في رحلات أخرى في اليوم التالي^(٢).

(٣) التلازمية:

عادة ما يتم إنتاج الخدمات السياحية واستهلاكها في وقت واحد على العكس من السلع المادية التي يتم تصنيعها إذ لا يمكن فصل الخدمات عن مقدمها إذ إن مقدم الخدمة يقدمها ويعرضها في نفس وقت تقديمها. وتشير التلازمية إلى درجة الترابط بين الخدمة ذاتها وبين الشخص الذي يتولى تقديمها، إذ تكون درجة الترابط أعلى بكثير في الخدمات قياساً إلى السلع ويترتب على هذه الخاصية حضور الضيف إلى مكان تقديم الخدمة^(٣)، فلا يمكن إنتاج الخدمات السياحية في أحد المواقع واستهلاكها في موقع

(١) الطائي، مراتب حسين، أثر قسم القيادات العليا في التكيف التنظيمي، دراسة تطبيقية على منظمات السياحة، رسالة ماجستير في علوم السياحة وإدارة الفنادق كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية.

(٢) مبولي، جاي ككندا وموك، كوني وسباركس بيفيري، إدارة جودة الخدمة في الضيافة والسياحة ووقت الفراغ، دار المريخ للنشر والتوزيع ط ١، السعودية ٢٠٠٧ ص ٥٩.

(٣) العلق، بشير، ثقافة الخدمة، مصدر سابق: ص ٤١.

٤١٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

آخر، إذ إن خدمات السياحة تُباع أولاً وتنتج بعد ذلك وتستهلك في الوقت نفسه والمكان نفسه، ويترتب على خاصية التلازمية الآتي:

(أ) وجود علاقة مباشرة بين الشخص الذي يحصل على الخدمة والضيف لذا فإن الحصول على الخدمة السياحية يتطلب حضور الضيف إلى مكان تواجد الخدمة ووجود علاقة اتصال بينه وبين مقدم الخدمة.

(ب) زيادة درجة الولاء إلى حد كبير، فالضيف في الخدمة السياحية يصر على طلب الخدمة من شخص معين أو مجموعة أشخاص معينين.

(٤) التباين:

تتميز الخدمات السياحية بخاصية عدم التماثل أو التباين وذلك لأنها تعتمد على مهارة واسلوب وكفاءة مقدمها ومكان وزمان تقديمها، إذ إن مقدم الخدمة يقدم خدماته بطرائق مختلفة وتبعاً لذلك تتباين الخدمة المقدمة وذلك لاختلاف الشخصية، والخبرة أو المعرفة وغيرها من العوامل التي تؤثر في تقديم الخدمة ومستوى الإشباع المتحقق منها، ولتتمكن المنظمات السياحية من الارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة فإنها تلجأ إلى استخدام عدد من الاستراتيجيات بهدف التوصل إلى مستوى مقبول للخدمة المقدمة والحصول على رضا الضيف^(١).

(١) العلاق، بشير، ثقافة الخدمة مصدر سابق، ص ٤٩.

المطلب الثاني

مقومات الجذب السياحي

أولاً: تمهيد..

يتمثل النشاط السياحي في تقديم منتج معين يسمّى بالمنتج السياحي وهو غالباً ما يتمثل بخدمة يطلبها السائح تلبي رغبته وترضي احتياجاته فيشترىها، وخصائص هذا المنتج تتمثل في كونه منتجاً مركباً، فهو مزيج من مجموعة عناصر وعوامل تتشابك وتتكامل مع بعضها لتكوين منتج متجانس، وهذه العناصر هي^(١):

• المعالم والمغريات السياحية للبلد.

• الخدمات والتسهيلات السياحية والفندقية.

• خدمات النقل والمواصلات.

وتمثل المغريات والموارد ومقومات الجذب السياحي سواء المتطلبات الدينية أم التاريخية أم الطبيعية والعلاجية إحدى الركائز الأساسية للعرض السياحي في أي دولة، وهي تُعدّ عوامل يحدد السائح على أساسها مكان الزيارة المقصود، ولذلك تختلف هذه العوامل تبعاً لطبيعة كل فرد والتي يتأثر الطلب السياحي بها، هذه العوامل تتمثل في طبيعة المكان من حيث توافر الشمس والرمال مثلاً أو الجبال والجليد أو الغابات والأنهار، وقد تكون هذه العوامل معالم سياحية كمدن الملاهي، كما قد تكون هذه العوامل أحداث سياسية اجتماعية أو رياضية مثل حضور مؤتمرات وقد يرتبط هذا بمعرفة الأساليب الحديثة أو القيم الحضارية والاجتماعية لمجتمع هذه

(١) الطيب، سعيد صفى الدين، مقومات التنمية السياحية في ليبيا - دراسة في الجغرافية السياحية، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - قسم الجغرافية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٩.

المنطقة وبذلك يكون الاطلاع هو الحافز والدافع على السفر والسياحة^(١).

ثانياً: مفهوم الجذب السياحي (Tourism Attractions)

السياحة نظام تتكون من ثلاثة عناصر أساسية: العنصر الديناميكي المتحرك (السائح)، والعنصر الثابت وهو (الموقع السياحي)، أمّا العنصر الثالث فهو طرق النقل التي توفر إمكانية الوصول أو الربط بين الإنسان و المكان.

ومن ثمّ فإنّ عدم وجود الموقع السياحي يجعل مفهوم النظام السياحي غامضاً. وتختلف هذه المواقع في مقوماتها وجاذبياتها، ومفهوم الجاذبيات السياحية مفهوم عام وواسع يشمل جميع مناطق الترويح والتسلية و المتعة التي يبحث عنها السائح التي من شأنها زيادة مستوى القناعة و الرضا بالتجربة السياحية، هذه المناطق قد تكون طبيعية ذات ملامح مميزة أو موقعاً سياحياً فريداً يمكن الوصول إليه من قبل السائح على مدار السنة. إذ عرّف المجلس السياحي الانكليزي الجاذبيات السياحية بأنها: مناطق قصد سياحي لها عمر محدد، الغرض الأساسي من اكتشافها أو خلقها هو زيادة متعة الفرد و بهجته أو زيادة ثقافته ويمكنه الوصول إليها دون اي حجز مسبق ولها القدرة على جذب العديد من الأفواج السياحية.

ويُعرّف الجذب السياحي أنه ميزة مادية أو ثقافية توجد في مكان معين لها القدرة على توفير الراحة والترفيه التي يحتاجها المسافر أو السائح.

وتُعرّف بأنها المواقع التي تدار لغرض جذب الزوار و السياح وتوفر لهم طرق استمتاع طوال فترة إقامتهم^(٢). وهذه التعاريف تشترط للموقع السياحي أن يحقق الأهداف التالية:

١ - أنه يدار باعتباره مقصداً ليوافر الرضا للسائحين.

(١) Lesley Pender and Richard Sharpley. The Management of Tourism. SAGE Publication. Indya. 2005.P203

(٢) الطيب، سعيد صفى الدين، مقومات الجذب السياحي في ليبيا، مصدر سابق، ص ٦٠.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٢١

٢- يوفر مستوى مناسب من الخدمات بما يلائم مع طلبات السيّاح وحاجاتهم.

ومن خلال على هذه التعريف نجد أن هناك من نظر إلى الجذب السياحي على اعتباره سمة أو خصيصة يمتاز بها موقع عن آخر بحيث يكسبه خاصية الجذب وهنالك من عدّ توفر الخدمات التكميلية التي يحتاجها السائح من عناصر الجذب السياحي.

ويتحدّد الجذب السياحي في المواقع السياحية بعدة عوامل ومؤثرات منها عوامل خارجية ومنها عوامل داخلية تتعلّق بالموقع السياحي نفسه ومن هذه المؤثرات:

١- المؤثرات الداخلية:

أ- الإمكانيات السياحية التي تتمتع بها المواقع السياحية كالمناظر الطبيعية والخدمات السياحية ووسائل الترفيه وغيرها.

ب- دور الجهات المسؤولة عن إدارة العملية السياحية والإشراف على عمل القطاعات السياحية العامة والخاصة والمختلطة.

ج- الفنادق والمطاعم ودرجتها والخدمات المقدمة ومستوياتها في المواقع السياحية، إذ لا يوجد بلد يستطيع استقبال أعداد من الزوار أو السيّاح إذا لم يكن يملك أماكن توفر الإقامة والإيواء.

د- خدمات النقل وخدمات البنى التحتية التي كلّما كانت متنوعة وتوفر السهولة في تلبية حاجات السوّاح تكون أكثر جذباً سياحياً من غيرها من المواقع السياحية.

هـ- العوامل السياسية والاقتصادية التي تتأثر بها المواقع السياحية تنعكس على

حركة السياحة فيه^(١).

و- العوامل الاجتماعية والتشريعية التي تخصّ الساكنين في المواقع من أهل المنطقة وكذلك العاملين في القطاعات السياحية والترحيب بالزوار، وإتقان الدليل السياحي لأكثر من لغة. أما فيما يخصّ التشريعات فيقصد بها ما تقدّمه الدولة من تسهيلات كمركية وما إلى ذلك من إجراءات تكون أكثر جذباً للسياح.

ز- إدارة الأماكن السياحية والاهتمام بالتفاصيل في المنتجعات السياحية وتنسيق العمل بين كافة الموظفين والعاملين وتوفير العوامل المحفزة للعمل وأهمها الرواتب والأجور وأوقات العمل وغيرها؛ إذ إن الاهتمام بالعنصر البشري في أي منظمة سياحية أو فندقية هو عملية مهمة؛ لأنه يكسب المنظمة ميزة تنافسية لا يمكن تقليدها من قبل المنافسين^(٢).

ح- تنوع المواقع السياحية والاهتمام بها بالخدمات المقدمة فيها ووسائل الترفيه.

ط- القرب والبعد بين المراكز الحضرية والمدن والمواقع السياحية.

ي- التسهيلات وهي الخدمات التي يتساوى في تحمّل آثارها سلباً وإيجاباً كلّ من البلدان المصدرة للسياح والبلد المضيف لها، إذ كلّما كانت هذه الإجراءات مبسطة كلّما نشطت السياحة ومن هذه التسهيلات إجراءات الجوازات وبطاقات السفر ومنح تأشيرات الدخول وإجراءات تحويل العملة.

٢- المؤثرات الخارجية:

أ- منافسة الدول المجاورة للموقع السياحي من النواحي المناخية ومرونة التشريعات ورسوم السفر وتعدد المواقع السياحية، والأسعار والمجتمع والموظفين

(١) المهيرات، بركات كامل، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٢) الطائي، مراتب حسين، مصدر سابق، ص ٩٠.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٢٣

في قطاع السياحة.... إلخ.

ب- المدركات الحسيّة للسوّاح عن الموقع السياحي إذا كانت إيجابية كان الموقع أكثر جذباً للسياح. وهذا ينشأ من الدافع للسفر وزيارة الموقع وما توفره هذه الزيارة من إشباع لرغبات السياح

ج- المكاتب السياحية في الأسواق الخارجية التي تعمل على توضيح أهمية الموقع السياحي للمجتمع وبيان خصائصه المتفرّدة وتاريخه وما يتميز به عن باقي المواقع السياحية، وذلك من خلال إعداد كتيبات مصورة تحتوي على معلومات تخص المواقع السياحية ويكون دور السائح هو اختيار ما يناسبه من برنامج وبما يلائمه.

د- الترويج الخارجي للسياحة وأهم وسيلة ترويجية هي الإعلانات التلفزيونية والمنشورات والمجلات وغيرها التي تعطي فكرة عن المزايا السياحية والخدمات والترفيهية وترغب الناس في السفر إلى هذه المنطقة السياحية أو تلك^(١).

(١) أبو جمعة، حافظ، مصدر سابق، ص ٦٠.

المطلب الثالث

تصنيف مواقع الجذب السياحي

يشير مصطلح المغريات السياحية إلى مجموعة العناصر الداخلة في منظومة الجذب السياحي التي تجذب السياح وتغريهم للاقبال على المنتج السياحي بمفهومه الواسع طبيعية كانت أو تاريخية أو اجتماعية أو اصطناعية والتي يمكن إجمالاً تقسيمها على^(١):

أولاً: المغريات الطبيعية وتشمل: الغابات والأدغال والأحراش والجبال والكهوف والوديان والصحاري والتضاريس والسهول والهضاب والبحار والأنهار والجداول والمحميات الطبيعية والمناخ وعناصره.

ثانياً: المغريات التاريخية مثل: النقوش والكتابات والرسوم الحجرية والكهوف والآثار والهياكل والمعابد والتماثيل والمقابر القديمة والمتاحف.... إلخ^(٢).

ثالثاً: المغريات الثقافية وتشمل: جميع المظاهر العلمية والأدبية والفنية والتراثية والفلكلورية والدينية والرياضية ومجموع العادات والتقاليد التي تمارس وتقدم من خلال المهرجانات والاحتفالات والاستعراضات والمؤسسات والصروح العلمية وغيرها.

رابعاً: المغريات الاصطناعية المتعلقة بآماكن الإقامة والمعيشة من: فنادق ودور وشقق سياحية ومطاعم ودور سينما ومسارح ومكتبات عامة ونوادي ومراكز ترفيهية، كذلك وسائل النقل والمواصلات والخدمات المصرفية والصحية والبريدية والهاتفية والإنترنت^(٣).

(١) دانيال، بنيامين يوخنا، المغريات السياحية، دار ادي شير، أربيل - العراق، ٢٠٠٦، ص ٣٦-٣٧

(٢) Walsh-Heron J. & Stevens T., Op. cit, p 5

(٣) Stephen J. Page, Op. Cit, P 226

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٢٥

وتُعدُّ المغريات و المقوّمات السياحية بمثابة عوامل جذب أو هي مزيج من مجموعة أو عوامل لها قوة التأثير في اختيار السائح واتخاذ القرار بشأن جهة القصد السياحي؛ لذلك يجب أن تتصف منطقة الجذب السياحي بعدة صفات هي^(١):

١ - تحقيق المتعة والتسلية والترفيه للسياح.

٢ - لها القدرة على ملائمة رغبات الطلب الحالي والمستقبلي للباحثين عن التسلية والمتعة والترفيه.

٣ - توفير مستوى ملائم من الخدمات والتسهيلات التي تتوافق مع حاجات السياح ورغباتهم وتزيد من اهتمامهم وفترة بقائهم.

إنّ مقوّمات الجذب السياحي في أي موقع تكون المادة الخام التي يستند إليها الموقع في توفير منتج سياحي أو عرض متكامل يثير الحافز والدافع لدى السائح لزيارة الموقع ومن الصعوبة ربط أماكن الجذب السياحي بأنماط معينة من الزائرين نتيجة لتنوعهم (السياح و المقيمين بالمنطقة والزوار) أي لا يقتصر زائروا الموقع على مجرد السيّاح مثال ذلك أماكن العبادة والعتبات المقدسة.

ويمكن أن تصنف عوامل الجذب السياحي، من حيث تأثيرها في صنع قرارات السوّاح حول اختيار مقاصد رحلاتهم السياحية، إلى نوعين^(٢):

• عوامل جذب أساسية، وهي التي تؤثر إيجاباً في صنع قرار السائح، قبل بدء رحلته السياحية، نحو اختيار التوجه إلى مقصد سياحي دون آخر مثل مواقع السياحة

(١) Raffaella Nicoletta & Rocco Servidio, Tourists opinions and their selection of tourism destination images - An affective & motivational evaluation, Tourism Management Perspectives, Vo. 4, October 2012, P 21

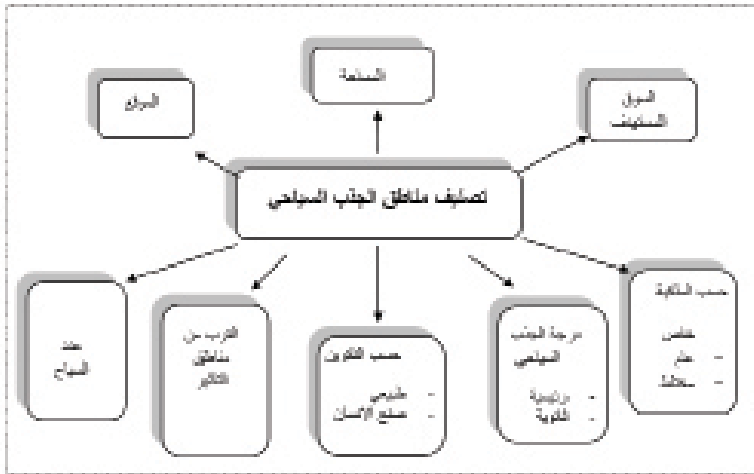
(٢) Inskeep E., Tourism Planning- An Integrated and Sustainable Approach. Van Nostrand Reinhold, New York, 1991, p98

الدينية.

• عوامل جذب ثانوية، وهي تلك التي ليست بالقوة لدرجة التأثير في قرار اختيار السائح لمقصد سياحي دون آخر، ولكنها تؤثر إيجاباً في قراره حول تمديد مدة إقامته المؤقتة في المقصد السياحي المختار مثل إقامة مهرجان فني في منتجع سياحي على ساحل البحر.

إنّ اختيار الموقع يُعدُّ من أهم العوامل التي تتدخل في نجاح أو فشل أي مشروع سياحي، وهناك شروط عامة تستلزم توافرها في أي موقع وهي سهولة الوصول إليه وتناسب مساحة الموقع مع عدد المباني والجمهور المتوقع، وطبيعة الأرض وتنوعها، ومعرفة طبيعة المنطقة المحيطة، ونوعية المباني^(١).

والشكل (٢) يمثل تصنيفات مناطق الجذب السياحي التي يمكن بيانها على النحو الآتي :



شكل (٢)

تصنيف مناطق الجذب السياحي

(١) الرحبي، سمر رفقي، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠١٤، ص ٢٣٤.

بحسب الملكية؛ إذ يمكن أن تقسم مناطق الجذب السياحي بحسب ملكيتها فمنها مناطق تعود للقطاع الخاص أو مناطق حكومية وأخرى مختلطة وهي بذلك تختلف في طريقة إدارتها وتمويلها فالمناطق العائدة للقطاع الخاص تكون موجهة بالدرجة الأساس لتحقيق الأرباح وتلعب المنافسة دوراً كبيراً في طبيعة الخدمات المقدمة ونوعيتها في حين أن المناطق العائدة للدولة أو بإدارة الجهات الحكومية لا تهدف إلى تحقيق الأرباح بقدر توفير مستوى جيد من الخدمات التي ترضي السياح والزائرين وأبناء البلد نفسه لكن غالباً ما تكون هذه الخدمات دون المستوى المطلوب^(١).

١- درجة الجذب السياحي.

وتقسم هذه المناطق على مناطق جذب رئيسة وهي تشتمل على وجود منتج سياحي مميز طبيعي أو من صنع الإنسان له القدرة على جذب أكبر عدد من الأفواج السياحية ويتمتع بوجود خدمات وأنشطة سياحية مختلفة. ومناطق جذب ثانوية وهي غالباً ما تكون مواقع أو مناطق تقع على الطرق المؤدية إلى مناطق الجذب الرئيسة التي من شأنها توفير المتعة والبهجة والراحة للسائح قبل وصوله إلى مقصده النهائي.

٢- قرب مناطق التأثير.

تزداد جاذبية المنطقة أو الموقع السياحي كلما كان قريباً من مناطق الاستيطان البشري المحيطة بها وذلك يساعد على سرعة و سهولة الوصول إليها، كما أن القرب المكاني من المواقع السياحي بالنسبة لمصادر الطلب السياحي يقلل من تكاليف السفر وذلك بحكم قصر المسافة الفاصلة بينهما مما يقلل من احتمالات زيادة مدة الإقامة، ويحدث العكس في حالة طول المسافة بين الدول المصدرة للسياح و الدول المستقبلة، إذ تؤدي زيادة تكاليف السفر إلى طول مدة مكوث السائح حتى يعوّض ما فقده من

(١) الحوامدة، نبيل زعل و موفق الحميري، مصدر سابق ص ١٣٣.

وقت ومال^(١).

٣- عدد السياح.

إذ تصنف منطقة الجذب السياحي على أساس حجم التدفق السنوي إلى تلك المناطق. فعدد السياح الذين يزورون مدن الألعاب والملاهي في مختلف أنحاء العالم يختلف بدرجة كبيرة عن عدد السياح الذين يزورون المتاحف مثلاً؛ لأن طبيعة مغريات أماكن الألعاب تفوق في تأثيرها مغريات المتاحف التي قد تجذب نوعاً معيناً من الزوار أو المهتمين.

٤- الموقع.

يقصد بالموقع من الناحية الجغرافية هو التحديد المكاني للمنطقة المقصودة بالدراسة (دولة، مدينة) وعلاقتها بالنسبة للمناطق المحيطة بها أو التي تقع خارج الحدود أما الموقع في صناعة السياحة فهو يعني الموارد الطبيعية الترويحية والمصادر البشرية الترويحية في منطقة أو بلد القصد واللدان يشكّلان القاعدة الأساس لقيام أو احتمال قيام أي تنمية سياحية مهما كانت بسيطة أو بدائية^(٢).

إنّ للموقع بمختلف أنماطه تأثيرات متباينة في صناعة السياحة بصورة مباشرة وغير مباشرة.

٥- المساحة.

تختلف مناطق الجذب السياحي في مساحتها فمنها ما تكون مساحتها عدة مئات من الأمتار المكعبة مثل المتحف أو المسرح ومنها ما يكون مئات الهكتارات مثل العتبات.

(١) بركات كامل النمر المهيّرات، الجغرافية السياحية - الأقاليم السياحية في العالم، دار الوراق للنشر، ط١، الأردن، ٢٠١١، ص ١١٧.

(٢) الجوري، مثني طه، الإرشاد السياحي، مؤسسة الوراق للنشر، ط١، الأردن، ٢٠٠٢، ص ٦٦.

٦- السوق المستهدف.

يُعرّف السوق بأنه مجموعة من المشترين الحاليين والمرقبين الذين لديهم حاجات أو رغبات غير مشبعة، ولديهم القدرة على الشراء، والذين يمكن خدمتهم وإشباعهم من جانب المنظمة^(١) والسوق السياحي لا يخرج عن هذا المفهوم فهو المكان الذي يتقابل فيه الطلب السياحي باختلاف أشكاله وفئات السائحين بالعرض السياحي سواء بشكله الخام أي ما يتوافر للبلد من موارد سياحية طبيعية وأماكن أثرية ودينية وتاريخية وغيرها أو بشكله الاصطناعي.

أمّا السوق المستهدف فيقصد به بها الطرق الأكثر فاعلية في إدارة مناطق الجذب السياحي إذ يتم تصنيف السياح على أساس صفاتهم وخصائصهم الاجتماعية والاقتصادية.

٧- بحسب التكوين.

أ- مناطق ذات تكوين طبيعي.

وترتبط هذه المناطق بالبيئة الطبيعية مثل تنوع أشكال سطح الأرض (جبال، سهول، وديان، بحيرات، سواحل) إذ تؤثر هذه الظواهر الطبوغرافية ليس على درجة الجذب السياحي فقط بل يمتد تأثيرها في نوعية الطلب السياحي الذي غالباً ما ينحصر في السياحة الترفيهية أو الاستجمام.

وترتبط بأشكال سطح الأرض عدة ظواهر متنوعة الخصائص يمثل بعضها الأساس في الجاذبيات الطبيعية مثل بعض أشكال النبات الطبيعي والأشجار وأنماط الحياة الحيوانية ومصادر المياه وكمية الإشعاع الشمسي ونقاوة الهواء. كما يرتبط بالمظاهر الطبيعية طبيعة المناخ السائد، فكلما كانت الظروف الجوية والخصائص

(١) فيليب كوتلر و جاري ارسترونج، أساسيات التسويق، تعريب د. سرور علي إبراهيم سرور، دار المريخ، السعودية، ٢٠٠٧، ص ٦٠.

٤٣٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمعي) / ج ٣

المناخية لمنطقة القصد السياحي ملائمة كلما زادت من شدة الجذب السياحي ؛ لأنها تمنح المشارك في التجربة السياحية درجة من الاستمتاع والراحة أثناء قضاء إجازته^(١).

ب- مناطق غير طبيعية من صنع الإنسان.

إنَّ العوامل البشرية المسؤولة عن قيام بيئة سياحية لها أشكال متعددة وكلها من صنع الإنسان إذ إنَّ الحياة الاجتماعية والثقافية وعبق الحضارات وطباع الشعوب وأخلاقها وعاداتها من حيث الفلكلور والصناعات اليدوية ذات الطابع المحلي والطقوس الدينية كلها مميزات تمنح تلك المناطق مميزات الجذب السياحي، فالمواقع الدينية و العتبات الدينية و الطرز المعمارية للمدن تتميز بتفردها مما يجعل المنافسة بينها قليلة^(٢).

ومن الأهمية التمييز بين مكان الجذب السياحي و الجهة السياحية؛ لأنَّ أماكن الجذب السياحي تكون عادة عبارة عن وحدات منفصلة ذات سمات جغرافية محددة في حين قد تكون الجهة السياحية قائمة على سلسلة من أماكن الجذب السياحي^(٣) ويمكن تحديد أربع أنواع رئيسية لمناطق القصد السياحي وكما يلي^(٤):

١ - المدن السياحية المركزية المعروفة من قبل السياح والتي ساعد موقعها الجغرافي وارتباطها لتكون مناطق استقطاب رئيسية للحركة السياحية، وهي بنفس الوقت مناطق تصدير رئيسية للسياح.

٢ - المدن السياحية الصغيرة الحجم المحيطة بالمدن المركزية وهي غالباً ما تتميز بقلّة عدد سكانها وبكونها مواقع استقطاب للحركة السياحية أكثر من كونها مناطق

(١) المهيرات، بركات كامل، مصدر سابق ص ١٣٠

(٢) الحوامدة، نبيل زعل و موفق الحميري، مصدر سابق ص ١٣٥

(٣) ستيفن بيج، ادارة السياحة، مصدر سابق ص ٤١٨

(٤) امنة أبو حجر، الجغرافية السياحية، دار أسامة للنشر، ط ١، الأردن، ٢٠١١، ص ١٠٤

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمرقد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٣١

تصدير للسياح.

٣- المناطق الريفية المحيطة بالمدن المركزية والتي تتميز بعدم وجود حدود واضحة لمواقعها وبذلك فإن شدة جذبها السياحي يعتمد أساساً على نوع البيئة المتوفرة.

٤- المناطق البيئية التي تمتاز بدرجة جذب سياحي كبيرة وهي غالباً ما تكون بعيدة عن مراكز المدن الرئيسة وذات استيطان متجمع

وبصورة عامة يمكن توضيح أنواع الجاذبيات السياحية كما في الجدول الآتي (١).

جدول (١)

أنواع الجاذبيات السياحية

مقومات طبيعية	تفاعل الإنسان والطبيعة	مقومات إنسانية
البيئة العامة	٤- المشاهدات	٧- البنى التحتية الأساسية
١- المناظر الطبيعية	- الريفي والزراعي	- الخدمات العامة
- الجبال	- الحدائق المتخصصة	- الوظائف الثابتة
- ساحل البحر	- حدائق الحيوانات	التجارة
- الجزر	- النباتات	التوزيع
صفات محددة	- الآثار	المالية
٢- علامات الأرض	٥- المتعة الطبيعية	- المؤسسات الحكومية
- الجغرافية	- المتنزهات	العلمية والتعليمية الدينية
- الحياتية (الأهار والنباتات)	- الشواطئ	- الناس طرق المعيشة
- المائية	- المدن	الأعراق
٣- البيئة الشاملة	- المنتجعات	٨- البنى التحتية السياحية
البيئة	٦- النشاطات	- طرق الدخول من وإلى
- المناخ	- الأنشطة الجبلية الصيفية	مناطق القصد
- المحميات	والشتوية	- مسارات السياح داخل
- المتنزهات القومية	- الأنشطة المائية	مناطق القصد
- الموارد الطبيعية المخزونة	- نشاطات خارجية أخرى	- المعلومات والتوجيهات
		- الحاجات الأساسية
		الإقامة
		الإطعام
		٩- البنى الفوقية
		- متعة الترفيه
		العروض المسرحية
		الأحداث الرياضية
		- الثقافة والتاريخ والفن
		المتاحف
		المهرجانات
		المتنديات

المطلب الرابع

خصائص مناطق الجذب السياحي

يمكن تحديد عدد من الخصائص التي تميز مناطق الجذب السياحي على اختلاف أنواعها وهذه الخصائص هي^(١):

١- تتميز منطقة الجذب السياحي بكونها متجانسة في صفاتها الطبيعية ولها علامة تجارية مميزة تجعل منتجها وخدماتها السياحية مختلفة عن سائر أنواع المنتجات الأخرى حتى وإن كانت ضمن المجموعة نفسها من المغريات؛ فالمحميات الطبيعية مثلاً تتشابه في الهدف من إقامتها لكنها تختلف في الموقع وفي طبيعة البيئة السائدة.

٢- منطقة الجذب السياحي تتوفر فيها خدمات وتسهيلات مكاملة للعرض السياحي الرئيس وهي مسؤولة عن اشتراك السائح بالرحلة السياحية؛ بالفندق والمطعم خدمات أساسية للسائح^(٢).

٣- تختلف مناطق الجذب السياحي في طبيعة الخدمات والفعاليات والأنشطة التي توفرها مكاملة للعرض السياحي؛ فالخدمات التي تقدم في مناطق الجذب السياحي قرب السواحل تختلف عن الخدمات والفعاليات التي تتوفر في المناطق الجبلية^(٣).

٤- بعض مناطق الجذب السياحي تنشأ نتيجة لوجود مشاريع ذات وظيفة غير ترويحية. فالمواقع السياحية التي تقام قرب السدود والخزانات هي مواقع نشأت قرب أماكن وجدت أصلاً لحزن المياه والاستفادة منها لري الأراضي الزراعية. كذلك

(١) الحوامدة، نبيل زعل وموفق الحميري، مصدر سابق ص ١٤١-١٤٢.

(٢) ستيفن بيج، إدارة السياحة، مصدر سابق ص ٤١٩.

(٣) روبرت ماكنتوش وتشارلز جيولندر وجي ار برنت ريتشي، بانوراما الحياة السياحية، مصدر سابق ص ٥٢٧.

٤٣٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماذ السّلم المُجمّعي) / ج ٣

بالنسبة للخدمات الترفيهية والترويحية التي تنشأ قرب العتبات الدينية والتي وجدت لأغراض تلبية احتياجات زوار هذه المناطق.

٥- تشترك مناطق الجذب الطبيعي و الاصطناعي بخاصيّة طول الموسم السياحي لكنّهما يختلفان لأنّهما مناطق جذب طبيعي تتميز بعدم إمكانية السيطرة على الطاقة الاستيعابية مما يعرّض البيئة الطبيعية للدمار و التخريب وذلك لجهل أغلبية السياح بقواعد المحافظة على البيئة الطبيعية.

ومن ثمّ فهناك عدة عوامل تؤثر في اختيار الموقع السياحي من قبل السائح، مما يؤثر في نجاحه أو فشله من الناحية الموقعية، ومن هذه العوامل:

أ- معرفة السوّاح لهذه المواقع ويتم ذلك عن طريق وسائل الإعلان للترويج للموقع السياحي.

ب- سهولة الوصول إلى الموقع السياحي من خلال إنسيابية المرور والطرق المؤدية إليه، إضافة إلى عن توفير وسائل النقل السياحية المريحة، وتنوّع المواقع السياحية^(١)

ج- طبيعة الموقع السياحي من الأرض والمناخ والصفات الجمالية والمساحات الخضراء والمياه والتربة.

د- تميز الموقع وتفرّده بمواصفات وظواهر قد لا توجد في غيره من الأماكن.

هـ- التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية والعمرانية بحيث تكوّن صورة متكاملة وجميلة وتقوي العناصر الطبيعية للموقع كالمياه والجبال والأشجار أو أي عنصر آخر بحسب الموقع السياحي.

(١) S.A.H.Shobeiri & Gurudeo A. Tularam, Modeling Tourist Arrivals in Destination Countries – An Application to Australian Tourism, Journal of Mathematics & Statistics ٦, ISSN, ٢٠١٠, p ٤٣٢.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٣٥

و- تخطيط المعالجات الفنية بصورة تخلق مجمعاً سياحياً ومرافق سياحية جذابة بحيث تولّد تشكيلات جذابة وداعمة لمشاعر الاستجمام والاسترخاء، وتوفر الخصوصية وتكون باختيار أجمل المشاهد^(١).

ز- طريقة توزيع الأبنية في المنتجع السياحي بحيث يمكن الاستفادة من البيئة الخارجية المتولدة وتوفر الفضاءات الخارجية.

ح- توزيع الفعاليات الترفيهية والسياحية بصورة مجمعة^(٢).

(١) قيس رؤوف عبد الله ومثنى طه الحوري، دور المصادر الطبيعية في نشوء وتطور السياحة، مجلة الإدارة والاقتصاد/ الجامعة المستنصرية، العدد ٧ السنة السادسة، ١٩٨٢، ص ١٠٠.

(٢) قيس، رؤوف عبد الله، مصدر سابق، ص ٦٦.

المبحث الثالث

الإطار العملي

تمهيد

يتضمن هذا الفصل الجانب العملي للدراسة الذي حاولت فيه الباحثة أن تثبت في ضوء التطبيق العملي الجوانب المتعلقة إثر تقديم الخدمات السياحية في الجذب السياحي وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين وكالاتي :

١ - المبحث الأول: نبذة تعريفية عن حياة الإمام علي الهادي عليه السلام.

٢ - المبحث الثاني: عرض وتحليل نتائج البيانات والاحصائيات.

المطلب الأول

نبذة تعريفية عن حياة الإمام علي الهادي عليه السلام

خصص هذا المبحث للتعريف بحياة الإمام علي الهادي عليه السلام، إذ ستحدث في المطلب الأول عن مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام.

١ - مرقد الهادي عليه السلام^(١):

هو علي الهادي ابن الإمام محمد الجواد، ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي السجاد (زين العابدين) ابن الإمام الحسين الشهيد ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

أحد الأئمة الاثني عشر ووالد الإمام الحسن العسكري وجد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وأم الإمام علي بن محمد العسكري عليه السلام من المؤمنات العارفات والصالحات والمجاهدات واثني عليها الإمام وهي من أصل مغربي واسمها سمائه.

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام علي الهادي: بيروت، بئر العبد، ط ٢، ١٩٩٣، ص ٣-٤.

أ) حياة الإمام علي الهادي عليه السلام^(١)

ولد الإمام علي الهادي عليه السلام في صريا في المدينة المنورة في النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين يوم الثلاثاء الخامس من رجب. وهو ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام نشأ الهادي وتعلم على يد أبيه الإمام الجواد عليه السلام، من نسل الأطهار الصافي وغرف من بحر علمه حيث ترعرع تحت رعاية أب شغوف، وعناية معلم ناجح يجب الخير لجميع الخلق، فالهادي عليه السلام منحدر من أطهر الناس وأعلمهم وأتقاهم وأكرمهم وأرفعهم منزلة وأعلاهم شأنًا فهو سليل النجباء أولياء الله وحجته على عباده في ملكوت أرضه وما اشتهر به الإمام الهادي عليه السلام هو قوة الحجّة والبديهة والجرأة وعدم المكابرة والاستظهار. دعاه الناس بالقباب عديدة من بينها المرتضى، الهادي، التقي، العالم، الفقيه، المؤمن، الطيب، وأشهرها الهادي والتقي.

عاش الإمام الهادي عليه السلام من يوم ولد إلى سنة ٢٣٦ في المدينة المنورة بين الضيق والرخاء من قبل الخلفاء العباسيين. ضيقوا عليه في بداية أمره بحجة التربية والتعليم، ثم رفع الحصار عنه. قصده القريب والبعيد والعدو والولي ليستفيد من علومه الغزيرة، وأخذوا عنه الفقه والتفسير والأخلاق والآداب وسائر العلوم الإسلامية وهو في حداثة سنه. حج في بعض السنين التي كان في مدينة الرسول إلى بيت الله الحرام. كان عليه السلام كأبيه وجدّه مأوى الشيعة ومرجعهم.

بإسناده عن الحسن بن علي قال: «جاء رجل إلى علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام وهو ترتعد فرائضه فقال: يا بن رسول الله إن فلاناً يعني الوالي أخذ ابني واتهمه بموالاتك فسلمه إلى حاجب من حجابيه فأمره أن يذهب به إلى موضع كذا، وقيل: فدهده من أعلى الجبل هناك ثم تدفنه في أصل الجبل.

(١) الطبسي، محمد جواد، حياة الإمام الهادي (دراسة وتحليل): بيروت، لبنان، دار جواد الأئمة، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٠٥.

٤٣٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

فقال عليه السلام: فما تشاء؟ فقال: ما يشاء الوالد الشفيق لولده. فقال: اذهب ابنك يأتيك غداً إذا أمسيت ويخبرك بالعجب من أمره، فانصرف الرجل فرحاً فلما كان عند ساعة من آخر النهار إذا هو بابنه قد طلع عليه في أحسن صورة فسرّه، فقال^(١):

ما خبرك يا بني؟

قال: صرت أنا وفلان يعني الحاجب إلى أصل الجبل فأمسى عنده في مثل هذا الوقت يريد أن يلبث هناك، ثم يصعدني إلى أعلى ذلك الجبل ويدهدني، وقد حفر لي القبر في هذه الساعة فجعلت اتلو، وقوم موكلون بي يحفظونني فأتاني جماعة عشرة لم أر أحسن منهم وجوهاً وانظف منهم. ثياباً وأطيب منهم روائح، والموكلون بي لا يرونهم. فقالوا لي: ما هذا البكاء والجزع والتطول والتضرّع؟

فقلت: ألا ترون قبراً محفوراً وجبلاً شاهقاً وموكلون لا يرحمون يريدون أن يدهدوني منه ويدفونني فيه؟ قالوا: بلى، أرايت لو جعلنا الطالب مثل المطلوب، فدهدناه من الجبل ودفناه في القبر لحرز نفسك فتكون لقبر محمد ﷺ خادماً؟ قلت: بلى والله، فمضوا إليه يعني الحاجب فتناولوه وجروه وهو يستغيث ولا يسمع به أصحابه ولا يشعرون به.

ثم صعدوا به في الجبل ودهدوا به منه، فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع أوصاله فجاء أصحابه وضجّوا بالبكاء واشتغلوا عني، فقمْتُ وتناولني العشرة فطاروا بي إليك في هذه الساعة وهم وقوف ينتظرون ليمضوا بي إلى قبر محمد ﷺ بالمدينة أكون خادماً، ومضى فجاء الرجل إلى علي بن محمد عليه السلام فأخبره.

ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى جاء الخبر بأن قوماً أخذوا ذلك الحاجب فدهدوه من ذلك الجبل ودفنه أصحابه في ذلك القبر، وهرب الرجل الذي كان أراد أن يدفنه أصحابه في ذلك القبر. فجعل علي بن محمد عليه السلام يقول للرجل: إنهم لا يعلمون ما

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مصدر سابق، ص ١٠-١١.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٣٩
يعلم، فضحك»^(١).

المطلب الثاني

عرض وتحليل البيانات والاحصائيات

خصص هذا المبحث لعرض وتحليل البيانات والاحصائيات وذلك عن طريق أربعة مطالب، وهي: وصف استبانة العينة، عرض نتائج المحور الأول (محور المعلومات العامة)، عرض نتائج المحور الثاني أثر تقديم الخدمات السياحية في الجذب السياحي.

أولاً: وصف استبانة العينة

سيتم في هذا المطلب عرض نتائج استبانة الاستبانة الخاصة بالدراسة بالاعتماد على الوسائل الاحصائية من خلال الوسط الحسابي، وتضمنت هذه الاستبانة محور أثر تقديم الخدمات السياحية في الجذب السياحي.

١ - وصف استبانة الاستبانة:

تُعَدُّ الاستبانة من الأدوات المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات، وقد تم إعداد هذه الاستبانة بالاعتماد على الدراسات السابقة وما استنتجته الباحثة وكذلك المقترحات المقدمة من السادة المحكمين ذوي الخبرة والاختصاص.

وقد تضمنت الاستبانة: محور أثر تقديم الخدمات السياحية في الجذب السياحي:

محور ضريبة العقار: ويتكوّن هذا المحور من (٨) ثمان عبارات تناولت اثر تقديم الخدمات في الجذب السياحي من مختلف جوانبها.

(١) الطبعي، محمد جواد، مصدر سابق، ص ١٥.

٤٤٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣

وتم توزيع استمارات الاستبانة على عينة عشوائية من العاملين في العتبة العسكرية.

وقد بلغ عدد الاستمارات التي تم توزيعها (٢٥) عينة، وتم استرجاع (١٥) استمارة استبانة مستوفية لشروط التحليل والدراسة، وكما مبين في الجدول (١).

جدول (٢)

الاستمارات الموزعة الخاضعة للتحليل

عدد الاستمارات		الاستمارات الموزعة		الاستمارات المستردة الخاضعة للتحليل	
العينة		العدد	النسبة	العدد	النسبة
العتبة العسكرية		١٢	٤٨٪	١٠	٦٦,٦٦٪
مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام		١٣	٥٢٪	٥	٣٣,٣٣٪
المجموع		٢٥	٪١٠٠	١٥	٪١٠٠

أما إجراءات معالجة الاستبانة فقد تمت وفق مقياس (ليكرت الخماسي) وكما موضح في الجدول (٣) ادناه.

جدول (٣)

مقياس ليكرت الخماسي

المقياس	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
الوزن	٥	٤	٣	٢	١

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٤١

٢- الأساليب والأدوات الإحصائية المستخدمة في التحليل:

١ - النسبة المئوية:

وتم استخراجها من جداول التكرارات عن طريق (نسبة الجزء إلى الكل مضروباً في ١٠٠).

٢ - الوسط الحسابي:

هو المتوسط لقيم متغير ما هو القيمة الناتجة من قيمة مجموع تلك القيم على عددها ويرمز له بالرمز $\bar{x}$.

$$\bar{x} = \frac{\sum x_i}{n}$$

إذ إن x_i = القيم، $\bar{x}$ = الوسط الحسابي، n = عدد القيم

٣ - الوسط الفرضي:

رقم افتراضي يضعه الباحث من خلال معادلة معيّنة.

إذ إن البديل الأوسط = ثالث خيار من خيارات الإجابات (محايد).

٤ - الانحراف المعياري:

يبين انحرافات القيم عن الوسط الحسابي لها وكلما كانت قيمته صغيرة فهذا دليل وجود التجانس في إجابات عينة البحث ويكون أفضل متغير هو الذي يحقق أعلى قيمة للوسط الحسابي وأقل قيمة للانحراف المعياري. وكما في المعادلة التالية

$$s = \sqrt{\frac{\sum (x_i - \bar{x})^2}{n}}$$

المطلب الثالث

عرض نتائج المحور الأول

المحور الأول : محور المعلومات العامة:

يمثل هذا المحور اسئلة عامة للتعرف على طبيعة الملاكات العاملة (عينة البحث) وتخصصاتهم الدقيقة، وعدد سنوات الخدمة والمزار الذي يعملون فيه وطبيعة عملهم في الدائرة للاستفادة منها في تقييم أثر الخدمات السياحية في الجذب السياحي، وتضمن عدد من الأسئلة وهي كالآتي:

١- الجنس.

أظهرت نتائج الاستبيان أن نسبة (٢٠٪) من عينة الدراسة كانوا من الإناث، ونسبة (٨٠٪) كانوا من الذكور وكما موضح في الجدول أدناه:

جدول (٤) يبين التكرارات والنسب المئوية حسب الجنس

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
انثى	٣	٢٠٪
ذكر	١٢	٨٠٪
المجموع	١٥	١٠٠٪

٢- العمر

أظهرت نتائج الاستبيان أن اجابات العينة ضمن فقرة العمر من (٢١-٣٠)، شكلت النسبة الأكبر إذ بلغت (٤٠٪)، ثم تليها فقرة العمر (٣١-٤٠) حيث بلغت (٣٣٪، ٣٣٣٪)، وتليها فقرة الأعمار (٤١-٥٠) حيث بلغت نسبتهم (١٣، ٣٣٣٪)، ثم تليها فقرة العمر (٥١-٦٠) (٦١ فأكثر) التي شكلت النسبة الأقل حيث بلغت

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمركز الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٤٣

(٦٦٧, ٦) وكما موضح في الجدول أدناه.

جدول (٥)

يبين التكرارات والنسب المئوية حسب الفئات العمرية

النسبة المئوية	التكرارات	الفئات العمرية
٤٠٪	٦	٣٠-٢١
٣٣٣, ٣٣٪	٥	٤٠-٣١
٣٣٣, ١٣٪	٢	٥٠-٤١
٦٦٧, ٦٪	١	٦٠-٥١
٦٦٧, ٦٪	١	٦١ فأكثر
١٠٠, ٠٪	١٥	المجموع

٣- المؤهل العلمي

أظهرت نتائج الاستبيان أن حملة شهادة البكالوريوس شكلوا النسبة الأكبر إذ بلغت (٦٠٪) في حين تليها حملة شهادة الدبلوم الفني حيث شكلوا نسبة (٦٦٧, ٢٦٪)، وتليها فقرة (أخرى تذكر) حيث بلغت (٣٣٣, ١٣٪)، أما حملة شهادة الماجستير أو ما يعادلها وشهادة الدكتوراه أو ما يعادلها فلم يشكلوا أي نسبة وهذا يؤشر الحاجة إلى زيادة عدد حاملي الشهادات العليا لغرض تطوير نشاط قطاع السياحة الدينية وكما موضح في الجدول أدناه:

٤٤٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

جدول (٦) التكرارات والنسب المئوية حسب المؤهلات العلمية

المؤهل العلمي	التكرارات	النسبة المئوية
دبلوم فني	٤	٢٦,٦٦٧٪
بكالوريوس	٩	٦٠٪
ماجستير أو ما يعادلها	٠	٠
دكتوراه أو ما يعادلها	٠	٠
أخرى تذكر	٢	١٣,٣٣٣٪
المجموع	١٥	١٠٠,٠٪

٤- التخصص العلمي

أظهرت نتائج الاستبيان أن تخصصاً آخر تذكر شكل النسبة الأكبر أذ بلغت (٦٠٪)، ثم تليها فقرة إدارة فنادق (قانون، اقتصاد، إحصائية، متوسطة، ابتدائية) وكانت نسبتها (٤٦,٦٦٧٪) وهي عبارة عن تخصصات متنوعة كالتي ذكرناها، أما علوم سياحية والإرشاد السياحي فلا وجود لهذا التخصص لذا ترى الباحثة ضرورة زيادة هذه التخصصات كما موضح في الجدول أدناه.

جدول (٧) توزيع عينة البحث حسب التخصص العلمي

التخصص العلمي	التكرارات	النسبة المئوية
علوم سياحية	٠	٠
ادارة فنادق	٧	٤٦,٦٦٧٪
ارشاد سياحي	٠	٠
اخرى تذكر (قانون، اقتصاد، إحصائية، متوسطة، ابتدائية)	٩	٦٠٪
المجموع	١٥	١٠٠,٠٪

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمرقد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٤٥

عدد سنوات الخدمة

أظهرت نتائج الاستبيان نسبة (٤٦, ٦٦٧٪) هي النسبة الأكبر من عينة البحث الذين لديهم أقل من ٥ سنة خدمة، وتليها نسبة (٣٣, ٣٣٣٪) من عينة البحث لديهم من ٥-أقل من ١٠ سنة خدمة، ثم نسبة (٢٠٪) من عينة البحث من الذين لديهم خدمة أكثر من ١٥ سنة، أما نسبة (١٤, ٧٪) هي النسبة الأدنى من عينة البحث والتي تتراوح خدمتهم أقل من ٥ سنوات وكما موضح بالجدول أدناه.

جدول (٨) توزيع أفراد العينة حسب سنوات الخدمة

الفئات	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من ٥ سنوات	٧	٤٦, ٦٦٧٪
من ٥ - أقل من ١٠ سنوات	٥	٣٣, ٣٣٣٪
من ١٠ - أقل من ١٥ سنة	٠	٠
أكثر من ١٥ سنة	٣	٢٠٪
المجموع	١٥	١٠٠, ٠٪

٥- الدائرة التي يعمل فيها

أظهرت نتائج الاستبيان أن العاملين في مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام شكلوا النسبة الأكبر حيث بلغت (٦٦, ٦٦٧٪)، وتلتها العتبة العسكرية إذ شكلت نسبة الإجابات فيها (٣٣, ٣٣٣٪) من عينة البحث، (١٠, ٨٪) وكما موضح بالجدول أدناه.

جدول (٩)

توزيع عينة البحث حسب مواقع العمل

النسبة المئوية	التكرارات	موقع العمل
٦٦, ٦٦٧٪	١٠	العتبة العسكرية
٣٣, ٣٣٣٪	٥	مرقد الإمام علي الهادي عليه السلام
١٠٠, ٠٪	١٥	المجموع

٦ - طبيعة العمل

أظهرت نتائج الاستبيان أن أفراد العينة الذين كانوا بوظيفة (موظف) شكلوا النسبة الأكبر حيث بلغت (٩٣, ٣٣٣٪)، يليها أفراد العينة الذين كانوا بوظيفة (مدير) ونسبة (٦, ٦٦٧٪)، من أفراد العينة وكما موضح بالجدول أدناه.

جدول (١٠)

توزيع عينة البحث حسب العنوان الوظيفي

النسبة المئوية	التكرارات	العنوان الوظيفي
٦, ٦٦٧٪	١	مدير
٩٣, ٣٣٣٪	١٤	موظف
١٠٠, ٠٪	١٥	المجموع

المطلب الرابع

عرض نتائج المحور الثاني

المحور الثاني : أثر تقديم الخدمات في الجذب السياحي

سوف يتم في هذا المحور تحليل إجابات عينة البحث وفقاً لكل عبارة وفي كل محور من محاور الاستبانة وكما يأتي:

العبارة الأولى: (ضرورة الاهتمام بخدمات الطعام والشراب المقدمة كالمطاعم ودور الاستراحة حيث إنها لا تليق بمستوى العمل السياحي).

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

جدول (١١)

البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الأولى

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٨	٤	١	٢	٠	٣,٤	٤	١٥
النسبة المئوية	٥٣,٣٪	٢٦,٦٧٪	٦,٦٧٪	١٣,٣٣٪	٠			٪ ١٠٠

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن فقرة (اتفق بشدة) وشكلت نسبة (٥٣,٣٣٪) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٣,٤) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (٤).

وهذا يؤشر الحاجة إلى ضرورة الاهتمام بنظافة الأطعمة المقدمة ودور الاستراحة.

٤٤٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

العبارة الثانية: (ضرورة توفير أماكن الإيواء يساهم بزيادة الطلب السياحي ولمستوى النظافة السائد علاقة إيجابية بين الراغبين)

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

جدول (١٢)

البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الثانية

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٩	٦	٠	٠	٠	٣,٢	٤,٤٤	١٥
النسبة المئوية	٦٠٪	٤٠٪	٠	٠	٠			١٠٠٪

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن فقرة (اتفق بشدة) وشكلت نسبة (٦٠٪) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٣, ٢) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (٤, ٤٤). وترى الباحثة أنه ضرورة بناء الفنادق وذلك لزيادة استيعاب أكثر عدد من السياح إضافة إلى الاهتمام بنظافة المناطق المحيطة لمنطقة الدراسة.

العبارة الثالثة: (ضرورة توفر المطاعم ومناطق التسلية يزداد الطلب السياحي)

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمركز الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٤٩

جدول (١٣)

البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الثالثة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق بشدة (٢)	لا اتفق (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٨	٦	٠	١	٠	٣,٢	٣,٩٦٢	١٥
النسبة المئوية	٥٣,٣ %	٤٠ %	٠	٦,٦٦٧ %	٠			١٠٠ %

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين ان معظم اجابات العينة كانت ضمن فقرة (اتفق بشدة) وشكلت نسبة (٥٣,٣) من اجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٣,٢) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (٣,٩٦٢).

وترى الباحثة أن نسبة المطاعم قليلة حالياً ويجب زيادتها إلى حدٍ معقول وعلى وفق أسس سليمة وذلك لزيادة الإيرادات السياحية.

العبارة الرابعة: (خلو الموقع الديني من أي تطور أو تنمية حقيقية لتحسين مستوى الخدمات السياحية أو الترفيهية)

وكانت إجابة عيّنة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الاتي:

٤٥٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماذ السلم المجتمعي / ج ٣

جدول (١٤) البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الرابعة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٣	٥	٤	٢	٠	٢,٦	١,٣	١٥
النسبة المئوية	٢٠٪	٣٣,٣٪	٢٦,٧٪	١٣,٣٪	٠			١٠٠٪

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن فقرة (اتفق) وشكلت نسبة (٣,٣٣٪) من إجابات العينة.

وكانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٦,٢) وهي قيمة أقل من المتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (١,٣) ضرورة إعداد خطط لتحقيق التنمية المستدامة وتحسين مستوى الخدمات السياحية في منطقة الدراسة.

العبارة الخامسة:- (لا بد من توفر قيادات إدارية في الموقع الديني تهتم بالموارد البشرية لتحقيق أفضل النتائج)

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي :

جدول (١٥) البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الخامسة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٤	٧	٣	١	٠	٣,٢	٢,٩	١٥
النسبة المئوية	٢٦,٦٧٪	٤٦,٦٦٪	٢٠٪	٦,٦٦٧٪	٠			١٠٠٪

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقر الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٥١

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن
فقرة (اتفق) وشكلت نسبة (٦٦, ٤٦) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٢, ٣) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط
المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره
(٩, ٢). وترى الباحثة أنه يجب توفر قيادات قادرة على إدارة الموظفين العاملين في
مزار الإمام علي الهادي عليه السلام.

العبارة السادسة: (إقامة دورات تدريبية لتعرف من خلالها على العاملين الذين
يتملكون الخصائص والمؤهلات)

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

جدول (١٦) البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة السادسة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٧	٨	٠	٠	٠	٣,٢	٣,٩٦	١٥
النسبة المئوية	٤٦,٦٦ %	٥٣,٣ %	٠	٠	٠			١٠٠ %

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن
فقرة (اتفق) وشكلت نسبة (٥٣, ٣) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٢, ٣) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط
المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره
(٩٦, ٣).

وترى الباحثة أنه ضرورة إقامة الدورات وذلك للإطلاع على مهارات العاملين
وزيادة خبراتهم في مجال السياحة الدينية.

٤٥٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

العبارة السابعة: (ضرورة توفر أجواء أمنية للمواقع الدينية)

وكانت إجابة عيّنة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

جدول (١٧) البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة السابعة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق بشدة (٢)	لا اتفق (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٧	٦	١	١	٠	٣,٢	٣,٤٩٣	١٥
النسبة المئوية	٤٦,٦٦%	٤٠%	٦,٦٧%	٦,٦٧%	٠			٪١٠٠

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العيّنة كانت ضمن فقرة (اتفق بشدة) وشكلت نسبة (٦٧, ٤٦٪) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٢, ٣) وهي قيمة قد تجاوزت المتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (٣, ٤٩٣). وهذا يؤشر أنه لا بدّ من توفر الأمن وذلك لأن الإستقرار الأمني والسياسي عامل مهم في جذب السيّاح سواء في الداخل أو الخارج.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٥٣

العبارة الثامنة: (عدم وجود خطط استراتيجية ذات بعد واضح وتطور استراتيجي مدروس لمنطقة المحيطة لمقعد الإمام علي الهادي عليه السلام)

وكانت إجابة عينة البحث عن هذه العبارة وفقاً للجدول الآتي:

جدول (١٨) البيانات الوصفية والنسب المئوية لإجابات العبارة الثامنة

المؤشر	اتفق بشدة (٥)	اتفق (٤)	محايد (٣)	لا اتفق (٢)	لا اتفق بشدة (١)	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد الكلي
التكرارات	٤	٣	٥	٣	٠	٣	١,٩	١٠٢
النسبة المئوية	٢٦,٦٧٪	٢٠٪	٣٣,٣٣٪	٢٠٪	٠			٪١٠٠

من خلال ملاحظة النتائج السابقة تبين أن معظم إجابات العينة كانت ضمن فقرة (محايد) وشكلت نسبة (٣٣,٣٣٪) من إجابات العينة.

كانت قيمة الوسط الحسابي قد بلغت (٣) وهي قيمة مساوية للمتوسط المعياري حسب مقياس ليكرت الخماسي والبالغة (٣) بانحراف معياري قدره (٩, ١). وترى الباحثة ضرورة وجود تخطيط سياحي لمنطقة الدراسة من أجل تنمية السياحة.

الخاتمة

١- إن الموقع الديني مصدر مهم من مصادر السياحة الدينية بالإضافة إلى المناطق القريبة والمحيطه للموقع يمكن أن تشكل مصدر جذب طبيعي للموقع بالإضافة إلى الجذب الديني.

٢- يفتقر الموقع الديني إلى خدمات الإيواء كالفنادق، والدور السياحية لا تلبى الحاجة المنشودة للزائرين.

٣- وجود الأدغال والنباتات الأخرى على جانبي الشارع الرئيسي المؤدي إلى الموقع الديني.

٤- عدم قيام الهيئة العامة للسياحة بتنشيط الموقع الديني عن طريق مكاتب السفر مثل القيام بالسفريات المدرسية والعائلية لهذا الموقع الديني بالإضافة إلى الجانب الإعلامي هو إصدار البوسترات والنشرات والمطبوعات السياحية للموقع الديني للترويج له.

٥- ضعف الإعلام السياحي الداعم المتمثل بإصدار كراسات ونشرات وأدلة سياحية.

٦- إن المقومات والموارد السياحية الدينية تُعدُّ أحد الركائز الأساسية للغرض السياحي لخدمات الجذب السياحي شرطاً أساسياً لتحقيق الجذب السياحي.

٧- افتقار الموقع الديني إلى الخدمات سواء ما كان منها خدمات السكن المحليين أم السائحين القادمين من داخل أو خارج العراق يؤثر بصورة كبيرة في تشجيع السياح لزيارة تلك المنطقة.

٨- ضرورة اهتمام هيئة السياحة بالمواقع الدينية والاهتمام بالأراضي المحيطة للموقع لكي تكون نقطة جذب سياحية إضافية للموقع الديني.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٥٥

٩- ضرورة بناء خدمات إيواء حديثة كالفنادق والدور السياحية لكي تكون قادرة على جذب السواح على الأمد البعيد.

١٠- إنشاء المتنزهات والحدائق الجيدة والجديدة فضلاً عن زراعة النباتات المميزة والمعمرة.

١١- ضرورة تنشيط الوسائل الإعلامية من المطبوعات والنشرات السياحية عن المواقع الدينية عن طريق مكاتب السفر للموقع الديني.

١٢- العمل على استقلال بعض المناسبات والأعياد ولتنشيط السياحة مثل القيام برحلات سياحية وتيسير الرحلات السياحية للسواح القادمين لزيارة الموقع الديني من أجل تفصيل دور السائح بوصفها وسيلة ووسائل.

١٣- إحياء الجوانب الفلكلورية والصناعات المحلية والعادات الاجتماعية والتراث المحلي وتطوير الخدمات التكميلية؛ لأن لها تأثيراً كبيراً في جذب السواح المحليين والأجانب وتشجيعهم لزيارة الموقع الديني.

المصادر:

١. أبو جمعة، نعيم حافظ، أساسيات وإدارة التسويق، دار القلم للنشر والتوزيع ط١، الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٩م.
٢. أحمد، علي توفيق والحاج عودة، سمير حسين محمود، تسويق الخدمات، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ط١، الأردن ٢٠١١م.
٣. امنة أبو حجر، الجغرافية السياحية، دار اسامة للنشر، ط١، الأردن، ٢٠١١م.
٤. أوسو، خيرى علي اثر المزيج التسويقي في تحقيق جودة الخدمة الفندقية، دار الشروق للنشر والتوزيع ط١ الأردن ٢٠٠٧م.
٥. بركات كامل النمر المهيترات، الجغرافية السياحية - الاقاليم السياحية في العالم، دار الوراق للنشر، ط١، الأردن، ٢٠١١م.
٦. البرواري، نزار عبد المجيد وباشيوة الحسن عبد الله، دار جرير للنشر والتوزيع ط١، الأردن ٢٠١١م.
٧. الجوري، مثنى طه، الإرشاد السياحي، مؤسسة الوراق للنشر، ط١، الأردن، ٢٠٠٢م.
٨. الحوامدة، نبيل زعل و موفق الحميري، مصدر سابق.
٩. دانيال، بنيامين يوخنا، المغريات السياحية، دار ادي شير، أربيل - العراق، ٢٠٠٦م.
١٠. الدباس، نزيه، ادارة القرى السياحية، مصدر سابق.
١١. الرحبي، سمير رفيق، الإدارة السياحية الحديثة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠١٤م.

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمقد الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٥٧

١٢. روبرت ماكنوتش و تشارلز جيولندر و جي ار برنت ريتشي، بانوراما الحياة السياحية.

١٣. ستيفن بيج، إدارة السياحة، مصدر سابق.

١٤. الضمور، هاني حامد، تسويق الخدمات، دار وائل للنشر والتوزيع ط٤، الأردن ٢٠٠٨م.

١٥. الطائي، مراتب حسين، أثر قسم القيادات العليا في التكيّف التنظيمي، دراسة تطبيقية على منظمات السياحة، رسالة ماجستير في علوم السياحة وإدارة الفنادق كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية.

١٦. الطبيسي، محمد جواد، حياة الإمام الهادي (دراسة وتحليل): بيروت، لبنان، دار جواد الأئمة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٠.

١٧. الطيب، سعيد صفى الدين، مقومات التنمية السياحية في ليبيا -دراسة في الجغرافية السياحية، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - قسم الجغرافية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

١٨. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام علي الهادي: بيروت، بئر العبد، ط٢، ١٩٩٣م، ص٣-٤.

١٩. العلاق، بشير، ثقافة الخدمة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع الطبعة العربية، الأردن ٢٠٠٩م.

٢٠. فيليب كوتلر و جاري ارمسترونج، أساسيات التسويق، تعريب د. سرور علي ابراهيم سرور، دار المريخ، السعودية، ٢٠٠٧م.

٢١. قيس رؤوف عبد الله و مثني طه الحوري، دور المصادر الطبيعية في نشوء وتطور السياحة، مجلة الإدارة والاقتصاد - الجامعة المستنصرية، العدد ٧ السنة

٤٥٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعِماد السّلم المُجتمعي) / ج ٣
السادسة، ١٩٨٢م.

٢٢. مبولي، جاي ككاندا وموك، كوني وسباركس بيفيري، ادارة جودة الخدمة في الضيافة والسياحة ووقت الفراغ، دار المريخ للنشر والتوزيع ط ١، السعودية ٢٠٠٧م.
٢٣. المحياوي، قاسم نايف علوان، إدارة الجودة في الخدمات مفاهيم وعمليات وتطبيقات، دار الشروق للنشر والتوزيع ط ١، الأردن ٢٠٠٦م.
٢٤. مسعود، جبران، المعجم الرائد، دار العلم للملايين ط ٧، لبنان ١٩٩٢م.
٢٥. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ط ٤، مصر ٢٠٠٤م.
٢٦. معلوف، لويس (بدون سنة طبع) المنجد في اللغة والأدب المطبعة الكاثوليكية ط ١٩ لبنان.

المصادر الاجنبية:

27. Inskeep E.، Tourism Planning-An Integrated and Sustainable Approach، VanNostrand Reinhold،New York، 1991، p98
28. Lesley Pender and Richard Sharpley، The Management of Tourism، SAGE Publication، Indya، 2005،P203
29. Raffaella Nicoletta & Rocco Servidio، Tourists opinions and their selection of tourism destination images – An affective & motivational evaluation، Tourism Management Perspectives، Vo. 4، October 2012، P 21
30. S.A.H. Shobeiri & Gurudeo A. Tularam، Modeling Tourist Arrivals in Destination Countries – An Application to Australian Tourism، Journal of Mathematics & Statistics 6،ISSN، 2010، p 432.
31. Stephen J. Page، Op. Cit، P 226
32. Walsh-Heron J. & Stevens T.، Op. cit، p 5

المحور الثاني: اثر تقديم الخدمات السياحية في الجذب السياحي

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
١	ضرورة الاهتمام بخدمات الطعام والشراب المقدمة كالطعام و دور الاستراحة حيث إن هذه الخدمات لا تليق بمستوى الزيارة للموقع					
٢	ضرورة توفير أماكن الإيواء يساهم بزيادة الطلب السياحي ومستوى النظافة السائد علاقة إيجابية بين الراغبين بالزيارة للموقع					
٣	ضرورة توافر المطاعم ومناطق التسلية يزداد الطلب السياحي					
٤	خلو الموقع من اي تطور أو تنمية حقيقية لتحسين مستوى الخدمات السياحية والترفيهية					
٥	ضرورة إحياء الجوانب الفلكلورية والصناعات المحلية والعادات الاجتماعية والتراث المحلي وتطوير الخدمات التكميلية لأن لها أثراً كبيراً في جذب السواح المحليين والأجانب وتشجيعهم لزيارة الموقع الأثري					

٤٦٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عِبْقُ النُّبُوَّةِ وَعِمَادُ السَّلَامِ الْمُجْتَمَعِي / ج ٣

ت	الفقرات	اتفق بشدة	اتفق	محايد	لا اتفق	لا اتفق بشدة
٦	ضرورة أن يكون هناك دور الإعلام السياحي المسموع والمقروء والمرئي في الترويج والتصرف بالخدمات السياحية					
٧	ضرورة توفير أجواء أمنية للموقع الديني					
٨	عدم وجود خطط استراتيجية ذات بعد واضح وتطوير استراتيجي مدروس لمنطقة الدراسة					



البحث التاسع
الأخلاق في فكر
الإمام علي الهادي عليه السلام

الشيخ محمود أسود عبد الله
باحث



المقدمة

الحمد لله وصلى الله على رسوله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

من الركائز الأساسية في حياة الإنسان الأخلاق، وحسن الخلق هو الدين، وقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات التي تحدثت عن الأخلاق وتركية النفس والحكمة، سواء كان ذلك على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١)، فتعليم الحكمة وتركية مهمة الأنبياء والقادة المصلحين في المجتمع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤)، كما أن السنة الشريفة أكدت

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

(٤) سورة الحجرات: ١١.

٤٦٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

على حسن الخلق، وأثره الإيجابي في السلم الاجتماعي، إن استقامة الأخلاق ضماناً في استقرار المجتمع، إذ لا يمكن للمجتمع أن يعيش في العنف وعدم التسامح، حيث الكراهية والبغضاء، وحيث إن أهل البيت عليهم السلام هم القدوة والأسوة في حسن الخلق، فقد اتخذت من الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، انموذجاً فيما ورد عنه من نصوص، وبيان أثرها في النظام الاجتماعي، ورتبتُ البحث من مقدمة ومبحثين:

الأول: وقفت على سيرة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، لما لها من الأهمية في حياة الإنسان، حيث معرفة علمه، وكرمه، وزهده، وعبادته، وكيفية استقدامه إلى سامراء، وأولاده، والوقوف عند وفاته، كما لم أنس أن أعرض شذراتٍ من أقواله وحكمته.

الثاني: فهو في معرفة القيم الأخلاقية، وأثرها من خلال الوقوف على الأخلاق المذمومة وأثرها، والأخلاق الفاضلة وأثرها بمطلين.

وفي ختام البحث أهم النتائج، وثم ذكر المصادر والمراجع

المبحث الأول

سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام

❖ المطلب الأول: فضائله ومظاهر شخصيته

أولاً: علمه

ثانياً: كرمه

ثالثاً: زهده

رابعاً: عمله

خامساً: عبادته

سادساً: استقدامه إلى سامراء

سابعاً: أولاده

ثامناً: استشهاده

❖ المطلب الثاني: شذرات من أقواله وحكمه

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية وأثرها في السلم المجتمعي

❖ المطلب الأول: الأخلاق المذمومة وأثرها.

❖ المطلب الثاني: الأخلاق الفاضلة وأثرها.

المبحث الأول

سيرة الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

وهو علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الإمام العاشر من أئمة المسلمين الذين اجتباهم ربهم سبحانه وتعالى لخلافة رسول الله ﷺ، فهم قادة العباد وحفظة الرسالة المتقدم لهم زاهق والمتأخر عنهم مارق وهم ساسة البلاد.

ولد عليه السلام في صريا، في النصف من ذي الحجة سنة (٢١٢هـ)، وروي في رجب سنة (٢١٤هـ)^(١)، أمه أم ولد يقال لها: سمانة الغربية، المعروفة بأَم الفضل^(٢).

لقب الإمام عليه السلام بعدة ألقاب وهي تدل على عظيم شخصيته، فهو كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، أملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت عليه هيبة الوقار، وإذا تكلم سياء البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة كالناصح، والمتوكل، والفتاح، والنقي، والمرضى، والهادي، والنجيب والعالم، وأبو الحسن الثالث، والهادي وهو أشهرها^(٣).

المطلب الأول: فضائله ومظاهر شخصيته..

ذكر المؤرخون وأصحاب السير، فضائل عديدة له عليه السلام ومن هذه الفضائل:

أولاً: علمه..

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ

(١) الكافي، الكليني: ج ١ / ص ٥٦٨؛ الإرشاد، المفيد: ص ٣٢٤؛ كشف الغمة، الإرابي: ج ٣ / ص ١٢١.

(٢) الإرشاد: ص ٣٢٤؛ بحار الأنوار، المجلسي: ج ٥٠ / ٢٩٦.

(٣) كشف الغمة: ج ٣ / ص ١٢١؛ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣ / ص ٥٠٤.

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١)، أشارت هذه الآية المباركة، إلى الطريق الأول في تحصيل العلوم، وهو العلم المكتسب الذي يحصل عن طريق الحواس، وذكرت الآية المباركة السمع والبصر كونها الأهم في تحصيل العلوم الكسبية، ولتحصيل العلوم طريق ثاني، وهو العلم اللدني الذي لا يمكن تحصيله من خلال الألفاظ والمفاهيم، لأنه نحو خاص من العلم، خارج عن دائرة الإدراك الذهني الحسولي، وعند التأمل في روايات أهل البيت عليهم السلام، يظهر أن علمهم علم لدني، يتحقق بواسطة، وهي روح القدس^(٢)، فعن أبي بصير قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾»^(٣).

قال: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ، يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده»^(٤)، والإمام علي الهادي، خلف إرثاً علمياً واسعاً في الأمة، وهذا ما لمسناه من تراثه العلمي، في العقائد والفقه والأخلاق، ومواجهته البدع الضالة، ومن آثاره العلمية، أن أعد مجموعة صالحة قادرة على حفظ معالم الدين، فهو من أهل بيت زقوا العلم زقاً.

ثانياً: كرمه.

وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام، وهم: عمرو بن عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الحمداني، فشكا إليه أحمد بن إسحاق دينا عليه، فالتفت، إلى وكيله عمرو، وقال له: «ادفع له ثلاثين ألف دينار،

(١) سورة النحل ١٦: ٧٨.

(٢) علم الإمام تقريرات سيد كمال الحيدري، علي حمود: ص ٢١٨.

(٣) سورة الشورى ٤٢: ٥٢.

(٤) الكافي: ج ١/ ص ٣٠١، ح ١.

٤٦٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

وإلى جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ»^(١).

ثالثاً: زهده..

ومن مظاهر شخصيته عليه السلام، الزهد كما هو ديدن آبائه الطاهرين عليهم السلام، الذين زهدوا بهذه الدنيا ولم يلتفتوا إلى زخرفها وزبرجها، ومن مظاهر زهده عليه السلام، فإنه لا يملك شيئاً في داره عندما كان في سامراء، وكانت عليه جبة صوف وقلنسوة وسجادة على حصير بين يديه فلم أشك أنه كان يصلي، كما روى سعيد الحاجب عند مداهمته بيت الإمام عليه السلام في سامراء^(٢).

رابعاً: عمله

كان الإمام عليه السلام يعمل ويحث عليه فهو من سيرة الرسول ﷺ وأمير المؤمنين، فقد روي عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن، يعمل في أرض له، وقد استنقعت قدماه في العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: «يا علي عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه، فقلت له: من هو؟ فقال: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وآبائي عليهم السلام كلهم قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والصالحين»^(٣).

خامساً: عبادته..

إن الغاية التي خلّق من أجلها هي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، وهذه العبادة هي تحرّر الإنسان من كل ما هو سوى الله

(١) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت: ج ١٢ / ص ٢٧.

(٢) الكافي: ج ١ / ص ٥٧٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج ٣ / ص ٧٤، باب ٥٨.

(٤) سورة الذاريات ٥١: ٥٦.

سبحانه، فعبادته سبحانه من أجل أن يتخلص الإنسان من الأغلال والقيود، ومن ثم حقيقة العبودية لله أن يكون الإنسان حراً عن كل ما سواه، وأن لا يتعلّق بشيء غيره، حيث يكون قريباً من الله، وهو قرب معنوي، بمعنى أن يتخلّق بأخلاق الله سبحانه تعالى، بصفاته وأفعاله، وقد ورد في الحديث: «تخلّقوا بأخلاق الله»^(١).

فثمّ أخلاقُ الله سبحانه على الإنسان أن يتخلّق بها علماً وعملاً^(٢)، ومن أصدق منه وأقرب إلى الله في عبادته، وهو من بيوت أذن الله أن يرفع فيه اسمه، فقد روي أنه عليه السلام، كان يقرأ في الركعة الأولى من نافلة المغرب سورة المجدد، وفي الثانية سورة الإخلاص وفيها عداه اختار^(٣).

سادساً: استقدامه إلى سامراء

كان عبد الله بن محمد يتولّى الحرب والصلاة في مدينة رسول صلى الله عليه وآله، فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل، والقصد إيذاؤه^(٤)، ووجه الحاكم العباسي المتوكل، هرثمة بن يحيى إلى المدينة لإحضاره إلى سامراء، وقد ضجّة الناس عند سماعهم خبر توجه الإمام إلى سامراء مكرهاً^(٥)، وعند وصوله، حجبه المتوكل في يومه، وأنزله في خان الصعاليك، ومن ثم أمر بإفراجه^(٦).

عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن، يوم وروده فقلت له: جعلت فداك في كل الأمور أراد إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع

(١) بحار الأنوار: ج ٥٨ / ص ٣٩١، باب ٤٣.

(٢) بحث حول الإمامة، كسار: ص ٧٣.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج ٦ / ص ٦٤، باب ١٤.

(٤) الإرشاد: ص ٣٣١.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ج ٤ / ص ٤٢٢.

(٦) الإرشاد: ص ٣٣٢.

٤٧٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبَقُ النبوة وعِمادُ السَّلمِ المُجتمَعِي) / ج ٣

خان الصعاليك فقال: «ها هنا أنت يا ابن سعيد، ثم أوماً بيده فإذا بروضات أنفات وأنهار جاريات، وجنات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر تعجبي. فقال لي: حيث كنا فهذا لنا، يا ابن سعيد لسنا في خان الصعاليك»^(١).

سابعاً: أولاده..

له، أربعة أولاد من الذكور وبنت واحدة والذكور هم: محمد، والإمام الحسن العسكري، وجعفر المعروف بالتواب أو الكذاب، والحسين^(٢)، وبنت واحدة اسمها عليّة^(٣).

ثامناً: استشهاده..

اختلف المؤرخون وأصحاب التراجم، في يوم وفاته عليه السلام، ومن دس إليه السم، واتفقوا على أن وفاته كانت في سنة، أربع وخمسين ومائتين، وأنه عليه السلام قبض في رجب، سنة أربع وخمسين ومائتين، وله من العمر إحدى وأربعون سنة وستة أشهر^(٤).

وأنه استشهد ولي الله علي بن محمد عليه السلام في آخر ملك المعتز، وتابع الإربلي في كشف الغمة^(٥)، وفي البحار أنه، قبض بسر من رأى الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، وقيل: يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من جمادى الآخرة نصف النهار، وله يومئذ أربعون سنة، وقيل: أحد وأربعون وسبعة أشهر^(٦)، وروى المسعودي، أن

(١) الإرشاد: ص ٣٣٢.

(٢) أعلام الهداية: ج ١٣ / ص ٧٤.

(٣) الإمام الهادي من المهدي إلى اللحد، القزويني: ص ١٣٦.

(٤) الكافي: ج ١ / ص ٥٦٨؛ الإرشاد: ص ٣٣٢؛ كشف الغمة: ج ٣ / ص ١٣٨.

(٥) إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ٢ / ص ١١٠؛ كشف الغمة: ج ٣ / ص ١٣٨.

(٦) بحار الأنوار: ج ٥٠ / ص ٢٩٦.

وفاته كانت يوم الاثنين، لأربع بقين من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين ومائتين، وهو ابن أربعين سنة، وقيل: ابن اثنتين وأربعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وسمع في جنازته جارية تقول: (ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً)^(١).

ولكن المشهور الذي عليه عمل الشيعة هو اليوم الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين^(٢) والاختلاف في عمره الشريف، هو الاختلاف في سنة ولادته عليه السلام كما أسلفنا في تأريخ ولادته.

المطلب الثاني: شذرات من أقواله وحكمته

روى الحسن بن محمد في تحف العقول، مجموعة من أقواله منها:
قال: «إن لله بقاءً يجب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والخير منها».
وعنه: «من أمن مكر الله وأليم أخذه، تكبر حتى يحل به قضاؤه، ونافذ أمره، ومن كان علي بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر».
وقوله: «الشاعر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن النعم متاع، والشكر نعم وعقبى».
وقال: «إن الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً».
وقال: «إن الظالم الحاكم يكاد أن يعفى على ظلمة بحمله، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفه».

وعنه: «من جمع لك وده ورأيه فأجمع له طاعتك».
وأيضاً عنه: «من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره»^(٣).

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج ٤ / ص ٤٢٢.

(٢) الإمام الهادي من المهد إلى اللحد: ص ٥١٥.

(٣) تحف العقول، ابن شعبة: ص ٤٨٣.

المبحث الثاني

القيم الأخلاقية وأثرها في السلم المجتمعي

روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ من بين يديه.

فقال: يا رسول الله ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه عن يمينه فقال: ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه من قبل شماله، فقال: ما الدين؟

فقال: حسن الخلق.

ثم أتاه من ورائه، فقال: ما الدين؟

فالتفت إليه، وقال: أما تفقه؟ الدين هو أن لا تغضب»^(١).

إن الأخلاق المذمومة كالظلم والجبن وسوء الظن والعجلة والإفراط والتفريط والتكبر، وغيرها هي إطفاء لنور القلب وإغلاق لأبواب الرحمة الإلهية، وهي بلا شك تؤدي إلى الشحنة والبغضاء بين أفراد الإنسان، مما يؤدي إلى ارتفاع الأمن بين الناس، وحلول الفوضى محلّه، وهي آفة السلم المجتمعي.

وأما اضدادها من فضائل الأخلاق كالعدل والشجاعة وحسن الظن والأناة والاعتدال والتواضع، هي السفينة التي ينتقل بها الإنسان من تلاطم أمواج الفتن وافواج المحن إلى دار الرضا والبهجة والسرور وإبصار طرق السداد والحق واليقين، ونتيجتها أن تسود التألف والتقارب بين أفراد المجتمع.

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، الاشتري: ص ٩٧؛ بحار الأنوار: ج ٦٨ / ص ٣٩٣.

وبما أن الإنسان بفطرته يسعى لتحقيق أسمى غاية فُطر عليها فنجد أنه يجتهد للوصول بالنفس إلى أعلى درجات السعادة الأبدية ولكن بالغفلة التي أثمرت الابتعاد عن فضائل الأخلاق والتقرب إلى الرذائل المؤدية إلى الهلاك السرمدى نرى النفس قد أصبحت رهن الاضطراب وفقدان الآمال جزاءً بما عملت هو مصداق قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١)، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢).

وهذا هو موضوع مطالب هذا البحث حيث سنشير إلى جملة من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج لخصوص الأمراض، وغرضنا هو النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد مناهجها وفق الروايات الواردة عن الإمام الهادي، سائلين الله أن يوفقنا لذلك.

المطلب الأول

الأخلاق المذمومة وأثرها

إن هذا المطلب يتضمن عدة من العناوين تندرج تحت مسمى الأخلاق المذمومة وأثرها، والغرض منه معرفة رأي الإمام الهادي عليه السلام فيها وما أثرها وموقفه، منها:

الغضب: والغضب هو قوة محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب، وانتشاره في العروق، وارتفاعه إلى أعالي البدن كما يرتفع الماء وهو يغلي في القدر وعُرف أيضاً بأنه كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج لأجل الغلبة ومبدؤه الانتقام وإذا اشتدَّ يوجب حركة عنيفة يمتلئ بها الدماغ والأعصاب من الدخان المظلم فيستر نور العقل ويضعف فعله ولذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنصيحة بل

(١) سورة الزلزلة ٩٩: ٧-٨.

(٢) سورة فصلت ٤١: ٤٦.

٤٧٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبّق النبوة وعماد السلم المُجتمعي) / ج ٣

تزيده غلظة وشدة، وضده الرضا^(١)، أما درجاته فتكون على ثلاث صور وهي:

أولاً: الإفراط ونعني به أن يخرج الإنسان عن طاعة العقل والشرع فلا يبقى له فكرة وبصيرة وهذا الغضب هو نزعة من الجنون.

ثانياً: التفريط وهو أن يفقد الإنسان القوة أو تضعف بحيث لا يغضب لما ينبغي الغضب له شرعاً وعقلاً وهذا هو الجبن بعينه.

ثالثاً: الاعتدال وهو أن يصدر غضبه فيما ينبغي فقط بحيث يجعل سياسة العقل والدين هما الحاكمين فمن هنا تتحقق الشجاعة^(٢).

وبذلك قال الإمام: «الغضب على من لم تملك عجز، وعلى من تملك لؤم»^(٣).

أما الحسد: فهو تمني زوال النعمة عن الغير^(٤).

وقد جاء في ذمه بمقدار خارج عن حد الحصر، وكفاك في ذمه أن جميع ما وقع من الذنوب والفساد في الأرض من أول الدهر إلى آخره، كان من الحسد لما حسد إبليس آدم، فصار أمره إلى أن طرده الله ولعنه، وأعدّ له عذاب جهنم خالداً فيها، وتسلب بعد ذلك على بني آدم، وجرى فيهم مجرى الدم والروح في أبدانهم، وصار سبب الفساد على الآباء، وهو أول خطيئة وقعت بعد خلق آدم، وهو الذي أوجب قتل ابن آدم أخاه^(٥).

كما حكاه الله تعالى عنهما في كتابه الكريم وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشیطان والساحر، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ

(١) ينظر، إحياء علوم الدين، الغزالي: ج ٩ / ص ٩٣.

(٢) ينظر، جامع السعادات: ج ١ / ص ٢٥٦.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤١، ح ٢٢.

(٤) جامع السعادات: ج ١ / ص ٧٣.

(٥) ينظر، منية المريد، الشهيد الثاني: ص ٣٢٣.

حَاسِدٌ إِذَا حَسَدَ^(١).

وفيه قال الإمام الهادي عليه السلام: «إياك والحسد فإنه يبين فيك، ولا يبين في عدوك»^(٢).

وقد جاء في سوء الظن إنه تارة يكون بالنفس، وقد يكون سوء الظن بالآخرين، كما قد يكون بالله، وبهذا التقسيم وعلى منواله يكون حسن الظن أيضاً، أما سوء الظن بالنفس إذا لم يبلغ درجة الإفراط فهو سُلم إلى التكامل ويدفع الإنسان إلى التدقيق في أعماله والإخلاص فيها، ويكون حاجزاً عن العجب والغرور منه عند قيامه بالأعمال الصالحة^(٣).

وفي ذلك روي عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن محمد بن هارون الجلاب قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه»^(٤).

وقال عليه السلام: «إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن تظن بأحد سوءاً حتى تعلم ذلك منه، وإذا كان زمان الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يبدو ذلك منه»^(٥).

أما العتاب والحقد فهما العداوة الكامنة، أي إرادة الشر وقصد زوال الخير من المسلم، وهما أيضاً من ثمرات الغضب ومنها العداوة الظاهرة، وضدها النصيحة أي إرادة الخير والصلاح ودفع الشر والفساد عن كل مسلم، ثم للغضب والحقد لوازم

(١) سورة الفلق: ٣-٥.

(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤٢، ح ٢٧.

(٣) الأمثل في تفسر كتاب الله المنزل: ج ١٦ / ص ٤٣٦.

(٤) الكافي: ج ٥ / ص ٢٩٨، ح ٢.

(٥) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤٢، ح ٢٨.

٤٧٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المُجتمعي) / ج ٣

هي الضرب والفحش واللعن والطعن^(١).

وفيها جاء عن الإمام الهادي عليه السلام: «العتاب مفتاح التقالي^(٢)، والعتاب خير من الحقد»^(٣).

وكذلك جاء في الجزع بأن مقام العجز وهو مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا ما لا يفعله إلا أقل الناس عقلاً ودينياً ومروءة وهو أعظم المصيبين^(٤)، وقد روي عن الإمام علي الهادي عليه السلام: «المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان»^(٥).

هذا إنموذج من فيض كثير تحدّث عنه أهل الحل والعقد والتنظير في مفاصل الأخلاق ومذمومها من أثر وعلاج وقد سبقهم إليها أهل بيت العصمة جميعاً وكان من بينهم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.

فإن الذي عرضناه هو إنموذجاً منه في بداية هذا المطلب وغيرها كالسفة الذي قال عليه السلام فيه: «إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفاهه»^(٦).

ومن كان أسير النفس واللسان الذي قال عليه السلام بحقه: «راكب الحرون»^(٧) أسير نفسه، والجاهل لسانه»^(٨).

(١) ينظر، جامع السعادات: ج ١ / ص ٨٤.

(٢) التقالي: أي التباغض. ينظر، الصحاح: ج ٦ / ص ٢٤٦٦، مادة قلا.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٣٩، ح ١٢.

(٤) ينظر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن الجوزي: ص ٩١.

(٥) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤٠، ح ١٥.

(٦) تحف العقول: ص ٤٨٣.

(٧) الحرون: أي الذي لا ينقاد من الخيل. ينظر، الصحاح: ج ٥ / ص ٢٠٩٧، مادة حرن.

(٨) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٣٩، ح ٩.

والحرص الذي ذكره عليه السلام بما سلب من نعمة قائلاً: «ما استراح ذو الحرص»^(١). وجاء أيضاً في مجالسة أهل المعاصي عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن محمد، عن الجعفري^(٢)، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «ما لي رأيته عند عبد الرحمن بن يعقوب؟

فقال: إنه خالي.

فقال: إنه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإما جلست معه وتركنا وإما جلست معنا وتركته؟

فقلت: هو يقول ما شاء أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعط أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو يراغمه^(٣) حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً فاتى موسى الخبر.

فقال: هو في رحمة الله ولكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع»^(٤).

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤١، ح ٢١.

(٢) هو أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب ثقة، ويقال: إنه لقي الرضا إلى آخر الأئمة عليهم السلام. ينظر، الرجال، البرقي: ص ٦٠؛ رجال الطوسي: ص ٣٥٧، وص ٣٧٥، وص ٣٨٦؛ معالم العلماء: ص ٨٣.

(٣) المراغمة: أي الهجران والتباعد والمغاضبة، أي يبالغ في ذكر ما يبطل مذهبه ويذكر ما يغضبه. ينظر، الصحاح: ج ٥/ ص ١٩٣٤، مادة رغم.

(٤) الكافي: ج ٢/ ص ٣٧٤، ح ٢.

المطلب الثاني

الأخلاق الفاضلة وأثرها

إن هذا المطلب يتضمن عدة من العناوين تندرج تحت مسمى الأخلاق الفاضلة وأثرها، والغرض منه معرفة رأي الإمام الهادي، فيها وما أثرها وموقفه، منها. في السهر والجوع فقد جاء إن للجوع فوائد وهي صفاء القلب ورقته، واتقاد الذهن وحدته، والالتذاذ بالمناجاة والطاعة، والابتهاج بالذكر والعبادة، وكسر شهوات المعاصي المستولية بالشبع، دفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام التهجد، والتمكن من الإيثار والتصديق بالزائد، وخفة المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والإعداد، وصحة البدن ودفع الأمراض إذ المعدة بيت كل داء والحمية رأس كل دواء.

وأضداد هذه الفوائد من المفسد يترتب على الشبع ثم علاج الشره بالأكل والشرب: أن يتذكر الأخبار الواردة في ذمه، وينبه نفسه على رذالة المأكولات وخساستها، وعلى خسة الشركاء من الحيوانات، ويتأمل في المفسد المترتبة على الولوع به من الذلة، والمهانة وسقوط الحشمة والمهابة، وفتور الفطنة، وظهور البلادة، وحدوث العلل والأمراض الكثيرة، وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الإفراط في الأكل والنوم ولو بالتكلف حتى يصير الاعتدال فيه عادة^(١).

وللوقوف على ما ذكر عن كثب نسمع قوله عليه السلام في موعظة لبعض أصحابه: «السهر الذلللنام، والجوع يزيد في طيب الطعام يحثه على قيام الليل، وصيام النهار»^(٢). أما الحلم وما ادراك ما الحلم فقد جاء بحقه: هو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكن سبعية، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة^(٣)؛ لأنها طمأنينة

(١) ينظر، جامع السعادات: ج ٢ / ص ٦.

(٢) نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ١٤١، ح ١٨.

(٣) الألفين: العلامة الحلي: ص ١٧٣.

النفس، بحيث لا يجرّكها الغضب بسهولة ولا يزعجه المكروه بسرعة، فهو الضد الحقيقي للغضب، لأنه المانع من حدوثه وبعد هيجانه لما كان كظم الغيظ مما يضعفه ويدفعه، فمن هذه الحيثية يكون كظم الغيظ أيضاً ضدّاً له.

فنحن نشير إلى فضيلة الحلم وشرافته فهو أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، بل لا ينفع العلم بدونه أصلاً، ولذا كلّما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به^(١).

وهذا روي عن الغلابي أنه قال: وسألت أي الإمام الهادي: عن الحلم؟ فقال: «هو أن تملك نفسك وتكظم غيظك، ولا يكون ذلك إلا مع القدرة»^(٢). أما النصيحة وقبولها فقد جاء بحقها: إن عماد الدين وقوامه النصيحة وإن النصح لله هو الإيمان به ونفي الشرك عنه وترك الاحاد في صفاته ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه تعالى عن جميع أنواع النقائص والقيام بطاعته واجتناب معاصيه والحب فيه والبغض فيه، وموالاته من أطاعه ومعاداة من عصاه وغير ذلك مما يجب له تعالى.

وجميع هذه الأشياء راجعة إلى العبد من نصيحة نفسه، والله تعالى غني عن نصح الناصح، ويمكن أن يكون النصح لكتابه والإيمان به لأنه كلامه تعالى وتحليل ما حلّله وتحريم ما حرّمه والاهتداء بما فيه والتدبر لمعانيه والقيام بحقوق تلاوته والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بزواجه والمعرفة له.

أو النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله: أي تصديقه بما جاء به واتباعه فيما أمر به ونهى عنه وتعظيم حقه وتوقيره حياً وميتاً، ومحبة من أمر بمحبته من آله وصحبه ومعرفة سنته والعمل بها ونشرها، أو النصيحة للأئمة عليهم السلام إعانتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم لحوائج العباد ونصحهم في الرفق والعدل، أو تكون النصيحة لعامة المسلمين بإرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم وكف الأذى عنهم

(١) ينظر، جامع السعادات: ج ١/ ص ٢٦٣.

(٢) نزهة الناظر وتنبية الخاطر: ص ١٣٨، ح ٥.

٤٨٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماذ السلم المُجتمعي) / ج ٣

وتعليمهم ما جهلوه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونحو ذلك^(١).

فبذلك جاءت رواية أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عباس الجوهري، ورواية عبد الله بن جعفر الحميري عليه السلام، من مسائل أيوب بن نوح، إن علي بن محمد الهادي عليه السلام كتب إلى بعض أصحابنا: «عاتب فلاناً، وقل له إن الله إذا أراد بعبد خيراً إذا عوتب قبل»^(٢).

وغيرها كثير مما ورد من فضائل الأخلاق وقد تناقلتها الكتب بعد أن وضع النبي وأهل بيته عليهم صلوات الرحمن جميعاً الأسس والأنظمة والقوانين وكانوا بسلسلة متواصلة غير منقطعة في إنقاذ الأمة وإرشادهم إلى طريق الصواب ولعل خير دليل على ذلك هو ما نقلناه من روايات صادرة عن الإمام الهادي عليه السلام، وهي كثير بل أكثر من أن تدركها رسالة حدد لها عدد صفحات.

فهذه الروايات لم تنتهي إلى حد معين فكان من بينها كلامه في حسن التدبر حيث قال عليه السلام: «من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يعطى»^(٣).

وقال عليه السلام في شكر النعمة: «الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن النعم متاع والشكر نعم وعقبى»^(٤).

وجاء عنه عليه السلام في المجالسة والمصاحبة: «لو سلك الناس وادياً وسيعاً لسلك وادي رجل عبد الله وحده مخلصاً»^(٥).

وقال عليه السلام أيضاً: «من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك»^(٦).

(١) ينظر، سبل السلام، الصنعاني: ج ٤ / ص ٢١١.

(٢) مستطرفات السرائر، ابن ادريس: ص ٥٨١.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ص ١٤٢، ح ٢٥.

(٤) تحف العقول: ص ٤٨٣؛ بحار الأنوار: ج ٧٨ / ص ٣٦٥، ح ١.

(٥) عدة الداعي ونجاح الساعي، ابن فهد الحلي: ص ٢١٩.

(٦) تحف العقول: ص ٤٨٣.

نتائج البحث

١. إيمان الأمة بالله سبحانه، يقتضي الالتزام بما أمر به سبحانه وترك ما نهى عنه سبحانه، فقد أمر سبحانه بحفظ النفس وعدم انتهاك حرمتها، ونهى عن الأخلاق السيئة، بما يحقق مجتمعاً تسوده الألفة والمحبة بين أفرادها.
٢. إن الأخلاق الحسنة، بها تحلُّ المكاسب والمعاملات، بمعنى سلامة الاقتصاد وعدم تبديد ثروات الأمة، بسرقة ومعاملات ربوية ورشوة، وهذا يؤدي إلى قدرة اقتصادية تغني الأمة، من التبعات الخارجية التي بشكل أو بآخر تشكل عبئاً عليها، مما يجعل السلم المجتمعي مهدداً بالانهيار.
٣. إن الأخلاق الحسنة، تحفظ كرامة الإنسان، بغضِّ النظر عن لونه وقوميته ودينه ومذهبه، إلا ما شذَّ ويمثل خطراً على المجتمع، لضمان سلامته كما في الفكر التكفيري الإرهابي.
٤. سلامة المجتمع من الانحرافات الأخلاقية، كونها آفة من آفات تنخر جسد الأمة، فبدونها تكون الألفة والمحبة والتراحم بين الناس، وهذا أساس من أساس التعايش السلمي.
٥. إن حسن الخلق، كالأمانة، والعدل بين الناس، في إدارة المجتمع، يؤدي إلى استقرار المجتمع سياسياً، وبه تأمن البلاد من التدخلات الخارجية وتهديداتها، ومن الحروب الخارجية والأهلية.
٦. حيث إن حسن الخلق مصدر، استقرار الفرد المسلم بما هو فرد روحياً، وبهذا يكون متفاعلاً مع مجتمعه وقريباً منه.

المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم.

١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ - ١٠٢٢م)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ - ١١١١م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤١١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣. آداب النفس، السيد محمد العيناوي العاملي من أعلام القرن الحادي عشر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٤. الأمثل في تفسر كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٦هـ، بيروت، لبنان.

٥. الألفين، العلامة الحلي الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، مكتبة الألفين، الكويت.

٦. أعلام الهداية، تأليف وطباعة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ، قم، إيران.

٧. الإمام علي الهادي من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٣م، منشورات مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ - ١٦٩٩م)، تحقيق محمد الباقر البهبودي وعبد الرحيم الرباني الشيرازي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٩. تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني من اعلام القرن الرابع، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
١٠. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ - ١٧٩٤م)، تحقيق وتعليق السيد محمد كلانتر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، العراق.
١١. سبل السلام، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ - ١٧٦٨م)، تحقيق الشيخ محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
١٢. عدّة الداعي ونجاح الساعي، جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ - ١٤٣٧م)، تصحيح وتعليق أحمد الموحدي القمّي، نشر مكتبة وجداني، قم، إيران.
١٣. علم الإمام تقارير السيد كمال الحيدري، علي حمود العبادي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٢هـ، دار فرقد للطباعة والنشر، قم، إيران.
١٤. الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ - ٩٤٠م)، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الخامسة، سنة ١٣٦٣هـ، المطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.
١٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ - ١٢٩٣م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٤٨٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعمار السَّلم المُجتمعي) / ج ٣

١٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٧م)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش - ١٩٨٤م، منشورات دار الهجرة، قم، إيران.

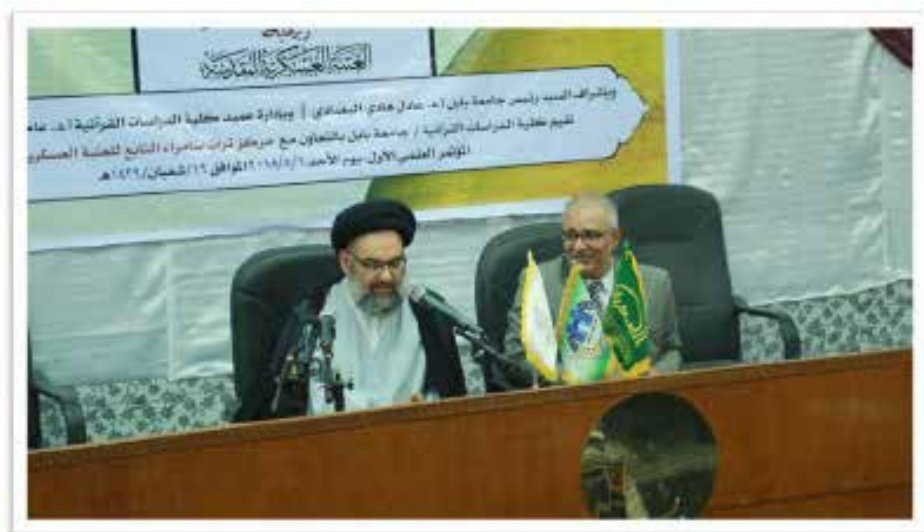
١٧. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ - ٩٩١م)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١٨. مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ - ١١٩٢م)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، النجف الأشرف، العراق.

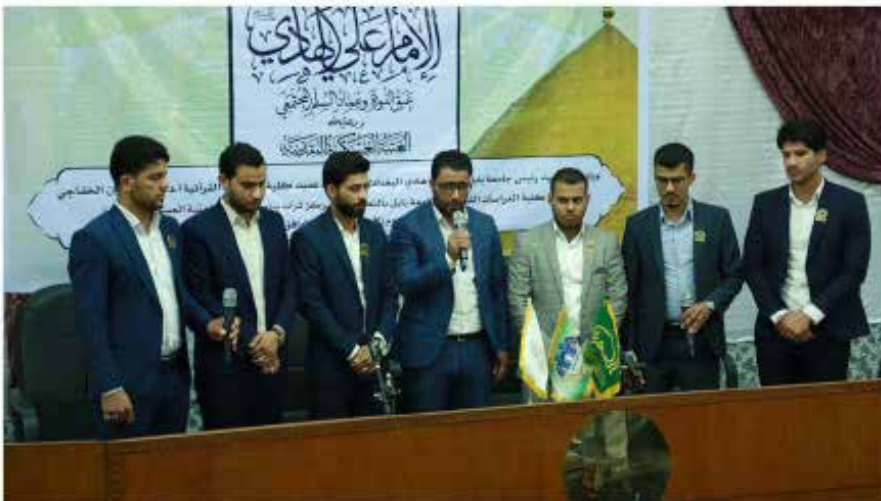
١٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ - ١٦٩٢م)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ، مطبعة مهر، قم، إيران.

٢٠. نزهة الناظر وتنبية الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن الحلواني من أعلام القرن الخامس، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ، قم، إيران.

ملحق
صور من المؤتمر



٤٨٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عقب النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣





٤٩٠ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي / ج ٣





٤٩٢ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) ج ٣





٤٩٤ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعباد السلام المجتمع) / ج ٣





٤٩٦ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام) ج ٣



الفهرس

(المحور الخامس: الدراسات اللغوية)

- المحور الخامس: الدراسات اللغوية..... ٥
- البحث الأول: لامية الإمام علي الهادي عليه السلام - دراسة تحليلية ٧
- البحث الثاني: المستويات الأسلوبية في خطاب الإمام الهادي عليه السلام المستوى الصوتي
اختياراً..... ٣١
- البحث الثالث: الظواهر التداولية في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام
الهادي عليه السلام..... ٦٥
- البحث الرابع: استراتيجيات الإقناع في مناظرات الإمام علي الهادي عليه السلام ٩١
- البحث الخامس: دعاء الصباح للإمام علي الهادي عليه السلام دراسة تحليلية ١١٩
- البحث السادس: استعراض تطور خبر إنشاد الإمام الهادي عليه السلام عند المتوكل.. ١٥٧

(المحور السادس: عام)

- المحور السادس: عام..... ١٧٩
- البحث الأول: الوسطية والاعتدال في مكاتيب الإمام علي الهادي عليه السلام ١٨١
- البحث الثاني: سامراء دائرة الإشعاع الطاقوي من الإمام الهادي عليه السلام إلى صاحب
اليوم الموعود..... ٢١٩
- البحث الثالث: مرتكزات السلم المجتمعي عند الإمام الهادي عليه السلام دراسة تحليلية
بلاغية..... ٢٤٩

٤٩٨ وقائع المؤتمر العلمي الأول (الإمام الهادي عليه السلام عبق النبوة وعماد السلم المجتمعي) / ج ٣

البحث الرابع: الروضة العسكرية بين الماضي والحاضر ٢٨١

البحث الخامس: التنمية البشرية في فكر الإمامين العسكريين عليهما السلام ٣٢٧

البحث السادس: الإمام الهادي عليه السلام ووحدة الأمة الإسلامية ٣٦٣

البحث السابع: نهج الإمام علي الهادي عليه السلام وأثره في التنشئة الاجتماعية ٣٨٥

البحث الثامن: الخدمات السياحية واثرها على السياحة الدينية لمرقد الإمام علي

الهادي عليه السلام ٤٠٣

البحث التاسع: الأخلاق في فكر الإمام علي الهادي عليه السلام ٤٦١

صور من المؤتمر ٤٨٥